بسم الله الرحمن الرحيم





العلامة المحقق الحاج الشيخ محمد تقي التستري قدس سره

المجلد السابع



دار امیر کبیر للنشر
تهران: ۱۳۷۶



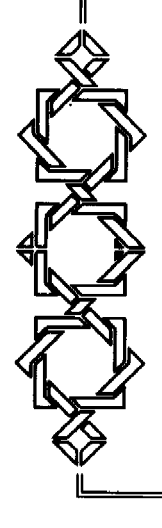
بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة (المجلدالسابع)
المصنف : الشيخ محمدتقي التستري (قدس سره)
اعداد و ترتيب : مؤسسة نهج البلاغة
الناشر : دارامیرکبیرللنشر
الطبعةالاولى : (١٣٧٦ هـ ش) (١٤١٨ هـ ق) (١٩٩٧ م)
المطبعة : سبهر
عددالنسخ المطبوعة : ٢٠٠٠ نسخة

شابك ١ - ٠٢٦٣ - ٠٠ - ٩٦٤ ISBN 964-00-0263-1

الجمهوريةالاسلامية في ايران - طهران - ص. ب ٤١٩١-١١٣٦٥

الفصل السادس عشر

في أدعيته عليه السلام





١
الخطبة (١٧٦)

ومن كلمات كان يدعو بها:

اللهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي فَإِنْ عُدْتُ فَعُدْ عَلَيَّ بِالْمَغْفِرَةِ. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا وَأَيْتُ مِنْ نَفْسِي وَلَمْ تَجِدْ لَهُ وَفَاءً عِنْدِي. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا تَقَرَّبْتُ بِهِ إِلَيْكَ بِلِسَانِي ثُمَّ خَالَفَهُ قَلْبِي. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي رَمَزَاتِ الْأَلْحَاظِ، وَسَقَطَاتِ الْأَلْفَاظِ، وَشَهَوَاتِ الْجَنَانِ، وَهَفَوَاتِ اللِّسَانِ.

قول المصنف: «من كلمات كان يدعو بها» هكذا في (المصرية) بلا زيادة، والصواب: زيادةعليه السلام بعده كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[1].

وكيف كان، ففي (الكافي) عن علي بن النعمان رفعه أنّهعليه السلام كان إذا صعد الصّفا استقبل الكعبة، ثم رفع يديه ثم يقول: اللّهم اغفر لي كلّ ذنب

---

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٦: ١٧٦ لكن في شرح ابن ميثم ٢: ٢١٣ نحو المصرية.

أذنبته قطّ، فان عدت فعد عليّ بالمغفرة، فانّك أنت الغفور الرحيم. اللّهم افعل بي ما أنت أهله، فانّك إن تفعل بي ما أنت أهله ترحمني، وإن تعذبني فأنت غنّي عن عذابي، وأنا محتاج إلى رحمتك، فيا من أنا محتاج إلى رحمته ارحمني. اللّهم لا تفعل بي ما أنا أهله، فإنّك إن تفعل بي ما أنا أهله تعذّبني، ولن تظلمني، أصبحت أتقي عدلك ولا أخاف جورك، فيامن هو عدل لا يجور ارحمني[1].

ونقل ابن أبي الحديد من أدعية الصحيفة خمسة: الأوّل: «يا من يرحم من لا يرحمه العباد» والثاني: «اللهم يا من برحمته يستغيث المذنبون» والثالث: «يا ذا الملك المتأبّد بالخلود» والرابع: «اللّهم إنّي أعوذ بك من هيجان الحرص» والخامس: «الحمد لله بكلّ ما حمده أدنى ملائكته إليه». ثم قال: إنّها من دعاء أمير المؤمنين عليه السلام، وكان يدعو بها علي بن الحسين عليه السلام في أدعية الصحيفة[2].

قلت: إنّ كلمات عترته عليه السلام وعلومهم وإن كانت من كلماته عليه السلام وعلومه، إلّا أنّ أدعية الصحيفة السجادية من إنشاء السجّاد نفسه، وعليه أطبقت الإماميّة سلفاً وخلفاً، وإنّما نقل كلّ من البحراني والنّوري صحيفة من أدعيته عليه السلام بالأسانيد ـ كما إنّ علي بن طاوس عقد في (مهجه) باباً لدعواته عليه السلام كذلك.

قوله عليه السلام «اللهم اغفر لي ما أنت أعلم به منّي» هو تعالى أعلم بذنب عبده حيث أنّ العبد قد لا يرى بعض الأمور ذنباً مع انّه عنده تعالى ذنب، بل أعظم ذنب، كما أنّ العبد ينسى كثيراً من ذنوبه وهو تعالى لا ينسى منها شيئاً أصلاً.

«فإن عدت فعد عليّ» هكذا في (المصرية وابن أبي الحديد)، ولكن في (ابن

---

(١) الكافي ٤: ٤٣٢ ح ٥.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٦: ١٧٨ ـ ١٨٥.

ميثم والخطية) «لي»[1] «بالمغفرة» فإنّ شأن العبد الخطأ، وشأن الربّ الغفران.

«اللّهم اغفر لي ما وأيت» أي: وعدت «من نفسي ولم تجد له وفاءً عندي» حتّى لا يؤدّي إلى النفاق ﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصّدّقنّ ولنكوننّ من الصالحين* فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولّوا وهم معرضون* فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون﴾[2].

«اللهمّ اغفر لي ما تقرّبت به إليك بلساني ثمّ خالفه قلبي» لأنّ عبادة لم تكن لله، لَهِيَ ذنب كبير ﴿فمن كان يرجو لقاء ربّه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربّه أحداً﴾[3].

«اللّهم اغفر لي رمزات الألحاظ» جمع اللحظ: النّظر بمؤخّر العين، قال تعالى: ﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصّدور﴾[4].

«وسقطات الألفاظ» قال تعالى في وصف المؤمنين: ﴿والذين هم عن اللغو معرضون﴾[5].

«وشهوات الجَنان» بالفتح أي: القلب، ولا يخلو قلب من شهوة أُمور غير مشروعة.

«وهفوات اللسان» أي: زلاّته.

وعن الصادق عليه السلام: كان بالمدينة رجل بطّال يضحك الناس منه فقال: قد أعياني هذا الرجل ـ يعني علي بن الحسين عليه السلام ـ أن أضحكه، فمرّ وخلفه

---

(١) لفظ شرح ابن أبي الحديد ٦: ١٧٦، وشرح ابن ميثم ٢: ٢١٣ نحو المصرية.

(٢) التوبة: ٧٥ ـ ٧٧.

(٣) الكهف: ١١٠.

(٤) غافر: ١٩.

(٥) المؤمنون: ٣.

موليان له، فجاء الرجل حتّى انتزع رداءه من رقبته، فمضى عليه السلام ولم يلتفت إليه، فأتبعه الناس وأخذوا منه الرداء وجاؤا به إليه، فقال لهم: من هذا؟ قالوا: رجل بطّال يضحك الناس. فقال: قولوا له، إنّ لله يوماً يخسر فيه المبطلون[1].

٢
الخطبة (٢١٣)

ومن دُعاء كان يدعو به عليه السلام كثيراً:

الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَمْ يُصْبِحْ بِي مَيِّتاً وَلَا سَقِيماً، وَلَا مَضْرُوباً عَلَى عُرُوقِي بِسُوءٍ، وَلَا مَأْخُوذاً بِأَسْوَإِ عَمَلِي، وَلَا مَقْطُوعاً دَابِرِي وَلَا مُرْتَدًّا عَنْ دِينِي، وَلَا مُنْكِراً لِرَبِّي، وَلَا مُسْتَوْحِشاً مِنْ إِيمَانِي، وَلَا مُلْتَبِساً عَقْلِي، وَلَا مُعَذَّباً بِعَذَابِ الْأُمَمِ مِنْ قَبْلِي. أَصْبَحْتُ عَبْداً مَمْلُوكاً ظَالِماً لِنَفْسِي، لَكَ الْحُجَّةُ عَلَيَّ وَ لَا حُجَّةَ لِي، وَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ آخُذَ إِلَّا مَا أَعْطَيْتَنِي، وَلَا أَتَّقِيَ إِلاَّ مَا وَقَيْتَنِي. اَللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَفْتَقِرَ فِي غِنَاكَ، أَوْ أَضِلَّ فِي هُدَاكَ، أَوْ أُضَامَ فِي سُلْطَانِكَ، أَوْ أُضْطَهَدَ وَالْأَمْرُ لَكَ. اَللّهُمَّ اجْعَلْ نَفْسِي أَوَّلَ كَرِيمَةٍ تَنْتَزِعُهَا مِنْ كَرَائِمِي وَأَوَّلَ وَدِيعَةٍ تَرْتَجِعُهَا مِنْ وَدَائِعِ نِعَمِكَ عِنْدِي. اَللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَذْهَبَ عَنْ قَوْلِكَ، أَوْ نُفْتَنَ عَنْ دِينِكَ أَوْ تتايَعَ بِنَا أَهْوَاؤنَا، دُونَ الْهُدَى الَّذِي جَاءَ مِنْ عِنْدِكَ.

أقول: في (مهج ابن طاوس)، عن كتاب (دفع الهموم والأحزان لأحمد بن داود النعماني): قال ابن عباس قلت لأمير المؤمنين عليه السلام ليلة صفين: أما ترى الأعداء قد أحدقوا بنا. فقال: قد راعك هذا؟ قلت: نعم. فقال: اللّهم انّي أعوذ بك أن أضام في سلطانك (اللّهم انّي أعوذ بك أن اضل في هداك) اللّهمّ إنّي أعوذ بك أن أفتقر في غناك، اللّهمّ إنّي أعوذ بك أن أضيّع في سلامتك، اللّهم إنّي أعوذ بك أن

(١) أخرجه الصدوق في أماليه: ١٨٣ ح٦ المجلس ٣٩.

أُغلب والأمر إليك[١].

هذا، ومن دعاء علّمه صلى الله عليه وآله خاله عمير بن وهب ـ كما في ذيل الطبري ـ اللّهم إنّي ضعيف فقوّ في رضاك ضعفي، وخذ إلى الخير بناصيتي، وبلّغني برحمتك ما أرجو من رحمتك، واجعل الإسلام منتهى رغبتي، واجعل لي ودّاً عند الناس وعهداً عندك[٢]!

ومن دعاء أمير المؤمنين عليه السلام في السجود كما في الكافي: إرحم ذلّي بين يديك، وتضرّعي إليك، ووحشتي من الناس، وآنسني بك يا كريم[٣]!

وكان عليه السلام يقول: وعظتَني فلم اتّعظ، وزجرتني عن محارمك فلم أنزجر، وعمّرتني أياديك فما شكرت، عفوك عفوك يا كريم! أسألك الراحة عند الموت، وأسألك العفو عند الحساب[٤]!

قول المصنف: «كان عليه السلام يدعو به كثيراً» قال ابن أبي الحديد: «كثيراً» صفة مصدر محذوف، أي دعاء كثيراً[٥].

قلت: بل صفة لوقت محذوف كما لا يخفى، فإن هذا الدعاء دعاء واحد لا كثير، وإنّما كان عليه السلام يقرأه في أوقات كثيرة، فهو مفعول فيه معيّناً، ولا مجال لاحتمال كونه مفعولاً مطلقاً كما احتمله الخوئي أيضاً[٦].

قوله عليه السلام «الحمد لله الذي لم يصبح بي ميّتاً ولا سقيماً» قد يصبح كثير من الناس ميّتين أو سقيمين، فمن أصبح حيّاً معافى يجب عليه

---

(١) مهج الدعوات : ١٠٣ .

(٢) منتخب ذيل المذيل : ٨١ .

(٣) الكافي ٣: ٣٢٧ ح ٢١ .

(٤) رواه الكليني في الكافي ٣: ٣٢٧ ح ٢١ .

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٨٥ .

(٦) شرح الخوئي ٧: ٢٩ .

شكره تعالى على ذلك.

«ولا مضروباً على عروقي بسوء» أي: مرض.

وروى (أمالي الشيخ) عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: في ابن آدم ثلاثمائة وستون عرقاً منها مائة وثمانون متحركة ومائة وثمانون ساكنة، فلو سكن المتحرك لم يبق الانسان، ولو تحرّك الساكن لهلك الإنسان! وكان صلى الله عليه وآله وسلم في كل يوم إذا أصبح وطلعت الشمس يقول «الحمد لله ربّ العالمين كثيراً طيّباً على كلّ حال» يقولها ثلاثمائة وستين مرّة شكراً[1].

وفي (الحلية) عن وهب بن منبه قال: عبد عابد خمسين سنة، فأوحى إليه انّي قد غفرت لك. قال: أي ربّ وما تغفر لي ولم أُذنب. فأذن الله لعرق في عنقه، فضرب عليه، فلم يَنَمْ ولم يُصَلّ، ثم سكن، فنام فأتاه المَلَك، فشكا إليه ما لقي من ضربان العرق. قال المَلَك: إنّ ربّك يقول: إن عبادتك خمسين سنة تَعْدِل سكون هذا العرق[2].

وفي خبر: أنّ كلّ إنسان فيه عرق جذام، فإذا تحرّك سلّط الله عليه الزكام فلا تكرهوه[3].

وقال ابن أبي الحديد: «بسوء» أي: ولا أبرص، والعرب تكنّي عن البرص بالسوء، ومن أمثالهم «ما أنكرك من سوء» أي: ليس إنكاري لك عن برص حدث بك فغيّر صورتك، وأراد «بعروقه» أعضاءه[4].

قلت: ما ذكره كلّه غلط وخبط، فلم يقل أحد أنّ السوء كناية عن البرص

(١) أمالي أبي جعفر الطوسي ٢: ٢١٠، المجلس ٨.

(٢) حلية الأولياء ٤: ٦٨.

(٣) جاء هذا المضمون في الكافي ٨: ٣٨٢ ح٥٧٧ و ٥٧٩، وطب الأئمة: ١٠٧، ودعوات الراوندي، عنه البحار ٦٢: ١٨٤ ح٧، والأخير أقرب لفظاً.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٨٥.

عند العرب، وإنّما الآية ﴿بيضاء من غير سوء﴾[1] كناية عن عدم البرص، كما أن قول أمير المؤمنين عليه السلام لأنس لما أنكر تذكّره لقول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في غدير خم «إن كنت كاذباً فضربك الله بها بيضاء لامعة لا تواريها العمامة»[2] كناية عن البرص.

كما أن تفسيره للمَثَل «ما أنكرك من سوء» بما قال، تفسير ركيك، فهذا الجوهري قال: معنى المثل أنّه لم يكن إنكاري إيّاك من سوء رأيته بك وإنّما هو لقلّة المعرفة[3]. وقال الميداني: يعني ليس إنكاري إيّاك عن سوء بك لكنّي لا أثبتك[4]، كما أن قوله أراد بعروقه أعضاءه أيضاً غلط، فالمراد بالعروق الأعصاب، وإنّما حمله على تأويله أنّ البرص يحدث في الأعضاء لا العروق.

«ولا مأخوذاً بأسوأ عملي» ﴿ولو يؤاخذ الله النّاس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة﴾[5]، وقد يأخذهم إذا أفرطوا في السوء، قال تعالى ـ بعد ذكر ما أنزل بالأُمم السالفة من العذاب ـ ﴿وكذلك أخذ ربك إذ أخذ القرى وهي ظالمة إنّ أخذه أليم شديد﴾[6].

«ولا مقطوعاً دابري» أي: نسلي بعدم جعله من الظلمة، لأنّه تعالى قال فيهم: ﴿فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله ربّ العالمين﴾[7] وقال في قوم لوط: ﴿إنّ دابر هؤلاء مقطوع مصبحين﴾[8].

---

(١) النمل: ١٢ و القصص : ٣٢.

(٢) نهج البلاغة ٤: ٧٤، الحكمة ٣١١.

(٣) صحاح اللغة ١: ٥٦ مادة (سوء) .

(٤) مجمع الأمثال ٢: ٢٨٥.

(٥) فاطر: ٤٥.

(٦) هود : ١٠٢ .

(٧) الأنعام: ٤٥.

(٨) الحجر: ٦٦ .

«ولا مرتداً عن ديني» كبعض الناس يمسي مسلماً ويصبح مرتداً، وهو فوق كلّ سوء ﴿ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدّنيا والآخرة وأولئك أصحاب النّار هم فيها خالدون﴾[١].

وفي رجال الكشّي: عن حمران بن أعين قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما أقلنا لو اجتمعنا على شاة ما أفنيناها. فقال: ألا أخبرك بأعجب من ذلك. فقلت: بلى قال: المهاجرون والأنصار ذهبوا إلّا ثلاثة[٢].

وعن الجمع بين صحيحي الحميدي من مسند سهل بن سعد عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: يرد عليّ الحوض أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم، فأقول انّهم أمّتي! فيقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن بدّل بعدي وغيّر!

وفي آخر من مسند ابن عباس، سيُجاء برجالٍ من أُمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول يا ربِّ أصحابي، فيقول إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك، إنّهم لن يزالوا مرتدّين على أعقابهم منذ فارقتهم!

ومن مسند أنس: ليردَنّ عليّ الحوض رجال ممّن صاحبني حتّى إذا رأتيهم ورفعوا إليّ اختلجوا دوني، فلأقولنّ أي ربِّ أصحابي أصحابي، فيُقال إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك. ومثله في مسند ابن مسعود ومسند حذيفة.

وفي مسند أبي هريرة قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: بينما أنا قائم فإذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل بيني وبينهم، فقال: هلمّوا. فقلت: إلى أين؟ قال: إلى النّار والله! قلت: ما شأنهم؟ قال: إنّهم ارتدّوا بعدك على أدبارهم القهقرى! ثم إذا زمرة -إلى أن قال- قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: فلا أراه

(١) البقرة: ٢١٧.

(٢) اختيار معرفة الرجال ٧: ١٥.

يخلص منهم إلّا مثل همل النعم(١) (٢).

«ولا مستوحشاً من إيماني» فكثير من الناس يستوحشون من إيمانهم بعد أنسهم به، لعدم رسوخه فيهم، وقد قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم له عليه السلام «الإيمان مخالط لحمك ودمك، كما خالط لحمي ودمي»(٣).

«ولا ملتبساً عقلي» أي: مختلطاً، والمؤمن يبتلى بكلّ بلاء ومرض، لكن لا يؤخذ منه عقله.

«ولا معذّباً بعذاب الأمم من قبلي» قال تعالى في عاد وثمود وقارون وفرعون وهامان: ﴿فكلاً أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا﴾(٤) وقال في مَرَدَة اليهود: ﴿وجعل منهم القردة والخنازير﴾(٥).

حمد الله تعالى على أنّه لم يصبح به من أحد الأصناف التسعة، فإن حمده تعالى واجب على دفع البلاء كوجوبه على إعطاء النعماء، قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: إذا رأيتم أهل البلاء فاحمدوا الله تعالى، ولا تُسمعوهم فإن ذلك يحزنهم.

---

(١) نقل ابن طاووس في الطرائف ٢: ٣٧٦ ـ ٣٧٨، كل هذه الأحاديث عن الجمع بين الصحيحين للحميدي وحديث سهل أخرجه البخاري في صحيحه ٤: ١٤٣ و ٢٢١، ومسلم في صحيحه ٤: ١٧٩٤ ح٢٢٩٣، وحديث ابن عباس أخرجه البخاري في ٢: ٢٣٣ و ٢٥٦ و٣: ١٢٧ و ١٦ و٤: ١٣٣، ومسلم في ٤: ٢١٩٤ ح٥٨، وحديث أنس أخرجه البخاري في ٤: ١٤١، ومسلم في ٤: ١٨٠٠ ح٤٠، وحديث ابن مسعود أخرجه البخاري في ٤: ١٤١ و ٢٢١، ومسلم في ٤: ١٧٩٦ ح٣٢، وحديث حذيفة أخرجه البخاري في ٤: ١٤١ ومسلم في ٤: ١٧٩٧ ح٣٢، وحديث أبي هريرة أخرجه البخاري في ٤: ١٤٢، ومسلم في ١: ٢١٧ و ٢١٨ ح٣٧ و ٣٩.

(٢) أسقط الشارح هنا فقرة «ولا منكراً لربي».

(٣) أخرجه في ضمن حديث طويل ابن المغازلي في مناقبه : ٢٨٦ و غيره.

(٤) العنكبوت: ٤٠.

(٥) المائدة : ٦٠.

وعن الباقر عليه السلام: من نظر إلى مبتلى فقال ثلاث مرّات: «الحمد لله الذي عافاني ممّا ابتلاك به، ولو شاء فعل» لم يصبه ذلك البلاء.

وعنه عليه السلام: إذا رأيت مبتلى وأنت معافى فقل «اللّهم إنّي لا أسخر ولا أفخر ولكنّي أحمدك على عظيم نعمائك عليّ»[١].

«أصبحت عبداً مملوكاً» ﴿ولا يملكون لأنفسهم ضرّاً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياةً ولا نشوراً﴾[٢].

«ظالماً لنفسي» ﴿إن الله لا يظلم النّاس شيئاً ولكنَّ الناس أنفسهم يظلمون﴾[٣].

«لك الحجّة عليّ ولا حجّة لي» ﴿قل فللّه الحجّة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين﴾[٤] ﴿حجّتهم داحضة عند ربهم﴾[٥] ﴿رسلاً مبشّرين ومنذرين لئلا يكون للنّاس على الله حجّة بعد الرُّسل﴾[٦].

«ولا أستطيع» هكذا في (المصرية) أخذاً من نسخة (ابن أبي الحديد)، والصواب: «لا أستطيع» كما في (ابن ميثم) بل وكما في (ابن أبي الحديد) في شرح الفقرة[٧].

«إن آخذ إلّا ما أعطيتني» «لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت».

«ولا أتقي إلّا ما وقيتني» ﴿وقال يا بنيّ لا تدخلوا من بابٍ واحدٍ وادخلوا

(١) أخرج هذه الأحاديث الكليني في الكافي ٢: ٩٧ و ٩٨ ح ٢٠ و ٢٢ و ٢٣، والحديث الأخير عن الصادق عليه السلام.

(٢) الفرقان: ٣.

(٣) يونس: ٤٤.

(٤) الأنعام: ١٤٩.

(٥) الشورى: ١٦.

(٦) النساء: ١٦٥.

(٧) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٨٤ و ٨٦، وشرح ابن ميثم ٤: ٣٦.

من أبوابٍ متفرّقة وما أُغني عنكم من الله من شيء ان الحكم إلّا لله عليه توكّلت وعليه فليتوكّل المتوكّلون* ولمّا دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيءٍ إلّا حاجةً في نفس يعقوب قضاها وإنّه لذو علم لما علّمناه ولكنّ أكثر النّاس لا يعلمون﴾[1].

«اللهمّ إنّي أعوذ بك أن افتقر في غناك» ﴿ولله خزائن السماوات والأرض﴾[2].

وفي الخبر: أوحى تعالى إلى موسى عليه السلام : إنّه ما دام لم تنفد خزائني ـ ولن تنفد ـ فلا تغتمّ لرزقك[3].

وإنّما استعاذ عليه السلام لأن العبد قد يستحق سلب نعمه تعالى ﴿إنّ الله لا يغيّر ما بقومٍ حتّى يغيّروا ما بأنفسهم﴾[4].

«أو أضلّ في هداك» ﴿إن ربّي على صراطٍ مستقيمٍ﴾[5] قال تعالى: ﴿يضلّ به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يضلّ به إلّا الفاسقين* الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون﴾[6].

«أو اضطهد» أي: أصير مقهوراً للناس «والأمر لك» وفي نسخة (ابن ميثم) «ولك الأمر»[7].

---

(١) يوسف: ٦٧ و ٦٨.

(٢) المنافقون: ٧.

(٣) أخرجه الصدوق في التوحيد : ٣٧٢ ح ١٤ والنقل بالمعنى.

(٤) الرعد: ١١.

(٥) هود: ٥٦.

(٦) أسقط الشارح هنا فقرة: «أو اضام في سلطانك». والآيات ٢٦ و ٢٧ من سورة البقرة.

(٧) لفظ شرح ابن ميثم ٤: ٣٦ أيضاً نحو المصرية.

«اللّهم اجعل نفسي أوّل كريمة تنتزعها من كرائمي» يكرم على الإنسان جميع جوارحه وقواه كما يكرم عليه نفسه وروحه، وانتزاع النفس أوّلها يلزم إبقاء باقيها إلى حين موته.

وفي الخبر: إذا أنا أخذت من عبدي كريمتيه فصبر، لم أرضَ له ثواباً دون الجنّة[١].

«وأوّل وديعة ترتجعها من ودائع نعمك عندي» هذا في معنى الأوّل، إلّا أن الأوّل من حيث أنّ النفس وقواها كرائم على الانسان وهذا من حيث أنّها عوار من الربّ عند العبد، فليس له لو ارتجعها غير أوّل اعتراض وإنكار.

«اللّهمّ إنّا نعوذ بك أن نذهب عن قولك» بمخالفة أوامرك، وزواجرك التي قلتها في كتابك وعلى لسان حججك.

«أو نفتنّ» هكذا في (المصرية) والصواب: «أو نفتتن» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم والخطية)[٢] «عن دينك» بأن تتّفق أسباب، تخرج العبد عن الدين كما في قوم موسى مع العجل والسامريّ.

«أو تتايع» قال الجوهري: التتايع: التهافت في الشرّ واللجاج، ولا يكون التتايع إلّا في الشرّ[٣].

«بنا أهواؤنا دون الهدى الذي جاء من عندك» قال تعالى: ﴿ومن أضلّ ممن اتّبع هواه بغير هدى من الله﴾[٤].

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير وأبو نعيم في حلية الأولياء، عنهما الجامع الصغير ٢: ٨٣، والنقل بتصرف في اللفظ.

(٢) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١١: ٨٤ «أو أن نفتتن» ولفظ شرح ابن ميثم ٤: ٣٦ نحو المصرية.

(٣) صحاح اللغة ٣: ١١٩٢ مادة (تيع).

(٤) القصص: ٥٠.

٣
الخطبة (٢٢٣)

ومن دعاء له عليه السلام:

اللَّهمَّ صُنْ وَجْهِي بِالْيَسارِ، وَلَا تَبْذُلْ جَاهِي بِالإِقْتَارِ، فَأَسْتَرْزِقَ طَالِبِي رِزْقِكَ، وَأَسْتَعْطِفَ شِرَارَ خَلْقِكَ، وَأُبْتَلى بِحَمْدِ مَنْ أَعطَانِي، وَأُفْتَتَنَ بِذمِّ مَنْ مَنَعَنِي، وَأَنْتَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ كلِّهِ وَلِيُّ الإِعْطَاءِ وَالمَنْعِ، ﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

قول المصنف: «ومن دعاء له عليه السلام» وردت في المكارم من الصحيفة، فقرات بلفظه ومعناه وفقرات بمعناه فقط.

أما الأولى: فما فيه «اللّهم صلّ على محمّد وآله، وصُنْ وجهي باليسار، ولا تبتذل جاهي بالإقتار، فاسترزق أهل رزقك، واستعطي شرار خلقك، فأُفتتن بحمد من أعطاني، وابتلي بذم من منعني، وأنت من دونهم ولي الإعطاء والمنع»[١].

وأما الثانية: فما فيه «اللّهمّ اجعلني أصول بك عند الضرورة، وأسألك عند الحاجة، وأتضرّع إليك عند المسكنة، ولا تفتنّي بالاستعانة بغيرك إذا اضطررت، ولا بالخضوع لسؤال غيرك إذا افتقرت، ولا بالتضرّع إلى من دونك إذا رهبت، فاستحق بذلك خذلانك ومنعك وإعراضك يا أرحم الراحمين»[٢].

ولا غرو في توافقهما وتقاربهما، فكلاهما مؤيّد بالروح القدسي.

قوله عليه السلام «اللّهم صُنْ وجهي باليسار» صون الوجه أعزّ شيء عند الكرام، قال أبو تمام:

---

(١) الصحيفة السجادية: ١١١ دعاء ٢٠.

(٢) الصحيفة السجادية: ١٠٥ دعاء ٢٠.

ومـــا أُبـــالي وخـيـر القـول أصــدقه حقنتَ لي ماءَ وجهي أو حقنتَ دَمــي

وقال آخر:

ما جود كفّك إن جادت وإن بخلت من ماء وجهي وقد أخلقته عوض

وعن الصادقعليه السلام: المعروف ابتداء، وأما من أعطيته بعد المسألة فانّما كافيته بما بذل لك من وجهه، يبيت ليلته أرقاً متململاً بين الرجـاء واليأس لا يدري أين يتوجّه لحاجته ثم يعزم بالقصد لها، فيأتيك وقلبه يرجف، وفرائصه ترعد قد ترى دمه في وجهه لا يدري أيرجع بكآبة أو فرح[١].

ومرادهعليه السلام باليسار: الكفاف، المطلوب عند أولياء الله حتى لا يحتاج إلى الخلق، لا الغنى المُطغى، المطلوب عند أهل الدنيا.

«ولا تبذل جاهي بالإقتار» أي: الإفتقار وضيق المعاش.

في (الكافي) عن لقمان قال لابنه: يـا بـنـيّ؛ ذقتُ الصـبر، وأكـلـتُ لحـاء الشجر، فلم أجد شيئاً هو أمرّ من الفقر، فان بليت به يوماً فلا تظهر الناس عليه فيستهينوك ولا ينفعوك بشيء، إرجع إلى الذي ابتلاك به فهو أقدر على فرجك، وسَلْه من ذا الذي سأله فلم يعطِه أو وثق به فلم ينجِه[٢].

«فاسترزق طالبي رزقك» وقبيح أن يدع الإنسان الرازق، ويدعو المرزوق، فكما لا خالق غيره، لا رازق سواه ﴿إن الله هو الرّزّاق ذو القوّة المتين﴾[٣].

«واستعطف شرار خـلقك» فان أكثر النّاس لئام وشرار، والكرام والأبرار قليلون، فإذا ابتلي بالإقتار يضطر غالباً الى استعطاف الأشرار.

روي في (الكافي)، عن النبيّصلى الله عليه وآله: الأيدي ثـلاث: يـد الله العـليا، ويـد

---

(١) أخرجه الكليني في الكافي ٤: ٢٣ ح ٢.

(٢) الكافي ٤: ٢٢ ح٨.

(٣) الذاريات: ٥٨.

المُعطي التي تليها، ويد المُعطى أسفل الأيدي. فاستعفوا عن السؤال ما استطعتم، إنّ الأرزاق دونها حجب، فمن شاء قنى حياءه وأخذ رزقه، ومن شاء هتك الحجاب وأخذ رزقه، والذي نفسي بيده لئن يأخذ أحدكم جبلاً ثمّ يدخل عرض هذا الوادي فيحتطب حتى لا يلتقي طرفاه ثم يدخل به السوق فيبيعه بمدّ من تمر ويأخذ ثلثه ويتصدّق بثلثيه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو حرموه.

وعن الصادق عليه السلام: جاءت فخذ من الأنصار إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا: لنا إليك حاجة. فقال: هاتوا، قالوا: عظيمة تضمن لنا على ربّك الجنّة؟ فنكس صلى الله عليه وآله وسلم رأسه ثم نكت في الأرض ثم رفع رأسه فقال: أفعل ذلك بكم على ألا تسألوا أحداً شيئاً؛ فكان الرجل منهم يكون في السفر فيسقط سوطه فيكره أن يقول لإنسان ناولنيه فراراً من المسألة فينزل فيأخذه، ويكون على المائدة فيكون بعض الجلساء أقرب إلى الماء منه فلا يقول ناولني حتى يقوم فيشرب!

وعنه عليه السلام: رحم الله عبداً عفّ وتعفّف وكفّ عن المسألة، فإنّه يتعجّل الدنية في الدنيا ولا يغنى الناس عنه شيئاً. ثم تمثّل عليه السلام ببيت حاتم:

إذا ما عرفت اليأس ألفيته الغنى　　　إذا عرفته النفس والطمع الفقر[1]

«وابتلى بحمد من أعطاني وافتن» هكذا في (المصرية)، والصواب: «وافتتن» كما (في ابن أبي الحديد و ابن ميثم والخطية)[2] «بذمّ من منعني» وحمد الناس كذمّهم مذموم، وفاعله ملوم.

«وأنت من وراء ذلك كلّه وليّ الإعطاء والمنع». في (الفقه الرضوي): روى أنّ الله عزوجل أوحى إلى داود عليه السلام: ما اعتصم بي عبد من عبادي، دون أحد

(١) الكافي ٤: ٢٠ و ٢١ ح٣ و ٥ و ٦.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١١: ٢٥٥، لكن في شرح ابن ميثم ٤: ٨٨ نحو المصرية.

من خلقي، عرفت ذلك من نيّته، ثم تكيده أهل السماوات والأرض وما فيهنّ، إلّا جعلت له المخرج من بينهنّ؛ وما اعتصم عبد من عبيدي بأحد من خلقي دوني، عرفت ذلك من نيّته، إلّا قطعت أسباب السماوات من يديه، وأسخت الأرض من تحته، ولم أبالِ بأي وادٍ هلك.

وفيه: وروي عن العالم عليه السلام يقول تبارك وتعالى: وعزّتي وجلالي، وارتفاعي في علوي، لا يؤثر عبد هواي على هواه، إلّا جعلت غناه في قلبه، وهمّه في آخرته، وكففت عليه ضيعته، وضَمِنَت السماوات والأرض رزقه، وكنتُ له من وراء حاجته، وأتته الدنيا وهي راغمة. وعزّتي وجلالي، وارتفاعي في علو مكاني، لا يؤثر عبد هواه على هواي، إلّا قطعت رجاءه، ولم أرزقه منها إلّا ما قدرت له.

وروي أنّ بعض العلماء كان يقول: سبحان من لو كانت الدنيا خيراً كلّها أهلك فيها من أحبّ، سبحان من لو كانت الدنيا شرّاً كلّها أنجى منها من أراد[1].

هذا، وواضح أنّ الخبر في جملة «وأنت من وراء ذلك كلّه ولي الإعطاء والمنع» إنّما هو «وليّ» و «من وراء» متعلّق به كقوله «من دونهم» في الصحيفة في قوله «وأنت من دونهم ولي الإعطاء والمنع»[2]، وجعل ابن أبي الحديد «من وراء ذلك» الخبر وقال «وانت من وراء ذلك» مثل قولك للملك العظيم «هو من وراء وزرائه»، فيكون «وليّ» خبراً بعد خبر، ويجوز أن يكون «وليّ» هو الخبر و «من وراء» حالاً ـ الخ[3]. وكما ترى.

«إنّك على كلّ شيء قدير» فتقدر على صون وجهي حتّى لا أحتاج إلى

---

(١) أخرجه صاحب فقه الرضا فيه: ٣٥٨ و ٣٥٩، والأحاديث الثلاثة أخرجها البرقي في المحاسن، عنه مشكوة الأنوار: ١٦ و ١٧ و ٢٦٤، والأول الكليني في الكافي ٢: ٦٣ ح ١.

(٢) الصحيفة السجادية: ١١١ دعاء ٢٠.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٢٥٦.

غيرك فافعل ذلك بي.

وفي (الفقه الرضوي): نروي أنّ رجلاً أتى النبيّ صلى الله عليه وآله ليسأله، فسمعه وهو يقول: «من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله»، فانصرف ولم يسأله، ثم عاد إليه فسمع مثل مقالته فلم يسأله، حتى فعل ذلك ثلاثاً، فلما كان في اليوم الثالث مضى واستعار فأساً وصعد الجبل فاحتطب، وحمله إلى السوق، فباعه بنصف صاع من شعير، فأكله هو وعياله، ثم دام على ذلك حتى جمع ما اشترى به فأساً، ثم اشترى بكرين وغلاماً وأيسر، فأتى النبيّ صلى الله عليه وآله فأخبره فقال: «أليس قلنا من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله»[1].

٤
الخطبة (٤٦)

ومن كلام له عليه السلام عند عزمه على المسير إلى الشام:

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ ٱلْمُنْقَلَبِ وَسُوءِ ٱلْمَنْظَرِ فِي ٱلْأَهْلِ وَٱلْمَالِ. ٱللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَأَنْتَ الْخَلِيفَةُ فِي الأَهْلِ، وَلَا يَجْمَعُهُمَا غَيْرُكَ لِأَنَّ الْمُسْتَخْلَفَ لَا يَكُونُ مُسْتَصْحَباً وَالْمُسْتَصْحَبُ لا يَكُونُ مُسْتَخْلَفاً.

أقول: هكذا في (المصرية) بدون نقل عن المصنف، وفيها سقط ففي (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية): قال السيد: وابتداء هذا الكلام مروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد قفّاه عليه السلام بأبلغ كلام وتمّمه بأحسن تمام من قوله «لا يجمعهما غيرك» إلى آخر الفصل[2].

قول المصنف: «ومن كلام له عليه السلام عند عزمه على المسير الى الشام» في

---

(١) فقه الرضا: ٣٦٥.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٣: ١٦٦، لكن لم توجد الزيادة في شرح ابن ميثم ٢: ١٢١.

(صفّين نصر): لما وضع عليّ عليه السلام رِجْله في ركاب دابّته يوم خرج من الكوفة إلى صفّين قال «بسم الله»، فلما جلس على ظهرها قال ﴿سبحان الذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين * وإنّا إلى ربّنا لمنقلبون﴾[١]، ثمّ قال: اللّهم إنّي أعوذ بك من وعثاء السفر ـ الخ[٢].

قوله عليه السلام «اللّهم إنّي أعوذ بك من وعثاء السفر» قال الجوهري: الوعث: المكان السهل الكثير الدهس، تغيب فيه الأقدام ويشقّ على من يمشي فيه، ووعثاء السفر: مشقّته[٣].

«وكآبة» قال الجوهري: الكآبة: سوء الحال والانكسار من الحزن وقد كئب الرجل يكاب كأبة وكآبة[٤].

«المنقلب» قال الجوهري: المنقلب يكون مصدراً ويكون مكاناً، مثل المنصرف[٥].

«وسوء المنظر في الأهل» بالمرض والموت «والمال» بالفساد والتلف.

«اللّهم أنت الصاحب في السفر، وأنت الخليفة في الأهل» عن الصادق عليه السلام: ما استخلف عبد على أهله بخلافة أفضل من ركعتين يركعهما إذا أراد سفراً يقول «اللّهم اني استودعك نفسي وأهلي ومالي ودِيني ودنياي وآخرتي وأمانتي وخواتيم عملي» إلّا أعطاه الله ما سأل[٦].

«ولا يجمعهما غيرك» من المخلوقين «لأن المستخلَف» في الأهل «لا يكون

---

(١) الزخرف: ١٣ و ١٤.

(٢) وقعة صفين : ١٣٢ .

(٣) صحاح اللغة ١: ٢٩٦ مادة (وعث) .

(٤) صحاح اللغة ١: ٢٠٧ مادة (كأب) .

(٥) صحاح اللغة ١: ٢٠٥ مادة (قلب).

(٦) أخرجه الكليني في الكافي ٣: ٤٨٠ ح١ وغيره.

مستصحَباً» في السفر «والمستصحَب» مع المسافر «لا يكون مستخلفاً» في أهله، لاستحالة كون جسم في مكانين، وأمّا الله تعالى فالسماء والأرض والمشرق والمغرب عنده سواء ﴿فأينما تولّوا فثمّ وجه الله﴾[1] ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلّا هو رابعهم ولا خمسة إلّا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلّا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبّئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكلّ شيء عليم﴾[2].

قول المصنف: «وابتداء هذا الكلام» من أوّله إلى «وأنت الخليفة في الأهل» «مروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله» لكن مع زيادة ونقصان، ففي (مجازات) المصنف: ومن ذلك قوله صلى الله عليه وآله «اللّهم إنّا نعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، والحور بعد الكور، وسوء المنظر في الأهل والمال» وقال المصنف ثمة: والحور بعد الكور أي انتشار الأُمور بعد انضمامها وانفراجها بعد التيامها، وذلك مأخوذ من حور العمامة بعد كورها، وهو نقضها بعدليّها ونشرها بعد طيّها[3]، قاله صلى الله عليه وآله ـ كما في (السيرة) ـ في رجوعه من غزوة بني لحيان لمّا خرج إليهم لطلب ثأر أصحاب الرجيع[4].

«وقد قفّاه عليه السلام» أي: أتبعه «بأبلغ كلام وتمّمه بأحسن تمام، من قوله لا يجمعهما غيرك إلى آخر الفصل» «والمستصحب لا يكون مستخلفاً».

لكن روى الكلام عنه عليه السلام في ذهابه إلى صفين، وفيه قفّاه عليه السلام بما قال وفي إيابه من صفين، وفيه زاد قبله شيئاً، ففي (صفين نصر بن مزاحم): قال عبد الرحمن بن جندب لما أقبل عليّ عليه السلام من صفين أقبلنا معه، فأخذ طريقاً

---

(١) البقرة : ١١٥ .

(٢) المجادلة : ٧ .

(٣) المجازات النبوية: ١٤١ .

(٤) سيرة ابن هشام ٣: ١٧٥.

غير طريقنا الذي أقبلنا فيه، فقال «آئبون عائدون، لربّنا حامدون، اللّهم إنّي أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في المال والأهل»[١].

٥
الخطبة (٢٢٥)

ومن دعاء له عليه السلام:

اللَّهَمَّ إنَّكَ آنَسُ ٱلآنِسِينَ لأَوْلِيَائِكَ، وَأَحْضَرُهُمْ بِالْكِفَايَةِ لِلْمُتَوكِّلِينَ عَلَيْكَ، تُشَاهِدُهُمْ فِي سَرَائِرِهِمْ وَتَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ فِي ضَمَائِرِهِمْ وَتَعْلَمُ مَبْلَغَ بَصَائِرِهِمْ، فَأَسْرَارُهُمْ لَكَ مَكْشُوفَةٌ وَقُلُوبُهُمْ إلَيْكَ مَلْهُوفَةٌ، إنْ أَوْحَشَتْهُمُ ٱلْغُرْبَةُ آنَسَهُمْ ذِكْرُكَ، وَإنْ صُبَّتْ عَلَيْهِمُ المَصائِبُ لَجَأُوا إلَى ٱلاسْتِجَارَةِ بِكَ، عِلْماً بِأَنَّ أَزِمَّةَ ٱلْأُمُورِ بِيَدِكَ، وَمَصَادِرَهَا عَنْ قَضَائِكَ. ٱللهُمَّ إنْ فَهِهتُ عَنْ مَسْأَلَتِي أَوْ عَمِيتُ عَنْ طِلْبَتِي فَدُلَّنِي عَلَى مَصَالِحِي، وَخُذْ بِقَلْبِي إلَى مَرَاشِدِي، فَلَيْسَ ذَلِكَ بِنُكْرٍ مِنْ هِدايَاتِكَ، وَلَا بِبِدْعٍ مِنْ كِفَايَاتِكَ. ٱللهمَّ ٱحْمِلْنِي عَلَى عَفْوِكَ وَلَا تَحْمِلْنِي عَلَى عَدْلِكَ.

قول المصنف: «ومن دعائه» هكذا في (المصرية)، والصواب: «ومن دعاء له عليه السلام» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٢].

قوله عليه السلام «اللّهم إنك آنس الآنسين لأوليائك» كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إذا حضر وقت الصلاة يقول لبلال: أذّن وأرحني من غير الله تعالى[٣].

وفي التاسعة من مناجات الصحيفة: إلهي من ذا الذي ذاق حلاوة

---

(١) وقعة صفين: ٥٢٨.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٢٦٧، وشرح ابن ميثم ٤: ٩٣.

(٣) رواه الهروي في غريبه، عنه النهاية ٢: ٢٧٤ وغيره.

محبّتك فرام منك بدلاً، ومن ذا الذي آنس بقربك فابتغى عنك حِوَلاً[١].

وفي الثالثة عشرة: أستغفرك من كلّ لذّة بغير ذكرك، ومن كلّ راحة بغير أنسك، ومن كلّ سرور بغير قربك، ومن كلّ شغل بغير طاعتك[٢].

هذا، والظاهر أنّ «الآنسين» محرّف «الأنيسين»، لأن أولياء الله مستأنسون بالله تعالى وبذكره لا انّه تعالى مستأنس بهم.

وفي (وقعة صفين): لما قَدِمَ عليّ عليه السلام الكوفة سأل عن رجل من أصحابه كان ينزل الكوفة، فقال قائل: استأثر الله به. فقال عليه السلام: إنّ الله لا يستأثر بأحد من خلقه، إنّما أراد الله بالموت إعزاز نفسه وإذلال خلقه[٣].

ومما ذكرنا يظهر لك ما في قول ابن أبي الحديد: أنّ الرواية الصحيحة «بأوليائك»، أي: أنت أكثرهم انساً بأوليائك[٤]. وما في قول الخوئي: ان اللام في «لأوليائك» لتبيين الفاعل من المفعول، فإن قلت ما أحبّني لفلان فأنت فاعل الحبّ وفلان مفعوله، وإن قلت ما أحبني إلى فلان فالأمر بالعكس[٥].

«وأحضرهم بالكفاية للمتوكّلين عليك» وفي السير: إن ذا القرنين لمّا فرغ من عمل السدّ انطلق على وجهه، فبينا يسير هو وجنوده إذ مرّ على شيخ يصلّي، فوقف عليه بجنوده حتى انصرف من صلاته فقال له ذو القرنين: كيف لم يرعك ما حضرك من جنودي؟ قال: كنتُ أُناجي من هو أشدّ جنوداً منك وأعزّ سلطاناً وأشدّ قوّة، ولو صرفت وجهي إليك لم أدرِكْ حاجتي قِبَلَه. فقال له ذو القرنين: هل لك في أن تنطلق معي فأواسيك بنفسي وأستعين بك على

---

(١) ملحقات الصحيفة السجادية: ٣٥٦.

(٢) ملحقات الصحيفة السجادية: ٣٦٤.

(٣) وقعة صفين: ٦، والنقل بتصرف في العبارة.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٢٦٧.

(٥) شرح الخوئي ٧: ١٢٧.

بعض أمري. قال: نعم إن ضمنت لي أربع خصال: نعيماً لا يزول، وصحّة لا سقم فيها، وشباباً لا هرم فيه، وحياة لا موت فيها. فقال له ذو القرنين: وأيّ مخلوق يقدر على هذه الخصال. فقال: فإنّي مع من يقدر عليها ويملكها وإيّاك[١].

«تشاهدهم في سرائرهم» ﴿يعلم السرّ وأخفى﴾[٢].

«وتطّلع عليهم في ضمائرهم» ﴿إنّ الله عليم بذات الصّدور﴾[٣].

«وتعلم مبلغ بصائرهم» عن الصادق عليه السلام: إنّ العبد المؤمن الفقير ليقول: يا رب ارزقني حتّى أفعل كذا وكذا من البرّ ووجوه الخير، فإذا علم الله تعالى ذلك منه بصدق نيّته كتب الله له من الأجر مثل ما يكتب له لو عمله، إنّ الله واسعٌ كريم[٤].

«فأسرارهم لك مكشوفة، وقلوبهم إليك ملهوفة» في المناجاة الثامنة: «فأنت لا غيرك مرادي، ولك لا لسواك سهري وسهادي، ولقاؤك قرّة عيني، ووصلك منّي نفسي، وإليك شوقي، وفي محبّتك وَلَهي، وإلى هواك صَبابتي، ورضاك بغيتي، ورؤيتك حاجتي، وجوارك طلبي، وقربك غاية سؤلي، وفي مناجاتك روحي وراحتي، وعندك دواء علّتي، وشفاء غلّتي، وبرد لوعتي، وكشف كربتي، فكن أنيسي في وحشتي، ومقيل عثرتي، وغافر زلّتي، وقابل توبتي، ومجيب دعوتي، ووليّ عصمتي، ومغني فاقتي، ولا تقطعني عنك ولا تبعدني منك يا نعيمي وجنّتي ويا دنياي وآخرتي»[٥].

---

(١) رواه الصدوق في أماليه: ١٤٤ ح٦، المجلس ٣٢، وفي العلل ٢: ٤٧٢ ح٣٤.

(٢) طه: ٧.

(٣) آل عمران: ١١٩ والمائدة: ٧ ولقمان: ٢٣.

(٤) أخرجه الكليني في الكافي ٢: ٨٥ ح٣.

(٥) ملحقات الصحفة السجادية: ٣٥٥.

«ان أوحشتهم الغربة آنسهم ذكرك» في الخبر: لما طَرَحَ يوسف في الجبّ أخوته أتاه جبرئيل عليه السلام فقال: يا غلام ما تصنع ههنا؟ فقال: إن إخوتي ألقوني. قال: أفتحبّ أن تخرج منه؟ قال: ذاك إلى الله تعالى إن شاء أخرجني؛ فقال له جبرئيل: إنّ الله عزّوجلّ يقول لك ادعني بهذا الدعاء «اللّهم إنّي أسألك بأنّ لك الحمد لا إله إلا أنت الحنّان المنّان بديع السماوات والأرض ذو الجلال والإكرام، صلِّ على محمّد وآل محمّد واجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً»[١] ـ ثم كان من قصته ما ذكره الله تعالى في كتابه من مجيء السيارة[٢] ـ.

«وان صبّت عليهم المصائب لجأوا إلى الاستجارة بك علماً بأنّ أزمة الأمور بيدك ومصادرها عن قضائك» في (العقد): قال المدائني: لما حجّ المنصور مرّ بالمدينة فقال لربيع: عَلَيَّ بجعفر بن محمد قتلني الله إن لم أقتله! فمطل به ثم ألحّ عليه، فحضر فلمّا كشف الستر بينه وبينه ومثل بين يديه همس جعفر بشفتيه ثم تقرّب وسلّم فقال: لا سلّم الله عليك يا عدوّ الله! تعمل عليّ الغوائل في ملكي قتلني الله إن لم أقتلك ـ إلى أن قال ـ قال المنصور: يا ربيع عجّل لأبي عبد الله كسوته وجائزته. قال ربيع: فلمّا حال الستر بيني وبينه أمسكت بثوبه فقلت له: إنّي منذ ثلاث أدفع عنك، ورأيتك إذ دخلت همست بشفتيك ثم رأيت الأمر انجلى عنك، وأنا خادم سلطان ولا غنى لي عنه. قال: قلت «اللّهم احرسني بعينك التي لا تنام، واكنفني بحفظك الذي لا يرام، ولا أهلك وأنت رجائي، فكم من نعمة قد أنعمتها عليّ قَلَّ لك عندها شكري فلم تحرمني، وكم من بليّة ابتليتني بها قلَّ عندها صبري فلم تخذلني، بك أدرأ في نحره، واستعيذ بخيرك

---

(١) رواه القمي في تفسيره ١: ٣٥٤ والعياشي في تفسيره ٢: ١٧ ح٦، والراوندي في قصص الأنبياء، عنه البحار ١٢: ٢٤٨ ح١٣.

(٢) يوسف: ١٩.

من شرّه، فانّك على كلّ شيءٍ قدير، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وسلّم»[(١)].

وفي (مروج المسعودي): أُتِي بعلي بن الحسين عليه السلام إلى مسلم بن عقبة وهو مغتاظ عليه، فتبرأ منه ومن آبائه، فلمّا رآه وقد أشرف عليه ارتعد وقام له وأقعده إلى جانبه وقال له: سَلْنِي حوائجك! فلم يسأله في أحد ممّن قَدِمَ إلى السيف إلا شفّعه فيه، ثم انصرف عنه فقيل لعليّ عليه السلام رأيناك تحرّك شفتيك فما الذي قلت؟ قال: قلت «اللّهم ربّ السماوات السبع وما أظْلَلْنَ، والأرضين السبع وما أَقْلَلْنَ، ربّ العرش العظيم، ربّ محمّد وآله الطاهرين، أعوذ بك من شرّه وأدرأ بك في نحره، أسألك أن تؤتيني خيره وتكفيني شرّه». وقيل لمسلم رأيناك تسبّ هذا الغلام وسلفه، فلما أُتِي به إليك رفعت منزلته. فقال: ما كان ذلك لرأيٍ منّي، لقد مُلِئَ قلبي منه رُعباً[(٢)].

وفي (تأريخ الطبري): لما صبّحت الخيل الحسين عليه السلام رفع يديه فقال «اللّهم أنت ثقتي في كلّ كرب ورجائي في كلّ شدّة، وأنت لي في كلّ أمر نزل بي ثقة وعُدّة، كم من همّ يضعف فيه الفؤاد، وتقلّ فيه الحيلة، ويخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدوّ، أنزلته بك وشكوته إليك، رغبة منّي إليك عمّن سواك ففرّجته وكشفته، فأنت وليّ كلّ نعمة وصاحب كلّ حسنة ومنتهى كلّ رغبة»[(٣)].

وفي (اللهوف): لما رُمِيَ رضيع الحسين عليه السلام بسهم فذبحه في حجره تلقّى الدّم بكفيه، فلما امتلأتا رمى بالدم نحو السماء ثم قال: هوّن عليّ ما نزل

---

(١) العقد الفريد ٢: ٢٨ والنقل بتصرف يسير.

(٢) مروج الذهب ٣: ٧٠.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٣٢١ سنة ٦١.

بي أنّه بعين الله[١].

وفي (اعتقادات الصدوق): ولما اشتدّ الأمر بالحسين عليه السلام نظر إليه من كان معه وإذا هو بخلافهم، لأنّهم كانوا إذا اشتدّ بهم الأمر تغيّرت ألوانهم وارتعدت فرائصهم ووجلت قلوبهم، وكان الحسين عليه السلام وبعض من معه من خصائصه تشرق ألوانهم وتهدأ جوارحهم وتسكن قلوبهم ونفوسهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا إليه لا يبالي بالموت! فقال عليه السلام لهم: يا بني الكرام، فما الموت إلا أنّها قنطرة تعبر بكم عن البؤس والضرّ إلى الجِنان الواسعة والنعيم الدائم، فأيّكم يكره ذلك . الخ[٢].

ولنعم ما قيل بالفارسية على لسان حاله عليه السلام :

گفت اگر بر سر من تير چه باران بارد

يـا فـلک داغ عـزيزان بـدلم بگـذارد

باده از مصطبه عشق مرا خوش دارد

غم و شادی بر عاشق چه تفاوت دارد

«اللّهم ان فههت» أي: عييت «عن مسألتي أو عميت عن طلبتي فدلّني على مصالحي وخذ بقلبي إلى مراشدي» فأنت العالم بصلاحي ﴿ونادى نوح ربّه فقال ربّ إنّ ابني من أهلي وإنّ وعدك الحقّ وأنت أحكم الحاكمين* قال يا نوح إنّه ليس من أهلك انّه عمل غير صالح فلا تسئلنِ ما ليس لك به علم إنّي أعظك أن تكون من الجاهلين* قال ربِّ إنّي أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلّا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين﴾[٣].

---

(١) اللهوف: ٥٠ .

(٢) الاعتقادات: ١٤ والنقل بتصرف يسير.

(٣) هود: ٤٥ ـ ٤٧ .

وفي (مكارم الصحيفة): «اللّهم اجعل ما يُلقي الشيطان في روعي من التمنّي والتظنّي والحسد ذكراً لعظمتك وتفكّراً في قدرتك؛ وتدبيراً على عدوّك، وما أجري على لساني من لفظة فحش أو هجر أو شتم عرض أو شهادة باطل أو اغتياب مؤمن غائب أو سبّ حاضر وما أشبه ذلك، نطقاً بالحمد لك وإغراقاً في الثناء عليك وذهاباً في تمجيدك وشكراً لنعمتك واعترافاً بإحسانك؛ واحصاءً لمننك»(١).

«فليس ذلك بنكر من هداياتك» لعبادك «ولا ببدع من كفاياتك» لأوليائك.

«اللهم احملني على عفوك ولا تحملني على عدلك» وإلّا هلكت ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة﴾(٢) ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثيرٍ﴾(٣) ﴿ويخافون سوء الحساب﴾(٤) أي: عدله تعالى.

هذا، وفي (مناقب الكنجي) عن زر بن حبيش قال: قرأت القرآن من أوّله إلى آخره في جامع الكوفة على عليّ عليه السلام، فلما بلغت الحواميم قال: بلغت عرائس القرآن. فلما بلغت رأس العشرين من حمسق ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنّات لهم مايشاؤن عند ربّهم ذلك هو الفضل الكبير﴾(٥) بكى حتى ارتفع نحيبه، ثم رفع رأسه الى السماء وقال: آمن على دعائي ـ ثم قال «اللّهم إنّي أسألك إخبات المخبتين، وإخلاص الموقنين، ومرافقة الأبرار، واستحقاق حقوق الإيمان، والغنيمة من كلّ برٍّ، والسلامة من

---

(١) الصحيفة السجادية: ١٠٦ دعاء ٢٠.

(٢) فاطر: ٤٥.

(٣) الشورى: ٣٠.

(٤) الرعد: ٢١.

(٥) الشورى: ٢٢.

كلّ عيبٍ، ووجوب رحمتك وعزائم مغفرتك، والفوز بالجنّة والنّجاة من النّار»
قال: وإذا ختمت القرآن فادع به، فان حبيبي أمرني أن أدعو بهن عند ختم القرآن.

٦
الحكمة (٢٧٦)

وقال عليه السلام:

اللّٰهُمَّ إنّي أعُوذُ بِكَ مِنْ أنْ تَحْسُنَ في لامِعَةِ الْعُيُونِ عَلانِيَتِي وَتَـقْبُحَ فيما أُبْطِن لَكَ سَرِيرَتِي، مُحافِظاً على رِئاء النَّاسِ مِنْ نَفْسي بجَميعِ ما أنْتَ مُطَّلعٌ عَلَيْهِ مِني، فأُبْدِيَ لِلنَّاسِ حُسْنَ ظاهِري، وأُفْضِيَ إلَيْكَ بِسُوءِ عَمَلِي، تَقَرُّباً إلى عِبَادِكَ وتَبَاعُداً مِنْ مَرْضاتِكَ.

«اللّهم إنّي أعوذ بك من أن» هكذا في (المصرية) أخذاً من (ابن أبي الحديد)، ولكن في نسخة (ابن ميثم) «ان»[1] «تحسّن في لامعة العيون علانيتي، وتقبّح فيما أبطن لك سريرتي».

في (الكافي): عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إنّ المَلَكَ ليصعد بعمل العبد مبتهجاً به، فإذا صعد بحسناته يقول تعالى: إجعلوه في سجّين[2].

«محافظاً على رئاء الناس من نفسي بجميع ما أنت مطّلع عليه منّي» عن الصادق عليه السلام: من أظهر للناس ما يحبّ الله وبارز الله بما كرهه لقي الله وهو ماقت له[3].

«فأبدي للناس حسن ظاهري وأفضي إليك بسوء عملي» عن الصادق عليه السلام:

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ١٦٧، وشرح ابن ميثم ٥: ٣٨٥.

(٢) الكافي ٢: ٢٩٤ ح٧.

(٣) الكافي ٢: ٢٩٥ ح١٠.

ما يصنع أحدكم أن يظهر حسناً ويسرّ سيئاً أليس يرجع إلى نفسه، فيعلم أنّ ذلك ليس كذلك، والله تعالى يقول: ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة﴾[١].

وعنه عليه السلام: ما من عبد يسرّ خيراً إلّا لم تذهب الأيام حتّى يظهر الله له خيراً، وما من عبد يسر شرّاً إلّا لم تذهب الأيام حتّى يظهر الله له شرّاً.

وعنه عليه السلام: من أراد الله بالقليل من عمله أظهر الله له أكثر مما أراد، ومن أراد الناس بالكثير من عمله في تعب من بدنه وسهر من ليله أبى الله تعالى إلاّ أن يقلّله في عين من سمعه[٢].

«تقرّباً إلى عبادك وتباعداً من مرضاتك» «تقرباً وتباعداً» مفعول لهما لأُبدي وأفضي.

وروي في (الكافي) عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: سيأتي على الناس زمان تخبث فيه سرائرهم وتحسن فيه علانيتهم طمعاً في الدنيا، لا يريدون به ما عند ربّهم، يكون دينهم رياء، لا يخالطهم خوف، يعمّهم الله بعقاب فيدعونه دعاء الغريق فلا يستجاب لهم.

وعن الصادق عليه السلام: إيّاك والرّياء، فإنّ من عمل لغير الله وكله الله إلى من عمل له، وكلّ رياء شرك، إنّه من عمل للنّاس كان ثوابه على النّاس.

وعنه عليه السلام: قال تعالى: أنا خير شريك، من أشرك بي غيري في عمل عمله لم أقبله إلّا ما كان لي خالصاً[٣].

هذا، وشهد الله تعالى له عليه السلام ولعترته بالاخلاص في قوله عزّوجلّ: ﴿ويطعمون الطعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً* انّما نطعمكم لوجه الله

---

(١) القيامة: ١٤.

(٢) الكافي ٢: ٢٩٥ و ٢٩٦ ح ١١ ـ ١٣.

(٣) هذه الاحاديث أخرجها الكليني في الكافي ٢: ٢٩٣ ـ ٢٩٦ ح ١ و ٢ و ٩ و ١٤.

لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً* إنّا نخاف من ربّنا يوماً عبوساً قمطريراً* فوقاهم الله شرّ ذلك اليوم ولقّاهم نضرةً وسروراً* وجزاهم بما صبروا جنّةً وحريراً* متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً ـ إلى ـ إنّ هذا كان لكم جزاءً وكان سعيكم مشكوراً﴾[1]. ومع ذلك، نسب الثاني إليه عليه السلام الرياء، جرأة على ردّ الله تعالى!!

ففي (أمالي أبي جعفر محمد بن حبيب) ـ وقد نقله (ابن أبي الحديد) في موضع آخر ـ قال ابن عبّاس دخلت يوماً على عمر فقال: يا ابن عباس لقد أجهد هذا الرجل نفسه في العبادة حتى نحلته رياء، قلت: من هو؟ قال: هذا ابن عمك ـ يعنيه عليه السلام ـ فقلت: وما يقصد بالرياء؟ قال: يرشّح نفسه بين الناس للخلافة. قلت: وما يصنع بالترشيح، قد رشّحه لها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فصرفت عنه ـ الخبر[2]. لكن لا غرو في نسبته الرياء إليه عليه السلام بعد نسبته الهجر إلى نفس النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لما أراد استخلافه عليه السلام.

٧
الخطبة (٨٩)

فِي الْخُطْبَة الْمَعْرُوفَة بِالْاشْبَاح بَـعْدَ ذِكْـرَهُ صِـفَاتِه تـعالى وَخَـلْقَة الْسَّمَاء وَالْمَلَائِكَة وَالْأَرْض وَإِرْسَالَه الرُّسُـل مِـنْ آدَمَ إِلَـى الْـخَاتَم وَبَيَان إِحَاطَة عِلْمه تَعَالَى بِكُلِّ شَيْءٍ:

اللَّهُمَّ أَنْتَ أَهْلُ ٱلْوَصْفِ ٱلْجَمِيلِ وَٱلتَّـعْدَادِ ٱلْكَـثِيرِ، إِنْ تُـؤَمَّلْ فَـخَيْرُ مَأْمُولٍ، وَإِنْ تُرْجَ فَأَكرم مَرْجُوٍّ. ٱللَّهُمَّ وَقَدْ بَسَطْتَ لِي فِي مَا لَا أَمْدَحُ بِهِ غَيْرَكَ، وَلَا أُثْنِي بِهِ عَلَى أَحَدٍ سِوَاكَ، وَلَا أُوَجِّهُهُ إِلَى مَـعَادِنِ ٱلْـخَيْبَةِ

---

(١) الانسان: ٨ ـ ٢٢.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٢: ٨٠.

وَمَوَاضِعِ الرِّيبَةِ، وَعَدَلْتَ بِلِسَانِي عَنْ مَدَائحِ ٱلْآدَمِيِّينَ، وَالثَّناءِ عَلَى المَخْلُوقِينَ المَرْبُوبِينَ. اَللَّهُمَّ وَلِكُلِّ مُثْنٍ عَلَى مَنْ أَثنى عَلَيْهِ مَثوبَةٌ مِنْ جَزَاء أَوْ عَارِفَةٌ مِنْ عَطاءٍ، وَقَدْ رَجَوْتُكَ دَلِيلاً عَلَى ذَخَائِرِ ٱلرَّحْمَةِ وَكُنُوزِ المَغفِرَةِ. اَللَّهُمَّ وَهَذَا مَقامُ مَنْ أَفْرَدَكَ بِالتَّوحِيدِ الَّذِي هُوَ لَكَ، وَلَمْ يَرَ مُسْتَحِقّاً لِهَذِهِ المَحَامِدِ وَالمَمادِحِ غَيْرَكَ، وبِي فاقَةٌ إِلَيْكَ لَا يَجْبُرُ مَسْكَنَتَها إِلَّا فَضْلُكَ وَلَا يَنْعَشُ مِنْ خَلَّتِها إِلَّا مَنُّكَ وَجُودُكَ، فَهَبْ لَنا فِي هَذَا المَقامِ رِضَاكَ، وَأَغْنِنَا عَنْ مَدِّ ٱلْأَيْدِي إِلَى سِوَاكَ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

«اللّهم أنت أهل الوصف الجميل» العليم الكريم الرحيم، إلى غير ذلك من صفات الكمال ونعوت الجلال والجمال.

«والتعداد الكثير» في أوصاف كمالك حتّى أنّها لا تحصى.

«إن تؤمّل فخير مؤمل» هكذا في (المصرية)، والصواب: (مأمول) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخوئي والخطية)[1]، وكونه تعالى خير مأمول لأنّه القادر على إعطاء كلّ أمل دون غيره.

«وإن ترجَ فأكرم مرجوّ» لأنّه الذي لا يخيب رجاء راجيه.

«اللّهم وقد بسطت لي» بقوّة البيان.

«فيما لا أمدح به غيرك» لعدم اتصاف غيره بما مدحه.

«ولا أُثني به على أحدٍ سواك» لفقدان سواه لما به أثني عليه، فتقول: ﴿إنّ الله على كلّ شيءٍ قدير﴾[2] و﴿إنّ الله بكلّ شيءٍ عليم﴾[3].

---

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٧: ٣١، وشرح الخوئي ٣: ١٣١، لكن في شرح ابن ميثم ٢: ٣٦٨ «مؤمل».

(٢) البقرة: ٢٠ ومواضع أُخرى.

(٣) النساء: ٩٧ ومواضع أُخرى.

فهل يكون أحد غيره كذلك.

«ولا أوجّهه» أي: مدحي وثنائي، وأفرد الضمير لاتحادهما في المصداق «إلى معادن الخيبة» ممّن رجاهم غيره «ومواضع الرّيبة» باحتمال كونهم على ضدّ ما يمدحون به.

«وعدلت بلساني عن مدائح الآدميين» إلى مدحك «و» عن «الثناء على المخلوقين المربوبين» إلى الثناء عليك، لأنّك الله خالق الخلق وربّ العالمين.

«اللّهم ولكلّ مثنٍ على من أثنى عليه مثوبة من جزاء» فأثبني جزاء ثنائي «أو عارفة» أي: معروف «من عطاء» فأعطني عطاء معروفاً على ثنائي.

«وقد رجوتك دليلاً على ذخائر الرحمة» ﴿ولله خزائن السماوات والأرض﴾[1] ﴿وإن من شيءٍ إلّا عندنا خزائنه وما ننزّله إلّا بقدرٍ معلومٍ﴾[2].

«وكنوز المغفرة» أي: كنوز أسبابها، كقوله تعالى: ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربّكم﴾[3].

«اللّهمّ وهذا مقام من أفردك بالتوحيد الذي هو لك» أي: بالإقرار بواحدانيتك المختصّة بك «ولم يرَ مستحقاً لهذه المحامد والممادح» جمعا المحمدة والمدحة، وجاء جمع الثاني بلفظ الأماديح أيضاً، قال الشاعر:

لو كان مدحة حيّ منشراً أحداً   أحيا أبا كن ياليلى الأماديح[4]

والأصل في الحمد الارتضاء، يُقال أحمدت الأرض ارتضيت سكناها، وقال قراد بن حنش:

---

(١) المنافقون: ٧.

(٢) الحجر: ٢١.

(٣) آل عمران: ١٣٣.

(٤) أورده أساس البلاغة: ٤٣٣، مادة (مدح). ولسان العرب ٢: ٥٨٩ مادة (مدح).

لهفي عـليك إذا الرعـاة تـحامدوا بحزيز أرضهم الدرين الأسودا[١]

«غيرك» لعدم صدقها في سواه تعالى «وبي فاقة» أي: حاجة «اليك لا يجبر مسكنتها إلّا فضلك» لا استحقاقي.

«ولا ينعش» أي: لا يرفع «من خَلتها» بالفتح أي: فاقتها «إلّا منّك وجودك» على عبادك.

«فهب لنا في هذا المقام» مقام حمدك وثنائك «رضاك» عنّا.

«وأغننا عن مدّ الأيدي إلى سواك» لأنّك الرّزّاق «إنّك على كلّ شيءٍ قديرٍ» على إغنائنا وإصلاح جميع شؤوننا.

هذا، وروى (أمالي الشيخ) فيما رواه عن الغضائري أنّهعليه السلام كان إذا رأى الهلال قال: اللّهم ارزقنا خيره ونصره وبركته وفتحه، ونعوذ بك من شرّه وشرّ ما بعده[٢].

وروى (الكافي) عنهعليه السلام قال: الدعاء مفتاح النّجاح، ومقاليد الفلاح، وخير الدعاء ما صدر عن صدر نقيّ وقلب تقيّ، وفي المناجاة سبب النجاة، وبالاخلاص يكون الخلاص، فإذا اشتدّ الفزع فإلى الله المفزع.

أيضاً: الدعاء ترس المؤمن، ومتى تكثر قرع الباب يفتح لك[٣].

وفي (المحاسن والأضداد للجاحظ): يقال أنّ علياًعليه السلام لمّا اتصل به مسير معاوية قال: لا أرشد الله قائده، ولا أسعد رائده، ولا أصاب غيثاً، ولا سار إلّا ريثاً، ولا رافق إلّا ليثاً، أبعده الله وأسحقه، وأوقد على أثره وأحرقه، لا حطّ الله رحله، ولا كشف محلّه، ولا بشّر به أهله، لا زكّى له مطلب ولا رحب له

---

(١) أورده أساس البلاغة: ٩٤، مادة (حمد).

(٢) أمالي ابن جعفر الطوسي ٢: ٢٦٠ المجلس ١٥.

(٣) الكافي ٢: ٤٦٨ ح٢ و٤.

مذهب، ولا يسّر له مراماً، لا فرّج الله له غمّه، ولا سرّى همّه، لا سقاه الله ماء، ولا حل عقده، ولا أروى زنده، جعله الله سفر الفراق، وعصا الشقاق! وأنشد:

بأنكد طائر وبشرّ فال — لأبعد غاية وأخسّ حال
بحدّ السدّ حيث يكون منّي — كما بين الجنوب إلى الشمال
غريباً تمتطي قدميك دهراً — على خوف تحنّ إلى العيال [1]

٨
الكتاب (١٥)

وكان عليه السلام يقول إذا لقي العدو محاربا:

اللَّهُمَّ أَفْضَتِ إِلَيْكَ ٱلْقُلُوبُ، وَمُدَّتِ ٱلْأَعْنَاقُ، وَشَخَصَتِ ٱلْأَبْصَارُ، وَنُقِلَتِ ٱلْأَقْدَامُ، وَأُنْضِيَتِ ٱلْأَبْدَانُ. ٱللَّهُمَّ قَدْ صَرَّحَ مَكْنُونُ ٱلشَّنَآنِ، وَجَاشَتْ مَرَاجِلُ ٱلْأَضْغَانِ. ٱللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ غَيْبَةَ نَبِيِّنَا، وَكَثْرَةَ عَدُوِّنَا، وَتَشَتُّتَ أَهْوَائِنَا. رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وأَنْتَ خَيْرُ ٱلْفَاتِحِينَ.

قول المصنف: «وكان عليه السلام إذا لقي العدوّ محارباً» رواه نصر ابن مزاحم في (صفينه) في ثلاث روايات:

إحداها: ما رواه مسنداً عن سلام بن سويد: كان عليّ عليه السلام إذا أراد أن يسير إلى الحرب وقعد على دابّته قال: الحمد لله ربّ العالمين على نعمه علينا وفضله العظيم ﴿سبحان الذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين وإنّا إلى ربّنا لمنقلبون﴾ [2] ثم يوجّه دابته الى القبلة ثم يرفع يديه الى السماء ثم يقول: اللّهم إليك نقلت الأقدام، وأفضت القلوب، ورفعت الأيدي، وشخصت الأبصار،

---

(١) المحاسن والأضداد: ٩٩.

(٢) الزخرف: ١٣ و ١٤.

نشكو إليك غيبة نبيّنا، وكثرة عدوّنا، وتشتّت أهوائنا ﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحقّ وأنت خير الفاتحين﴾[١] سيروا على بركة الله[٢].

الثانية: مسنداً عن تميم: كان علي عليه السلام إذا سار الى القتال ذكر اسم الله حين يركب، ثم يقول: الحمد لله على نعمه علينا وفضله العظيم ﴿سبحان الّذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين وإنّا إلى ربّنا لمنقلبون﴾[٣] ثم يستقبل القبلة ثم يرفع يديه إلى الله ثم يقول: اللّهم إليك نقلت الأقدام، وأتعبت الأبدان، وأفضت القلوب، ورفعت الأيدي، وأشخصت الأبصار ﴿ربّنا افتح بيننا وبين قومنا بالحقّ وأنت خير الفاتحين﴾[٤] سيروا على بركة الله، ثم يقول: الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلّا الله والله أكبر، يا الله يا أحد يا صمد، يا ربّ محمّد، بسم الله الرحمن الرحيم، لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم، إيّاك نعبد وإيّاك نستعين، اللّهمّ كفّ عنّا بأس الظالمين فكان هذا شعاره بصفين [٥].

الثالثة: عن قيس بن الربيع عن عبد الواحد بن حسان عمّن حدّثه عن علي عليه السلام سمعه يقول يوم صفين «اللّهم إليك رفعت الأبصار، وبسطت الأيدي، ودعيت الألسن، وأفضت القلوب، وتحوكم إليك في الأعمال، فاحكم بيننا وبينهم بالحقّ وأنت خير الفاتحين. اللّهم إنّا نشكو إليك غيبة نبيّنا، وقلّة عددنا، وكثرة عدوّنا وتشتّت أهوائنا، وشدّة الزمان، وظهور الفتن، أعنّا عليهم بفتح تعجّله، ونصرٍ تعزّ به سلطان الحقّ وتظهره»[٦].

---

(١) الأعراف: ٨٩.

(٢) وقعة صفين : ٢٣١.

(٣) الزخرف: ١٣ ـ ١٤.

(٤) الاعراف: ٨٩.

(٥) وقعة صفين : ٢٣٠.

(٦) وقعة صفين: ٢٣١.

والخبر الأوّل مطلق في كونه أيّ حرب، والأخيران صرّح فيهما بكونه في صفين، لكن لم يذكر فيهما وقته.

وروى خبراً آخر انّه عليه السلام قاله يوم الهرير، فروى عن جابر بن عمير الأنصاري قال: والله لكأني أسمع علياً عليه السلام يوم الهرير ـ وذلك بعد ما طحنت رحى مذحج فيما بينها وبين عك ولخم وجذام والأشعريين بأمر عظيم تشيب منه النواصي، حتى استقلت الشمس وقام قائم الظهر ـ يقول لأصحابه متى نخلّي بين هذين الحيين قد فنينا وأنتم وقوف تنظرون، أما تخافون مقت الله. ثم انفتل إلى القبلة ورفع يديه ونادى «يا الله يا رحمن يا رحيم، يا واحد يا أحد يا صمد، يا الله يا إله محمّد، اللّهم إليك نقلت الأقدام وأفضت القلوب ورفعت الأيدي ومدّت الأعناق وشخصت الأبصار وطلبت الحوائج، إنّا نشكو إليك غيبة نبيّنا وكثرة عدوّنا وتشتّت أهوائنا، ربّنا افتح بيننا وبين الحقّ وأنت خير الفاتحين» سيروا على بركة الله، ثم نادى «لا إله إلّا الله والله أكبر كلمة التقوى».

قال جابر: لا والذي بعث محمّداً بالحقّ نبيّاً ما سمعنا برئيس قوم منذ خلق الله السماوات والأرض، أصاب بيده في يوم واحد ما أصاب، إنّه قتل فيما ذكر العادون زيادة على خمسمائة من أعلام العرب يخرج بسيفه منحنياً فيقول «معذرة إلى الله عزّوجلّ وإليكم من هذا، لقد هممت أن أفلقه ولكن حجزني عنه أنّي سمعت الرسول يقول كثيراً «لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا علي» وأنا قاتل به دونه.

قال جابر: فكنّا نأخذه فنقوّمه ثم يتناوله من أيدينا فيتقحم به في عرض الصف، ولا والله ما ليث بأشدّ نكاية في عدوّه منه عليه السلام[1].

وروى (صفين عبد العزيز الجلّودي) ـ كما في (مهج علي بن طاوس) ـ

---

(١) وقعة صفين: ٤٧٧، والنقل بتصرف يسير.

إنّه كان في أوّل القتال، ففيه: فلمّا زحفوا باللواء قال عليّ عليه السلام: بسم الله الرحمن الرحيم، لا حول ولا قوّة إلّا بالله العلّي العظيم، اللّهم إيّاك نعبد وإيّاك نستعين، يا الله يا رحمن يا رحيم يا أحد يا صمد يا إله محمّد، إليك نقلت الأقدام وأفضت القلوب وشخصت الأبصار ومدّت الأعناق وطلبت الحوائج ورفعت الأيدي، اللّهمّ افتح بيننا وبين قومنا بالحقّ وأنت خير الفاتحين. ثم قال «لا إله إلّا الله والله أكبر» ـ ثلاثاً[1]. قلت: وحيث انّه كان دعاء يكرّر أمكن دعاؤه عليه السلام به في كلّ ما روى، فعن جمل المفيد دعا به يوم الجمل أيضاً[2].

كما انّه روى الكلام عنه عليه السلام في غير وقت الحرب، فروى (رسائل الكليني) ـ كما في (المحجّة) فيما كتبه عليه السلام بعد منصرفه من النهروان لمّا سألوه عن أبي بكر وعمر وعثمان ـ إلى أن قال ـ فدعوني إلى بيعة عثمان فبايعت مستكرهاً وصبرت محتسباً، وعلّمت أهل القنوت أن يقولوا: «اللّهمّ لك أخلصت القلوب، وإليك شخصت الأبصار، وأنت دعيت بالألسن، وإليك تحوكم الأعمال، فافتح بيننا وبين قومنا بالحقّ. اللّهم إنّا نشكو إليك غيبة نبيّنا، وكثرة عدوّنا، وقلّة عددنا، وهواننا على الناس، وشدّة الزمان، ووقوع الفتن بنا. اللّهم ففرّج ذلك بعدلٍ تظهره، وسلطان حق تعرفه!»[3].

قال ابن أبي الحديد: كان سديف مولى المنصور يقول «اللّهم انّا نشكو إليك غيبة نبيّنا وكثرة عدوّنا، وتشتّت أهوائنا، وما شملنا من زيغ الفتن، واستولى علينا من عشوة الحيرة، حتى عاد فيئنا دولة بعد القسمة، وأمارتنا غلبة بعد المشورة، وعدنا ميراثاً بعد الاختيار للأمة، واشتريت الملاهي

---

(١) مهج الدعوات: ٩٦.

(٢) الجمل: ١٨٢.

(٣) كشف المحجة: ١٧٩.

والمعازف بمال اليتيم والأرملة، وأرعي في مال الله من لا يرعى له حرمة، وحكم في أبشار المؤمنين أهل الذمة، وتولّى القيام بأمورهم فاسق كلّ محلة، فلا ذائد يذودهم عن هلكة، ولا راعٍ ينظر إليهم بعينِ رحمة، ولا ذو شفقة يشبع الكبد الحرّى من مسغبة، فهم أولو ضرع وفاقة، وأسراء فقر ومسكنة، وحلفاء كآبة وذلّة. اللّهم وقد استحصد زرع الباطل وبلغ نهايته، واستحكم عموده، واستجمع طريده، وحذف وليده، وضرب بجرانه فأتح له من الحقّ يداً حاصدة، تجذّ سنامه وتهشم سوقه وتصرع قائمه، ليستخفي الباطل بقبح حليته ويظهر الحقّ بحسن صورته».

ووجدت هذه الألفاظ في دعاء منسوب إلى علي بن الحسين عليه السلام، ولعلّه من كلامه وقد كان سديف يدعو به[1].

قلت: ان كان أصل الكلام من السجاد عليه السلام إلّا أنّه لابدّ أن يكون بعض فقراته من غيره، فهو لا يقول «عادت إمارتنا غلبة بعد المشورة وعدنا ميراثاً بعد الاختيار للأمّة»، فهل تلك المفاسد التي عدّت إلّا نتيجة ذاك الاختيار يوم السقيفة وتلك المشورة يوم الدار؟

قوله عليه السلام «اللّهم أفضت اليك» هكذا في (المصرية)، والصواب: «اللّهم إليك أفضت» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[2] «القلوب» أي: تظهر القلوب أسرارها لك.

«ومدّت الأعناق» أي: تتضرع لك «وشخصت الأبصار» شخص بصره: إذا فتحه وجعله لا يطرف.

«ونقلت الأقدام» أي: مسيرنا كان لك «وانضيت الأبدان» يقال: انضيت

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٥: ١١٣.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٥ : ١١٢ ، وشرح ابن ميثم ٤: ٣٨٥.

الثوب إذا ابليته، وانضى فلان بعيره أي: هزله، وتقديم الظرف للحصر، أي: ان وقوع جميع هذه الأمور كان مختصاً لك.

«اللّهم قد صرح» أي: انكشف وظهر «مكتوم» هكذا في (المصرية)، والصواب: «مكنون» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[١] «الشنآن» أي: البغض.

«وجاشت» من جاشت القِدْر أي: غَلَتْ «مراجل» جمع المرجل قدر من نحاس «الأضغان».

وروى نصر بن مزاحم في (صفينه): لما أراد عليّ عليه السلام الشخوص إلى صفين التفت عبد الله بن بديل الخزاعي إلى الناس وقال: كيف يبايع معاوية علياً عليه السلام وقد قتل أخاه حنظلة وخاله الوليد وجدّه عتبة في موقف واحد[٢].

«اللّهم إنّا نشكو إليك غيبة نبيّنا وكثرة عدوّنا» قالت سيدة النساء مخاطبة لأبيها أو صفية لابن أخيها كما في (بيان الجاحظ):

قد كان بعدك أنباء وهنبثة لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها فاحتل لقومك واشهدهم ولا تغب[٣]

وقالت أروى بنت عبد المطلب كما في (طبقات كاتب الواقدي):

لعمرك ما أبكي النبي لموته ولكن لهرج كان بعدك آتيا[٤]

وفي (أنساب البلاذري): قالت أمّ الفضل: كنت جالسة عند النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وهو مريض، فبكيت فقال: ما يبكيك؟ قلت: أخشى عليك ولا أدري ما نلقى من

---

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٥: ١١٢، لكن في شرح ابن ميثم ٤: ٣٨٥ نحو المصرية.

(٢) وقعة صفين: ١٠٢.

(٣) نقله عن فاطمة الزهراء (عليها السلام) الطبرسي في الاحتجاج ١: ٩٢، وعن صفية الجاحظ في البيان ٣: ٣١٩ وعن هند بنت اثاثة ابن سعد في الطبقات ٢ ق ٢: ٩٧ بفرق يسير بين الألفاظ.

(٤) طبقات ابن سعد ٢ ق ٢: ٩٣.

الناس بعدك. فقال: أنتم المستضعفون[١]!!

وقد قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم له عليه السلام: إنّ الأمة ستغدر بك بعدي[٢].

«وتشتّت» أي: تفرّق «أهوائنا، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحقّ وأنت خير الفاتحين» الأصل فيه قول شعيب فيما حكى الله تعالى عنه[٣].

هذا، وروى (الكافي) أنّه عليه السلام كان إذا أراد القتال قال: اللّهم إنّك أعلمت سبيلاً من سبلك جعلت فيه رضاك، وندبت إليه أولياءك، وجعلته أشرف سبلك عندك ثواباً وأكرمها لديك مآباً، وأحبّها إليك مسلكاً، ثم اشتريت فيه من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنّة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليك حقّاً، فاجعلني ممّن اشترى فيه منك نفسه ثم وفّى لك ببيعه الذي بايعك عليه، غير ناكث ولا ناقض عهداً ولا مبدّل تبديلاً، بل استيجاباً لمحبّتك وتقرّباً به إليك، فاجعله خاتمة عملي وصيّر فيه فناء عمري، وارزقني فيه لك وبه مشهداً توجب لي به منك الرضا، وتحطّ به عنّي الخطايا، وتجعلني في الأحياء المرزوقين، بأيدي العداة والعصاة، تحت لواء الحقّ وراية الهدى، ماضياً على نصرتهم قدماً غير مولّ دبراً ولا محدث شكاً. اللّهم وأعوذ بك عند ذلك من الجبن عند موارد الأهوال، ومن الضعف عند مساورة الأبطال، ومن الذنب المحبط للأعمال، فأحجم من شكّ أو أمضي بغير يقين، فيكون سعيي في تباب وعملي غير مقبول[٤].

وفي (زهر آداب الحصري) و(مجالس ثعلب): «ومن دعاء علي عليه السلام في

---

(١) انساب الأشراف ١: ٥٥١.

(٢) أخرجه البخاري في تاريخه ١: ق١ ١٧٤، والحاكم في المستدرك ٣: ١٤٠ و ١٤٢، والخطيب في تاريخ بغداد ١١: ٢١٦، والثقفي في الغارات ٢: ٤٨٦ وغيرهم.

(٣) الأعراف: ٨٩.

(٤) الكافي ٥: ٤٦ ح١.

حروبه» اللّهم أنت أرضى للرضى، وأسخط للسخط، وأقدر على تغيّر ما كرهت، وأعلم بما تقدر، لا تغلب على باطل، ولا تعجز عن حقّ، وما أنت بغافل عمّا يعمل الظالمون[١].

٩
الخطبة (٢١٠)

ومن خطبة له عليه السلام:

اَللَّهُمَّ أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِكَ سَمِعَ مَقَالَتَنَا اَلْعَادِلَةَ غَيْرَ الجَائِرَةِ، وَالمُصْلِحَةَ غَيْرَ المُفْسِدَةَ فِي الدِّينِ وَاَلدُّنْيَا، فَأَبَى بَعْدَ سَمْعِهِ لَهَا إِلَّا النُّكُوصَ عَنْ نُصْرَتِكَ وَاَلْإِبْطَاءَ عَنْ إِعْزَازِ دِينِكَ، فَإِنَّا نَسْتَشْهِدُكَ عَلَيْهِ بِأَكْبَرَ الشَّاهِدِينَ شَهَادَةً، وَنَسْتَشْهِدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَنْ أَسْكَنْتَهُ أَرْضَكَ وَسَمَاوَاتِكَ، ثُمَّ أَنْتَ بَعْدَهُ الْمُغْنِي عَنْ نَصْرِهِ وَالآخِذُ لَهُ بِذَنْبِهِ.

أقول: قال ابن ميثم: الفصل من خطبة كان يستنهض بها أصحابه إلى جهاد أهل الشام[٢]. لكنه لم يأتِ له بمستند ولا أدري هل وقف فيه على رواية أو قاله تخميناً.

قول المصنف: «ومن خطبة له عليه السلام» قد ترى أنّه مناجاة مع الله تعالى كسابقه، فان كان جزء خطبة فهو اقتصر.

قوله عليه السلام: «اللّهمّ أيّما عبد من عبادك سمع مقالتنا العادلة غير الجائرة» مقالته عليه السلام العادلة غير الجائرة، كلماته التي كان يدعو بها الناس إلى الله تعالى وإلى جهاد أعدائه، كقوله عليه السلام «سيروا إلى أعداء السُنَن والقرآن، سيروا إلى

(١) زهر الآداب ١: ٤٤، ومجالس ثعلب ٢: ٤١٦.

(٢) شرح ابن ميثم ٤: ٢٧.

بقية الأحزاب وقتلة المهاجرين والأنصار»[1].

«والمصلحة غير المفسدة في الدين والدنيا» هكذا في (المصرية)، والصواب: «والمصلحة في الدين والدنيا غير المفسدة» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[2]، وليكون «غير المفسدة» كقوله «غير الجائرة» وصف عليه السلام مقالته بالوصفين للدلالة على أن مقالته عليه السلام عادلة محضة ومصلحة خالصة، ليست كبعض المقالات المختلطة عدلها بجورها وصلاحها بفسادها ان لم يكن كلّها جوراً أو فساداً.

«فأبى بعد سمعه لها إلّا النكّوص» أي: الإحجام «عن نصرتك والإبطاء عن إعزاز دينك» في (صفين نصر): لما قال عليه السلام تلك الكلمات قام رجل من بني فزارة يقال له أربد، فقال: أتريد أن تسيّرنا إلى اخواننا من أهل الشام فنقتلهم لك، كما سرت بنا إلى إخواننا من أهل البصرة فقتلناهم، كلا هاالله لا نفعل ذلك، فقام الأشتر فقال: من لهذا أيُّها النّاس، فهرب واشتدوا على أثره فلحق بمكان من السوق تباع فيه البراذين، فوطؤه بأرجلهم وضربوه بأيديهم، ونعال سيوفهم حتى قتل، فقال عليه السلام: قتيل عميّة لا يدري من قتله، ديته من بيت مال المسلمين.

وقام الأشتر فقال: كيف لا نقاتل قوماً هم كما وصف أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد وثبت عصابة منهم على طائفة من المسلمين؛ فأسخطوا الله واظلمت بأعمالهم الأرض وباعوا خلاقهم بعرض من الدنيا يسير، فقال علي عليه السلام: الطريق مشترك، والناس في الحقّ سواء، ومن اجتهد رأيه في

---

(١) رواه ابن مزاحم في وقعة صفين: ٩٤.

(٢) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١١: ٦٠، وشرح ابن ميثم ٤: ٢٧ نحو المصرية.

نصيحة العامة فله ما نوى وقضى ما عليه[١].

«فإنّا نستشهدك عليه بأكبر الشاهدين شهادة» هكذا في (المصرية)، وهو غلط، فان أكبر الشاهدين شهادة هو الله تعالى لا غيره، قال عزوجل: ﴿قل أيّ شيء أكبر شهادة قل الله﴾[٢]، والصواب: «فانا نستشهدك عليه يا أكبر الشاهدين شهادة» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٣]، وقول محشي المصرية: «أكبر الشاهدين هو النبي أو القرآن[٤]» غلط.

«ونستشهد عليه جميع من أسكنته أرضك» من الجن والأنس «وسماواتك» من الملائكة «ثم أنت بعده» هكذا في (المصرية)، والصواب: «بعد» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٥] «المغني عن نصره والآخذ له بذنبه».

في (صفين نصر): لما أمر عليّ عليه السلام الناس بالمسير إلى الشام دخل عليه عبدالله بن المعتم، وحنظلة الكاتب في رجال كثير من غطفان وبني تميم، فقال حنظلة: انا نظرنا لك ولمن معك، أقم وكاتب هذا الرجل ولا تجعل إلى قتال أهل الشام، ولا تدري إذا التقيتم لمن تكون الغلبة وعلى من تكون الدبرة. وتكلّم ابن المعتم والقوم الذين دخلوا معهما بمثل ما تكلّم حنظلة.

فقال عليه السلام: اما الدّبرة فانها تكون على الضالين، ظفروا أو ظفر بهم، وايم الله لاسمع كلام قوم ما أراهم يريدون أن يعرفوا معروفاً، ولا ينكروا منكراً.

فقال مالك بن حبيب له عليه السلام: إنّ حنظلة هذا يكاتب معاوية فاحبسه، أو أمكنا منه نحبسه، فأخذا يقولان هذا جزاء من أشار عليكم بالرأي فيما بينكم

(١) وقعة صفين: ٩٤ و ٩٥.

(٢) الانعام: ١٩.

(٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١١: ٦٠، لكن في شرح ابن ميثم ٤: ٢٧ نحو المصرية.

(٤) قاله الشيخ محمد عبده في حاشية نهج البلاغة ٢: ١٩٣.

(٥) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١١: ٦٠، وشرح ابن ميثم ٤: ٢٧ «بعده».

وبين عدوّكم، فقال عليه السلام: الله بيني وبينكم وإليه أَكِلُكُم وبه استظهر عليكم، إذهبوا حيث شئتم ـ إلى أن قال ـ فلَحِقَ ابن المعتم مع أحد عشر رجلاً من قومه وحنظلة الكاتب مع ثلاثة وعشرين رجلاً من قومه بمعاوية[1].

ولا تخفى نكات كلامه عليه السلام من وصفه مقالته بالجامعة لكل حسن والمانعة عن كلّ قبح، وجعله النكوص عنه النكوص عن الله وعن دينه، واستشهاد الخالق والخلائق على نكوصه وإعانة الله تعالى له وانتقامه من تاركيه.

ولما قال الأشتر له عليه السلام ـ كما في (تأريخ اليعقوبي) ـ إنّ هوى جرير مع معاوية قال عليه السلام: يا ويحهم مع من يميلون ويدعونني! فوالله ما أردتهم إلّا على إقامة حقّ، ولا يريدهم غيري إلّا على باطل[2].

---

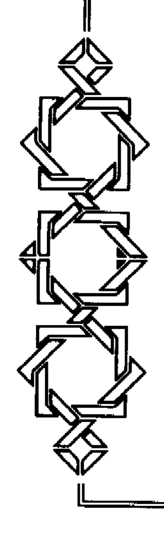
(١) وقعة صفين: ٩٥ و ٩٦، والنقل بتلخيص.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٨٤.



الفصل السابع عشر

في وصفه عليه السلام لعجائب خلقه تعالى





١
الخطبة (١٥٣)

ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها بديع خلقة الخفاش -إلى أن قال-:

وَمِنْ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ وَعَجَائِبِ حِكْمَتِهِ، مَا أَرَانَا مِنْ غَوَامِضِ ٱلْحِكْمَةِ فِي هَذِهِ الخَفافيش الَّتِي يَقْبِضُهَا الضِّيَاءُ ٱلْبَاسِطُ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَيَبْسُطُهَا الظَّلاَمُ ٱلْقَابِضُ لِكُلِّ حَيٍّ. وَكَيْفَ عَشِيَتْ أَعْيُنُها عَنْ أَنْ تَسْتَمِدَّ مِنَ الشَّمْسِ المُضِيئَةِ نُوراً تَهْتَدِي بِهِ فِي مَذَاهِبِهَا، وَتَصِلُ بِعَلاَنِيَةِ بُرْهانِ الشَّمْسِ إِلَى مَعَارِفِهَا وَرَدَعَها تَلألُؤ ضِيَائِهَا عَنِ الْمضيِّ فِي سُبُحَاتِ إِشْرَاقِهَا، وَأَكَنَّهَا فِي مَكَامِنِهَا عَنِ الذَّهَابِ فِي بُلَجِ ٱئْتِلاَقِهَا، وَهِيَ مُسْدَلَةُ ٱلْجُفُونِ بِالنَّهَارِ عَلَى أحداقِهَا وَجَاعِلَةُ ٱللَّيْلِ سِراجاً تَسْتَدِلُّ بِهِ فِي ٱلتماسِ أَرْزَاقِهَا، فَلَا يَرُدُّ أَبْصَارَهَا إِسْدَافُ ظُلْمَتِهِ، وَلاَ تَمْتَنِعُ مِنَ المُضِيِّ فِيهِ لِغَسَقِ دُجُنَّتِهِ، فَإِذَا أَلْقَتِ الشَّمْسُ قِنَاعَها وَبَدَتْ أَوضاحُ نَهارِهَا وَدَخَلَ مِنْ إِشْرَاقِ نُورِها عَلَى الضِّبَابِ فِي وِجارِهَا، أطبقت الأَجْفَانَ عَلَى مآقِيهَا وَتَبَلَّغَتْ بِما ٱكْتَسَبَتْ مِنَ فِيءِ ظُلَمِ لَيَالِيهَا.

فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ اللّيْلَ لَهَا نَهَاراً وَمَعَاشاً، وَالنـهَارَ سَكَـناً وَقَـرَاراً، وَجَعَلَ لَهَا أَجْنِحَةً مِنْ لَحمِهَا تَعْرُجُ بِهَا عِنْدَ الحَاجَةِ إِلَى الطَّيَرَانِ كَأَنَّهَا شَظَايَا الآذَانِ غَيْرَ ذَوَاتِ رِيشٍ وَلَا قَصَبٍ، إِلَّا أَنَّكَ تَـرَى مَـوَاضِـعَ ٱلْعُرُوقِ بَيِّنَةً أَعْلَاماً. لَهَا جَنَاحَانِ لَمَّا يَرِقَّا فَيَنْشَقَّا وَلَمْ يَـغْلُظَا فَـيَثْقُلَا، تَطِيرُ وَوَلَدُهَا لَاصِقٌ بِهَا لَاجِـئٌ إِلَـيْهَا، يَـقَعُ إِذَا وَقَـعَتْ وَيَـرْتَفِعُ إِذَا ارْتَفَعَتْ، لَا يُفَارِقُهَا حَتَّى تَشْتَدَّ أَرْكَانُهُ، وَيَحْمِلَهُ لِلـنُّهُوضِ جَـنَاحُهُ، وَيَعْرِفَ مَذَاهِبَ عَيْشِهِ وَمَصَالِحَ نَفْسِهِ، فَسُبْحَانَ ٱلْبَارِئُ لِكُـلِّ شَـيْءٍ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ.

قول المصنف: «بديع خلقه الخفاش» من اختلاف باصرته مع باصرة باقي الطـيور والحـيوانـات، واخـتلاف اجـنحته مـع أجـنحة بـاقي الطـيور، واختلاف ولدها مع ولد باقي الطيور والحيوان.

وفي (حياة حيوان الدميري): ليس هو من الطير في شيء، فانه ذو أُذنين وأسنان وخصيتين ومنقار ويحيض ويطهر ويضحك كما يضحك الإنسان ويبول كما تبول ذوات الأربع ويرضع ولده، ولا ريش له[1].

قول المصنف: «ومن لطائف صنعته» من اضافة الصفة إلى الموصوف، والأصل «ومن صنائعه اللطيفة» «وعجائب حكمته» هو أيضاً كسابقه، والأصل «حكمته العجيبة» «ما أرانا من غوامض» أي: خفيّات «الحكمة» وهي إتقان الأُمور «في هذه الخفافيش» جمع الخُفاش بالضم.

وقال الدميري: قـال البـطليوسي الخـفاش له أربـعة أسـماء: خُـفاش، وخشاف، وخطاف، ووطواط.

والحقّ أنّ الخُفّاش والخطّاف صنفان، وقـال قـوم الخُـفّاش الصـغير

(١) حياة الحيوان ١: ٢٩٦.

والوطواط الكبير، وهو لا يبصر في ضوء القمر ولا في ضوء النهار[١].

وفي (الصحاح): الخفش: صغر في العين وضعف في البصر خلقة، والرجل أخفش، وقد يكون الخفش علّة، وهو الذي يبصر الشيء بالليل ولا يبصره بالنهار، ويبصره في يوم غيّم ولا يبصره في يوم صاحٍ[٢].

«التي يقبضها الضياء» أي: الشمس، قال تعالى: ﴿هو الذي جعل الشمس ضياء﴾[٣] «الباسط لكلّ شيء» حي «ويبسطها الظلام» أي: الليل، قال تعالى: ﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون﴾[٤] «القابض لكل حي» من الوحش والطير.

«وكيف عشيت» في (الجمهرة): عشي الرجل فهو أعشى والمرأة عشواء والعشي مصدره، وهو على معنيين وهو الذي لا يبصر بالليل ويبصر بالنهار وهو الذي ساء بصره من غير عمى، كما قال الأعشى:

إن رأت رجلاً أعشى أضر بـه ريب المنون ودهر خابل خبل

والعشو مصدر عشوت إلى ضوئك إذا قصدته بليل، ثم صار كلّ قاصد شيء عاشياً، قال الحطيئة:

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد[٥]

و(الصحاح)، اقتصر في معنى العشي على الأوّل، و(المصباح) على الثاني، كما أنَّ (الصحاح) قال عشوته: قصدته[٦].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) صحاح اللغة ٣: ١٠٠٥، مادة (خفش).

(٣) يونس: ٥.

(٤) يسن: ٣٧.

(٥) جمهرة اللغة ٣: ٦٢.

(٦) صحاح اللغة ٦: ٢٤٢٧، مادة (عشا)، والمصباح المنير ٢: ٧٢ مادة (عشي).

والصواب: ما عرفت من (الجمهرة).

«أعينها عن أن تستمد من الشمس المضيئة نوراً تهتدي به في مذاهبها» جعل تعالى الأبصار في باقي ذوي الأبصار بواسطة الشمس، وفيها بواسطة عدمها، فسبحان الذي خلق الأضداد.

«وتصل» أي: تلك الخفافيش «بعلانية» بتخفيف الياء اسم مصدر بمعنى الانتشار «برهان» جعله ابن دريد من «بره» فقال في باب فَعْلان: وبرهان معروف من قولهم «هذا برهان هذا» أي: إيضاحه، وقال به ابن الأعرابي، واختاره الأزهري، وجعله الجوهري والفيروزآبادي والسجستاني في (غريب قرآنه) رباعياً، وأغرب قول، قول الزمخشري؛ فقال إنّه من البرهرمة أي: البيضاء من الجواري[1].

«الشمس إلى معارفها» كباقي الطيور والوحوش «وردعها» أي: كفّها ومنعها والفاعل ضمير النور «تلألؤ» هكذا في (المصرية) والصواب: «بتلألؤ» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[2] «ضيائها عن المضي في سبحات» أي: أنوار «أشراقها وأكنّها» أي: سترها «في مكامنها» محالّ اختفائها «عن الذهاب في بلج» جاء في (الصحاح): «صبح أبلج» أي: مشرق مضيئ، قال العجاج: «حتى بدت أعناق صبح أبلجا»[3].

«ائتلاقها» أي: لمعانها «فهي مسدلة» من أسدل ثوبه وشعره، أرخاه، وفي (القاموس) سدل الشعر وأسدله، أرخاه. وأمّا اقتصار (الأساس) و(الصحاح)

---

(١) جمهرة اللغة لابن دريد ٣: ٤١٦، وتهذيب اللغة للأزهري ٦: ٢٩٤، وصحاح اللغة للجوهري ٥: ٢٠٧٨، والقاموس المحيط للفيروز آبادي ٤: ٢٠١، وغريب القرآن للسجستاني : وأساس البلاغة للزمخشري : ٢١، ونقل قول ابن الاعرابي لسان العرب ١٣: ٤٧٦.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٨١، لكن في شرح ابن ميثم ٣: ٢٥٣، نحو المصرية.

(٣) صحاح اللغة ١: ٣٠٠ مادة (بلج).

على سدل وإنكار المصباح لأسدل ففي غير محلّه[١] «الجفون» في (المصباح) جفن العين غطاءها من أعلاها وأسفلها، وهو مذكر[٢] «بالنهار على أحداقها» جمع حدقة كالحداق «وجاعلة الليل سراجاً تستدلّ به في التماس أرزاقها».

قال الدميري: يخرج البعوض في غروب الشمس لطلب قوّته وهو دماء الحيوان، ويخرج الخُفاش طالباً للطُعم، فيقع طالب رزق على طالب رزق فسبحان الحكيم[٣].

«فلا يردّ أبصارها أسداف» من «أسدفت المرأة القناع» أرسلته «ظلمته ولا تمتنع من المضي فيه» أي: في التماس أرزاقها «لغسق» في (الصحاح): الغسق: أوّل ظلمة الليل[٤] «دُجنته» بالضم أي: ظلمته.

«فإذا ألقت الشمس قناعها» في (المصباح): قناع المرأة ما تلبسه فوق الخمار[٥] «وبدت أوضاح» في (الصحاح): الوضح: الضوء والبياض[٦] «نهارها» نظير قوله تعالى: ﴿والنهار إذا تجلّى﴾[٧] ﴿والشمس وضحاها﴾[٨] «ودخل من إشراق نورها على الضِّباب» جمع الضب.

قال الدميري في (حياة حيوانه): الضب يخرج من جحره كليل البصر، فيجلوه بالتحدق للشمس، ومن شأنه في الشتاء ألّا يخرج من جحره، قال أُمية

---

(١) القاموس المحيط ٣: ٣٩٥، مادة (سدل)، وأساس البلاغة : ٢٠٧، مادة (سدل)، وصحاح اللغة ٥: ١٧٢٨، مادة (سدل)، والمصباح المنير ١: ٣٢٨، مادة (سدل).

(٢) المصباح المنير ١: ١٢٨، مادة (جفن).

(٣) حياة الحيوان ١: ٢٩٦، والنقل بتصرف يسير.

(٤) صحاح اللغة ٤: ١٥٣٧، مادة (غسق).

(٥) لم يوجد هذا في موضعه من المصباح ٢: ٢٠٢ مادة (قنع).

(٦) صحاح اللغة ١: ٤١٦، مادة (وضح).

(٧) الليل: ٢.

(٨) الشمس : ١.

بن أبي الصلت في ابن جدعان:

يباري الريح تكرمة ومجداً إذا ما الضب أجحره الشتاء

وقال ابن خالويه في أوائل (كتاب ليس): الضب لا يشرب الماء ويعيش سبعمائة سنة، ويقال: إنّه يبول في كلّ أربعين يوماً قطرة، ولا تسقط له سِنّ، ويقال: إنّ أسنانه قطعة واحدة. وللتضادّ بينه وبين السمكة قال حاتم الأصم:

تكفّل بالأرزاق للخلق كلّهم

وللضب في البيداء وللحوت في البحر[١]

وفي (المصباح): الضب: دابة تشبه الحرذون، وهي أنواع، فمنها ما هو على قدر الحرذون، ومنها أكبر منه، ومنها دون العنز وهو أعظمها، ومن عجيب خلقته أنّ الذكر له زبّان، والأُنثى لها فرجان تبيض منهما[٢].

وفي (الصحاح) في المثل «أعقّ من ضبّ» لأنّه ربما أكل حسوله، والأُنثى ضبّة، وقولهم «لا أفعله حتّى يحنّ الضبّ في أثر الإبل الصادرة» «ولا أفعله حتّى يرد الضبّ» لأنّ الضبّ لا يشرب ماء. ومن كلامهم الذي يضعونه على ألسنة البهائم، قالت السمكة: «ورداً يا ضبّ»، فقال «أصبح قلبي صرداً، لايشتهي أن يردا، إلّا عراداً عردا، وصلياناً بردا، وعنكثاً ملتبدا»[٣].

«في وجارها» في (القاموس): الوجار بالكسر والفتح جحر الضبع وغيرها و «وجرة» موضع بين مكة والبصرة أربعون ميلاً ما فيها منزل فهي مربّ للوحش[٤].

«أطبقت الأجفان» جمع آخر للجفن غطاء العين غير الجفون «على مآقيها»

---

(١) حياة الحيوان ٢: ٧٧ و ٧٨.

(٢) المصباح المنير ٢: ٢، مادة (ضب).

(٣) صحاح اللغة ١: ١٦٧، مادة (ضب).

(٤) القاموس المحيط ٢: ١٥٣، مادة (وجر).

في الصحاح: مؤق العين طرفها مما يلي الأنف، واللحاظ طرفها الذي يلي الاذن[١]. وفي (الجمهرة): المؤق موق العين، وفيه أربع لغات موق وماق ومؤق ومأق، ويجمع آماقاً ومآقي وأمواقاً واماقي[٢]، وقال:

مثل النهار يزيد أبصار الورى — نوراً ويعمي أعين الخفاش

«وتبلّغت» أي: اكتفت، قال:

تزجّ من دنياك بالبلاغ — وباكر المعدة بالدباغ[٣]

«بما اكتسبت من فيء ظلم لياليها» هكذا في (المصرية)، والصواب: (بما اكتسبته من المعاش في ظلم لياليها) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٤].

قال الصادق عليه السلام للمفضّل: الخفاش يخرج بالليل ويتقوّت بما يسري في الجوّ من الفراش وما أشبهه، وقد قال قائلون: إنّه لا طعمة للخفاش، وإنّ غذاه من النسيم وحده، وذلك يبطل من جهتين: أحدهما خروج الثفل والبول منه، فإن هذا لايكون من غير طعمة، والأُخرى أنّه ذو أسنان، ولو كان لا يطعم شيئاً لم يكن للأسنان فيه معنى، وليس في الخلقة شيء لا معنى له[٥].

«فسبحان من جعل الليل لها نهاراً ومعاشاً، والنهار سكناً وقراراً» وهو دليل كمال قدرته وعظمته.

قال الصادق عليه السلام للمفضّل: أعلمت ما طعم هذه الأصناف من الطير التي لا تخرج إلّا بالليل، كمثل البوم والهام والخُفاش؟ قال: لا يامولاي. قال: إنّ

---

(١) صحاح اللغة ٤: ١٥٥٣، مادة (مأق).

(٢) جمهرة اللغة ٣: ١٦٦.

(٣) أورده لسان العرب ٨: ٤١٩ مادة (بلغ).

(٤) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٨١، لكن في شرح ابن ميثم ٣: ٢٥٣ نحو المصرية.

(٥) توحيد المفضل: ١٢١، والنقل بتصرف يسير.

معاشها من ضروب تنتشر في الجو من البعوض والفراش وأشباه الجراد واليعاسيب، وذلك أن هذه الضروب مبثوثة في الجو لا تخلو منها موضع، واعتبر ذلك بأنّك إذا وضعت سراجاً بالليل في سطح أو عرصة دار اجتمع عليه من هذه الضروب شيء كثير، فمن أين يأتي ذلك كلّه إلّا من القرب، فإن قال قائل: إنّه يأتي من الصحاري والبراري، قيل له كيف يوافي تلك الساعة من موضع بعيد، وكيف يبصر من ذلك البعد سراجاً في دار محفوفة بالدور فيقصد إليه، مع ان هذه عياناً تتهافت على السرج من قرب، فيدلّ ذلك على أنها منتشرة في كلّ موضع من الجو، فهذه الأصناف من الطير تلتمسها إذا خرجت فتقوت بها. فانظر كيف وجّه الرزق لهذه الطيور التي لاتخرج إلّا بالليل من هذه الضروب المنتشرة في الجو، واعرف ذلك المعنى في خلق هذه الضروب المنتشرة التي عسى أن يظن ظانّ أنّها فضل لا معنى له[1].

«وجعل لها أجنحة من لحمها» يمكن أن يكون مستأنفة وان يكون عطفاً على «جعل الليل» وعلى «يقبضها الضياء الباسط لكلّ شيء».

«تعرج بها عند الحاجة إلى الطيران» بخلاف باقي الطيور، فجعل في أجنحتها وذنبها ريشات طوال متان لتنهض بها للطيران، وكسى كلّها الريش ليتداخلها الهواء فيقلّها! فكيف تطير هذه مع خلوّها من جميع ما ذكر، ولكنّها لما كانت تلد، جعل جناحها من لحم، فلو كان من ريش لم يقدر لحملها مع حملها.

قال الصادق عليه السلام في غيره من الطيور: جعل الطير مما تبيض بيضاً، ولا تلد ولادة، لكيلا تثقل عن الطيران، فانّه لو كانت الفراخ في جوفه تمكث حتى تستحكم، لأثقلته وعاقته عن النهوض والطيران، فجعل كلّ شيء من خلقه

---

(١) توحيد المفضل: ١١٩، والنقل بتصرف يسير.

مشاكلاً للأمر الذي قدّر أن يكون عليه[١].

«كأنها شظايا» جمع الشظيّة بمعنى الشقّة **«الآذان غير ذوات ريش ولا قصب»** بخلاف سائر الطيور، فلها ريشات غرزت في ما كان كالقصب، والقَصَب بفتحتين كلّ نبات يكون ساقه أنابيب وكعوباً.

قال الدميري: قال وهب بن منبه: طلبوا من عيسى عليه السلام خلق الخُفّاش بإذن الله تعالى، لأنه من أعجب الطير خلقة، إذ هو لحم ودم يطير بغير ريش، وهو شديد الطيران سريع التقلّب، وهو مع ذلك موصوف بطول العمر، فيقال انه أطول عمراً من النِّسر ومن حمار الوحش[٢].

«إلّا انّك ترى مواضع العروق بيّنة أعلاماً» جمع العَلَم بفتحتين بمعنى العَلاَمة، ثم الظاهر كونه تميزاً لما قبله **«لها جناحان لمّا»** هكذا في جميع النسخ، والظاهر كونه محرّف «لم» لأن المقام ليس مقام توقع وقوع **«يرقّا فينشقّا ولم»** وفي نسخة (ابن أبي الحديد) «ولمّا»[٣] **«يغلظا فيثقلا»** ولم يمكنها الطيران.

«تطير وولدها لاصق بها لاجئ إليها يقع» الولد **«إذا وقعت ويرتفع»** الولد **«إذا ارتفعت»** الأمهات **«لا يفارقها حتى تشتدّ أركانه، ويحمله للنهوض جناحه ويعرف مذاهب عيشه ومصالح نفسه»**.

هذه أيضاً أحد امتيازات الخفاش عن غيره.

وفي (توحيد المفضل): أُنظر الآن إلى ذوات الأربع كيف تراها تتبع أمّهاتها مستقلة بأنفسها، لا تحتاج إلى الحمل والتربية كما تحتاج أولاد الإنس، فمن أجل أنّه ليس عند أُمّهاتها ما عند أمّهات البشر من الرفق والعلم بالتربية،

---

(١) توحيد المفضل: ١١٤.

(٢) حياة الحيوان ١: ٢٩٦.

(٣) في شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٨٢ ايضاً «لم».

والقوة بالأكفّ والأصابع المهيّأة لذلك، أعطيت النهوض والاستقلال بأنفسها. وكذلك نرى كثيراً من الطير كمثل الدجاج والدراج والقبج تدرج، وتلقط حين تنقاب عنها البيضة، فأمّا ما كان منها ضعيفاً لا نهوض فيه كمثل فراخ الحمام، واليمام، والحمّر، فقد جعل في الأُمّهات فضل عطف عليها، فصارت تمجّ الطعام في أفواهها بعدما توعيه حواصلها، فلا تزال تغذوها حتّى تستقلّ بأنفسها، ولذلك لم ترزق الحمام فراخاً كثيراً مثل ما ترزق الدجاج، لتقوى الأم على تربية فراخها فلا تفسد ولا تموت، فكلا أعطي بقسط من تدبير الحكيم اللطيف الخبير[1].

بيان: اليمام طير وحشي كالحمام، والحمّر جمع حمرة طير كالعصفور.

وفي (حيوان الدميري): تلد أنثى الخُفّاش ما بين ثلاثة أفراخ وسبعة، وكثيراً ما يسفد وهو طائر في الهواء، وليس في الحيوان ما يحمل ولده غيره، والقرد والإنسان، ويحمله تحت جناحه، وربّما قبض عليه بفِيه، وذلك من حنوّه وإشفاقه عليه، وربّما أرضعت الأُنثى ولدها وهي طائرة[2].

«فسبحان الله البارئ» أي: الخالق والأصل الهمز «لكلّ شيء على غير مثال خلا» أي: مضى قال تعالى: ﴿وإن من أُمّة إلّا خلا فيها نذير﴾[3] «من غيره».

وكلّ شيء من خلقه تعالى وإن كان لا تعدّ حكمه تعالى فيه، كما لا تعدّ نعمه تعالى على خلقه، إلّا انّه عليه السلام خصّ الخفاش هنا بالذكر، لاختصاصه بخصائص وكونه مشتركاً بين الحيوان والطير.

---

(١) توحيد المفضل: ٩٧، والنقل بتصرف يسير.

(٢) حياة الحيوان ١: ٢٩٦.

(٣) فاطر: ٢٤.

وفي (توحيد المفضل): خلق الخُفّاش خلقة عجيبة بين خلقة الطير وذوات الأربع، هو إلى ذوات الأربع أقرب، وذلك انّه ذو أذنين ناشزتين وأسنان ووبر، وهو يلد أولاداً ويرضع ويبول، ويمشي إذا مشى على أربع، وكل هذا خلاف صفة الطير ـ إلى أن قال ـ:

وأما المآرب فيه فمعروفة، حتّى أنّ زبله يدخل في بعض الأعمال، ومن أعظم الأرب فيه خلقته العجيبة الدالة على قدرة الخالق جلّ ثناؤه وتصرفها في ما شاء كيف شاء لضرب من المصلحة[1].

وفي (حيوان الدميري): إذا وضع رأس الخُفّاش في حشو مخدة فمن وضع رأسه عليها لم ينم، وان طبخ رأسه في إناء نحاس أو حديد بدهن زنبق ويغمر فيه مراراً حتى يتهرئ ويصفى ذلك الدهن عنه، ويدهن به صاحب النقرس والفالج القديم، والارتعاش والتورّم في الجسد فانه ينفعه وهو مجرّب، وان ذبح في بيت وأخذ قلبه واحرق، فيه لم يدخله حيات ولا عقارب، وإن علّق قلبه وقت هيجانه على إنسان هيّج الباه، وإذا علّق عنقه على إنسان أمن العقارب، ومن مسح بمرارته فرج امرأة قد عسرت ولادتها ولدت لوقتها، وارتفع الدم عن النساء إذا أخذن من شحمه، وان طبخ ناعماً حتى يتهرئ ومسح به الإحليل أمن التقطير، وإن صبّ من مرقه وقعد فيه صاحب الفالج انحل ما به، وإذا طلب بزبله على القوابي قلعها، ومن نتف أبطه وطلاه بدمه مع لبن أجزاء متساوية لم ينبت، وإذا طلى به عانات الصبيان منع من النبات[2].

هذا، وروى ابن قتيبة في (عيونه) عن الرياشي قال: روى عن عليّ عليه السلام

---

(١) توحيد المفضل: ١٢٠.

(٢) حياة الحيوان ١: ٢٩٧، والنقل بتصرف يسير.

ليس شيء يغيب أدناه إلّا وهو يبيض، وليس شيء يظهر أُدناه إلّا وهو يلد[١].

وروى الصدوق في(خصاله) عن الرضاعليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن الحسين عليه السلام قال: كان علي عليه السلام بالكوفة في الجامع إذ قام اليه رجل من أهل الشام، فسأله عن مسائل فكان فيما سأله أن قال له: أخبرني عن ستّة لم يركضوا في رحم؟ فقال عليه السلام: آدم وحواء وكبش إبراهيم وعصا موسى وناقة صالح والخُفّاش الذي عمله عيسى عليه السلام فطار بإذن الله[٢].

٢
الخطبة (١٦٣)

ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها عجيب خلقة الطاوس:

ٱبْتَدَعَهُمْ خَلْقاً عَجِيباً مِنْ حَيَوَانٍ وَمَوَاتٍ وَساكِنٍ وَذِي حَرَكَاتٍ، فَأَقامَ مِنْ شَواهِدِ ٱلْبَيِّناتِ عَلَى لَطِيفِ صَنْعَتِهِ وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ، مَا ٱنْقادَتْ لَهُ ٱلْعُقُولُ مُعْتَرِفَةً بِهِ وَمُسَلِّمَةً لَهُ، وَنَعَقَتْ فِي أَسْمَاعِنا دَلَائِلُهُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ، وَما ذَرَأَ مِنْ مُخْتَلِفِ صُوَرِ ٱلْأَطْيارِ الَّتِي أَسْكَنَها أَخادِيدَ الأَرْضِ وَخُرُوقَ فِجَاجِها، وَرَوَاسِيَ أَعْلاَمِها مِنْ ذَاتِ أَجْنِحَةٍ مُخْتَلِفَةٍ وَهَيْئاتٍ مُتَبايِنَةٍ، مصرَّفةٍ فِي زِمامِ التَّسْخِيرِ وَمُرَفْرَفَةٍ بِأَجْنِحَتِها فِي مَخَارِقِ ٱلْجَوِّ ٱلْمُنْفَسِحِ وَٱلْفَضَاءِ المُنْفَرِجِ، كَوَّنها بَعْدَ أَنْ لمْ تَكُنْ فِي عَجائِبِ صُوَرٍ ظاهِرَةٍ وَرَكَّبَها في حِقاقِ مَفاصِلَ مُحْتَجِبَةٍ، وَمَنَعَ بَعْضَهَا بِعبَالَةِ خَلْقِهِ أَنْ يَسْمُوَ فِي السَّماءِ خُفُوفاً، وَجَعَلَهُ يَدِفُّ دَفِيفاً وَنَسَقَهَا عَلَى ٱخْتِلاَفِهَا فِي الأَصَابِيغِ بِلَطِيفِ قُدْرَتِهِ وَدَقِيقِ صَنْعَتِهِ، فَمِنْهَا مَغْمُوسٌ في قَالَبِ لَوْنٍ لَا يَشُوبُهُ غَيْرُ لَوْنِ مَا غُمِسَ فِيهِ، وَمِنْهَا مَغْمُوسٌ

---

(١) عيون ابن قتيبة ٢: ٨٨.

(٢) الخصال ١: ٣٢٢ ح٨.

فِي لَوْنِ صِبْغٍ قَدْ طُوِّقَ بِخِلَافِ مَا صُبِغَ بِهِ.

وَمِنْ أَعْجَبِهَا خَلْقاً الطَّاوُوسُ الَّذِي أَقَامَهُ فِي أَحْكَمِ تَعْدِيلٍ، وَنَضَّدَ أَلْوَانَهُ فِي أَحسَنِ تَنْضِيدٍ، بِجَنَاحٍ أَشْرَجَ قَصَبَهُ وَذَنَبٍ أَطالَ مَسْحَبَهُ، إِذَا دَرَجَ إِلَى الأُنْثَى نشرَهُ مِنْ طَيِّهِ وسمَا بِهِ مُظِلّاً عَلَى رَأْسِهِ، كأَنَّهُ قَلْعُ دَارِيٍّ عَنَجَهُ نُوتِيُّهُ يَخْتَالُ بألْوَانِهِ وَيَمِيسُ بِزَيفَانِهِ، يُفْضِي كَإِفْضَاءِ الدِّيَكَةِ وَيَؤُرُّ بِمَلَاقِحِهِ أَرَّ ٱلْفُحُولِ المغتلِمَةِ فِي الضِّرَابِ، أُحِيلُكَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى مُعَايَنَةٍ لَا كَمَنْ يُحِيلُ عَلَى ضَعِيفٍ إِسْنَادُهُ، ولو كَانَ كَزَعْمِ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُلْقِحُ بِدَمْعَةٍ تَسْفَحُهَا مَدَامِعُهُ فَتَقِفُ فِي ضَفَّتَيْ جُفُونِهِ، وَأَنَّ أُنْثَاهُ تَطْعَمُ ذَلِكَ ثُمَّ تَبِيضُ لَا مِنْ لِقَاحِ فَحْلٍ سِوَى الدَّمْعِ ٱلْمُنْبَجِسِ لمَا كَانَ ذلكَ بِأَعْجَبَ مِنْ مُطَاعَمَةِ ٱلْغُرَابِ، تَخَالُ قَصَبَهُ مَدَارِيَ مِنْ فِضَّةٍ، وَمَا أُنْبِتَ عَلَيْه مِنْ عَجِيبِ دَارَاتِهِ وَشُمُوسِهِ خَالِصَ ٱلْعِقْيَانِ وَفِلَذَ الزَّبَرْجَدِ، فَإِنْ شَبَّهْتَهُ بِمَا أَنْبَتَتِ ٱلْأَرْضُ قُلْتَ جَنِيٌّ جُنِيَ مِنْ زَهْرَةِ كُلِّ رَبِيعٍ، وَإِنْ ضَاهَيْتَهُ بِالْمَلَابِسِ فَهُوَ كَمَوْشِيِّ ٱلْحُلَلِ أَوْ مُونِقِ عَصْبِ ٱلْيَمَنِ، وَإِنْ شاكَلْتَهُ بِالْحُلِيِّ فَهُوَ كَفُصُوصٍ ذَاتِ أَلْوَانٍ قَدْ نُطِقَتْ بِاللُّجَيْنِ المُكَلَّلِ، يَمْشِي مَشْيَ المَرِحِ المُخْتَالِ وَيَتَصَفَّحُ ذَنَبَهُ وَجَنَاحَهُ فَيُقَهْقِهُ ضَاحِكاً لجَمَالِ سِرْبَالِهِ وَأَصَابِيغِ وِشَاحِهِ.

فَإِذَا رَمَى بِبَصَرِهِ إِلَى قَوَائِمِهِ زَقَا مُعْوِلاً بِصَوْتٍ يَكَادُ يُبِينُ عَنِ ٱسْتِغَاثَتِهِ وَيَشْهَدُ بِصَادِقِ تَوَجُّعِهِ، لِأَنَّ قَوَائِمَهُ حُمْشٌ كَقَوَائِمِ الدِّيَكَةِ ٱلْخِلَاسِيَّةِ، وَقَدْ نَجَمَتْ مِنْ ظُنْبُوبِ سَاقِهِ صِيصِيَةٌ خَفِيَّةٌ، وَلَهُ فِي مَوْضِعِ ٱلْعُرْفِ قُنْزُعَةٌ خَضْرَاءُ مُوَشَّاةٌ وَمَخْرَجُ عَنُقِهِ كَالْإِبْرِيقِ، وَمَغْرِزُهَا إِلى حَيْثُ بَطْنُهُ كَصِبْغِ ٱلْوَسِمَةِ ٱلْيَمانِيَّةِ، أَوْ كَحَرِيرَةٍ مُلْبَسَةٍ مِرْآةً ذَاتَ صِقَالٍ وَكَأَنَّهُ مُلَفَّعٌ بِمِعْجَرٍ أَسْحَمَ، إِلَّا أَنَّهُ يُخَيَّلُ لِكَثْرَةِ مائِهِ وَشِدَّةِ بَرِيقِهِ أَنَّ ٱلْخُضْرَةَ النَّاضِرَةَ مُمْتَزِجَةٌ بِهِ، وَمَعَ فَتْقِ سَمْعِهِ خَطٌّ كَمُسْتَدَقِّ ٱلْقَلَمِ فِي لَوْنِ

ٱلْأُقْحُوَانِ أَبْيَضُ يَقَقٌ، فَهُوَ بِبَيَاضِهِ فِي سَوَادِ مَا هُنَالِكَ يَأْتَلِقُ، وَقَلَّ صِبْغٌ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِقِسْطٍ وَعَلَاهُ بِكَثْرَةِ صِقَالِهِ وَبَرِيقِهِ وَبَصِيصِ دِيبَاجِهِ وَرَوْنَقِهِ، فَهُوَ كَالأَزَاهِيرِ المَبْثُوثَةِ لَمْ تُرَبِّـها أَمْـطارُ رَبِيعٍ وَلَا شُمُوسُ قَيْظٍ، وَقَدْ يَنْحَسِرُ مِنْ رِيشِهِ وَيَعْرَى مِنْ لِبَاسِهِ، فَيَسْقُطُ تَتْرَى وَيَنْبُتُ تِبَاعاً، فَيَنْحَتُّ مِنْ قَصَبِهِ ٱنْحِتَاتَ أَوْرَاقِ الأغصانِ، ثُمَّ يَتَلَاحَقُ نَـامِياً حَتَّى يَعُودَ كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ سُقُوطِهِ، لَا يُخَالِفُ سَالِفَ أَلْوَانِهِ وَلَا يَقَعُ لَوْنٌ فِي غَيْرِ مَكَانِهِ، وَإِذَا تَصَفَّحْتَ شَعْرَةً مِنْ شَعَرَاتِ قَصَبِهِ أَرَتْكَ حُمْرَةً وَرْدِيَّةً وَتَارَةً خُضْرَةً زَبَرْجَدِيَّةً وَأَحْيَاناً صُفْرَةً عَسْجَدِيَّةً.

فَكَيْفَ تَصِلُ إِلَى صِفَةِ هَذَا عَمَائِقُ ٱلْفِطَنِ أَوْ تَبْلُغُهُ قَرَائِحُ ٱلْـعُقُولِ، أَوْ تَسْتَنْظِمُ وَصْفَهُ أَقْوَالُ ٱلْوَاصِفِينَ، وَأَقَلُّ اَجْزَائِهِ قَدْ أَعْجَزَ الأَوْهَـامَ أَنْ تُدْرِكَهُ وَٱلْأَلْسِنَةَ أَنْ تَصِفَهُ.

فَسُبْحَانَ الَّذي بَهَرَ ٱلْعُقُولَ عَنْ وَصْفِ خَلْقٍ جَـلَّاهُ لِـلْعُيونِ، فَأَدْرَكَـتْهُ مَحْدُوداً مُكَوَّناً وَمُؤَلَّفاً مُلَوَّناً، وَأَعْجَزَ ٱلْأَلْسُنَ عَنْ تَلْخِيصِ صِفَتِهِ وَقَعَدَ بِهَا عَنْ تأْدِيَةِ نَعْتِهِ، وَسُبْحَانَ مَنْ أَدْمَجَ قَوَائِمَ الذَّرَّةِ، وَٱلْهَمَجَةِ إِلَى مَا فَوْقَها مِنْ خَلْقِ ٱلْحِيتَانِ وَٱلْفِيلَةِ، ووَأى على نَفْسِهِ أَلّا يضْطَرِبَ شَـبَحٌ مِمَّا أَوْلَجَ فِيهِ الرُّوحَ إِلّا وَجَعلَ الْحِمامَ مَوْعِدَهُ وَالْفَناءَ غايَتَهُ.

(قال الشريف) تفسير بعض ما جاء فيها من الغريب:

«يؤُرُّ بِمَلَاقِحِهِ» الأَرُّ كنايَةٌ عـن النِّكَـاحِ، يُـقَال أَرَّ المَـرْأَةَ يَـؤُرُّهَا أي نَكَحَهَا. وَقَوْلُهُ «كأنهُ قَلْعُ دَارِيٍّ عَنَجَهُ نُوتِيُّهُ» ٱلْقَلْعِ شِـرَاعُ السـفينَةِ، وَدَارِيٌّ منسوب إِلَى دَارِين، وهي بلدةٌ عَلَى البحرِ يُجْلَبُ منها الطِّيبُ، وَعَنَجَهُ، أَي عَطَفَهُ، يقال عَنَجْتُ النـاقة كـنصرت أَعْـنُجُهَا عَـنْجاً إذا عَطَفْتَهَا، وَالنُّوتيُّ ٱلْمَلَّاحُ. وقوله «ضَفَّتَيْ جُفُونِهِ» أَراد جَانِبَيْ جُفُونِهِ، وَالضَّفَّتَانِ ٱلْجَانِبَانِ.

أقول: روتها كُتُب غريب الحديث كما يفهم من (النهاية)[1].

«ابتدعهم» أي: اخترعهم «خلقاً عجيباً» ﴿بديع السماوات والأرض﴾[2]

«من حَيَوان» بالتحريك «ومَوَات» والمراد بحيوان ما فيه الروح وبموات ما لا روح فيه، وقد يجيئان بالعكس كقولهم «اشتر الحيوان ولا تشتر الموتان» أي: إشترِ الأرضين والدور ولا تشترِ الرقيق والدواب، إلّا انّه بالتأويل يرجع إلى المعنى الأصلي.

«وساكن وذي حركات» حتى في النجوم جعل ثوابت وسيارات.

ففي (توحيد المفضل): فكّر في النجوم واختلاف مسيرها، فبعض لا يفارق مراكزها من الفلك ولا تسير إلّا مجتمعة، وبعضها مطلقة تنتقل في البروج، ويفترق في مسيرها، فكلّ واحد منها يسير سيرين مختلفين، أحدهما عامّ مع الفلك نحو المغرب والآخر خاصّ لنفسه نحو المشرق كالنملة التي تدور على الرحى، فالرحى تدور ذات اليمين والنّملة تدور ذات الشمال، والنملة في ذلك تتحرك حركتين مختلفين احداهما بنفسه فتتوجّه أمامها والأُخرى مستكرهة مع الرحى تجذبها إلى خلفها، فاسأل الزاعمين أنّ النجوم صارت على ما هي عليه بالإهمال من غير عمد، ولا صانع لها ما منعها أن تكون كلّها راتبة أو تكون كلّها منتقلة! فان الإهمال معنى واحد، فكيف صار يأتي بحركتين مختلفتين على وزن وتقدير، ففي هذا بيان أن مسير الفريقين على ما يسيران عليه بعمد وتدبير وحكمة وتقدير، وليس بإهمال كما يزعم المعطّلة. فان قال قائل: ولم صار بعض النجوم راتباً وبعضها منتقلاً؟ قلنا: إنّها لو كانت كلّها راتبة لبطلت الدلالات التي يستدلّ بها من تنقل المنتقلة ومسيرها في كلّ

---

(١) النهاية ١: ٣٧ و ٢: ١٤٠ و ٤: ٩٧ و ٥: ١٢٣.

(٢) البقرة: ١١٧.

برج من البروج، كما يستدلّ بها على أشياء مما يحدث في العالم بتنقل الشمس والنجوم في منازلها، ولو كانت كلّها منتقلة لم يكن لمسيرها منازل تعرف ولا رسم يوقف عليه، لأنّه إنّما يوقف عليه بمسير المنتقلة منها بتنقلها في البروج الراتبة، كما يستدلّ على سير السائر على الأرض بالمنازل التي يجتاز عليها. ولو كان تنقلها بحالٍ واحدة لاختلط نظامها وبطلت المآرب فيها، ولساغ لقائل أن يقول: إنّ كينونتها على حال واحدة توجب عليها الإهمال من الجهة التي وصفنا، ففي اختلاف سيرها وتصرّفها وما في ذلك من المآرب، والمصالح أبين دليل على العمد والتدبير فيها[1].

«فأقام من شواهد البينات على لطيف صنعته وعظيم قدرته ما انقادت له العقول معترفة به ومسلّمة له».

قال الصادق عليه السلام للمفضل: أول العبر والدلالة على الباري جلّ قدسه تهيئة هذا العالم وتأليف أجزائه ونظمها على ماهي عليه، فانّك إذا تأمّلت العالم بفكرك وخبّرته بعقلك وجدته كالبيت المبني المعدّ فيه جميع ما يحتاج إليه عباده، فالسماء مرفوعة كالسقف، والأرض ممدودة كالبساط، والنجوم مضيئة كالمصابيح، والجواهر مخزونة كالذخائر، وكلّ شيء فيها لشأنه معدّ، والإنسان كالمملّك ذلك البيت، والمخوّل جميع ما فيه، وضروب النبات مهيّأة لمآربه، وصنوف الحيوان مصروفة في مصالحه ومنافعه؛ ففي هذا دلالة واضحة على ان العالم مخلوق بتقدير وحكمة ونظام وملائمة، وان الخلق له إله واحد، وهو الذي ألّفه ونظّمه بعضاً إلى بعض، جلّ قدسه وتعالى جدّه وكرم وجهه ولا إله غيره، تعالى عمّا يقول الجاحدون، وجلّ عمّا ينتحله

(١) توحيد المفضل: ١٣٢، والنقل بتصرف يسير.

الملحدون[1] «ونعقت» أي: صاحت من «نعق الراعي بغنمه» «في أسماعنا دلائله على وحدانيّته».

وفي كلِّ شيءٍ له آيـةٌ تدلُّ عـلى أنَّـهُ واحـدُ

قال هشام بن الحكم: كان زنديق بمصر يبلغه عن أبي عبدالله عليه السلام، فخرج إلى المدينة ليناظره ـ إلى أن قال ـ فقال عليه السلام: أتعلم أنّ للأرض تحتاً؟ قال: نعم. قال: فدخلت تحتها؟ قال: لا؛ قال: فتدري بما تحتها؟ قال: لا أدري إلّا إنّي أظنّ ان ليس تحتها شيء. قال: فالظنّ عجز ما لم تستيقن، أفصعدت السماء؟ قال: لا، قال أفتدري ما فيها؟ قال: فأتيت المشرق والمغرب فنظرت ما خلفهما؟ قال: لا، قال: فعجباً لك لم تبلغ المشرق ولم تبلغ المغرب ولم تنزل تحت الأرض ولم تصعد السماء ولم تخبر هنالك فتعرف ما خلفهن وأنت جاحد ما فيهن وهل يجحد العاقل ما لا يعرف؟ قال: ولعل ذاك، فقال عليه السلام: أيّها الرجل ليس لمن لا يعلم حجّة على من يعلم، فلا حجّة للجاهل على العالم. يا أخا أهل مصر تفهّم عني، لا تشك في الله أبداً، أما ترى الشمس والقمر والليل والنّهار يلجئان ليس لهما مكان إلّا مكانهما، فان كانا يقدران على أن يذهبا فلا يرجعان فلِمَ يرجعان؟ وان لم يكونا مضطرين فلم لا يصير الليل نهاراً والنهار ليلاً؟ إضطرا والله يا أخا أهل مصر؛ الى دوامهما، والذي اضطرهما أحكم منهما وأكبر. يا أخا أهل مصر؛ الذي تذهبون إليه وتظنّونه بالوهم؛ فإن كان الدهر يذهب بهم لِمَ لا يردّهم؟ وإن كان يردّهم لِمَ لا يذهب بهم؟ القوم مضطرون يا أخا أهل مصر؛ السماء مرفوعة، والأرض موضوعة، لِمَ لا تسقط السماء على الأرض ولِمَ لا تنحدر الأرض فوق طاقتها، فلا يتماسكان ولا يتماسك من عليهما؟ فقال الزنديق: أمسكهما والله ربّهما ـ وآمن على يديه. وقال له عليه السلام:

(١) توحيد المفضل: ٤٧، والنقل بتصرف يسير.

إجعلني من تلامذتك، فقال عليه السلام لهشام بن الحكم: خذه إليك فعلّمه، فكان معلم أهل مصر وأهل الشام[١].

«وما ذرأ» أي: خلق متفرقاً «من مختلف صور الأطيار» وفي (مجالس ثعلب): زعم بعض من يصيد الطير أنّه يحدث في كلّ سنة من الطير ما لم يكونوا يعرفونه قبل ذلك[٢].

«التي أسكنها أخاديد الأرض» أي: شقوقها المستطيلة «وخروق» أي: شقوق عريضة «فجاجها» الطرق الواسعة بين الجبال، قالوا: القبج وشبهه يسكن الفجاج.

«وراسي» هكذا في (المصرية) والصواب: (ورواسي) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٣]، أي: ثوابت، قال تعالى: ﴿وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم﴾[٤] «أعلامها» أي: جبالها قال جرير: «إذا قطعن علماً بدا علم»[٥].

قالوا: والطير الذي أسكنها الجبال العقبان.

«من ذات» هكذا في (المصرية)، والصواب: (ذوات) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٦] «أجنحة مختلفة وهيئات متباينة» هذه مع تلك.

قال الصادق عليه السلام للمفضل: هل رأيت هذا الطائر الطويل الساقين وعرفت ماله من المنفعة في طول ساقيه، فإنّه أكثر ذلك في ضحضاح من

(١) أخرجه الكليني في الكافي ١: ٧٢ ح١ والنقل بتصرف يسير.

(٢) لم أظفر عليه في مجالس ثعلب.

(٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٦٦، لكن في شرح ابن ميثم ٣: ٣٠٤ نحو المصرية.

(٤) النحل: ١٥.

(٥) أورده لسان العرب ١٢: ٤٢٠، مادة (علم).

(٦) لفظ شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٦٦، وشرح ابن ميثم ٣: ٣٠٤ «ذات».

الماء، فتراه بساقين طويلين كأنّه ربيئة فوق مرقبه، وهو يتأمّل ما يدب في الماء، فإذا رأى شيئاً ممّا يتقوّت به خطا خطوات رقيقة حتى يتناوله، ولو كان قصير الساقين وكان يخطو نحو الصيد ليأخذه يصيب بطنه الماء فيثور ويذعر منه فيتفرّق عنه، فخلق له ذانك العمودان ليدرك بهما حاجته و لا يفسد عليه، تأمل ضروب التدبير في خلق الطائر! فإنّك تجد كلّ طائر طويل الساقين طويل العنق، وذلك ليتمكن من تناول طعمه من الأرض، ولو كان طويل الساقين قصير العنق لما استطاع أن يتناول شيئاً من الأرض، وربما أُعين مع طول العنق بطول المناقير ليزداد الأمر عليه سهولة وإمكاناً، أفلا ترى أنّك لا تفتّش شيئاً من الخِلقة إلّا وجدته على غاية الصواب: والحكمة[1].

«مصرّفةٍ في زمام التّسخير» في (توحيد المفضل): هذا الطائر السائح في هذا الجو يقعد على بيضه فيحضنه بعضها أسبوعاً وبعضها أسبوعين وبعضها ثلاثة أسابيع حتى يخرج الفرخ من البيضة، ثم يقبل عليه فيزقّه الريح لتتسع حوصلته للغذاء، فمَنْ كلّفه أن يلقط الطُعم والحبّ يستخرجه بعد أن يستقر في حوصلته ويغذو به فراخه؟ ولأي معنى يحتمل هذه المشقة وليس بذي رويّة ولا تفكر؟ ولا يأمل في فراخه ما يأمل الانسان في ولده من العزّ والرفد وبقاء الذّكْر، فهذا من فعله يشهد أنّه معطوف على فراخه لعلّة لا يعرفها ولا يفكّر فيها وهي دوام النّسل وبقاؤه لطفاً منه تعالى.

وفيه: أُنظر الى الدَّجاجة كيف تهيج لحضن البيض والتفريخ، وليس لها بيض مجتمع ولا وكر موطّى، بل تنبعث وتنتفخ وتمتنع من الطعم حتى يجتمع لها البيض فتحضنه وتفرخ، فما كان ذلك منها إلّا لإقامة النّسل، ومن أخذها بإقامة النّسل ولا رويّة لها ولا تفكير لولا أنّها مجبولة على ذلك!

---

(١) توحيد المفضل: ١٨٨، والنقل بتصرف يسير.

وفيه: فكّر يا مفضل؛ في خلقة عجيبة حصلت في البهائم، فإنّهم يوارون أنفسهم إذا ماتوا كما يواري الناس موتاهم، وإلّا فأين جيف هذه الوحوش والسباع وغيرها، لا يرى منها شيء، وليست قليلة فتخفى لقلّتها، بل لو قال قائل إنّها أكثر من الإنس لصدق؛ فاعتبر في ذلك بما تراه في الصحاري والجبال من أسراب الظباء، والمهاء، والحمير الوحش، والوعول، والايايل، وغير ذلك من الوحوش، وأصناف السباع من الأسد والضباع والذئاب والنمور وغيرها، وضروب الهوام ودوابّ الأرض، وكذلك أسراب الطير من الغربان والقطا والاوّز والكراكي وحمام الطير وسباع الطير جميعاً، وكلّها لا يرى منها إذا ماتت إلّا الواحد بعد الواحد يصيده قانص أو يفترسه سبع، فإذا أحسّوا بالموت كمنوا في مواضع خفية فيموتون فيها!! ولولا ذلك لامتلأت الصحاري منها حتى تفسد رائحة الهواء وتحدث الأمراض والوباء. فانظر إلى هذا الذي يخلص إليه الناس وعملوه بالتمثيل الأول الذي مثّل لهم[١].

قلت: إشارة إلى قوله تعالى في تحيّر قابيل في جسد هابيل وبعثه تعالى غراباً بالبريّة كيف يواري سوأة أخيه[٢].

كيف جعل طبعاً وإدكاراً في البهائم وغيرها ليسلم النّاس من معرّة ما يحدث عليهم من الأمراض والفساد؟

«ومرفرفة» في (الجمهرة): رفرف إذا بسط جناحيه، ورفرفة الطائر أن يرفرف بجناحيه ولا يبرح كأنّه يحوم على الشيء[٣] «بأجنحتها في مخارق» أي: ممارّ «الجوّ» هو ما بين السماء والأرض «المنفسخ» أي: المتسع «والفضاء

(١) توحيد المفضل: ١٠٧، والنقل بتصرف يسير.

(٢) جاءت القصة في (المائدة: ٣١).

(٣) جمهرة اللغة ١: ٨٥ و ١٤٦.

المنفرج» أي: المنكشف ﴿ألم يروا إلى الطّير مسخّرات في جوّ السماء ما يمسكهنّ إلّا الله إنّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يؤمنون﴾[١].

«كوّنها بعد أن لم تكن في عجائب صور ظاهرة» وصف للمضاف.

في (توحيد المفضل): تأمّل جسم الطائر وخلقته، فإنّه حين قدر أن يكون طائراً في الجو خفّف جسمه وأدمج خلقه، واقتصر به من القوائم الأربع على اثنتين، ومن الأصابع على أربع، ومن منفذين للزبل والبول على واحد يجمعهما، ثم خلق ذا جؤجؤ محدّد ليسهل عليه أن يخرق الهواء كيف ما أخذ فيه كما جعلت السفينة بهذه الهيئة لتشقّ الماء وتنفذ فيه، وجعل في جناحيه وذنبه ريشات طوال متان لينهض بها للطيران وكسا كلّه الريش ليتداخله الهواء فيقلّه! ولما قدّر أن يكون طعمه الحبّ واللحم يبلعه بلعاً بلا مضغ، خلق له منقار صلب حاس يتناول به طعمه، فلا ينسحج من لقط الحب، ولا يتقصف من نهش اللحم، ولما عدم الأسنان وصار يزدرد الحب صحيحاً، واللحم غريضاً أُعين بفضل حرارة في الجوف تطحن له الطعم طحناً يستغني به عن المضغ! واعتبر ذلك بأنّ عجم العنب وغيره يخرج من أجواف الإنس صحيحاً ويطحن في أجواف الطير لا يرى له أثر. ثم جعل مما يبيض بيضاً ولا يلد ولادة لئلا يثقل عن الطيران، فإنّه لو كانت الفراخ في جوفه تمكث حتّى تستحكم لأثقلته وعاقته عن النهوض والطيران، فجعل كلّ شيء من أمره مشاكلاً للأمر الذي قدّر أن يكون عليه!![٢]

«وركّبها في حقاق» جمع الحُق بضم الحاء، وفي (الجمهرة): الحق رأس

---

(١) النحل: ٧٩.

(٢) توحيد المفضل: ١١٣، والنقل بتصرف يسير.

العضد الذي فيه الوابلة، والحق أصل الورك الذي فيه عظم رأس الفخذ[١] «مفاصل محتجبة» لئلا تصيبها آفة.

«ومنع بعضها بعبالة» أي: تاميّة، يقال امرأة عبلة أي: تامّة الخلق «خلقه أن يسمو» أي: يعلو «في السماء خفوفاً» أي: سرعة. وفي حديث خطبةِ مرضِ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: قد دنا منّي خفوف من بين أظهركم[٢]، أي: سرعة ارتحال.

«وجعله يدفّ دفيفاً» أي: يحرّك جناحيه في الطيران في قبال ما يصفّ صفّاً ولا يحرّك، وما دفّ يحل لحمه وما صفّ يحرم.

«ونسقها» أي: نظّمها من نسقت الدّرّ، أي: نظمته «على اختلافها في الأصابيغ» أي: الألوان «بلطيف قدرته ودقيق صنعته».

قال الديصاني لهشام بن الحكم: ألك ربّ؟ قال: بلى؛ قال: أقادر؟ قال: بلى؛ قال: أيقدر أن يدخل الدنيا كلّها في البيضة لا يكبّر البيضة ولا يصغّر الدنيا؟ فجاء هشام إلى الصادق عليه السلام وقال له: قال لي الديصاني كذا وكذا. فقال عليه السلام له: كم حواسك؟ قال: خمس. قال: أيّها أصغر؟ قال: الناظر. قال: كم قدر الناظر؟ قال: مثل العدسة أو أقل؛ قال: فانظر أمامك وفوقك واخبرني بما ترى. فقال: أرى سماءً وأرضاً ودوراً وقصوراً وجبالاً وأنهاراً. فقال عليه السلام: إنّ الذي قدر أن يدخل الذي تراه العدس أو أقلّ منها قادر على أن يدخل الدّنيا كلّها البيضة لا يصغّر الدنيا ولا يكبّر البيضة[٣].

«فمنها مغموس» من غمسه في الماء «في قالب لون لا يشوبه غير لون ما غمس فيه» ككثير من الطيور التي على لون واحد.

---

(١) جمهرة اللغة ١: ٦٣.

(٢) رواه ابن الأثير في النهاية ٢: ٥٤، مادة (خفف).

(٣) اخرجه الكليني في الكافي ١: ٧٩ ح٤.

«ومنها مغموس في لون صبغ قد طوّق» قال ابن أبي الحديد: وروى «طورق»[١] «بخلاف ما صبغ به» قالوا كالقبج والفاختة والبلبل ونحوها.

هذا، وفي (بلدان الحموي) ـ في قابس ـ أخبر أبو الفضل الكلبي كاتب مونس حاجب افريقية أنّهم كانوا في ضيافة ابن وانمو الصنهاجي فأتاه جماعة من أهل البادية بطائر على قدر الحمامة غريب اللون والصورة ذكروا أنّهم لم يَرَوْه قبل ذلك اليوم في أرضهم كان فيه من كلّ لون أجمله وهو أحمر المنقار طويله، فسأل ابن وانمو العرب الذين أحضروه هل يعرفونه ورأوه، فلم يعرفه أحد ولا سمّاه، فأمر ابن وانمو بقصّ جناحيه وإرساله في القصر، فلما جنّ الليل أشعل في القصر مشعل من نار، فما هو إلّا أن رآه ذلك الطائر فقصده وأراد الصعود إليه فدفعه الخدّام، فجعل يلحّ في التقدّم إلى المشعل، فأعلم ابن وانمو بذلك، فقام وقام من حضر عنده فأمر بترك الطائر، فطار حتى صار في أعلى المشعل وهو يتأجج ناراً واستوى في وسطه وجعل يتفلّى كما يتفلّى الطائر في الشمس، فأمر ابن وانمو بزيادة الوقود في المشعل من حرق القطران وغيره، فزاد تأجّج النار والطائر فيه على حاله لا يكترث، ثم وثب من المشعل بعد حين فلم يُرَ به ريب[٢].

«ومن أعجبها خلقاً الطاوس الذي أقامه في أحكم تعديل» روى (توحيد ابن بابويه)، أن أبا شاكر الديصاني دخل على أبي عبدالله عليه السلام فقال له: إنّك أحد النجوم الزواهر وكان آباؤك بدوراً بواهر وأمّهاتك عقيلات عباهر وعنصرك من أكرم العناصر، وإذا ذكر العلماء فبك تثنى الخناصر، فخبّرني أيها البحر الخضم الزاخر ما الدليل على حدوث العالم؟ فقال عليه السلام: نستدل عليه بأقرب

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٦٧.

(٢) معجم البلدان ٤: ٢٨٩ والنقل بتصرف يسير.

الأشياء فدعا ببيضة فوضعها على راحته فقال: هذا حصن ملموم داخله غرقى رقيق لطيف فيه فضة سائلة وذهبة مائعة، ثم تنفلق عن مثل الطاوس أدخلها شيء؟ فقال: لا؛ قال: فهذا الدليل على حدوث العالم؛ قال: أخبرت فأوجزت وقلت فأحسنت، وقد علمت أنّا لا نقبل إلّا ما أدركناه بأبصارنا أو سمعناه بآذاننا أو شممناه بمناخرنا أو ذُقناه بأفواهنا أو لمسناه بأكفّنا أو تصوّر في القلوب بياناً أو استنبطه الروايات إيقاناً؛ فقال عليه السلام: ذكرت الحواس الخمس وهي لا تنفع شيئاً بغير دليل كما لا يقطع الظلمة بغير مصباح[1].

وفي خبر آخر: دخل الديصاني على الصادق عليه السلام وقال له: دلّني على معبودي؟ فقال عليه السلام له: اجلس، وإذا غلام له صغير في كفّه بيضة يلعب بها، فقال عليه السلام للغلام: ناولني البيضة، فناوله إيّاها فقال: يا ديصاني؛ هذا حصن مكنون له جلد غليظ، وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق، وتحت الجلد الرقيق ذهبة مائعة وفضّة ذائبة، فلا الذهبة المائعة تختلط بالفضة الذائبة ولا الفضة الذائبة تختلط بالذهبة المائعة! فهي على حالها لم يخرج منها مصلح فيخبر عن صلاحها ولا دخل فيها مفسد فيخبر عن فسادها، لا يُدرى للذّكر خلقت أم للأنثى؟ تنفلق عن مثل ألوان الطواويس، أترى لها مدبراً؟ فأطرق مليّاً ثم قال: أشهد ألّا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وان محمّداً عبده ورسوله، وانّك إمام وحجّة من الله على خلقه[2].

«ونضّد» من نضدت المتاع ونضدّته: ضم بعضه إلى بعض متسقاً أو مركوماً «ألوانه في أحسن تنضيد».

قال المفضّل للصادق عليه السلام: إن قوماً من المعطّلة يزعمون أن اختلاف

---

(١) توحيد الصدوق: ٢٩٢ ح١.

(٢) أخرجه الكليني في الكافي ١: ٨٠.

الألوان والأشكال في الطير إنّما يكون من قبل امتزاج الأخلاط، واختلاف مقاديرها بالمزج والإهمال؛ فقال عليه السلام: هذا الوشي الذي تراه في الطواويس والدارج والتدارج على استواء ومقابلة كنحو ما يُخطّ بالأقلام كيف يأتي به الامتزاج المهمل على شكل واحد لا يختلف؟ ولو كان بالإهمال لعدم الاستواء لكان مختلفاً؟ تأمّل يا مفضل؛ ريش الطير كيف هو، فانّك تراه منسوجاً كنسج الثوب من سلول دقاق قد ألف بعضه إلى بعض كتأليف الخيط الى الخيط والشعرة الى الشعرة، ثم ترى ذلك النسج إذا مددته ينفتح قليلاً ولا ينشق لتُداخِلُه الريح فيقلّ الطائر إذا طار، وترى في وسط الريشة عموداً غليظاً متيناً، قد نسج عليه الذي هو مثل الشعر ليمسكه بصلابة وهو القصبة التي في وسط الريشة وهو مع ذلك أجوف، ليخفّ على الطائر ولا يعوقه عن الطيران[1].

«بجناح أشرج» من أشرجت العيبة: إذا داخلت بين أشراجها، أي: عراها «قصبه» والأصل في القصب كلّ نبات ذي أنابيب.

«وذنب أطال مسحبه» من سحب ذيله إذا جرّه.

«إذا درج» أي: مشى «إلى الأنثى نشره من طيّه» وقبله ذنبه مطوي «وسما به» أي: علا به «مظلا» هكذا في (المصرية) والصواب: «مطلا» بالمهملة كما (في ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[2]، أي: مشرفاً، قال الشاعر:

أنا البازي المطلّ على نمير

«على رأسه كأنّه قلع» بالكسر: الشّراع كما في (القاموس)[3].

هذا، وسأل ابن مُقلة الوزير جحظة البرمكي عن لقبه «جحظة» قال:

---

(١) توحيد المفضل: ١١٧ والنقل بتصرف يسير.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٦٨، لكن في شرح ابن ميثم ٣: ٣٠٥ نحو المصرية.

(٣) القاموس المحيط ٣: ٧٤، مادة (قلع).

لقيني ابن المعتز يوماً فقال: ما حيوان إن تنكسه أتاناً آلة للمراكب البحرية؟ فقلت «علق» إذا نكس صار «قلع» . قال: أحسنت يا جحظة، أي ناتئ العين. وكان هكذا كالجاحظ.

«داري» في (النهاية) «دارين» موضع بالبحر يؤتى منه بالطيب، ومنه كلام علي عليه السلام «كأنّه قلع داري» أي: شراع منسوب إلى هذا الموضع البحري[1]. «عنجه» أي: عطفه «نوتيه» أي: ملاحة. قال الدميري: وفي طبعه الإعجاب بريشه وعقده لذنبه كالطاق، لا سّيما إذا كانت الأُنثى ناظرة إليه[2].

«يختال» أي: يتكبّر «بألوانه ويميس» أي: يتبختر «بزيفانه» في (الجمهرة): زافت الحمامة تزوف زوفاً: إذا نشرت جناحيها وذنبها وسحبته على الأرض، وكذلك زوف الإنسان إذا مشى مسترخي الأعضاء، زاف يزوف زوفاً وزاف يزيف زيفاً وزيفاناً[3].

«يفضي» من أفضى الرجل الى امرأته: أي: باشرها «كافضاء الدِّيَكة» إلى دَجاجها.

«ويؤرّ» بالضم من أرَّ المرأة أي: نكحها «بملاقحة» يقال ألقح الفحل الناقة إذا أحبلها «أرّ الفحول المغتلمة في الضراب» من اغتلم البعير إذا هاجت شهوته.

«أحيلك من ذلك على معاينة» قال ابن أبي الحديد: عاين عليه السلام ذلك لمّا كان بالكوفة[4] «لا كمن يحيل على ضعيفٍ إسناده» ففي كثير منها الوهم.

«ولو كان كزعم من يزعم أنّه يلقح» أي: يحبل «بدمعةٍ تسفحها» أي: تصبّها «مدامعه» أي: أطراف عينه التي يخرج منها الدمع «فتقف» تلك الدمعة «في

(١) النهاية ٢: ١٤٠، مادة (دور).

(٢) حياةالحيوان ٢: ٨٨.

(٣) جمهرة اللغة ٣: ١٣.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٧٠.

ضفّتي» أي: جانبي «جفونه» أي: أغطية العين من أعلاها وأسفلها.

«وأنّ أنثاه تطعَم ذلك ثمّ تبيض لا من لقاح فحلٍ سوى الدمع المنبجس» من انبجس الماء انفتح «لما كان ذلك بأعجب من مطاعمة الغراب».

قال ابن أبي الحديد: زعم قوم أنّ الذكر يدمع عينه فتقف الدمعة بين أجفانه، فتأتي الأنثى فتطعمها فتلقح من تلك الدمعة، وهو عليه السلام لم يحل ذلك، ولكنه قال ليس بأعجب من مطاعمة الغراب. والعرب تزعم أنّ الغراب لا يسفد، ومن أمثالهم «أخفى من سفاد الغراب»، فيزعمون أنّ اللقاح من مطاعمة الذكر والأُنثى وانتقال جزء من الماء الذي في قانصته اليها من منقاره. وأما الحكماء فقلّ ان يصدقوا بذلك، على أنّهم قد قالوا في كتبهم ما يقرب من هذا. قال ابن سينا: والقبجة تحبلها ريح تهب من ناحية الحجل الذكر ومن سماع صوته، والنوع المسمّى (مالاقيا) يتلاصق بأفواهها ثم يتشابك فذاك سفادها. وسمعت أنا أنّ الغراب يسفد وأنّه قد شوهد سفاده[1].

قلت: قوله «إنّه عليه السلام لم يحلّ ذلك» إن أراد أنّه عليه السلام احتمل وقوع اللقاح في الطاوس بالدّمعة كما يشهد له قوله «قلّ أن يصدق الحكماء بذلك» فغلط، كيف وقد قال عليه السلام أولاً «يفضي كافضاء الديكة ويؤرُّ بملاقحه أرّ الفحول المغتلمة في الضّراب، أحيلك من ذلك على معاينة» وان أراد أنّه عليه السلام جوّز مجرّد الإمكان العقلي فالحكماء أيضاً لم ينكروا الإمكان.

وفي (حياة حيوان الدميري): في الغراب كلّه الاستتار عند السفاد، وهو يسفد مواجهة ولا يعود الى الأنثى بعد ذلك لقلّة وفائه، والأُنثى تبيض أربع بيضات وخمساً، وإذا خرجت الفراخ من البيض طردتها لأنها تخرج قبيحة المنظر جدّاً، إذ تكون صغار الأجرام كبيرة الرؤوس والمناقير جرداء اللون

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٧٠.

متفاوتة الأعضاء، فالأبوان ينظران الفرخ كذلك فيتركانه، فيجعل الله قوته في الذباب والبعوض الكائن في عشّه إلى أن يقوى وينبت ريشه، فيعود إليه أبواه وعلى الأنثى أن تحضن، وعلى الذكر المطعم[١].

«تخال» أي: تظنّ «قصبه» أي: قصب الطاوس والمراد به عمود ريشه «مداري» شمع المدرى: القرن، قال النابغة يصف الثور والكلاب:

شكّ الفريصة بالمدرى فأنفذها
شك المبيطر أخذ يشفى من العضد[٢]

«من فضة وما أنبت عليه» هكذا في (المصرية) والصواب: «عليها» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٣] «من عجبت داراته» جمع دارة، وهي التي حول القمر، أي: الهالة «وشموسه» والمراد إشراقات ريشاته حتى كأنّ كلّ لون منها شمس «خالص العقيان» أي: الذهب الذي ينبت ولا يستذاب من الحجارة، قال الشاعر:

كلّ قوم صيغة من آنك — وبنو العباس عقيان الذهب[٤]

«وفلذ» جمع الفلذة، أي: القطعة «الزبرجد فان شبّهته بما أنبتت الأرض» من الزهر والأنوار «قلت جنيّ» على فعيل «جُنِيَ» بلفظ المجهول من جنيت الثمرة «من زهرة» أي: نور «كلّ ربيع وإن ضاهيته» أي: شاكلته وشبهته «بالملابس فهو كموشي» من وشيت الثوب: رقمته ونقشته «الحُلل أو مونق» أي: معجب «عصب اليمن» في (الجمهرة): العصب برد من برود اليمن معروفة كانت الملوك تلبسها.

---

(١) حياة الحيوان ٢: ١٧٣، والنقل بتصرف يسير.

(٢) أودره لسان العرب ١٤: ٢٥٥ مادة (درى).

(٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٧١، لكن في شرح ابن ميثم ٣: ٣٠٥ «عليه».

(٤) أورده أساس البلاغة: ٣١٠ مادة (عقى).

قال الشاعر:

أتـــجعل أجــلافاً عــليها عــباؤها ككندة تردى في المطارف والعصب

وقال السهيلي: العصب صبغ لا ينبت إلّا باليمن(١).

«وان شاكلته» أي: ماثلته «بالحُلي» أي: حُليِّ النساء «فهو كفصوص» فصّ الخاتم ما يركّب فيه من غيره «ذات ألوان» العقيق والفيروزج والياقوت والزبرجد وغيرها «قد نطّقت» أي: جعلت لتلك الفصوص منطقة «باللّجين» أي: الفضة «المكلّل» أي: جعل له إكليلا، أي تاجاً مرصّعاً بالجواهر.

وقد أخذ كلامه عليه السلام في تشبيهاته للطاوس يحيى بن المنجمّ النديم، فقال ـ كما في (المعجم):

سبحان من من خلقه الطاوس طــير عــلى أشكــاله رئـيس

كأنّــه فــي نـفسه عــروس إذ انّــه يــحلو بــه التـعريس

ديــباجة تــنشر او سـدوس في ريشـه قـد ركّـبت قـلوس

تشـرف مـن دارتـه شـموس في الرأس منه شجر مغروس

كأنّـــــه بـــــنفسج يـــميس أو زهر في روضـه يـنوس(٢)

ونظير كلامه عليه السلام في أنواع التشبيهات قول محمد بن القاسم الشاعر المعروف بمان الموسوس:

وكيف صبر النفس عن غـادة تــظلمها إن قـلت طـاوسة

وجــرت إن شــبّهتها بأنّــه في جنّة الفـردوس مـغروسة

وغــير عــدل إن عــدلنا بـها لؤلؤة فــي البـحر مـنفوسة

جلّت عن الوصف فـما فكـرة تـلحقها بـالنّعت مـحسوسة

(١) جمهرة اللغة ١: ٢٩٦.

(٢) معجم الأدباء ٢٠: ٢٨.

ولابن السّماك تشبيهات في الحمام، فدخل ـكما في (المروج) ـ على الرشيد وبين يديه حمامة تلتقط حبّاً، فقال له صفها وأوجز فقال:

كأنّما تنظر من ياقوتتين وتـلتقط بـدرّتين

وتطأ على عقيقتين

والآخر أيضاً كما فيه:

هتفت هاتفة اذنها ألف بين

ذات طوق مثل عطف النون أقنى الطرفين

وتراها ناظرة نحوك من ياقوتتين

ترجع الأنفاس من ثقبين كاللؤلؤتين

وترى مثل البساتين لها قادمتين

ولها لحيان كالصدغين من عرعرتين

ولها ساقان حمراوان مثل الوردتين

نسجت فوق جناحيها لها برنوستين

وهي طاوسية اللون بنان المنكبين

تحت ظل من ظلال الأيك صافي الكتفين

فقدت الفاً فناحت من تباريح وبين

فهي تبكيه بلا دمع جمود المقلتين[١]

«يمشي مشي المرح» الكثير النشاط «المختال» المتكبّر «ويتصفّح» الأصل في تصفح الشيء النظر في صفحاته «ذنبه وجناحيه» هكذا في (المصرية) والصواب: «وجناحه» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٢] «فيقهقه»

---

(١) مروج الذهب ٣: ٣٤٨.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٧١، لكن في شرح ابن ميثم ٣: ٣٠٦ نحو المصرية.

من القهقهة «ضاحكاً لجمال» أي: حسن «سرباله». في (المصباح): السربال: قميص أو درع[١] «وأصابيغ» أي: ألوان «وشاحه» في (الصحاح): الوشاح ينسج من أديم عريضاً ويرصع بالجواهر وتشدّه المرأة بين عاتقيها[٢].

«فإذا رمى ببصره إلى قوائمه زَقَا» أي: صاح وقولهم «هو أثقل من الزواقي» هي الديوك، لأنّهم كانوا يسمرون فاذا صاحت الدِّيكة تفرّقوا (معولا) كمن رفع صوته بالبكاء «يكاد بصوت» هكذا في (المصرية) والصواب: «بصوت يكاد» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٣] «يبين» أي: يوضّح «عن استغاثته ويشهد بصادق توجعه أي تشكيه لأن قوائمه حمش» أي: دقيقة «كقوائم الديكة الخلاسية» المتولدة بين دجاجتين هندية وفارسية.

هذا، وكان المتوكّل أصفر الساقين، قال ابو حشيشة ـ كما في (تأريخ الطبري) ـ رأيته إذا جلس على السرير يكشف عن ساقيه كأنّما صبغا بزعفران[٤].

وكان معاوية ذا عجيزة، وكان خريم الناعم ذا ساقين حسنين، فدخل خريم على معاوية فنظر إلى ساقيه، فقال: أي ساقين لو أنهما على جارية. فقال له خريم: في مثل عجيزتك. قال معاوية: واحدة بأُخرى والبادئُ أظلم.

وقالوا: لما عرضت الخيزران على المهدي قال: والله يا جارية؛ إنّك لعلى غاية المُنَى غير أنّك حمشة الساقين. فقالت: إنك أحوج ما تكون إليهما، لا تراهما. فقال: اشتروها فحظيت عنده، فأولدها الهادي والرشيد.

«وقد نجمت» أي: ظهرت «من ظنبوب ساقه» أي: عظمها من قدام

---

(١) المصباح المنير ١: ٣٢٩ مادة (سرب).

(٢) صحاح اللغة ١: ٤١٥ مادة (وشح).

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٧١ وشرح ابن ميثم ٣: ٣٠٦.

(٤) تاريخ الطبري ٧: ٣٩٩ سنة ٢٤٧.

«صيصية» الأصل فيها شوكة الحائك التي يستوي بها السداة، ومنه صيصية الديك ونحوه «خفية» ولكون صيصيته خفية لم يحلّ لحمه، وإلّا فعنهم عليهم السلام: كلّ طير له حوصلة أو قانصة أو صيصية حلال[١].

«وله في موضع العرف» أي: شعر الرقبة «قنزعة» الأصل فيها بعض الشعر يترك غير محلوق، قال زهير:

وأشعث قد طالت قنازع رأسه دعوت على طول الكرى ودعاني[٢]

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم لأم أيمن «غطّي عنّا قنازعك»[٣].

«خضراء موشّاة» في (المصباح): وشيت الثوب فهو موشى، والأصل مفعول[٤].

«ومخرج عنقه» أي: طرفها الذي يلي الرأس «كالإبريق» فارسي معرّب.

«ومغرزها» بتقديم المهملة، أي: طرف العنق الذي يلي الجسد «إلى حيث بطنه كصبغ الوسمة اليمانية» في شدّة السواد «أو كحريرة ملبسة مرآة ذات صقال» في البريق.

«وكأنه ملفع» هكذا في (المصرية) والصواب: «متلفع» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم والخطية)[٥]، أي: متغطّ «بمعجز» ما تشدّ المرأة على رأسها «أسحم» أي: أسود «إلّا أنّه يخيّل» أي: يقع في الخيال «لكثرة مائه وشدّة بريقه أنّ الخضرة الناضرة ممتزجة به» قال الجوهري: النضرة الحسن، وقولهم «أخضر

---

(١) جاء أحاديث بهذا المضمون في الوسائل ١٦: ٣٤٥ باب ١٨، والمستدرك ٣: ٧٥ باب ١٤.

(٢) أورده أساس البلاغة: ٣٦٥ مادة (قزع).

(٣) نقله الجوهري في صحاح اللغة ٣: ١٢٦٥ مادة (قزع).

(٤) المصباح المنير ٢: ٣٨١ مادة (وشى).

(٥) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٧٣، لكن في شرح ابن ميثم ٣: ٣٠٦ «ملفع».

ناضر» إنما هو كقولهم «أصفر فاقع» و «أبيض ناصع»[١].

«ومع فتق» أي: شق «سمعه خط كمستدقّ القلم» أي: خط القلم الدقيق «في لون الأقحوان» أي: البابونج، وهو نبت طيب الريح حواليه ورق أبيض ووسطه أصفر «أبيض يقق» أي: شديد البياض «فهو ببياضه في سواد ما هنالك يأتلق» أي: يلمع.

«وقلّ صبغ إلّا وقد أخذ منه بقسطٍ» أي: نصيب «وعلاه بكثرة صقاله وبريقه وبصيص» أي: لمعان «ديباجه ورونقه فهو كالأزاهير» أي: الأنوار «المبثوثة» أي: المنتشرة «التي لم تربّها» بفتح التاء وضمها من ربّ ولده أو ربّاه.

ثم كأن في الكلام سقطاً، والأصل «إلّا أنّها لم تربها» «أمطار ربيع» كالأزاهير النباتية «ولا شموس» أي: أضواء شمس «قيظ» شدة الحر في الصيف.

«وقد يتحسّر» أي: يسقط «من ريشه ويعرى» أي: يصير عرياناً «من لباسه فيسقط تترى» أي: واحداً بعد واحد «وينبت» أي: ريشه «تباعاً» أي: متوالياً «فينحتّ» أي يتناثر أولاً «من قصبه انحتات أوراق الأغصان» عن الأشجار. قدر الله تعالى ذلك في الطاووس لكون ريشه زينة وحلية ينتفع ويتمتّع به الناس.

«ثم يتلاحق نامياً حتى يعود كهيئته قبل سقوطه» لئلا يبقى ذا شين.

وفي (المصباح): يقال في جناح الطائر ستّ عشرة ريشة: أربعة قوادم، وأربع خواف، وأربع مناكب، وأربع أباهر[٢].

«لا يخالف» لونه الأنف «سالف ألوانه ولا يقع لون في غير مكانه» لا يقع مثلاً الأخضر في مكان الأحمر والأسود في مكان الأصفر.

«وإذا تصفّحت شعرة من شعرات قصبه أرَتْك» من الإراءة والكاف المفعول

---

(١) صحاح اللغة ٢: ٨٣٠، مادة (نضر).

(٢) المصباح المنير ١: ٣٠١، مادة (ريش).

الأول «حمرة وردية» وهي أحسن ألوان الحمرة، قال الجوهري: الورد الذي يشمّ، وبلونه قيل للأسد ورد، وللفرس ورد، وهو ما بين الكميت والأشقر[١].

وقال الفيروزآبادي: لقب قيس بن حسّان بالورد لجماله[٢].

«وتارة خضرة زبرجدية» وهي أحسن ألوان الخضرة.

«وأحياناً صفرة عسجدية» وفي (القاموس): العسجد الذهب والجوهر كلّه كالدّرّ والياقوت[٣] «فكيف تصل إلى صفة هذا» أي: الطاوس ذو الخلق العجيب «عمائق الفِطَن» أي: الفِطَن العميقة، والفطانه: الحذاقة.

«أو تبلغه قرائح» جمع القريحة، والأصل فيها أول ماء يستنبط من البئر «العقول أو تستنظم وصفه أقوال الواصفين» أي: تجعل وصفه في نظام، والنظام الخيط الذي ينظم به اللؤلؤ.

«وأقل أجزائه قد أعجز الأوهام أن تدركه والألسنة أن تصفه» يعني إذا عجزت الأوهام عن الدرك والألسنة عن الوصف، لأقل أجزائه وهو شعرة من شعرات قصبه، بإراءتك لها تارة حمرة وردية وأُخرى خضرة زبرجدية وثالثة صفرة عسجدية، كيف تصل قرائح العقول إلى وصف كلّه ودرك تمام أجزائه.

«فسبحان الذي» قال الجوهري: معنى «سبحانَ الله»: التنزيه له، ونصبه على المصدر، كأنّه قال «ابرئُ الله من السوء براءة»[٤].

«بهر» أي: غلب «العقول عن وصف خلق» أي: مخلوق، والمراد به هنا الطاوس «جلّاه» أي: كشفه «للعيون فأدركته» أي: أدركت العقول ذاك الخلق

(١) صحاح اللغة ١: ٥٤٧ مادة (ورد).

(٢) لم يوجد هذه العبارة في القاموس ١: ٣٤٤ و ٣٤٥ مادة (ورد).

(٣) القاموس المحيط ١: ٣١٤ مادة (عسجد).

(٤) صحاح اللغة ١: ٣٧٣ مادة (سبح).

«محدوداً» طولاً وعرضاً «مكوّناً» بعد أن لم يكن «ومؤلّفاً ملوناً» بألوان «وأعجز الألسن عن تلخيص» أي: شرح «صفته وقعد بها» أي: بالألسن «عن تأدية نعته» أي: وصفه.

«وسبحان من أدمج» أي: لفّف «قوائم الذرّة» في جسدها، والذّر: أصغر النمل.

في (توحيد المفضل): تأمّل وجه الذّرّة الحقيرة الصغيرة، هل تجد فيها نقصاً عمّا فيه صلاحها، فمن أين هذا التقدير والصواب: في خلق الذرة إلّا من التدبير القائم في صغير الخلق وكبيره؟[١]

«والهمجة» أي: ذباب صغير كالبعوض يسقط على وجوه الغنم والحمير وأعينها «إلى ما فوقها» هكذا في (المصرية) والصواب: «إلى ما فوقهما» أي: الذّرّة والهمجة كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٢].

«من خلق الحيتان» في (معجم البلدان): يعرف بتنيس من السمك (٧٩) صنفاً البوري، البلمو، البرو، اللبب، البلس، السكس، الاران، المشموس، النساء، الطوبان، البقسمار، الاحناس، الانكليس، المعينة، البني، الابليل، الفريص، الدونيس، المرتنوس، الاسقملوس، النفط، الخبار، البلطي، الحجف القلارية الرخف العيرالتون اللت القجاج القروص الكليس الاكلس الفراخ القرقاج الزلنج اللاج الاكلت الماضي الجلاء السلاء البرقش البلك المسط القفا السور حوت الحجر البشين الشربوت البساس الرعاد المخيرة اللبس السطور الراي الليف اللبيس الابرميس الاتونس اللباء العميان المناقير القلميدس الحلبوة الرقاص القريدس الجبر هو كباره الصيح المجزع الدلينس الاشبال المساك الأبيض

---

(١) توحيد المفضل : ١١١ .

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٧٥، لكن في شرح ابن ميثم٣ : ٣٠٧ نحو المصرية.

الزقزوق ام عبيد السلور ام الاسنان الابسارية اللجاه[1].

قلت: ومنه الجري والمارماهي وهما محرّمان.

في (توحيد المفضل): تأمّل خلق الحوت ومشاكلته للأمر الذي قدّر أن يكون عليه، فانّه خلق غير ذي قوائم، لأنّه لا يحتاج إلى المشي إذا كان مسكنه الماء، وخلق غير ذي رئة لا يستطيع أن يتنفس وهو منغمس في اللجة، وجعلت له مكان القوائم أجنحة شداد يضرب بها في جانبيه كما يضرب الملاح بالمجاديف من جانبي السفينة كسي جسمه قشوراً متاناً متداخلة كتداخل الدروع والجواشن لتقيه من الآفات؛ وأُعين بفضل حسّ في الشم لأن بصره ضعيف والماء يحجبه فصار يشم الطعم من البعد البعيد فينتجعه فيتّبعه، وإلّا فكيف يعلم به وبموضعه؟ واعلم أنّ من فمه إلى صماخيه منافذ، فهو يعب الماء بفيه ويرسله من صماخيه فيتروح إلى ذلك كما يتروح غيره من الحيوان إلى تنسم هذا النسيم.

فكّر الآن في كثرة نسله وما خصّ به من ذلك، فانّك ترى في جوف السمكة الواحدة من البيض ما لا يحصى كثرة، والعلّة في ذلك أن يتسع لما يغتذي به من أصناف الحيوان، فإن أكثرها يأكل السمك، حتى انّ السباع في حافات الآجام عاكفة على الماء أيضاً كي ترصد السمك، فإذا مرّ بها خطفته، فلما كانت السباع تأكل السمك، والطير تأكل السمك، والناس يأكلون السمك، والسمك تأكل السمك، كان من التدبير فيه أن يكون على ما هو عليه من الكثرة، فإذا أردت أن تعرف سعة حكمة الخالق وقصر علم المخلوقين فانظر إلى ما في البحار من ضروب السمك ودواب الماء والأصداف والأصناف التي لا تحصى ولا يعرف منافعها إلّا الشيء بعد الشيء يدركه الناس بأسباب

---

(١) معجم البلدان ٢: ٥٣.

تحدث، مثل القرمز فإنّه عرف الناس صبغه، بأن كلبة تجول على شاطئ البحر فوجدت شيئاً من الصنف الذي يسمى الحلزون فأكلته فاختضب خطمها بدمه، فنظر الناس إلى حسنه فاتخذوه، وأشباه هذا مما يقف الناس عليه حالاً بعد حال وزماناً بعد زمان[١]. «والفيلة» من غرابة الخلقة.

في (توحيد المفضل): تأمل مشفر الفيل وما فيه من لطيف التدبير، فانه يقوم مقام اليد في تناول العلف والماء وازدرادهما إلى جوفه، ولولا ذلك لما استطاع أن يتناول شيئاً من الأرض لأنّه ليست له رقبة يمدها كسائر الأنعام، فلما عدم العنق أُعين مكان ذلك بالخرطوم الطويل ليسدله فيتناول به حاجته، فمن ذا الذي عوّضه مكان العضو الذي عدم، ما يقوم مقامه إلّا الرؤف بخلقه، وكيف يكون هذا بالإهمال كما قالت المعطّلة.

فإن قال قائل: فما باله لم يخلق ذا عنق كسائر الأنعام؟ قيل له: إنّ رأس الفيل وأُذنيه أمر عظيم وثقل ثقيل، فلو كان ذلك على عنق عظيم لهدّها وأوهنها، فجعل رأسه ملصقاً بجسمه لكيلا يناله ما وصفناه، وخلق له مكان العنق هذا المشفر ليتناول به غذاءه، فصار مع عدم العنق مستوفياً ما فيه بلوغ حاجته.

انظر الآن كيف جعل حياء الأُنثى من الفيلة على خلاف ما عليه في غيرها من الأنعام في أسفل بطنها، فإذا هاجت للضِّراب ارتفع وبرز حتى يتمكن الفحل من ضرابه، فاعتبر كيف جعلت فيه هذه الخلة ليتهيأ للأمر الذي فيه قوام النسل ودوامه[٢].

«ووأى» أي: وعد «على نفسه ألّا يضطرب» أي: يتحرّك «شبح» أي: شخص

---

(١) توحيد المفضل ١٢٣، والنقل بتصرف يسير.

(٢) توحيد المفضل: ١٠٣، والنقل بتصرف يسير.

«مما أولج» أي: ادخل «فيه الروح إلّا وجعل الحِمام» بالكسر أي: الموت «موعده والفناء غايته» أي: عاقبة أمره.

وفي (الفقيه) عنه عليه السلام: من مشى على وجه الأرض فانّه يصير إلى بطنها، والليل والنهار مسرعان في هدم الأعمار، ولكلّ ذي رمق قوت، ولكلّ حبّة آكل، وأنت قوت الموت، وان من عرف الأيام لن يغفل عن الاستعداد، لن ينجو من الموت غني بماله ولا فقير لإقلاله[1].

هذا، وفي (الكافي) عن الرضا عليه السلام: الطاوس مُسخ، كان رجلاً جميلاً فكابر امرأة رجل مؤمن تحبّه فوقع بها ثم راسلته بعد، فمسخهما الله تعالى طاوسين أنثى وذكراً، ولا يؤكل لحمه ولا بيضه.

وفيه أيضاً عنه عليه السلام أنّ الفيل كان ملكاً زنّاء فمسخ.

وعن الكاظم عليه السلام: لا يحلّ الفيل وقد حرّم الله الأمساخ ولحم ما مثّل به في صورها[2].

وروى عن يعقوب الجعفري ذكر عند أبي الحسن عليه السلام حسن الطاوس فقال: لا يزيدك على حسن الدِّيك الأبيض شيء، والدِّيك أحسن صوتاً من الطاوس وهو أعظم بركة، ينبّهك في مواقيت الصلاة وإنّما يدعو الطاوس بالويل لخطيئته التي ابتلي بها[3].

وعن (تنبيه ورام): دخل طاوس اليماني على جعفر بن محمد عليه السلام فقال له: أنت طاوس؟ قال: نعم، قال: طاوس طير مشؤوم ما نزل بساحة قوم إلا آذنهم بالرحيل[4].

---

(١) الفقيه ٤: ٢٩١ ح٥٦.

(٢) الكافي ٦: ٢٤٥ ـ ٢٤٧ ح٤ و ١٤ و ١٦.

(٣) الكافي ٦: ٥٥٠ ح٣.

(٤) تنبيه الخواطر ١: ١٥.

هذا، وفي (القاموس) طويس مخنّث كان يسمّى طاوساً فلما تخنث تسمى بطويس، وهو أول من غنّى في الإسلام، وفي المثل «أشأم من طويس»، وكان يقول إنّ أُمي تمشي بالنمائم بين نساء الأنصار ثم ولدتني في الليلة التي مات فيها النبيّ ﷺ ـ إلى أن قال ـ وولد لي في يوم قتل عليّ[1]. وزاد في أمثال الكرماني، انّ طويساً كان يقول:

أنا أبو عبد النعيم ... أنا طاوس الجحيم

وأنا أشأم من دبب ... على ظهر الحطيم

أنا حاء ثم لام ... ثم قاف حشوميم[2]

يعني الحلقم. وكان يقال لعلي بن طاوس، آل طاوس لمقاماته الجليلة ومكارمه النبيلة.

وفي (تأريخ الطبري) ـ في فتوح قتيبة في سنة (٩١) ـ ثم مضى إلى بخارى فنزل قرية فيها بيت نار وبيت آلهة، وكان فيها طواويس فسمّوه منزل الطواويس[3].

ولأبي إسحاق الصابي فيما كتب إلى أبي الفرج عبد الواحد بن نصر الملقّب ببغاء في صفة الببغاء أبيات حسنة:

أنعتها صبيحةً مليحة ... ناطقةً باللغة الفصيحة

غدت من الأطيار باللسان ... يوهمني بأنّها إنسان

تنهي إلى صاحبها الأخبارا ... وتكشف الأسرار والأستارا

سكاء إلّا أنّها سميعة ... تُعيد ما تسمعه طبيعة

---

(١) القاموس المحيط ٢: ٢٢٧، مادة (طوس).

(٢) مجمع الأمثال ١: ٢٥٨.

(٣) تاريخ الطبري ٥: ٢٤٢ لسنة ٩١.

وربّما لقّبت العضيهة فتغتدي بذيئةً سفيهة
زارتك من بلادها البعيدة واستوطنت عندك كالقعيدة
ضيف قراه الجوز والارز والضيف في أبياتنا يعزّ
تراه في منقارها الخلوقي كلؤلؤ يلقط بالعقيق
تنظر من عينين كالفصين في النور والظلمة بصاصين
تميس في حلّتها الخضراء مثل الفتاة الغادة العذراء
خريدة خدورها الأقفاص ليس لها من حبسها خلاص
تحبسها ومالها من ذنبٍ وإنّما تحبسها للحبِّ
تلك التي قلبي بها مشغوفُ كنيت عنها واسمها معروفُ
نشرك فيها شاعر الزمان والكاتب المعروف بالبيان
وذاك عبد الواحد بن نصر تقيه نفسي عاديات الدهر

قول المصنف: «قال الشريف» هكذا في (المصرية) وليس من النهج، وإنّما هو من الشرّاح «تفسير بعض ما جاء فيها من الغريب» هكذا في (المصرية والخطية)، ولكن في (ابن أبي الحديد) «تفسير بعض ما في هذه الخطبة من الغريب»، ولكن العجيب انه ليس البيان في (ابن ميثم) رأساً[١].

«يؤرّ بملاقحه» هكذا في (المصرية) ولكن في (الخطيّة) «ويؤر بملاقحه» وفي (ابن أبي الحديد) «قوله عليه السلام ويؤر بملاقحه»[٢].

«الأرّ كناية عن النكاح» المفهوم منه أن النكاح ليس معناه المطابقي بل الإلتزامي «يقال أرّ المرأة يؤرها» هكذا في (المصرية والخطية)، وفي (ابن أبي

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٧٨، وشرح ابن ميثم ٣: ٣٠٧.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٧٨.

الحديد): يقال أرّ الرجل المرأة يؤرها[1] «أي نكحها» هكذا في (المصرية) والصواب: «إذ أنكحها» كما في (ابن أبي الحديد والخطية)[2].

«وقوله كأنّه قلع داري عنجه نوتيّه» زاد ابن أبي الحديد بعد «قوله» «عليه السلام»[3] «القلع شراع السفينة وداري منسوب إلى دارين وهي بلدة على البحر يجلب منها الطيب».

وفي (المعجم): فرضة بالبحرين يجلب اليها المسك من الهند، والنسبة إليها داري، قال الفرزدق:

كأن تريكة من ماء مزن ... وداري الذكي من المدام[4]

«وعنجة أي: عطفة، يقال عنجت الناقة كنصرت» هكذا في (المصرية) وكلمة «كنصرت» زائدة لعدم وجودها في (الخطيّة) وفي (ابن أبي الحديد)[5]، ولكونه غلطاً، لأن الأصل فيه كونه من باب ضرب ويأتي من باب نصر أيضاً «أعنجها عنجاً إذا عطفتها» وفي (اللسان): عنج رأس البعير جذبه بخطامه حتى رفعه وهو راكب عليه[6].

«والنوتي الملاح» وفي (الصحاح): هو من كلام أهل الشام[7].

«وقوله عليه السلام «ضفتي جفونه» أراد» ليست الكلمة في (ابن أبي الحديد)[8] وانما هي في (المصرية) «جانبي جفونه والضفتان الجانبان» يقال ضفة النهر بالكسر لجانبه.

(١ و ٢ و ٣) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٧٨.

(٤) معجم البلدان ٢: ٤٣٢.

(٥) توجد الزيادة في شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٧٨.

(٦) لسان العرب ٢: ٣٢٩ مادة (غنج).

(٧) صحاح اللغة ١: ٢٦٩ مادة (نوت).

(٨) توجد الكلمة في شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٧٩.

٣
الخطبة (١٨٣)

منها في صفة عجيب خلق أصناف من الحيوانات:

وَلَوْ فَكَّرُوا فِي عَظِيمِ ٱلْقُدْرَةِ، وَجَسِيمِ ٱلنِّعْمَةِ، لَرَجَعُوا إِلَى ٱلطَّرِيقِ وَخَافُوا عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ، وَلكِنِ ٱلْقُلُوبُ عَلِيلَةٌ وَٱلْبَصَائِرُ مَدْخُولَةٌ. أَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى صَغِيرِ مَا خَلَقَ كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ وَأَتْقَنَ تَرْكِيبَهُ، وَفَلَقَ لَهُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ، وَسَوَّى لَهُ ٱلْعَظْمَ وَٱلْبَشَرَ. ٱنْظُرُوا إِلَى ٱلنَّمْلَةِ فِي صِغَرِ جُثَّتِهَا وَلِطَافَةِ هَيْئَتِهَا، لَا تَكَادُ تُنَالُ بِلَحْظِ ٱلْبَصَرِ وَلَا بِمُسْتَدْرَكِ ٱلْفِكَرِ، كَيْفَ دَبَّتْ عَلَى أَرْضِهَا وَصُبَّتْ عَلَى رِزْقِهَا، تَنْقُلُ ٱلْحَبَّةَ إِلَى جُحْرِهَا وَتُعِدُّهَا فِي مُسْتَقَرِّهَا، تَجْمَعُ فِي حَرِّهَا لِبَرْدِهَا وَفِي وِرْدِهَا لِصَدَرِهَا، مَكْفُولَةٌ بِرِزْقِهَا مَرْزُوقَةٌ بِوَفْقِهَا، لَا يُغْفِلُهَا ٱلْمَنَّانُ وَلَا يَحْرِمُهَا ٱلدَّيَّانُ، وَلَوْ فِي ٱلصَّفَا ٱلْيَابِسِ وَٱلْحَجَرِ ٱلْجَامِسِ. وَلَوْ فَكَّرْتَ فِي مَجَارِي أَكْلِهَا فِي عُلْوِهَا وَسُفْلِهَا، وَمَا فِي ٱلْجَوْفِ مِنْ شَرَاسِيفِ بَطْنِهَا، وَمَا فِي ٱلرَّأْسِ مِنْ عَيْنِهَا وَأُذُنِهَا، لَقَضَيْتَ مِنْ خَلْقِهَا عَجَباً وَلَقِيتَ مِنْ وَصْفِهَا تَعَباً. فَتَعَالَى ٱلَّذِي أَقَامَهَا عَلَى قَوَائِمِهَا، وَبَنَاهَا عَلَى دَعَائِمِهَا، لَمْ يَشْرَكْهُ فِي فِطْرَتِهَا فَاطِرٌ، وَلَمْ يُعِنْهُ فِي خَلْقِهَا قَادِرٌ.

وَلَوْ ضَرَبْتَ فِي مَذَاهِبِ فِكْرِكَ لِتَبْلُغَ غَايَاتِهِ مَا دَلَّتْكَ ٱلدَّلَالَةُ إِلَّا عَلَى أَنَّ فَاطِرَ ٱلنَّمْلَةِ هُوَ فَاطِرُ ٱلنَّخْلَةِ، لِدَقِيقِ تَفْصِيلِ كُلِّ شَيْءٍ، وَغَامِضِ ٱخْتِلَافِ كُلِّ حَيٍّ وَمَا ٱلْجَلِيلُ وَٱللطِيفُ وَٱلثَّقِيلُ وَٱلْخَفِيفُ وَٱلْقَوِيُّ وَٱلضَّعِيفُ فِي خَلْقِهِ إِلَّا سَوَاءٌ وَكَذَلِكَ ٱلسَّمَاءُ وَٱلْهَوَاءُ وَٱلرِّيَاحُ وَٱلْمَاءُ. فَانْظُرْ إِلَى ٱلشَّمْسِ وَٱلْقَمَرِ وَٱلنَّبَاتِ وَٱلشَّجَرِ وَٱلْماءِ وَٱلْحَجَرِ، وَٱخْتِلافِ هذَا ٱلليْلِ وَٱلنَّهَارِ وَتَفَجُّرِ هذِهِ ٱلْبِحَارِ وَكَثْرَةِ هَذِهِ ٱلْجِبَالِ وَطُولِ هَذِهِ ٱلْقِلَالِ وَتَفَرُّقِ هذِهِ ٱللغَات وَٱلْأَلْسُنِ ٱلْمُخْتَلِفَاتِ فَالْوَيْلُ لِمَنْ جَحَدَ

ٱلْمُقَدِّرَ وَأَنْكَرَ ٱلْمُدَبِّرَ.

زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ ما لَهُمْ زَارِعٌ وَلَا لِاخْتِلَافِ صُوَرِهِمْ صَانِعٌ، وَلَمْ يَلْجَأُوا إِلَى حُجَّةٍ فِيما ٱدَّعَوْا وَلَا تَحْقِيقٍ لِمَا أَوْعَوْا وَهَلْ يَكُونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ بَانٍ أَوْ جِنَايَةٌ مِنْ غَيْرِ جَانٍ.

وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ فِي ٱلْجَرَادَةِ، إِذْ خَلَقَ لَهَا عَيْنَيْنِ حَمْرَاوَيْنِ، وَأَسْرَجَ لَهَا حَدَقَتَيْنِ قمراوين، وَجَعَلَ لَهَا ٱلسَّمْعَ ٱلْخَفِيَّ، وَفَتَحَ لَهَا ٱلْفَمَ ٱلسَّوِيَّ، وَجَعَلَ لَهَا ٱلْحِسَّ ٱلْقَوِيَّ، وَنَابَيْنِ بِهِمَا تَقْرِضُ، وَمِنْجَلَيْنِ بِهِمَا تَقْبِضُ، يَرْهَبُهَا ٱلزُّرَّاعُ فِي زَرْعِهِمْ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ذَبَّهَا وَلَوْ أَجْلَبُوا بِجَمْعِهِمْ، حَتَّى تَرِدَ ٱلْحَرْثَ فِي نَزَوَاتِهَا وَتَقْضِيَ مِنْهُ شَهَوَاتِهَا، وَخَلْقُهَا كُلُّهُ لَا يُكَوِّنُ إِصْبَعاً مُسْتَدِقَّةً. فَتَبَارَكَ ٱللهُ ٱلَّذِي يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً، وَيُعَنُو لَهُ خَداً وَوَجْهاً، وَيُلْقِي إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ سِلْماً وَضَعْفاً، وَيُعْطِي لَهُ ٱلْقِيَادَ رَهْبَةً وَخَوْفاً. فَالطَّيْرُ مُسَخَّرَةٌ لِأَمْرِهِ، أَحْصَى عَدَدَ الرِّيشِ مِنْهَا وَٱلنَّفَسَ، وَأَرْسَى قَوَائِمَهَا عَلَى ٱلنَّدَى وَٱلْيَبَسِ، وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهَا وَأَحْصَى أَجْنَاسَهَا. فَهَذَا غُرَابٌ وَهَذَا عُقَابٌ، وَهَذَا حَمَامٌ، وَهَذَا نَعَامٌ، دَعَا كُلَّ طَائِرٍ بِاسْمِهِ وَكَفَلَ لَهُ بِرِزْقِهِ، وَأَنْشَأَ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ فأهطل دِيَمَهَا وَعَدَّدَ قِسَمَهَا، فَبَلَّ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ جُفُوفِهَا، وَأَخْرَجَ نَبْتَهَا بَعْدَ جُدُوبِهَا.

قول المصنف: «منها في صفة عجيب خلق أصناف من الحيوانات» هكذا في (المصرية)، والصواب: «من الحيوان» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[1]، ثم المراد «بأصناف من الحيوان» النملة والجرادة والغراب والعقاب والحمام والنعام.

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٥٥، لكن في شرح ابن ميثم ٤: ١٢٩ نحو المصرية.

ثم الخطبة التي فيها العنوان مما اختلفت النسخ في محلها كما صرح به ابن ميثم، فنقلها ابن أبي الحديد والكيذري بعد «المتقين» بخطب، وغيرهما قبل «المتقين» بخطب[١].

قوله عليه السلام «ولو فكّروا» قال الجوهري: فكّروا وأفكروا وتفكّروا بمعنى واحد[٢].

«في عظيم القدرة» أي: قدرته العظيمة «وجسيم النعمة» أي: نعمته الجسيمة «لرجعوا إلى الطريق» أي: طريق الحقّ «وخافوا عذاب الحريق» أي: جهنم.

«ولكن القلوب عليلة» ﴿لهم قلوب لا يفقهون بها﴾[٣] «والبصائر مدخولة» كذهب دخله الغشّ ﴿ولهم أعين لا يبصرون بها﴾[٤].

«ألا ينظرون إلى صغير ما خلق كيف أحكم خلقه» أي: جعله مُحْكَماً لو لم تكن قلوبهم عليلة «وأتقن تركيبه» لو لم تكن بصائرهم مدخولة.

﴿أو لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلّا بالحقّ وأجل مسمّى وإنّ كثيراً من الناس بلقاء ربّهم لكافرون﴾[٥].

في (الأهليلجة) ـ في جواب المفضل في كثرة الزنادقة ـ لعمري ما أتى الجهال من قبل ربّهم وإنّهم ليرون الدلالات الواضحات والعلامات البيّنات في خلقهم، وما يعاينون من ملكوت السماوات والأرض والصنع العجيب المتقن الدال على الصانع، ولكنهم قوم فتحوا على أنفسهم أبواب المعاصي، وسهّلوا

---

(١) شرح ابن ميثم ٣: ٤١٣، وشرح ابن أبي الحديد ١٠: ١٣٢ و ١٣: ٥٥.

(٢) صحاح اللغة ٢: ٧٨٣ مادة (فكر).

(٣) الاعراف: ١٧٩.

(٤) المصدر السابق.

(٥) الروم: ٨.

لها سبيل الشهوات، فغلبت الأهواء على قلوبهم واستحوذ الشيطان بظلمهم عليهم، وكذلك يطبع الله على قلوب المعتدين. والعجب من مخلوق يزعم أنّ الله تعالى يخفى على عباده، وهو يرى أثر الصنع في نفسه بتركيب يبهر عقله وتأليف يبطل حجّته، ولعمري لو تفكّروا في هذه الأُمور العظام لعاينوا من أمر التركيب البيّن ولطف التدبير الظاهر، ووجود الأشياء مخلوقة بعد أن لم تكن، ثمّ تحولها من طبيعة إلى طبيعة وصنيعة بعد صنيعة، ما يدلّهم ذلك على الصانع، فانّه لا يخلو شيء منها من أن يكون فيه أثر تدبير وتركيب يدلّ على أنّ له خالقاً مدبّراً، وتأليف تدبير يهدي إلى واحد حكيم[١].

«وفلق» أي: شقّ «له السمع والبصر» وهو دليل كمال قدرته وحكمته «وسوّى له العظم والبشر» ظاهر الجلد وما سوى العظم.

«انظروا إلى النملة في صغر جثتها» أي: جسدها «ولطافة هيئتها» أي: صغرها «لا تكاد» أي: لا يقرب «تنال» أي: تصاب «بلحظ البصر» أي: دقيق النظر بمؤخّر العين «ولا بمستدرك الفِكَر» أي: ولا تنال خصوصيات النّملة بالفِكْر الذي يستدرك أشياء لا تنال بلحظ البصر.

«كيف دبّت» أي: جرت «على أرضها وصبّت على رزقها» هذه الكلمة في غاية الفصاحة، كقوله تعالى: ﴿فصبّ عليهم ربّك سوط عذاب﴾[٢]. فالأصل في الصبّ صبّ الماء، والنمل إذا استشمت بشمّها القوي ليس شمّ فوقه، صبت أنفسها عليه كصب الماء على محل حتى يغمره ولا يبصر المحل، وكذلك صب النمل أنفسها على قوت بحدّ لا يرى ذاك القوت.

«تنقل الحبة إلى جحرها» بتقديم الجيم: مسكن الحشرات تحت الأرض.

---

(١) نقله المجلسي في البحار ٣: ١٥٢.

(٢) الفجر: ١٣.

قال: ولا ترى الضب بها ينجحر[١].

وأما الحديث العامّي «إذا حاضت المرأة حرم الجحران»[٢] فتشبيه، كقول الشاعر:

لنعم القوم في الأزمات قومي بنو كعب إذا جحر الربيع[٣]

أي: إذا أدخل الربيع لعدم نزول المطر فيه، الناس في مساكنهم، كما تدخل الحشرات في جحراتها.

«وتعدها» بالضم من «أعده» أي: هيّأه «في مستقرها» تحت الأرض.

«تجمع في حرّها» أي: الصيف «لبردها» أي: الشتاء «وفي ورودها» أي: تجمع في ورودها جحرها أيام الشتاء «لصَدَرها» وخروجها أيام الصيف التي تكون الأرض يابسة.

ثم في جميع النسخ[٤] «وفي ورودها» لكن مقابل الصدر بفتحتين الورد بالكسر فالسكون. قال الجوهري: الوِرْد خلاف الصَدَر[٥]، وقال ابن دريد: الورد إتيان الماء ثم صار إتيان كلّ شيء وِرْداً[٦]، وقال:

ردى ردى ورد قطاة صماء ولو أرادت ورده لاستوردا[٧]

«مكفولة برزقها» هكذا في (المصرية)، والصواب: «مكفول» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٨]، فهكذا كان النهج، ولعل من جعله «مكفولة»

---

(١) أورده اساس البلاغة : ٥٢ مادة (جحر).

(٢) رواه ابن الأثير في النهاية ١: ٢٤٠ مادة (حجر).

(٣) أورده أساس البلاغة: ٥٢ مادة (جحر).

(٤) كذا في نهج البلاغة ٢: ١١٦، وشرح ابن ميثم ٤: ١٢٩، لكن في شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٥٥، «وردها».

(٥) صحاح اللغة ١: ٥٤٦ مادة (وردها).

(٦) جمهرة اللغة ٣: ٤٣٣.

(٧) قريب منه أورده في اساس البلاغة : ٤٩٥، مادة (ورد) .

(٨) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٥٥، لكن في شرح ابن ميثم ٤: ١٢٩ «مكفولة».

أراد التصحيح حيث ان المسند اليه النملة كقوله بعد «مرزوقة بوفقها» قال الشاعر:

أما الفقير الذي كانت حلوبته وفق العيال فلم يترك له سبد

«لا يغفلها المنّان» أي: المعطي المنعم كما في (معاني الأخبار)(١).

وفي خبر: إذا قال العبد «يا عظيم المنّ» أعطاه الله يوم القيامة أمنيته وأمنية الخلائق(٢).

«ولا يحرمها الديّان» أي: المجازي والمكافي «ولو في الصفا» أي: الصخرة الملساء، يقال «ما تندي صفاته» «اليابس» والمراد المستحكم «والحجر الجامس» أي: الجامد.

عن (تفسير العياشي) عن الصادق عليه السلام: لمّا قال يوسف للذي نجا من صاحبي سجنه «اذكرني عند ربك» أتاه جبرئيل فضرب برجله حتى كشط له عن الأرض السابعة، فقال له: يا يوسف انظر ماذا ترى؟ قال: أرى حجراً صغيراً، ففلق الحجر، فقال: ماذا ترى؟ قال: أرى دودة صغيرة. قال: فمن رازقها؟ قال: الله. قال: فإن ربك يقول لم أنسَ هذه الدودة في ذاك الحجر في قعر الأرض السابعة، أظننت أنّي أنساك حتى تقول للفتى اذكرني عند ربك، لتلبَثنَّ في السجن بمقالتك هذه بضع سنين ـ الخبر(٣).

وفي (توحيد المفضّل): انظر الى النمل واحتشاده في جمع القوت وإعداده، فانك ترى الجماعة منها إذا نقلت الحبّ إلى زبيتها بمنزلة جماعة من الناس ينقلون الطعام أو غيره، بل للنمل في ذلك من الجد والتشمير ما ليس

---

(١) قاله الصدوق في التوحيد : ٢١٢ لامعاني الاخبار.

(٢) جاء روايات قريبة منه في بحار الأنوار ٩٣: ٢٢٣ باب ١١.

(٣) تفسير العياشي ٢: ١٧٧ ح٢٧.

للناس مثله، أما تراهم يتعاونون على النقل كما يتعاون الناس على العمل، ثم يعمدون إلى الحبّ فيقطعونه قطعاً لكيلا ينبت فيفسد عليهم، فان أصابه ندى أخرجوه فنشروه حتى يجفّ. ثم لا يتخذ النمل الزبية إلّا في نشز من الأرض كيلا يفيض السيل فيغرقها، وكلّ هذا منه بلا عقل ولا روية بل خلقة خلق عليها لمصلحة من الله عزّوجلّ[١].

وفي (حياة حيوان الدميري): وله في الإحتكار من الحيل ما أنّه إذا احتكر ما يخاف إنباته قسّمه نصفين، ما خلا الكسفرة فإنّه يقسمها ارباعاً لما ألهم من ان كل نصف منها ينبت، وإذا خاف العفن على الحب أخرجه إلى ظاهر الأرض ونشره، وأكثر ما يفعل ذلك ليلاً في ضوء القمر[٢].

وقال ابن أبي الحديد: قال الجاحظ: ولها مع لطافة شخصها وخفّة وزنها في الشمّ والإسترواح ما ليس لشيء! فربما أكل الإنسان الجراد أو يشبهه فيسقط من يده واحدة أو صدر واحدة وليس بقربه ذرة ولا له عهد بالذرّ في ذلك المنزل، فلا يلبث أن تقبل ذرّة قاصدة إلى تلك الجرادة فترومها وتحاول نقلها وجرها إلى جحرها، فإذا أعجزتها بعد أن تبلى عذراً مضت إلى جحرها راجعة، فلا يلبث أن يجدها قد أقبلت وخلفها كالخيط الأسود الممدود، حتى يتعاون عليها فيحملنّها، فأعجب من صدق الشم لما لا يشمه الإنسان الجامع ثم انظر إلى بعد الهمّة، والجرأة على محاولة نقل شيء في وزن جسمها مائة مرّة بل أضعاف أضعاف المائة، وليس شيء من الحيوان يحمل ما يكون أضعاف وزنه مراراً كثيرة غيره.

ومن أعاجيب الذّرّة أنّها لا تعرض لجعل ولا جرادة ولا خنفساء ولا

---

(١) توحيد المفضل : ١١١ .

(٢) حياة الحيوان ٢: ٣٦٦.

بنت وردان ما لم يكن بها خبل أو عقر أو قطع يد أو رجل، فإن وجدت بها من ذلك أدنى علّة وثبت عليها حتّى لو أن حيّة بها ضربة أو خدش، ثم كانت من ثعابين مصر لوثب عليها الذّرّ حتى يأكلها، ولا تكاد الحيّة تسلم من الذرّ إذ كان بها أدنى عقر، وقد عذّب الله بالذرّ أمماً، وأخرج أهل قرى من قراهم، وأهل دروب من دروبهم.

وعذب عمر بن هبيرة سعيد بن عمرو الحرشي بأنواع العذاب، فقيل له ان أردت أن لا يفلح أبداً فمرهم فلينفخوا في دبره النمل، ففعلوا فلم يفلح بعدها.

وزعم البقطري أنّك لو أدخلت نملة في جحر ذرّ لأكلتها حتى تأتي عامتها.

وزعم (صاحب المنطق) أنّ الضبع تأكل النمل أكلاً ذريعاً، وربما أفسدت الأرضة منازلهم وأكلت كلّ شيء لهم، فلا تزال كذلك حتى ينشأ في تلك القرى النّمل فيسلّط الله تعالى ذلك النمل على تلك الأرضة حتى تأتي على آخرها.

وقد زعم بعضهم أن تلك الأرضة بأعيانها تستحيل نملاً، لأكل النمل لها وكان ثمامة يرى أنّ الذّرّ صغار النمل، ونحن نراه نوعاً آخر كالبقر والجواميس.

ومن أسباب هلاكه نبات أجنحته، ويقتل النمل بأن يصبّ في أفواه بيوتها القطران والكبريت الأصفر[1].

«**ولو فكّرت في مجاري أكلها في علوها**» هكذا في (المصرية) والصواب: «وفي علوها» كما (في ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[2] «وسفلها» إنّما

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٣ : ٥٨ ـ ٦٣ .

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٥٥، لكن لم توجد الواو في شرح ابن ميثم ٤: ١٢٩.

قال عليه السلام «وفي علوها وسفلها» لأنّها مخلوقة نصفين وبينهما اتصال.

وفي (تاريخ بغداد): قال مقاتل يوماً سلوني عمّا دون العرش. فقال له رجل: أرأيت النملة أمعاؤها في مقدمها أو مؤخرها، فبقي لا يدري ما يقول[١].

«وما في الجوف من شراسيف» أي: أطراف الأضلاع التي تشرف على البطن «بطنها».

قال ابن أبي الحديد: الحكماء فانهم لا يثبتون للنمل شراسيف ولا أضلاعاً ويجب إن صح قولهم أن يحمل كلام أمير المؤمنين عليه السلام على اعتقاد الجمهور ومخاطبة العرب بما تتخيّله وتتوهمه حقّاً[٢].

ونقل الخوئي كلام الدميري «ليس للنمل جوف ينفذ فيه الطعام وانما قوته إذا قطع الحب في استنشاق ريحه». وقال: التجربة تشهد بخلافه، فشاهدنا كثيراً أنّ الذرّ تجتمع على حبوبات، وتأكلها حتّى تفنيها[٣].

«وما في الرأس من عينها وأُذنها» قال ابن أبي الحديد: لا يثبت الحكماء للنمل آذاناً بارزة عن سطوح رؤوسها. ويجب إن صحّ ذلك أن نحمل كلام أمير المؤمنين عليه السلام على قوّة الإحساس بالأصوات، فإنّه لا يمكن للحكماء إنكار وجود هذه القوّة للنمل[٤].

قلت: لو كانت لها آذان بارزة، لكانت تلد كالخُفّاش.

«لقضيت من خلقها عجباً» قال ابن أبي الحديد: ذكر الحكماء من عجائب النمل أشياء: منها أنّه لا جلد له، وكذلك كلّ الحيوان المخرز، ومنها أنّه لا يوجد في صقلية نمل كبار أصلاً، ومنها أنّ النمل بعضه ماشٍ وبعضه طائر، ومنها

---

(١) تاريخ بغداد ١٣: ١٦٦.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٦٣.

(٣) شرح الخوئي ٥: ١٣٧، وحياة الحيوان ٢: ٣٦٦.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٦٣.

أنّ حراقة النمل إذا أُضيف إليها شيء من قشور البيض وريش هدهد وعلقت على العضد منعت من النوم(١).

وقال الخوئي: قال الدميري: ومن عجائب النمل اتخاذ القرية تحت الأرض وفيها منازل ودهاليز وغرف وطبقات معلّقات تملأها حبوباً وذخائر للشتاء، ومنه ما يسمّى الذرّ الفارسي ـ وهو من النّمل بمنزلة الزنابير من النحل ـ ومنه ما يسمّى بنمل الأسد لأنّ مقدمه يشبه وجه الأسد ومؤخره يشبه النمل. وسمّيت النملة نملة لتنمّلها، وهو كثرة حركتها وقلّة قوائمها. والنمل لا يتزاوج ولا يتناكح، انما يسقط منه شيء حقير في الأرض فينمو حتى يصير بيظاً. حتى يتكوّن منه، ويحفر قرية بقوائمه وهي ست وجعل فيها تعاريج لئلا يجري اليها المطر.

وروى الطبراني والدارقطني: أنّه لمّا كلّم الله تعالى موسى عليه السلام كان يبصر دبيب النّملة على الصفا في الليلة الظلماء من مسيرة عشرة فراسخ.

وقال البيهقي: كان عدي بن حاتم يفتّ الخبز لهن ويقول إنّهنّ جارات لهنّ علينا حقّ الجوار.

ويأتي في الوحش عن الفتح بن سخرب الزاهد انّه كان يفتّ الخبز لهنّ في كلّ يوم، فإذا كان يوم عاشوراء لم تأكله.

والبيض كلّه بالضاد المعجمة الابيظ النمل فإنّه بالظاء(٢).

قلت: لم أرَ من ذكره غيره، وانما في الجمهرة «البيظ» زعموا مستعمل وهو ماء الفحل ولا أدري ما صحته، وقال قوم: ماء المرأة(٣).

شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٦٣.

(٢) شرح الخوئي ٥: ١٣٧ و ١٣٨، وحياة الحيوان ٢: ٣٦٦ و ٣٦٧.

(٣) جمهرة اللغة ١: ٣١٢.

وفي (تفسير القمي): في قوله تعالى: ﴿حتى إذا أتوا على واد النمل﴾[١]: واد النمل، واد ينبت الذهب والفضة، وقد وكّل الله به النمل لو رامه البخاتي من الإبل ما قدر عليه[٢].

وفي (حياة حيوان الدميري): إذا سحق بيظ النمل وطلى به موضع الشعر منع إنبات الشعر، وإذا نثر بيظه بين قوم تفرّقوا شذر مذر، ومن سقى منه وزن درهم لم يملك أسفله، وإن سدّت قريته بأختاء البقر يهرب من مكانه وكذلك يفعل روث القط، وإذا سدّ جحر النمل بحجر المغناطيس مات، وإذا دقت الكراويا وجعلت في جحر النمل منعتهنّ الخروج وكذلك الكمون، وإذا صبّ ماء السداب في قرية النمل قتله، وان علقت خرقةامرأة حائض حول شيء لم يقربه النمل، وإذا أخذت سبع نملات طوال وتركتها في قارورة مملوة بدهن الزيبق وسددت رأسها ودفنتها في رمل يوماً وليلة ثم أخرج وصفى الدهن عنها ثمّ مسح به الإحليل هيّج الباه[٣].

هذا، وفي (الكافي) عنه عليه السلام: يا معشر التجار؛ الفقه ثمّ المتجر، الفقه ثمّ المتجر، الفقه ثمّ المتجر، والله للربا في هذه الأُمّة أخفى من دبيب النمل على الصفا[٤].

وروى (الخصال): أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله نهى عن قتل ستة، النحلة والنملة والضفدع والصرد والهدهد -إلى أن قال- وأمّا النملة فانّهم قحطوا على عهد سليمان فخرجوا يستسقون فإذا هم بنملة قائمة على رجليها مادة يدها إلى السماء وهي تقول «اللّهمّ إنّا خلق من خلقك لا غنى بنا عن فضلك فارزقنا من

(١) النمل: ١٨ .

(٢) تفسير القمي ٢: ١٢٦.

(٣) حياة الحيوان ٢: ٣٧٠، والنقل بتصرف يسير.

(٤) الكافي ٥: ١٥٠ ح١.

عندك ولا تؤاخذنا بذنوب سفهاء ولد آدم» فقال سليمان عليه السلام: ارجعوا إلى منازلكم فإنّه تعالى قد سقاكم بدعاء غيركم[١].

وروى (عقاب الأعمال) عن الصادق عليه السلام: إنّ المتكبّرين يجعلون في صورة الذّرّ يتوطأهم الناس حتى يفرغ الله من الحساب[٢].

وفي (الأغاني): كان لهارون خدم صغار يسمّيهم النّمل، يتقدّمونه وبأيديهم قسي البندق يرمون بها من يعارضه في طريقه[٣][٤].

«ولو ضربت في مذاهب فكرك» يمكن أن يكون الكلام من قبيل قوله تعالى: ﴿وإذا ضربتم في الأرض﴾[٥] أي: سرتم، وان يكون من قبيل قول ذي الرمة:

ليالي اللهو تطبيني فاتبعه كأنني ضارب في غمرة لعب[٦]

أي: سابح **«لتبلغ غاياته»** أي: لتصل إلى حدّ هو منتهى ما يمكن أن يصل إليه فكرك **«ما دلّتك الدلالة إلّا على أن فاطر النّملة»** أي: خالقها الإبتدائي.

وعن ابن عباس: كنت لا أدري ما ﴿فاطر السموات والأرض﴾[٧] حتى أتاني اعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما أنا فطرتها أي: أنا ابتدأتها[٨] **«هو فاطر النخلة»**.

في (توحيد المفضل): فكّر في النخل، فانّه لمّا صار فيه إناث تحتاج إلى

---

(١) الخصال ١: ٣٢٦ ح١٨.

(٢) عقاب الأعمال: ٢٦٥ ح١٠.

(٣) لم أجده في الأغاني.

(٤) أسقط الشارح هنا فقرات «ولقيت من وصفها تعباً... ولم يعنه في خلقها قادر».

(٥) النساء: ١٠١.

(٦) أورده لسان العرب ١: ٥٤٩ مادة (ضرب).

(٧) الانعام: ١٤ ومواضع أُخرى.

(٨) اخرجه أبو عبيد في فضائله، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن ابي حاتم، والبيهقي في الشعب، عنهم الدر المنثور ٥: ٢٤٤.

التلقيح جعلت فيه ذكورة اللقاح، فصار الذكر من النخل بمنزلة الذّكر من الحيوان الذي يلقّح الإناث لتحمل. تأمّل خلقة الجذع كيف هو، فانك تراه كالمنسوج نسجاً من خيوط ممدودة كالسدى وأخرى معه معترضة كاللحمة كنحو ما ينسج بالأيدي وذلك ليشتدّ ويصلب، ولا يتقصف من حمل القنوان الثقيلة وهزّ الرياح العواصف إذا صار نخلة، وليتهيأ للسقوف والجسور وغير ذلك مما يتخذ منه إذا صار جذعاً، وكذلك ترى الخشب مثل النسج، فانك ترى بعضه متداخلاً بعضاً كتداخل أجزاء اللحم، وفيه مع ذلك متانة ليصلح لما يتخذ منه من الآلات، فانّه لو كان مستحصفاً كالحجارة لم يكن أن يستعمل في السقوف وغير ذلك مما يستعمل فيه الخشبة كالأبواب والأسرّة والتوابيت وما أشبه ذلك.

ومن جسيم المصالح في الخشب أنّه يطفو على الماء، فكلّ الناس يعرف هذا منه وليس كلّهم يعرف جلالة الأمر فيه، فلولا هذه الخلة كيف كانت هذه السفن والأظراف تحمل أمثال الجبال من الحمولة، وأنّى كان ينال الناس هذا الرفق وخفّة المؤنة في حمل التجارات من بلد إلى بلد، وكانت تعظم المؤنة عليهم في حملها حتى يلفى كثير مما يحتاج إليه في بعض البلدان مفقوداً أصلاً أو عسر وجوده[1].

قال الشارح: ومن عظيم الحكمة في الخشب عدم تأثّره من الكهرباء الذي استخدمه البشر الذي سخّر تعالى له ما في السماوات والأرض في هذه الاعصار ومنعه من تأثيره حتى لا يتلف الإنسان والحيوان، ولولاه لما استفيد كما ينبغي من هذه النعمة الجليلة.

قال عليه السلام: تأمل يا مفضل؛ الحكمة في خلق الشجر وأصناف النبات،

---

(١) توحيد المفضل: ١٦٢، والنقل بتصرف يسير.

فانّها لما كانت تحتاج إلى الغذاء الدائم كحاجة الحيوان ولم يكن لها أفواه كأفواه الحيوان ولا حركة تنبعث بها لتناول الغذاء جعلت اصولها مركوزة في الأرض لتنزع منها الغذاء فتؤديه إلى الأغصان وما عليها من الورق والثمر، فصارت الأرض كالأم المربية لها، وصارت أُصولها التي هي كالأفواه ملتقمة للأرض لتنزع منها الغذاء كما ترضع أصناف الحيوان أُمهاتها. ألم تر إلى عمد الفساطيط والخيم كيف تمدّ بالأطناب من كلّ جانب لتثبت منتصبة فلا تسقط ولا تميل، فهكذا تجد النبات كلّه له عروق منتشرة في الأرض، ممتدة إلى كلّ جانب لتمسكه وتقيمه، ولولا ذلك كيف كان يثبت هذا النخل الطوال والدوح العظام في الريح العاصف؟ فانظر الى حكمة الخلقة كيف سبقت حكمة الصناعة، فصارت الحيلة التي تستعملها الصناع في ثبات الفساطيط والخيم متقدمة في خلق الشجر، فالصناعة مأخوذة من الخلقة.

تأمل يا مفضل؛ خلق الورق، فانك ترى في الورقة شبه العروق مبثوثة فيها أجمع، فمنها غلاظ ممتدة في طولها وعرضها، ومنها دقاق تتخلل تلك الغلاظ منسوجة نسجاً دقيقاً معجماً، ولو كان مما يصنع بالأيدي كصنعة البشر لما فرغ من ورق شجرة واحدة في عام كامل، ولاحتيج إلى آلات وحركة وعلاج وكلام، فصار يأتي منه في أيام قلائل من الربيع ما يملأ الجبال والسهل وبقاع الأرض كلّها بلا حركة ولا كلام إلّا بالإرادة النافذة في كلّ شيء والأمر المطاع. واعرف مع ذلك العلة في تلك العروق الدقاق، فانها جعلت تتخلل الورقة بأسرها وتوصل الماء اليها بمنزلة العروق المبثوثة في البدن لتوصل الغذاء الى كلّ جزء منه، وفي الغلاظ منها معنى آخر، فانّها تمسك الورقة بصلابتها ومتانتها لئلا تنتهك وتتمزّق، فترى الورقة شبيهة بورقة معمولة بالصنيعة من خرق قد جعلت فيها عيدان ممدودة في طولها وعرضها لتتماسك فلا تضرب، فالصناعة تحكي الخلقة

وان كانت لا تدركها على الحقيقة.

فكّر في هذا العجم والنوى والعلّة فيه، فإنّه جعل في جوف الثمرة ليقوم مقام الغرس إن عاق دون الغرس عائق، كما يحرز الشيء النفيس الذي يعظم الحاجة إليه في مواضع، فإن حدث على الذي في بعض المواضع منه حادث وجد في موضع آخر، ثم هو بعد يمسك بصلابته رخاوة الثمار ورقتها، ولولا ذلك لتشدّخت وتفسخت وأسرع اليها الفساد، وبعض العجم يؤكل ويستزج دهنه فيستعمل فيه ضروب من المصالح، وقد تبين لك بما قلت موضع الارب في العجم والنوى.

فكّر الآن في هذا الذي تجده فوق النواة من الرطبة وفوق العجم من العنبة، فما العلّة فيه ولماذا يخرج في هذه الهيئة، وقد كان يمكن أن يكون مكان ذلك ما ليس فيه مأكل، كمثل ما يكون في السدر والدلب وما أشبه ذلك، فلم صار يخرج فوقه هذه المطاعم اللذيذة، الا ليستمتع بها الانسان؟

فكّر في ضروب من التدبير في الشجر، فانك تراه يموت في كلّ سنة موتة فتحتبس الحرارة الغريزية في عوده ويتولّد فيه مواد الثمار، ثم يحيى وينتشر فيأتيك بهذه الفواكه نوعاً بعد نوع، كما يقدم إليك أنواع الأطبخة التي تعالج بالأيدي واحداً بعد واحد، فترى الأغصان في الأشجار تتلقاك بثمارها حتى كأنها تناولكها عن يد، وترى الرياحين تتلقاك في أفنانها كأنها تجيئك بأنفسها، فلمن هذا التقدير إلّا لمقدّر حكيم؟ وما العلّة فيه إلا تفكيه الإنسان بهذه الثمار والأنوار، والعجب من اناس جعلوا مكان الشكر على النعمة جحود المنعم بها.

واعتبر بخلق الرمانة وما ترى فيها من أثر العمد والتدبير، فانك ترى فيها كأمثال التلال من شحم مركوم في نواحيها وحبّ مرصوف صفاً كنحو ما ينضد بالأيدي، وترى الحب مقسوماً أقساماً، وكلّ قسم منها ملفوفاً بلفائف

من حجب منسوجة أعجب النسج وألطفه وقشره يضم ذلك كلّه! فمن التدبير في هذه الصنعة انّه لم يكن يجوز أن يكون حشو الرمانة من الحبّ وحده، وذلك ان الحب لا يمد بعضه بعضاً، فجعل ذلك الشحم خلال الحب ليمدّه بالغذاء. ألا ترى أنّ أُصول الحبّ مركوزة في ذلك الشحم، ثم لف بتلك اللفائف لتضمه وتمسكه فلا يضطرب، وغشي فوق ذلك بالقشرة المستحصفة لتحصنه وتصونه من الآفات. وهذا قليل من كثير من وصف الرمانة وفيه أكثر، وهذا لمن أراد الإطناب والتذرع في الكلام، ولكن فيما ذكرت لك كفاية في الدلالة والاعتبار.

فكّر يا مفضل؛ في حمل اليقطين الضعيف مثل هذه الثمار الثقيلة من الدباء والقثاء والبطيخ وما في ذلك من التدبير والحكمة، فانه حين قدّر أن يحمل مثل هذه الثمار جعل نباته منبسطاً على الأرض، ولو كان ينتصب قائماً كما ينتصب الزرع والشجر لما استطاع أن يحمل مثل هذه الثمار الثقيلة، ولتقصف قبل إدراكها وانتهائها إلى غاياتها. فانظر كيف صار يمتد على وجه الأرض ليلقى عليها ثماره فتحملها عنه، فترى الأُصل من القرع والبطيخ مفترشاً للأرض وثماره مبثوثة عليها وحواليه كأنّه هرّة ممتدة وقد اكتنفتها أجراؤها لترضع منه، وانظر كيف صارت الأُصناف توافي في الوقت المشاكل لها من حمّارة القيظ ووقدة الحر، فتلقاها النفوس بانشراح وتشوّق اليها، ولو كانت توافي في الشتاء لوافقت من الناس كراهة لها واقشعراراً منها مع ما يكون فيها من المضرّة للأبدان! ألا ترى أنّه ربما أدرك شيء من الخيار في الشتاء فيمتنع الناس من أكله إلا الشره الذي لا يمتنع

من أكل ما يضرّه ويسقم معدته[١][٢].

«وغامض اختلاف كلّ حي» في (توحيد المفضل): فكّر في هذه الأصناف الثلاثة من الحيوان وفي خلقها على ما هي عليه مما فيه صلاح كلّ واحد منها، فالإنس لما قدّر أن يكونوا ذوي ذهن وفطنة وعلاج بمثل هذه الصناعات من البناء والتجارة والصياغة والخياطة وغير ذلك، خلقت لهم أكفّ كبار ذوات أصابع غلاظ ليتمكنوا من القبض على الأشياء وأوكدها هذه الصناعات. وأما آكلات اللحم لما قدّر أن يكون معائشها من الصيد خلقت لهم أكف لطاف مدمجة ذوات براثن ومخالب تصلح لأخذ الصيد ولا تصلح للصناعات، وآكلات النبات لما قدّر أن يكن لا ذوات صنعة ولا ذوات صيد خلقت لبعضها أظلاف تقيها خشونة الأرض إذا حاولت طلب الرعي ولبعضها حوافر ململمة ذوات قعر كأخمص القدم تنطبق على الأرض عند تهيئها للركوب والحمولة.

تأمل التدبير في خلق آكلات اللحم من الحيوان حين خلقت ذوات أسنان حداد وبراثن شداد وأشداق وأفواه واسعة، فانّه لما قدّر أن يكون طعمها اللحم خلقت خلقة تشاكل ذلك، وأعينت بسلاح وأدوات تصلح للصيد، وكذلك تجد سباع الطير ذوات مناقير ومخاليب مهيّأة لفعلها.

ولو كانت الوحوش ذوات مخالب كانت قد اعطيت ما لاتحتاج إليه لأنّها لا تصيد ولا تأكل اللحم، ولو كانت السباع ذوات أظلاف كانت منعت ما تحتاج إليه ـ أعني السلاح الذي تصيد به وتعيش ـ أفلا ترى كيف أُعطي كلّ واحد من الصنفين ما يشاكل كلّ طبعه بل ما فيه صلاحه وبقاؤه!

انظر إلى قوائم الحيوان كيف تأتي أزواجاً لتتهيأ للمشي، ولو كانت

---

(١) توحيد المفضل: ١٦٠ والنقل بتصرف يسير.

(٢) اسقط الشارح هنا فقرة «لدقيق تفصيل كلّ شيء».

افراداً لم يصلح لذلك، لأن الماشي ينقل قوائمه يعتمد على بعض، فذو القائمتين ينقل واحدة ويعتمد على واحدة، وذو الأربع ينقل اثنتين ويعتمد على اثنتين. وذلك من خلاف، لأن ذا الأربع لو كان ينقل قائمتين من أحد جانبيه ويعتمد على قائمتين من الجانب الآخر لم يثبت على الأرض، فصار ينقل اليمنى من مقاديمه مع اليسرى من مآخيره وينقل الأخيرتين أيضاً من خلاف فيثبت على الأرض ولا يسقط إذا مشى.

أما ترى الحمار كيف يذلّ للطحن والحمولة وهو يرى الفرس مودعاً منعماً، والبعير لا يطيقه عدّة رجال لو استعصى، كيف كان ينقاد للصبي؟ والثور الشديد كيف كان يذعن لصاحبه حتى يضع النير على عنقه ويحرث به؟ والفرس الكريم يركب السيوف والأسنة بالمواتاة لفارسه، ولقطيع من الغنم يرعاه واحد ولو تفرّقت الغنم فأخذ كلّ واحد منها في ناحية لم يلحقها، وكذلك جميع الأصناف المسخّرة للإنسان، فبم كانت كذلك إلّا أنّها عدمت العقل والرويّة؟ فإنّها لو كانت تعقل وتتروى في الأمور كانت خليقة أن تلتوي على الإنسان في كثيرٍ من مآربه، حتى يمتنع الجمل على قائده، والثور على صاحبه، وتتفرّق الغنم عن راعيها وأشباه هذا من الأمور.

وكذلك هذه السباع لو كانت ذات عقل وروية فتوازرت على الناس كانت خليقة أن تجتاحهم، فمن كان يقوم للأسد والذئاب والنمور والدببة لو تعاونت وتظاهرت على الناس؟ أفلا ترى كيف حجر ذلك عليها وصارت مكان ما كان يخاف من أقدامها ونكايتها تهاب مساكن الناس وتحجم عنها، ثم لا تظهر ولا تنتشر لطلب قوتها إلّا بالليل، فهي مع صولتها كالخائف من الإنس بل مقموعة ممنوعة منهم، ولو كان غير ذلك لساورتهم في مساكنهم وضيّقت عليهم.

ثم جعل في الكلب من بين هذه السباع عطف على مالكه ومحاماة عنه وحافظ له، ينتقل على الحيطان والسطوح في ظلمة الليل لحراسة منزل

صاحبه وذبّ الذعار عنه، ويبلغ من محبته لصاحبه أن يبذل نفسه للموت دونه ودون ماشيته وماله، ويألفه غاية الألف حتى يصبر معه على الجوع والجفوة، فلم طبع الكلب على هذه الألفة والمحبّة إلّا ليكون حارساً للإنسان عيناً -أي جاسوساً- له بأنياب ومخاليب ونباح هائل ليذعر منه السارق ويتجنب المواضع التي يحميها ويخفرها؟

يا مفضل تأمّل وجه الدابّة كيف هو؟ فانّك ترى العينين شاخصتين أمامها لتبصر ما بين يديها لئلا تصدم حائطاً أو تتردّى في حفرة، وترى الفم مشقوقاً شقّاً في أسفل الخطم، ولو شق كمكان الفم من الانسان في مقدم الذقن لما استطاع أن يتناول به شيئاً من الأرض. ألا ترى أنّ الانسان لا يتناول الطعام بفيه ولكن بيده تكرمة له على سائر الآكلات، فلمّا لم يكن للدابة يد تتناول بها العلف جعل خرطومها مشقوقاً من أسفله ليقبض على العلف ثمّ تقضمه، وأُعينت بالجحفلة لتتناول بها ما قرب وما بعد[1].

اعتبر بذَنَبِها والمنفعة لها فيه، فإنّه بمنزلة الطبق على الدبر والحياء جميعاً يواريهما ويسترهما، ومن منافعها فيه أن ما بين الدبر ومراقي البطن منها وضر يجتمع عليها الذباب والبعوض، فجعل لها الذنب كالمذبة تذب بها عن تلك المواضع. ومنها: أنّ الدابة تستريح إلى تحريكه وتصريفه يمنة ويسرة، فانه لما كان قيامها على الأربع بأسرها وشغلت المقدمتان بحمل البدن عن التقلب والتصرف كان لها في تحريك الذنب راحة. وفيه منافع أُخرى يقصر عنها الوهم فيعرف موقعها في وقت الحاجة إليها، فمن ذلك، أنّ الدابة ترتطم في الوحل فلا يكون شيء أعون على نهوضها من الأخذ بذنبها، وفي شعر الذنب منافع للناس كثيرة يستعملونها في مآربهم، ثم جعل ظهرها

---

(١) الجحفلة : للحافر كالشفة للإنسان .

مسطحاً مبطحاً على قوائم أربع ليتمكن من ركوبها، وجعل حياءها بارزاً من ورائها ليتمكن الفحل من ضربها، ولو كان أسفل البطن كما كان الفرج من المرأة لم يتمكن الفحل منها. ألا ترى انّه لا يستطيع أن يأتيها كفاحاً[1] كما يأتي الرجل المرأة!

فكّر في خلق الزرافة واختلاف أعضائها وشبهها بأعضاء أصناف من الحيوان، فرأسها رأس فرس وعنقها عنق جمل وأظلافها أظلاف بقرة وجلدها جلد نمر، وزعم ناس من الجهّال بالله عزّوجلّ أن نتاجها من فحول شتى، قالوا وسبب ذلك: إنّ أصنافاً من حيوان البر إذا وردت الماء تنزو على بعض السائمة وينتج مثل هذا الشخص الذي هو كالملتقط من أصناف شتى، وهذا جهل من قائله وقلّة معرفة بالباري جلّ قدسه، وليس كلّ صنف من الحيوان يلقح كلّ صنف، فلا الفرس يلقح الجمل ولا الجمل يلقح البقر، وإنّما يكون التلقيح من بعض الحيوان فيما يشاكله ويقرب من خلقه، كما يلقح الفرس الحمار فيخرج بينهما البغل، ويلقح الذئب الضبع فيخرج بينهما السمع. على انّه ليس يكون في الذي يخرج بينهما عضو كلّ واحد منهما كما في الزرافة ـ عضو من الفرس وعضو من الجمل وأظلاف من البقرة ـ بل يكون كالمتوسط بينهما الممتزج منهما، كالذي تراه في البغل فإنّك ترى رأسه وأُذنيه وكفله وذنبه وحوافره وسطاً بين هذه الأعضاء من الفرس والحمار، وشحيحه كالممتزج من صهيل الفرس ونهيق الحمار. فهذا دليل على أنّ الزرافة ليست من لقاح أصناف شتى من الحيوان كما زعم الجاهلون، بل هي خلق عجيب من خلق الله للدلالة على قدرته التي لا يعجزها شيء، ويعلم أنّه تعالى خالق أصناف الحيوان كلّها، يجمع بين ما يشاء من أعضائها في أيّها

---

(١) أي مستقبلاً

شاء ويفرّق ما شاء منها في أيّها شاء، ويزيد في الخلقة ما شاء وينقص منها ما شاء، دلالة على قدرته على الأشياء وانّه لا يعجزه شيء أراده جلّ وتعالى! فأما طول عنقها والمنفعة لها في ذلك فإن منشأها ومرعاها في غياطل ذوات أشجار شاهقة ذاهبة طولاً في الهواء، فهي تحتاج إلى طول العنق لتتناول بفيها أطراف تلك الأشجار فتقوت من ثمارها.

تأمل خلقة القرد وشبهه بالإنسان في كثير من أعضائه ـأعني الرأس والوجه والمنكبين والصدر ـ وكذلك أحشاؤه شبيهة أيضاً بأحشاء الإنسان، وخصّ مع ذلك بالذهن والفطنة التي بها يفهم عن سائسه ما يؤمي إليه، ويحكي كثيراً مما يرى الإنسان يفعله، حتى انّه يقرب من خلق الإنسان وشمائله في التدبير في خلقته على ما هي عليه أن يكون عبرة للإنسان في نفسه، فيعلم أنّه من طينة البهائم وسنخها، إذ كان يقرب من خلقها هذا القرب، وأنّه لولا فضيلة فضله بها في الذهن والعقل والنطق كان كبعض البهائم؛ على أن في جسم القرد فضولاً أُخرى تفرّق بينه وبين الإنسان، كالخطم والذنب المسدل والشعر المجلّل للجسم كلّه. وهذا لم يكن مانعاً للقرد أن يلحق بالإنسان لو أعطي مثل ذهن الإنسان وعقله ونطقه، والفصل الفاصل بينه وبين الإنسان بالحقيقة هو النقص في العقل والذهن والنطق.

انظر يا مفضل؛ إلى لطف الله جلّ اسمه بالبهائم كيف كسيت أجسامها هذه الكسوة من الشعر والوبر والصوف لتقيها من البرد وكثرة الآفات، وأُلبست الأظلاف والحوافر والأخفاف لتقيها من الحفا، إذ كانت لا أيدي لها ولا أكفّ ولا أصابع مهيأة للغزل والنسج، فكفوا بأن جعل كسوتهم في خلقهم باقية عليهم ما بقوا لا يحتاجون إلى تجديدها والاستبدال بها، فأما الإنسان فإنّه ذو حيلة وكفّ مهيأة للعمل، فهو ينسج ويغزل ويتّخذ لنفسه الكسوة ويستبدل بها حالاً بعد حال، وله في ذلك صلاح من جهات: من ذلك أنّه يشتغل

بصنعته اللباس عن العبث وما تخرجه إليه الكفاية، ومنها أنّه يستريح إلى خلع كسوته إذا شاء ولبسها إذا شاء، ومنها أن يتخذ لنفسه من الكسوة ضروباً لها جمال وروعة فيتلذذ بلبسها وتبديلها، وكذلك يتخذ بالرفق من الصنعة ضروباً من الخفاف والنعال يقي بها قدميه، وفي ذلك معائش لمن يعمله من الناس ومكاسب يكون فيها معائشهم، ومنها أقواتهم وأقوات عيالهم، فصار الشعر والوبر والصوف تقوم للبهائم مقام الكسوة والأظلاف والحوافر والأخفاف مقام الحذاء [1].

«وما الجليل واللطيف والثقيل والخفيف والقوي والضعيف في خلقه إلّا سواء» في اشتمال الكل على حكم لا تعدو كشف الجميع عن مدبر قادر، قال تعالى: ﴿الذي أعطى كلّ شيء خلقه ثم هدى﴾ [2].

وفي (توحيد المفضل): تأمّل وجه الذرة الحقيرة الصغيرة هل تجد فيها نقصاً عمّا فيه صلاحها، فمن أين هذا التقدير والصواب: في خلق الذرة إلا من التدبير القائم في صغير الخلق وكبيره. فكّر يا مفضل؛ في هذه الأشياء التي تراها موجودة معدة في العالم من مآربهم، فالتراب للبناء، والحديد للصناعات، والخشب للسفن وغيرها، والحجارة للارحاء وغيرها، والنحاس للأواني، والذهب والفضة للمعاملة والذخيرة، والحبوب للغذاء، والثمار للتفكّه، واللحم للمأكل، والطيب للتلذذ، والأدوية للتصحّح، والدواب للحمولة، والحطب للتوق، والرماد للكلس، والرمل للأرض؛ وكم عسى أن يحصي المحصي من هذا وشبهه. أرأيت لو أن داخلاً دخل داراً فنظر إلى خزائن مملوّة من كل ما يحتاج إليه الناس ورأى ما فيها مجموعاً معدّاً لأسباب معروفة،

---

(١) توحيد المفضل: ٩٦ ـ ١٠٧، والنقل بتصرف يسير.

(٢) طه: ٥٠.

أكان يتوهم ان مثل هذا يكون بالإهمال ومن غير عمد، فكيف يستجيز قائل أن يكون هذا من صنع الطبيعة في العالم وما أعد فيه من هذه الأشياء؟

اعتبر يا مفضل؛ بأشياء خلقت لمآرب الإنسان وما فيها من التدبير، فإنّه خلق له الحبّ لطعامه وكلّف طحنه وعجنه وخبزه، وخلق له الوبر لكسوته فكلّف ندفه وغزله ونسجه، وخلق له الشجر فكلّف غرسها وسقيها والقيام عليها، وخلقت له العقاقير لأدويته فكلّف لقطها وخلطها وصنعها، وكذلك تجد سائر الأشياء على هذا المثال. فانظر كيف كفي الخلقة التي لم يكن عنده فيها حيلة وترك عليه في كلّ شيء من الأشياء موضع عمل وحركة لما له في ذلك من الصلاح، لأنّه لو كُفِيَ هذا كلّه حتى لا يكون له في الأشياء موضع شغل وعمل لما حملته الأرض أشراً وبطراً، ولبلغ به ذلك إلى أن يتعاطى أُموراً فيها تلف نفسه، ولو كُفِيَ الناس كلّ ما يحتاجون إليه لما تهنّأوا بالعيش ولا وجدوا له لذّة، ألا ترى لو أن امرءاً نزل بقوم فأقام حيناً بلغ جميع ما يحتاج إليه من مطعم ومشرب وخدمة لتبرم بالفراغ ونازعته نفسه إلى التشاغل بشيء! فكيف لو كان عمره مكفياً لا يحتاج إلى شيء، فكان من صواب التدبير في هذه الأشياء التي خلقت للإنسان ان جعل له فيها موضع شغل لكيلا تبرمه البطالة، ولتكفه عن تعاطي ما لا يناله، ولا خير فيه إن ناله[1]؟

«وكذلك السماء» في (توحيد المفضل): فكّر في لون السماء وما فيه من صواب التدبير، فإن هذا اللون أشد الألوان موافقة وتقوية للبصر، حتى ان من صفات الأطباء لمن أصابه شيء أضرّ ببصره إدمان النظر إلى الخضرة وما قرب منها إلى السواد، وقد وصف الحذّاق منهم لمن كلّ بصره الإطلاع في أُجانة خضراء مملوّة ماء، فانظر، كيف جعل الله تعالى أديم السماء بهذا اللون

(١) توحيد المفضل: ١١١ و ٨٥ و ٨٦، والنقل بتصرف يسير.

الأخضر إلى السواد ليمسك الأبصار المتقلبة عليه فلا ينكأ فيها بطول مباشرتها له، فصار هذا الذي أدركه الناس بالفكر والروية والتجارب يوجد مفروغاً منه في الخلقة، حكمة بالغة ليعتبر بها المعتبرون، ويفكّر فيها الملحدون، قاتلهم الله! أنّى يؤفكون(١).

«والهواء» في (توحيد المفضل) - بعد ذكر حكمة كثرة ماء البحار - وهكذا الهواء لولا كثرته وسعته لاختنق هذا الأنام من الدخان والبخار الذي يتحيّر فيه ويعجز عمّا يحول إلى السحاب والضباب أولاً أولاً(٢).

«والرياح» في (توحيد المفضل): انبّهك على الريح وما فيها، ألست ترى إذا ركدت كيف يحدث الكرب الذي يكاد أن يأتي على النفوس ويمرّض الأصحاء وينهك المرضى ويفسد الثمار ويعفن البقول ويعقب الوباء في الأبدان والآفة في الغلات؟ ففي هذا بيان أن هبوب الرياح من تدبير الحكيم في صلاح الخلق، وأنبّئك عن الهواء بِخَلّة أُخرى، فإن الصوت أثر يؤثره اصطكاك الأجسام في الهواء والهواء يؤدّيه إلى المسامع، والنّاس يتكلّمون في حوائجهم ومعاملاتهم طول نهارهم وبعض ليلهم، فلو كان أثر هذا الكلام يبقى في الهواء كما تبقى الكتابة في القرطاس لأمتلأ العالم منه، فكان يكربهم ويفدحهم، وكانوا يحتاجون في تجديده والاستبدال به إلى أكثر مما يحتاج إليه في تجديد القراطيس، لأن ما يلفظ من الكلام أكثر مما يكتب، فجعل الخلّاق الحكيم جلّ اسمه هذا الهواء قرطاساً خفياً يحمل الكلام ريثما يبلغ العالم حاجتهم ثم يمحى فيعود جديداً نقيّاً، ويحمل ما حمل أبداً بلا انقطاع، وحسبك بهذا النسيم المسمّى هواء عبرة وما فيه من المصالح، فانّه حياة هذه الأبدان،

---

(١) توحيد المفضل : ١٢٧، والنقل بتصرف يسير.

(٢) توحيد المفضل: ١٤٦ .

والممسك لها من داخل بما يستنشق منه من خارج بما يباشر من روحه، وفيه تطرد هذه الأصوات فيؤدي البعد البعيد، وهو الحامل لهذه الأرواح ينقلها من موضع إلى موضع. ألا ترى، كيف تأتيك الرائحة من حيث تهبّ الريح؟ فكذلك الصوت، وهو القابل لهذا الحر والبرد اللذين يتعاقبان على العالم لصلاحه، ومنه هذه الريح الهابة، فالريح تروّح عن الأجسام، وتزجي السحاب من موضع إلى موضع ليعمّ نفعه حتى يستكثف فيمطر، وتفضّه حتى يستخف فيتفشى، وتلقح الشجر وتسيّر السفن وترخي الأطعمة وتبرّد الأطعمة وتشبّ النار وتجفف الأشياء النديّة.

وبالجملة إنّها تحيي كلّ ما في الأرض، فلولا الريح لذوي النبات ولمات الحيوان وحمت الأشياء وفسدت[1].

«والماء» فيه: إعلم أنّ رأس معاش الإنسان الخبز والماء، فانظر كيف دبّر الأمر فيهما، فإنّ حاجة الإنسان إلى الماء أشدّ من حاجته إلى الخبز، وذلك ان صبره على الجوع أكثر من صبره على العطش، والذي يحتاج إليه من الماء أكثر مما يحتاج إليه من الخبز، لأنّه يحتاج إليه لشربه ووضوئه وغسله وغسل ثيابه وسقي أنعامه وزرعه، فجعل الماء مبذولاً لا يشترى ليسقط عن الإنسان المؤنة في طلبه وتكلّفه، وجعل الخبز متعذّراً لا ينال إلّا بالحيلة والحركة ليكون للإنسان شغل يكفّه عمّا يخرجه إليه الفراغ من الأشر والعبث. ألا ترى أن الصبي يدفع الى المؤدّب وهو طفل لم يكمل ذاته للتعليم كلّ ذلك ليشتغل عن اللعب والعبث اللذين ربّما جنيا عليه وعلى أهله المكروه العظيم، وهكذا الإنسان لو خلا من الشغل يخرج من الأشر والبطر إلى ما يعظم ضرره عليه وعلى من قرب منه، واعتبر ذلك بمن نشأ في الجدة، ورفاهية العيش

---

(١) توحيد المفضل: ١٤٠ ـ ١٤٢، والنقل بتصرف يسير.

والترفّه وما يخرجه ذلك إليه[١].

«فانظر إلى الشمس» فيه: فكّر يا مفضل؛ في طلوع الشمس وغروبها لإقامة دولتي النهار والليل، فلولا طلوعها لبطل أمر العالم كلّه، فلم يكن الناس يسعون في معائشهم ويتفرّقون في أُمورهم والدنيا مظلمة عليهم، ولم يكونوا يتهنّون بالعيش مع فقدهم لذّة النور وروحه، والارب في طلوعها ظاهر مستغنٍ بظهوره عن الإطناب في ذكره والزيادة في شرحه. بل تأمل المنفعة في غروبها! فلولا غروبها لم يكن للناس هدء ولا قرار مع عظيم حاجتهم إلى الهدء والراحه لسكون أبدانهم وجموم حواسهم، وانبعاث القوة الهاضمة لهظم الطعام، وتنفيذ الغذاء إلى الأعضاء. ثم كان الحرص يستحملهم من مداومة العمل ومطاولته على ما يعظم نكايته في أبدانهم، فان كثيراً من الناس لولا جثوم هذا الليل بظلمته عليهم لم يكن لهم هدء ولا قرار، حرصاً على الكسب والجمع والادّخار.

ثم كانت الأرض تستحم بدوام الشمس بضيائها ويحمى كلّ ما عليها من حيوان ونبات، فقدرها الله بحكمته وتدبيره تطلع وقتاً وتغرب وقتاً، بمنزلة سراج يرفع لأهل البيت تارة ليقضوا حوائجهم ثم يغيب عنهم مثل ذلك ليهدؤا ويقرّوا، فصار النور والظلمة مع تضادّهما منقادين متظاهرين على ما فيه صلاح العالم وقوامه.

ثم فكّر بعد هذا في ارتفاع الشمس وانحطاطها، لإقامة هذه الأزمنة الأربعة من السنة، وما في ذلك من التدبير والمصلحة، ففي الشتاء تعود الحرارة في الشجر والنبات فيتولد فيهما مواد الثمار، ويتكثّف الهواء فينشأ منه السحاب والمطر، ويشتدّ أبدان الحيوان وتقوى، وفي الربيع تتحرّك

---

(١) توحيد المفضل: ٨٧، والنقل بتصرف يسير.

وتظهر المواد المتولدة في الشتاء فيطلع النبات وتنور الأشجار ويهيج الحيوان للسفاد، وفي الصيف يحتدم الهواء فتنضج الثمار وتتحلّل فضول الأبدان ويجفّ وجه الأرض فتتهيّأ للبناء والأعمال، وفي الخريف يصفوا الهواء وترتفع الأمراض ويصحّ الأبدان ويمتدّ الليل فيمكن فيه بعض الأعمال لطوله ويطيب الهواء فيه ـإلى مصالح أُخرى لو تقصيت لذكرها لطال فيها الكلام.

فكّر الآن في تنقل الشمس في البروج الاثني عشر لإقامة دور السنة وما في ذلك من التدبير، فهو الدور الذي تصحّ به الأزمنة الأربعة من السنة، الشتاء والربيع، والصيف، والخريف؛ ويستوفيها على التمام. وفي هذا المقدار من دوران الشمس تدرك الغلات والثمار وتنتهي إلى غاياتهم، ثم تعود فيستأنف النشو والنمو. ألا ترى أن السنة مقدار مسير الشمس من الحمل إلى الحمل، فبالسنة وأخواتها يكال الزمان من لدن خلق الله تعالى العالم إلى كلّ وقت وعصر من غابر الأيام، وبها يحسب النّاس الأعمار والأوقات المؤقتة للديون والإجارات والمعاملات، وغير ذلك من أُمورهم، وبمسير الشمس تكمل السنة ويقوم حساب الزمان على الصحّة.

أُنظر الى شروقها على العالم، كيف دبّر أن يكون؟ فإنّها لو كانت تبزغ في موضع من السماء فتقف لا تعدوه لما وصل شعاعها ومنفعتها إلى كثير من الجهات، لأن الجبال والجدران كانت تحجبها عنها، فجعلت تطلع في أول النهار من المشرق فتشرق على ما قابلها من وجه المغرب، ثم لا تزال تدور وتغشي جهة بعد جهة حتى تنتهي الى المغرب فتشرق على ما استتر عنها في أوّل النّهار، فلا يبقى موضع من المواضع إلّا أخذ بقسطه من المنفعة والأرب التي قدّرت له، ولو تخلفت مقدار عام أو بعض عام كيف يكون حالهم بل كيف يكون لهم مع ذلك بقاء؟ أفلا ترى كيف كان يكون للناس هذه الأُمور الجليلة

التي لم يكن عندهم فيها حيلة، فصارت تجري على مجاريها لا تتخلّف عن مواقيتها لصلاح العالم وما فيه بقاؤه[١].

«والقمر» فيه: استدل بالقمر، ففيه دلالة جليلة تستعملها العامة في معرفة الشهور ولا يقوم عليه حساب السنة، لأن دوره لا يستوفي الأزمنة الأربعة ونشوء الثمار[٢].

«والنبات والشجر» فيه: فكّر يا مفضل؛ في هذا النبات وما فيه من ضروب المآرب: فالثمار للغذاء، والأتبان للعلف، والحطب للوقود، والخشب لكلّ شيء من أنواع التجارة وغيرها، واللحاء والورق والأصول والعروق والصموغ لضروب من المنافع. أرأيت لو كنّا نجد الثمار التي نغتذي بها مجموعة على الأرض، ولم تكن تنبت على هذه الأغصان الحاملة لها، كم يدخل علينا من الخلل في معاشنا؟ وان كان الغذاء موجوداً فان المنافع بالخشب والحطب والأتبان وساير ما عددناه كثيرة عظيم قدرها جليل موقعها. هذا مع ما في النبات من التلذّذ بحسن منظره ونضارته التي لا يعدلها شيء من مناظر العالم وملاهيه!

فكّر يا مفضل؛ في هذا الريع الذي جعل في الزرع، فصارت الحبّة الواحدة تخلف مائة حبة وأكثر وأقلّ، وكان يجوز للحبة أن تأتي بمثلها، فلِمَ صارت تريع هذا الريع إلا ليكون في الغلة متسع لما يرد في الأرض من البذر، وما يتقوّت الزراع إلى ادراك زرعها المستقبل؟ ألا ترى انّ المَلِك لو أراد عمارة بلد من البلدان كان السبيل في ذلك أن يعطي أهله ما يبذرونه في أرضهم وما يقوتهم إلى إدراك زرعهم! فانظر كيف تجد هذا المثال قد تقدم في تدبير

(١) توحيد المفضل: ١٢٨ ـ ١٣١، والنقل بتصرف يسير.

(٢) توحيد المفضل: ١٣١.

الحكيم، فصار الزرع يريع هذا الريع ليفي بما يحتاج إليه للقوت والزراعة، وكذلك الشجر والنبت، والنخل يريع الريع الكثير، فإنّك ترى الأصل الواحد حوله من فراخه أمراً عظيماً، فلِمَ كان كذلك، إلّا ليكون فيه ما يقطعه الناس ويستعملونه في مآربهم وما يرد فيغرس في الأرض؟ ولو كان الأصل منه منفرداً لا يفرخ ولا يريع لما أمكن أن يقطع منه شيء لعمل ولا لغرس، ثم كان إن أصابته آفة انقطع أصله فلم يكن منه خلف.

تأمل يا مفضل؛ نبات هذه الحبوب من العدس والماش والباقلاء وما أشبه ذلك، فانّها تخرج في أوعية مثل الخرائط لتصونها وتحجبها من الآفات إلى ان تشتدّ وتستحكم، كما تكون المشيمة على الجنين لهذا المعنى بعينه، وأمّا البرّ وما أشبهه فانه يخرج مدرجاً في قشور صلاب على رؤوسها أمثال الأسنة من السنبل ليمنع الطير منه ليتوفر على الزرع.

فان قال قائل: أوليس قد ينال الطير من البُرّ والحبوب؟ قيل له: بلى على هذا قدّر الأمر فيها، لأنّ الطير خلق من خلق الله تعالى، وقد جعل الله تعالى له فيما تخرج الأرض حظّاً، ولكن حصّنت الحبوب بهذه الحُجُب لئلا يتمكن الطير منها كلّ التمكّن فيعبث فيها ويفسد الفساد الفاحش، فانّ الطير لو صادف الحبّ بارزاً ليس عليه شيء تحول دونه، لأكبّ عليه حتى ينسفه أصلاً، فكان يعرض من ذلك أن يبشم الطير فيموت ويخرج الزارع من زرعه صفراً، فجعلت عليه هذه الوقايات لتصونه فينال الطير منه شيئاً يتقوّت به ويبقى أكثره للإنسان، فانّه أولى به إذ كان هو الذي كدح فيه، وشقى به، وكان الذي يحتاج إليه أكثر مما يحتاج إليه الطير.

فكّر في هذه العقاقير وما خصّ به كلّ واحد منها من العمل في بعض الأدواء، فهذا يغور في المفاصل فيستخرج الفضول الغليظة مثل الشيطرج، وهذا ينزف المرة السوداء مثل الافتيمون، وهذا ينفي الرّياح مثل السكبينج،

وهذا يحلّل الأورام وأشباه هذا من أفعالها. فمن جعل هذه القوى فيها إلّا من خلقها للمنفعة؟ ومن فطّن الناس لها إلّا من جعل هذا فيها؟ ومتى كان يوقف على هذا منها بالعرض والإتفاق كما قال القائلون؟ وهَبْ أنّ الانسان فطن لهذه الأشياء بذهنه ولطيف رويّته وتجاربه، فالبهائم كيف فطنت لها حتى صار بعض السباع يتداوى من جراحه إن أصابته ببعض العقاقير فيبرأ، وبعض الطير يحتقن من الحصر يصيبه بماء البحر فيسلم، وأشباه هذا كثير.

ولعلّك تشكّك في هذا النبات النابت في الصحاري والبراري حيث لا إنس ولا أنيس، فتظنّ أنّه فضل لا حاجة إليه! وليس كذلك بل هو طعم لهذه الوحوش وحبّه علف للطير وأفنانه حطب فيستعمله الناس، وفيه بعد أشياء تعالج بها الأبدان وأُخرى تدبغ بها الجلود وأُخرى تصبغ الأمتعة، وأشباه هذا من المصالح. ألست تعلم أنّ من أخسّ النبات وأحقره هذا البردي وما أشبهها؟ ففيها مع هذا ضروب من المنافع، فقد يتخذ من البردي القراطيس التي يحتاج إليها الملوك والسّوَقة، والحُصُر التي يستعملها كلّ صنف من الناس، ويعمل منه الغلف التي يوقّى بها الأواني، ويجعل حشواً بين الظروف في الأسفاط لكيلا تعيب وتنكسر، وأشباه هذا من المنافع.

واعتبر بما ترى من ضروب المآرب في صغير الخلق وكبيره وبماله قيمة وما لا قيمة له، وأخسّ من هذا وأحقره الزبل والعذرة التي اجتمعت فيها الخساسة والنجاسة معاً، وموقعها من الزروع والبقول والخضر أجمع الموقع الذي لا يعدله شيء، حتى أنّ كلّ شيء من الخضر لا يصلح ولا يزكو إلّا بالزبل والسماد الذي يستقذره الناس ويكرهون الدنو منه!

واعلم انّه ليس منزلة الشيء على حسب قيمته، بل هما قيمتان مختلفتان بسوقين، وربما كان الخسيس في سوق المكتسب، نفيساً في سوق العلم، فلا تستصغر العبرة في الشيء لصغر قيمته، فلو فطن طالبو الكيمياء

لما في العذرة لاشتروها بأنفس الأثمان وغالوا بها(١).

«والماء والحجر» الظاهر أنّه عليه السلام أراد في الجمع بينهما أنّه تعالى خالق ما هو في اللينة كالماء، وما هو في الصلابة كالحجر، فهو خالق الضدّين، ولا يكون خلق الضدّين إلّا عن كمال قدرة وعن تدبير حكيم لا خصوص الماء والحجر.

«واختلاف هذا الليل والنهار» مر الكلام في أصلهما، وأما في مقدارهما فقد قال الصادق عليه السلام للمفضل: فكّر في مقادير النّهار والليل كيف وقعت على ما فيه صلاح هذا الخلق، فصار منتهى كلّ واحد منهما إذا امتدّ إلى خمس عشرة ساعة لا يجاوز ذلك. أفرأيت لو كان النهار مقداره مائة ساعة أو مائتي ساعة، ألم يكن في ذلك بوار كلّ ما في الأرض من حيوان ونبات. أما الحيوان فكان لا يهدأ ولا يقرّ طول هذه المدّة، والبهائم ما كانت تمسك عن الرعي لو دام لها ضوء النّهار، ولا الإنسان كان يفتر عن العمل والحركة، وكان ذلك ينهكها أجمع ويؤدّيها إلى التلف، وأما النّبات فكان عليه حرّ النّهار ووهج الشمس حتى يجف ويحترق، وكذلك الليل لو امتدّ مقدار هذه المدّة كان يعوق أصناف الحيوان عن الحركة والتصرّف في طلب المعاش حتى يموت جوعاً، وتخمد الحرارة الطبيعية عن النبات حتى يعفن ويفسد، كالذي تراه يحدث على النبات إذا كان في موضع لا تطلع عليه الشمس(٢).

«وتفجّر هذه البحار» قال الصادق عليه السلام: فإن شككت في منفعة هذا الماء الكثير المتراكم في البحار وقلت ما الأرب فيه، فاعلم إنّه مكتنف ومضطرب ما لا يحصى من أصناف السمك ودوابّ البحر ومعدن اللؤلؤ والياقوت والعنبر،

---

(١) توحيد المفضل: ١٥٤ ـ ١٥٦ و ١٦٣ ـ ١٦٥، والنقل بتصرف يسير.

(٢) توحيد المفضل: ١٣٧، والنقل بتصرف يسير.

وأصناف شتّى تستخرج من البحر وفي سواحله منابت العود اليلنجوج وضروب من الطيب والعقاقير، ثم هو بعدُ مركب للناس، ومحمل لهذه التجارات التي تجلب من البلدان البعيدة، كمثل ما يجلب من الصين إلى العراق ومن العراق إلى الصين، فإنّ هذه التجارات لو لم يكن لها محمل إلّا على الظهر لبارت، وبقيت في بلدانها وأيدي أهلها، لأن أجر حملها يجاوز أثمانها فلا يتعرّض أحد لحملها، وكان يجتمع في ذلك أمران: أحدهما فقد أشياء كثيرة تعظم الحاجة إليها، والآخر انقطاع معاش من يحملها ويتعيّش بفضلها[1].

«وكثرة هذه الجبال وطول هذه القلال» قال عليه السلام للمفضّل: انظر إلى هذه الجبال المركومة من الطين والحجارة التي يحسبها الغافلون فضلاً لا حاجة إليها، والمنافع فيها كثيرة: فمن ذلك أن تسقط عليها الثلوج فتبقى في قلالها لمن يحتاج إليه ويذوب ما ذاب منه، فتجري منه العيون الغزيرة التي تجتمع منها الأنهار العظام، وينبت فيها ضروب من النبات والعقاقير التي لا ينبت مثلها في السهل، ويكون فيها كهوف ومعاقل للوحوش من السباع العادية، ويتخذ منها الحصون والقلاع المنيعة للتحرز من الأعداء، وينحت منها الحجارة للبناء والإرحاء، ويوجد فيها معادن لضروب من الجواهر، وفيها خلال أُخر لا يعرفها إلا المقدّر لها في سابق علمه[2].

«وتفرّق هذه اللغات والألسن المختلفات» قد حقّق في فلسفة اللغات أن الأُصل فيها حكاية الأصوات، إلّا أنّ الطبائع مختلفة في التعبير عنها، فحصل التفرّق والاختلاف، مثل «قطا» في العربية و «كغا» في الفارسية و «خشب» في العربية و «چوب» في الفارسية، ومثل «الطائر» في العربية و «پرنده» في

(١) توحيد المفضل: ١٤٦، والنقل بتصرف يسير.

(٢) توحيد المفضل: ١٥١، والنقل بتصرف يسير.

الفارسية و «بيرد» في الافرنجية و «بهنده» في التسترية، فكلّها حكاية صوت الطيران، كما أن الأوّل حكاية صوت نغمته والثاني حكاية صوت الضرب به.

كما قد يحصل الاشتراك من الحكاية لتشابه صوت طبيعتين مثل «شير» في الفارسية للّبن حكاية صوت حلبه، وللأسد حكاية زئيره[١]، وهو أحد الآيات على وجود الصانع لايجاده اختلاف الطبائع ﴿ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم﴾[٢].

«فالويل لمن جحد المقدّر وأنكر المدبّر» قال الصادق عليه السلام للمفضّل: فكّر في وصول الغذاء إلى البدن وما فيه من التدبير، فانّ الطعام يصير إلى المعدة فتطبخه وتبعث بصفوه إلى الكبد في عروق دقاق وأشجة بينهما، قد جعلت كالمصفى للغذاء لكيلا يصل إلى الكبد منه شيء فينكأها، وذلك أنّ الكبد رقيقة لا تحتمل العنف.

ثم إنّ الكبد تقبله فيستحيل بلطف التدبير دماً وينفذه الى البدن كلّه في مجاري مهيّأة لذلك، بمنزلة المجاري التي تهيّأ للماء ليطرد في الأرض كلّها، وينفذ ما يخرج منه من الخبث والفضول الى مغائض قد أعدّت لذلك، فما كان منه من جنس المرّة الصفراء جرى الى المرارة، وما كان من جنس السوداء جرى الى الطحال، وما كان من البلّة والرطوبة جرى إلى المثانة.

فتأمّل حكمة التدبير في تركيب البدن ووضع هذه الأعضاء منه مواضعها وإعداد هذه الأوعية فيه لتحمّل تلك الفضول، لئلا تنتشر في البدن فتسقمه وتنهكه، فتبارك مَنْ أحسنَ التقدير وأحْكَمَ التدبير،

---

(١) كلام الشارح في اشتقاق هذه الألفاظ مخدوش بلا أصل، خلاف لجميع محققي اللغة والاشتقاق، بل جميع الألفاظ التي ذكرها الشارح لها اشتقاق معلوم ذكره علماء اللغة في كتبهم.

(٢) الروم: ٢٢.

وله الحمد كما هو أهله ومستحقّه[1].

«زعموا أنّهم كالنبات ما لهم زارع ولا لاختلاف صورهم صانع» مع أنّ اختلاف صورهم كأصل إيجادهم آية واضحة لمبدعهم، وقد قرّرهم نوح عليه السلام به فقال: ﴿مالكم لا ترجون لله وقاراً* وقد خلقكم أطواراً﴾[2].

قال الصادق عليه السلام للمفضّل: اعتبر لِمَ لا يتشابه الناس واحد بالآخر كما تتشابه الوحوش والطير وغير ذلك، فانّك ترى السِّرب من الظباء والقطا تتشابه حتى لا يفرَّق بين واحد وبين الأُخرى، وترى الناس مختلفة صورهم وخلقهم حتى لا يكاد اثنان منهم يجتمعان في صفة واحدة، والعلّة في ذلك أن النّاس محتاجون إلى أن يتعارفوا بأعيانهم وحلاهم لما يجري بينهم من المعاملات، وليس يجري بين البهائم مثل ذلك فيحتاج إلى معرفة كلّ واحد منهم بعينه وحليته. ألا ترى أنّ التشابه في الطير والوحش لا يضرّها شيئاً؟ وليس كذلك الإنسان، فإنّه ربما تشابه التوأمان تشابهاً شديداً فتعظم المؤنة على الناس في معاملتهما حتّى يعطي أحدهما بالآخر ويؤخذ بذنب أحدهما الآخر، وقد يحدث مثل هذا في تشابه الأشياء فضلاً عن تشابه الصور، فمن لطف بعباده بهذه الدقائق التي لا تكاد تخطر بالبال حتى وقف بها على الصواب: إلّا من وسعت رحمته كلّ شيء، ولو رأيت تمثال الإنسان مصوّراً على حائط وقال لك قائل إنّ هذا ظهر هنا من تلقاء نفسه لم يصنعه صانع، أكنت تقبل ذلك؟ بل كنت تستهزئ به، فكيف تنكر هذا في تمثال مصوّر جماد ولا تنكره في الإنسان الحيّ الناطق[3].

---

(١) توحيد المفضل: ٥٦، والنقل بتصرف يسير.

(٢) نوح: ١٣ و ١٤.

(٣) توحيد المفضل: ٨٧، والنقل بتصرف يسير.

«ولم يلجأوا إلى حجّة فيما ادعوا» ﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾[1].

«ولا تحقيق لما أوعوا» بفتح الهمزة أي: اضمروا، قال تعالى: ﴿والله أعلم بما يُوعون﴾[2].

وفي (توحيد المفضل): إن الشكّاك جهلوا الأسباب والمعاني في الخلقة، وقصرت أفهامهم عن تأمّل الصواب: والحكمة فيما ذرأ الباري جلّ قدسه وبرأ من صنوف خلقه في البرّ والبحر والسهل والوعر، فخرجوا بقصر علومهم إلى الجحود وبضعف بصائرهم الى التكذيب والعنود، حتى أنكروا خلق الأشياء وادعوا أن تكونها بالإهمال، لا صنعة فيها ولا تقدير ولا حكمة من مدبّر ولا صانع، تعالى الله عمّا يصفون وقاتلهم الله أنّى يؤفكون!

فهم في ضلالهم وغيّهم وتجبرهم بمنزلة عميان دخلوا داراً قد بنيت أتقن بناء وأحسنه، وفرشت بأحسن الفرش وأفخره، وأعدّ فيها ضروب الأطعمة والأشربة والملابس والمآرب التي يحتاج إليها ولا يستغنى عنها، ووضع كلّ شيء من ذلك موضعه على صواب من التقدير وحكمة من التدبير، فجعلوا يتردّدون فيها يميناً وشمالاً ويطوفون بيوتها إدباراً وإقبالاً، محجوبة أبصارهم عنها لا يبصرون بنية الدار وما أعدّ فيها، وربما عثر بعضهم بالشيء الذي قد وضع موضعه، وأعدّ للحاجة إليه وهو جاهل للمعنى فيه ولما أعدّ ولماذا جعل كذلك، فتذمّر وتسخّط وذمَّ الدار وبانيها.

فهذا حال هذا الصنف في إنكارهم ما أنكروا من أمر الخلقة وثبات الصنعة، فانّهم لما عزبت أذهانهم عن معرفة الأسباب والعلل في الأشياء

---

(١) البقرة: ١١١، والنمل: ٦٤.

(٢) الانشقاق: ٢٣.

صاروا يجولون في هذا العالم حيارى! فلا يفهمون ما هو عليه من إتقان خلقته وحسن صنعته وصواب هيئته.

وربما وقف بعضهم على الشيء يجهل سببه والارب فيه فيسرع إلى ذمّه ووصفه بالإحالة والخطأ، كالذي أقدمت عليه المنانية ـ أصحاب ماني ـ الكفرة، وجاهرت به الملاحدة المارقة الفجرة، وأشباههم من أهل الضلال المعلّلين أنفسهم بالمحال[1].

«وهل يكون بناء من غير بانٍ» إشارة إلى عدم إمكان وجودهم من غير موجد.

وفي توحيد المفضل: فكّر في أعضاء البدن أجمع وتدبير كلّ منها للارب، فاليدان للعلاج، والرجلان للسعي، والعينان للاهتداء، والفم للاغتذاء، والمعدة للهضم، والكبد للتخليص، والمنافذ لتنفيذ الفضول، والأوعية لحملها، والفرج لإقامة النسل، وكذلك جميع الأعضاء إذا ما تأمّلتها وأعملت فكرك فيها وجدت كلّ شيء منها قد قدّر لشيء على صواب وحكمة.

فقال المفضّل له عليه السلام: إنّ قوماً يزعمون إن هذا من فعل الطبيعة، فقال عليه السلام: سَلْهُم عن هذه الطبيعة أهي شيء له علم وقدرة على مثل هذه الأفعال أم ليست كذلك؟ فان أوجبوا لها العلم والقدرة فما يمنعهم من إثبات الخالق فإن هذا صفته، وإن زعموا أنّها تفعل هذه الأفعال بغير علم ولا عمد وكان في أفعالها ما قد تراه من الصواب والحكمة عَلِمَ أنّ هذا الفعل لخالق حكيم، فإنّ الذي سمّوه طبيعة هو سُنّته في خلقه الجارية على ما أجراها عليه[2].

---

(١) توحيد المفضل: ٤٤، والنقل بتصرف يسير.

(٢) توحيد المفضل: ٥٤ و ٥٥، والنقل بتصرف يسير.

«أو جناية» هكذا في النسخ[1]، والظاهر كونه مصحّف «جنى» توهماً من النساخ أن «جانٍ» بعده من الجناية فحرّفوا «من غير جان» من «جنيت الثمرة»، إشارة إلى عدم إمكان فنائهم بغير مفنٍ، كما في عدم إمكان وجودهم بغير موجد، فكانوا يقولون: ﴿ماهي إلّا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلّا الدّهر﴾[2]. قال تعالى: ﴿فلولا إذا بلغت الحلقوم* وأنتم حينئذٍ تنظرون* ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون* فلولا إن كنتم غير مدينين* ترجعونها إن كنتم صادقين﴾[3].

وأيضاً لو كان فناؤهم من غير مفنٍ، لكان الواجب ألّا يموت أحد غير من قتل، إلا بعد خمود الحرارة الغريزية، كما لم ينهدم بناء إلّا بعد زوال استمساك أجزائه، ولم نرَ أحداً وصل إلى الخمود.

هذا، وقد قال ابن أبي الحديد: «وهذه كلمة ساقته إليها القرينة، والمراد عموم الفعليّة لا خصوص الجناية، أي مستحيل أن يكون الفعل من غير الفاعل»[4].

فيقال له: هل كان عليه السلام شاعراً اضطرته القافية، ولكن ابن أبي الحديد كما قيل بالفارسية «سخن شناس نه اى دلبرا خطا اينجا است».

وفي (توحيد المفضّل): وممّا ينتقده الجاحدون للعمد والتقدير الموت والفناء، فانّهم يذهبون إلى انّه ينبغي أن يكون الناس مخلّدين في هذه الدنيا مبرّئين من هذه الآفات، فينبغي أن يساق هذا الأمر إلى غايته فينظر ما محصوله. أفرأيت لو كان كلّ من دخل العالم ويدخله يبقون ولا يموت أحد

---

(١) نهج البلاغة ٢: ١١٨، وشرح ابن أبي الحديد ١٣: ٥٦، وشرح ابن ميثم ٤: ١٣١.

(٢) الجاثية: ٢٤.

(٣) الواقعة: ٨٦ و ٨٧.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٦٥.

منهم، ألم تكن الأرض تضيق بهم حتى تعوزهم المساكن والمزارع والمعائش؟ فإنّهم والموت يفنيهم أولاً فأولاً يتنافسون في المساكن والمزارع، حتى تنشب بينهم في ذلك الحروب وتسفك فيهم الدماء، فكيف كانت تكون حالهم لو كانوا يولدون ولا يموتون؟ وكان يغلب عليهم الحرص والشره وقساوة القلوب، فلو وثقوا بأنّهم لا يموتون لما قنع الواحد منهم بشيء يناله، ولا أفرج لأحد عن شيء يسأله، ولا سلا عن شيء مما يحدث عليه، ثم كانوا يملّون الحياة وكلّ شيء من أُمور الدنيا كما قد يملّ الحياة من طال عمره حتى يتمنّى الموت والراحة من الدنيا.

فإن قالوا: انّه كان ينبغي أن يرفع عنهم المكاره والأوصاب حتى لا يتمنَّوا الموت ولا يشتاقوا إليه، فقد وصفنا ما كان يخرجهم إليه العتو والأشر الحامل لهم على ما فيه فساد الدنيا والدين.

وإن قالوا: انّه كان ينبغي ألّا يتوالدوا كيلا تضيق عنهم المساكن والمعائش، قيل لهم: إذن كان يُحرَم أكثر هذا الخلق دخول العالم والاستمتاع بنعم الله تعالى ومواهبه في الدارين جميعاً إذا لم يدخل العالم إلّا قرن واحد لا يتوالدون ولا يتناسلون.

فإن قالوا: انّه كان ينبغي أن يخلق في ذلك القرن الواحد من الناس مثل ما خلق ويخلق إلى انقضاء العالم، يقال لهم: رجع الأمر إلى ما ذكرنا من ضيق المساكن والمعائش عنهم، ثم لو كانوا لا يتوالدون ولا يتناسلون لذهب موضع الأنس بالقرابات وذوي الأرحام والانتصار بهم عند الشدائد، وموضع تربية الأولاد والسرور بهم، ففي هذا دليل على أنّ كلّ ما تذهب إليه الأوهام سوى ما جرى به التدبير خطأ وسفه من الرأي والقول[1].

---

(١) توحيد المفضل: ١٧١، والنقل بتصرف يسير.

«وان شئت قلت في الجرادة» قال تعالى: ﴿يخرجون من الأجداث كأنّهم جراد منتشر﴾[١].

وفي (حياة حيوان الدميري) -ونقله الخوئي أيضاً- الجراد إذا خرج من بيضه يقال له الدبي، فإذا طلعت أجنحته وكبرت فهو الغوغاء، وذلك حين يموج بعضه في بعض، فإذا بدت فيه الألوان واصفرّت الذكور واسودّت الإناث سمّي جراداً، وإذا أراد أن يبيض التمس لبيضه المواضع الصّلدة والصخور الصّلبة التي لا تعمل فيها المعاول، فيضربها بذنبه فتصدع له فيلقي بيضه في ذلك الصدع فيكون له كالأفحوص ويكون حاضناً له ومربياً، وللجرادة ستّ أرجل ويدان في صدرها وقائمتان في وسطها ورجلان في مؤخّرها، وطرفا رجليها منشاران، وهو من الحيوان المنقاد لرئيسه، فيجتمع كالعسكر إذا ظعن أوله تتابع جميعه ظاعناً وإذا نزل أوّله نزل جميعه، ولعابه سمّ نافع للنبات[٢].

«اذ خلق لها عينين حمراوين وأسرج لها حدقتين قمراوين» أي: بيضاوين.

«وجعل لها السمع الخفيّ» حتى لم يعلم محل سامعتها «وفتح لها الفم السوي» أي: المستوي.

«وجعل لها الحسّ القوي» الظاهر أن المراد به شمّه، وإن كان يطلق على السمع والبصر والذوق واللمس أيضاً.

«ونابين» قال الفيروزآبادي: الناب: السن خلف الرباعية، جمعه أنياب[٣]

«بها تقرض» أي: تقطع.

---

(١) القمر: ٧.

(٢) شرح الخوئي ٥: ١٣٩ و ١٤٠، وحياة الحيوان ١: ١٨٧.

(٣) القاموس المحيط ١: ١٣٥، مادة نيب.

«ومنجلين» المنجل: ما يحصد به «بهما تقبض يرهبها الزرّاع في زرعهم».

قال أعرابي ـ كما في (الصناعتين) ـ باكرنا وسمّي خلفه ولّي، فالأرض كأنّها وشي منشور عليه لؤلؤ منثور، ثم أتتنا غيوم جراد بمناجل حصاد، فاحترثت البلاد وأهلكت العباد[١].

وفي (حياة حيوان الدميري): وقعت جرادة بين يدي النبيّ ﷺ، فإذا مكتوب على جناحيها بالعبرانية «نحن جند الله الأكبر ولنا تسع وتسعون بيضة، ولو تمت لنا المائة لأكلنا الدنيا بما فيها».

وفيه عن النبيّ ﷺ: مكتوب على الجرادة «أنا الله لا إله إلا أنا ربّ الجراد ورازقها، إن شئت بعثتها رزقاً لقوم، وإن شئت بعثتها بلاءً على قوم»[٢].

«ولا يستطيعون ذبّها» أي: دفعها.

في (حياة حيوان الدميري): قال الأصمعي: أتيت البادية فإذا أعرابي زرع بُرّاً له، فلما قام على سوقه وجاء سنبله، أتاه رجل جراد، فجعل الرجل ينظر اليه ولا يدري كيف الحيلة فيه، فأنشأ يقول:

مرّ الجراد على زرعي فقلت له ... لا تأكلنّ ولا تشغل بإفساد

فقام منهم خطيب فوق سنبلة ... انا على سفر لابدّ من زاد[٣]

«ولو أجلبوا» أي: تجمّعوا «بجمعهم حتى ترد الحرث في نزواتها» أي: توثباتها وتسرعاتها «وتقضي منه شهواتها» في (بديع ابن المعتز): قال ادد بن مالك بن يزيد ابن كهلان ـ وهو طي ـ في وصيته لولده: لا تكونوا كالجراد أكل

---

(١) الصناعتين: ٢٦٢.

(٢) حياة الحيوان ١: ١٨٧ و ١٨٨.

(٣) حياة الحيوان ١: ١٨٨.

ما وجد وأكله من وجده.

«وخلقها كلّه لا يكون إصبعاً مستدقّة» أي: دقيقة .

في (حياة حيوان الدميري): في الجراد خلقة عشرة من جبابرة الحيوان مع ضعفه: وجه فرس، وعينا فيل، وعنق ثور، وقرنا إيل، وصدر أسد، وبطن عقرب، وجناحا نسر، وفخذا جمل، ورجلا نعامة، وذنب حيّة. وقد أحسن محيى الدين في وصفه:

لها فخذا بكر وساقا نعامة ... وقادمتا نسر وجؤجؤ ضيغم

حبتها أفاعي الأرض بطناً وأنعمت ... عليها جياد الخيل بالرأس والفم[1]

وفي (توحيد المفضل): انظر إلى هذا الجراد ما أضعفه وأقواه، فانّك إذا تأمّلت خَلْقه رأيته كأضعف الأشياء، وإن دلفت عساكره نحو بلد من البلدان لم يستطع أحد أن يحميه منه، ألا ترى أنّ ملكاً من الملوك لو جمع خيله ورجله ليحمي بلاده من الجراد لم يقدر على ذلك، أفليس من الدلائل على قدرة الخالق أن يبعث أضعف خلقه إلى أقوى خلقه فلا يستطيع دفعه؟ انظر إليه كيف ينساب على وجه الأرض مثل السيل، فيغشي السهل والجبل والبدو والحضر حتى يستر نور الشمس بكثرته، فلو كان هذا مما يصنع بالأيدي متى كان يجتمع منه هذه الكثرة وفي كم سنة كان يرتفع؟ فاستدل بذلك على القدرة التي لايؤدها شيء ولا يكثر عليه[2].

وفي (المعجم): في الجراد طير إذا طار بسط وإذا دنا من الأرض لطع، رجلاه كالمنشار وعيناه كالزجاج، عينه في جبينه ورجله أطول من قامته، جِيدُها كَجِيدِ البقر ورأسها كرأس الفرس وقرنها كقرن الوعل ورجلها كرجل

---

(١) حياة الحيوان ١: ١٨٨ .

(٢) توحيد المفضل : ١٢٣ والنقل بتصرف يسير.

الجمل وبطنها كبطن الحية، تطير بأربعة أجنحة وتأكل بلسانه، فتبارك الله ما أحسنها وأحسن ما فيها، انهام طعام طاهر حياً وميتاً، تجدب أقواماً وتخصب آخرين - يعني إذا دخلت البوادي والفيافي ومواضع الرمال فهي خصب لهم وميرة، وإذا حلت بمادي الزرع والأشجار فهي جدب لأنها تأتي على الشوك والشجر والرطب واليابس فلا تبقي ولا تذر!

وفيه عن ابن عباس: مكتوب على جناح الجراد «إنّا نغلي الأسعار مع تدافق الأنهار»[1].

وقال بعض الخطباء: إن الله سبحانه خلق خلقاً وسمّاها جراداً، وألبسها أجلاداً، وجنّدها أجناداً، وأدمجها إدماجاً، وكساها من الوشي ديباجاً، وجعل لها ذرية وأزواجاً، إذا أقبلت خلتها سحاباً أو عجاجاً، وإذا أدبرت حسبتها قوافل وحجاجاً، مزخرفة المقاديم مزبرجة المآخير، مزوقة الأطراف منقطعة الاخفاف، منمنمة الحواشي منمّقة الغواشي، ذات أردية مزعفرة وأكسية معصفرة وأخفية مخططة، معتدلة قامتها مؤتلفة خلقتها مختلفة حليتها، موصولة المفاصل مدرجة الحواصل، تسعى وتحتال وتميس وتختال وتطوف وتجتال. فتبارك خالقها وتعالى رازقها، أوسعها رزقاً وأتقنها خلقاً وفتق منها رتقاً، وشبح أعراقها وألجم أعناقها، وطوقها أطواقها، وقسم معائشها، وأرزاقها، تنظر شزراً من ورائها، وترقب النازل من سمائها، وتحرس الدائر من حولها، سلاحها عتيد وبأسها شديد ومضرّتها تعديد، تدبّ على ستٍّ وتطير، فسبحان من خلقها خلقاً عجيباً، وجعل لها من كلّ ثمرٍ وشجرٍ نصيباً، جعل لها إدباراً وإقبالاً وطلباً واحتيالاً، حتى دبّت ودرجت وخرجت ودخلت ونزلت وعرجت، مع المنظر الأنيق والعصب الدقيق والبدن

---

(١) لم أجده في معجم الأدباء.

الرقيق، ﴿هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه﴾.

«فتبارك الذي يسجد له من في السماوات والأرض طوعاً وكرها» الأصل فيه قوله تعالى: ﴿ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدوّ والآصال﴾[١].

«ويعنو له خداً ووجهاً» هكذا في (المصرية) والصواب: «ويعفّر» من عفّره في التراب: مرّغه فيه، كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٢]، وان كان «يعنو» صحيحاً من حيث المعنى، كقوله تعالى ﴿وعنت الوجوه للحيّ القيّوم﴾[٣].

«ويلقي» أي: يرمي «إليه بالطاعة» هكذا في (المصرية) والصواب: «بالطاعة إليه» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٤] «سلماً وضعفاً» ﴿وله أسلم من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون﴾[٥].

«ويعطي له القياد» أي: الإنقياد «رهبة وخوفاً» ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين﴾[٦].

هذا، وعن المدائني: ركب يزيد النهشلي بعيراً فقال: اللّهم إنّك قلت ﴿وما كنّا له مقرنين﴾[٧] وإنّي لبعيري هذا لمقرن، فنفر به بعيره فطرحه وبقيت رجله في الغرز، فجعل يضرب برأسه كلّ حجر ومدر حتى مات[٨].

---

(١) الرعد: ١٥.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٦٦، وشرح ابن ميثم ٤: ١٣٠.

(٣) طه: ١١١.

(٤) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٦٦، لكن في شرح ابن ميثم ٤: ١٣١، نحو المصرية.

(٥) آل عمران: ٨٣.

(٦) فصلت: ١١.

(٧) الزخرف: ١٣.

(٨) رواه عن المدائني ابن قتيبة في عيون الأخبار ٢: ٦٠.

«فالطير مسخرة لأمره» ﴿ألم تر أنّ الله يسبح له من في ا لسماوات والأرض والطير صافّات﴾[١].

في (توحيد المفضل): تأمل جسم الطائر وخلقته، فانّه حين قدر أن يكون طائراً في الجوّ خفف جسمه وأدمج خلقه واقتصر به من القوائم الأربع على اثنتين ومن الأصابع الخمس على أربع ومن منفذين للزبل والبول على واحد يجمعهما، ثم خلق ذا جؤجؤ محدّد ليسهل عليه أن يخرق الهواء كيفما أخذ فيه، كما جعلت السفينة بهذه الهيئة لتشقّ الماء وتنفذ فيه، وجعل في جناحيه وذنبه ريشات طوال متان لينهض بها للطيران، وكسى كلّه الريش ليتداخله الهواء فيقله، ولما قدر أن يكون طعمه الحب واللحم يبلعه بلعاً بلا مضغ نقص من خلقه الاسنان وخلق له منقار صلب جاسي يتناول به طعمه، فلا ينسجح من لقط الحب ولا يتقصف من نهش اللحم، ولما عدم الاسنان وصار يزدرد الحبّ واللحم غريضاً أُعين بفضل حرارة في الجوف تطحن له الطعم طحناً يستغني به عن المضغ، واعتبر ذلك بأن عجم العنب وغيره يخرج من أجواف الإنس صحيحاً ويطحن في أجواف الطير لا يرى له أثر، ثم جعل مما تبيض ولا تلد ولادة لكيلا يثقل عن الطيران، فانّه لو كانت الفراخ في جوفه تمكث حتى تستحكم لأثقلته وعاقته عن الطيران، فجعل كلّ شيء خلقه مشاكلاً للأمر الذي قدّر أن يكون عليه[٢].

«أحصى عدد الريش منها والنَّفَس» كما أحصى عدد أنفاس البشر، قال تعالى: ﴿إنّما نعدّ لهم عدّاً﴾[٣].

---

(١) النور : ٤١.

(٢) توحيد المفضل: ١١٣، والنقل بتصرف يسير.

(٣) مريم : ٨٤.

«وأرسى» أي: أثبت «قوائمها على النّدى» أي: البلل، كما في طير البحر (واليبس) كما في طير البر.

«وقدّر» هكذا في (المصرية)، والصواب: «قدر» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[1] «أقواتها» حتى للفراخ في البيض وطير الليل.

وفي (توحيد المفضل): اعتبر بخلق البيضة وما فيها من المخ الأصفر الخاثر والماء الأبيض الرقيق، فبعضه ينشو منه الفرخ، وبعضه يغتذي به إلى أن تنقاب عنه البيضة، وما في ذلك من التدبير، فانه لو كان نشو الفرخ في تلك القشرة المستحفظة التي لا مساغ لشيء إليها ما جعل معه في جوفها من الغذاء ما يكتفي به إلى وقت خروجه منها كان كمن يحبس في حبس حصين لا يوصل إلى من فيه فيجعل معه من القوت ما يكتفي به إلى وقت خروجه منه.

وفيه: يا مفضل؛ أعلمت ما طعم هذه الأصناف من الطير التي لا تخرج إلّا بالليل كمثل البوم والهام والخفاش؟ قال: لا. قال: إنّ معاشها من ضروب تنتشر في الجو من البعوض والفراش وأشباه الجراد واليعاسيب، وذلك أن هذه الضروب مبثوثة في الجو لا يخلو منها موضع[2].

«وأحصى أجناسها» ﴿وما من دابّة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلّا أُمم أمثالكم ما فرّطنا في الكتاب من شيء﴾[3].

هذا، وفي (حياة حيوان الدميري): قال بعض الحكماء: كلّ انسان مع شكله كما أن كلّ طير مع جنسه.

وكان مالك بن دينار يقول: لا يتّفق اثنان في عشرة إلّا وفي أحدهما

---

(١) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٦٦، وشرح ابن ميثم ٤: ١٣١ نحو المصرية.

(٢) توحيد المفضل: ١١٥ و ١١٩، والنقل بتصرف يسير.

(٣) الأنعام: ٣٨.

وصف من الآخر، فإن أشكال الناس كأجناس الطير، ولا يتفق نوعان منه في طيران إلّا لمناسبة بينهما، فرأى يوماً حمامة مع غراب، فعجب من اتفاقهما وليسا من شكل واحد، فلما مشيا إذا هما أعرجان فقال: من ها هنا اتفقا[١].

«فهذا غراب» في (حياة حيوان الدميري): سمّي الغراب لسواده، ومنه قوله تعالى: ﴿وغرابيب سود﴾[٢] وهما لفظان بمعنى واحد. وجمع ابن مالك صيغ جمعه في قوله:

بالغرب أجمع غراباً ثم أغربة ... وأغرب وغرابين وغربان

وقال الشاعر:

ان الغراب وكان يمشي مشية ... فيما مضى من سالف الأجيال

حسد القطاة ورام يمشي مشيها ... فأصابه ضرب من العقال

فأضلّ مشيته وأخطأ مشيها ... فلذلك سمّوه أبا المرقال

وهو أصناف: الغداف، والزاغ، والأكحل، وغراب الزريج، والأورق، وهذا الصنف يحكي جميع ما يسمعه، والأعصم - وهو عزيز الوجود، قالت العرب: «أعز من الغراب الأعصم» وقال النبيّ ﷺ : «مثل المرأة الصالحة في النساء كمثل الغراب الأعصم في مائة غراب» وغراب الليل، قال الجاحظ: هو غراب ترك أخلاق الغربان وتشبّه بأخلاق البوم.

وقال أرسطاطاليس: الغربان أربعة أجناس: أسود حالك، وأبلق، ومطرف ببياض لطيف الجرم يأكل الحب، وأسود طاوسي براق الريش ورجلاه كلون المرجان يعرف بالزاغ.

وفي الغراب كلّه الاستتار بالسفاد، يسفد مواجهة ولا يعود إلى الأنثى

(١) حياة الحيوان ١: ٢٦١.

(٢) فاطر: ٢٧.

بعد ذلك لقلّة وفائه. والأُنثى تبيض أربع بيضات وخمساً، وإذا خرجت الفراخ من البيض طردتها لأنها تخرج قبيحة المنظر جدّاً، إذ تكون صغار الأجرام كبيرة الرؤس والمناقير جرداء اللون متفاوتة الأعضاء، فالأبوان ينظران الفرخ كذلك فيتركانه فيجعل الله قوته في الذباب والبعوض الكائن في عشّه الى أن يقوى وينبت ريشه فيعود إليه أبواه، وعلى الأُنثى أن تحضن، وعلى الذكر أن يأتيها بالمطعم، وفي طبع الغراب أنّه لا يتعاطى الصيد، بل ان وجد جيفة أكل منها وإلّا مات جوعاً، ويتقمقم كما يتقمقم ضعاف الطير، وفيه حذر شديد وتنافر. والغداف يقاتل البوم ويخطف بيضها ويأكل بيضها، ومن عجيب أمره أن الإنسان إذا أراد أن يأخذ فراخه يحمل الذكر والأُنثى في أرجلهما الحجارة ويتحلقان الجو ويطرحان الحجارة عليه، والعرب تتشأم بالغراب ولذا اشتقوا من اسمه، الغربة.

وقال صاحب المجالسة: سمّي غراب البين لأنّه بان عن نوح عليه السلام لما وجّهه لينظر إلى الماء فذهب ولم يرجع. وذكر ابن قتيبة إنّه سمّي فاسقاً فيما أرى لتخلّفه حين أرسله نوح عليه السلام ليأتيه بخبر الأرض فترك أمره ووقع على جيفة، قال عنترة:

ظعن الذين فراقهم أتوقّع وجرى ببينهم الغراب الأبقع

وقال صاحب منطق الطير: الغربان جنس من الأجناس التي أمر بقتلها في الحلّ والحرم من الفواسق. وقال الجاحظ: غراب البين نوعان: غراب صغير معروف باللؤم والضعف، وآخر ينزل في دور الناس ويقع على مواضع إقامتهم إذا ارتحلوا عنها، ويقال: إذا صاح الغراب مرّتين فهو شرّ وإذا صاح ثلاث فهو خير.

ولما كان صافي البصر حاده، سمّي أعور، قال الجاحظ: سمّوه بالأعور تطيّراً منه وليس به عَوَر، وقيل: إنّما سمّوه أعور تفؤلاً بالسلامة منه كما

سمّوا البريّة بالمفازة واليد الشمال باليسار، وقيل: إنّما سمّوه أعور لتغميض احدى عينيه أبداً من قوّة بصره، قاله ابن الأعرابي.

وحكى المسعودي عن بعض حكماء الفرس قال: أخذت من كلّ شيء أحسن ما فيه حتى انتهيت في ذلك إلى الكلب والهرّة والخنزير والغراب، قال: فأخذت من الكلب أُلفه لأهله وذبّه عن صاحبه، ومن الهرّة حسن تأنّيها وتملقها عند المسألة، ومن الخنزير بكوره في حوائجه، ومن الغراب شدّة حذره. وقالوا أغرب من الغراب، وأشبه بالغراب من الغراب [1].

«وهذا عقاب» قال:

عقاب عقنباة كأن وظيفها وخرطومها الأُعلى بنار ملوّح

وفي (حياة حيوان الدميري): والعرب تسمّي العقاب الكاسر، وهي مؤنثة اللفظ، وقيل يقع على الذكر والأُنثى وتمييزه باسم الإشارة.

وفي (الكامل): العقاب سيّد الطيور والأُنثى منه تسمّى لقوّة، وقال الخليل: اللَّقوة بالفتح والكسر العقاب السريعة الطيران.

وتسمّى العقاب عنقاء مغرب لأنّها تأتي من مكان بعيد: فمنها ما يأوي الجبال، ومنها ما يأوي الصحاري، وما يأوي الغياض، وما يأوي حول المدن.

وقال ابن خِلّكان في (العماد الكاتب): العقاب جميعه أُنثى، وإنّ الذي يسافده طير آخر من غير جنسه، وقيل: إنّ الثعلب يسافده، وهذا من العجائب، ولابن عنين الشاعر في ابن سيدة:

ما أنت إلا كالعقاب فأُمّه معروفة وله أب مجهول

والعقاب تبيض ثلاث بيضات في الغالب وتحضنها ثلاثين يوماً، وما عداها من الجوارح يبيض بيضتين ويحضن عشرين يوماً. فإذا خرجت فراخ

---

(١) حياة الحيوان ٢: ١٧٢ ـ ١٧٩، والنقل بتصرف يسير.

العقاب ألقت واحداً منها لأنّه يثقل عليها طعم الثلاث وذلك لقلّة صيدها، والفرخ الذي يلقيه يعطف عليه طائر آخر يسمّى كاسر العظام، ومن عادة هذا الطائر أن يزقّ كل فرخ ضائع. والعقاب خفيفة الجناح سريعة الطيران، وتتغدّى بالعراق وتتعشى باليمن، وريشها الذي عليها فروتها في الشتاء وحليتها في الصيف، ومتى ثقلت عن النهوض وعميت حملتها الفراخ على ظهورها ونقلتها من مكان إلى مكان، فعند ذلك تلتمس لها غياضاً من أرض الهند على رأس جبل فيغمسا فيها ثمّ تضعها في شعاع الشمس، فيسقط ريشها، وينبت لها ريش جديد وتذهب ظلمة بصرها ثمّ تغوص في تلك العين، فإذا هي قد عادت شابة كما كانت.

قال التوحيدي : ومن عجيب ما ألهمته أنّها إذا اشتكت أكبادها أكلت أكباد الأرانب والثعالب فتبرأ، وهي تأكل الحيّات إلّا رؤوسها والطيور إلّا قلوبها، قال امرؤ القيس:

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً   لدى وكرها العناب والحشف البالي

وقال طرفة:

كأن قلوب الطير في قعر عشّها   نوى القسب ملقى عند بعض المآدب

وقيل لبشار: لو خيّرك الله أن تكون حيواناً ماذا تختار؟ قال: العقاب لأنّها تلبث حيث لا يبلغها سبع ولا ذو أربع، وتحيد عنها سباع الطير، ولا تعاني الصيد إلّا قليلاً، بل تسلب كلّ ذي صيد صيده.

ومن شأنها أنّ جناحها لا يزال يخفق، قال عمرو بن حزم:

لقد ترك عفراء قلبي كأنّه   جناح عقاب دائم الخفقان[1]

وفي (عجائب المخلوقات): أنّ حجر العقاب حجر يشبه نوى (التمر

(١) حياة الحيوان ٢: ١٢٦ و ١٢٧ والنقل بتصرف يسير.

هندي) إذا حرّك يسمع منه صوت وإذا كسر لا يوجد فيه شيء، يوجد ذاك الحجر في عشّ العقاب والعقاب يجلبه من أرض الهند، وإذا قصد الإنسان عشّه يرمي إليه بهذا الحجر ليأخذه ويرجع، فكأنه عرف أنّ قصدهم إيّاه لخاصّيته. فمن خواصّه أنّه إذا علق على من بها عسراً لولادة تضع سريعاً، ومن جعله تحت لسانه يغلب الخصم[١].

«وهذا حمام» في (حياة حيوان الدميري): قال الجوهري: الحمام عند العرب ذوات الأطواق نحو الفواخت والقماري وساق حر والقطا والوراشين وأشباه ذلك يقع على الذكر والأنثى. وقال الأموي: الدواجن التي تستقر في البيوت تسمّى حماماً أيضاً، وأنشد للعجاج:

إنّي وربّ البلد المحرّم والقاطنات البيت عند زمزم

قواطناً مكة من ورق الحم ـ يريد الحمام

وعن الأصمعي: أنّ كلّ ذات طوق ـ أي الحمرة أو الخضرة أو السواد المحيط بعُنُق الحمامة ـ فهي حمام. وقال الكسائي: الحمام البرّي واليمام الذي يألف البيوت ـ إلى أن قال ـ والحمام يقع على اليعاقيب والشفنين والزاغ والورداني والطوراني، والذي يألف البيوت قسمان: أحدهما البرّي وهو الذي يلازم البروج وما أشبهها، والثاني الأهلي ومنه الرواعب والمراعيش والعداد والسداد والمضرب والقلاب المنسوب وهو بالنسبة إلى ما تقدم كالعتاق من الخيل وتلك كالبراذين.

وقال الجاحظ: الفقيع من الحمام كالصقلاب من الناس، وهو الأبيض، وكان في منزل النبيّ ﷺ حمام أحمر يقال له وردان.

ومن طبع الحمام أنّه يطلب وكره ولو أرسل من ألف فرسخ، ويحمل

(١) عجائب المخلوقات ١: ٣٣٤ والنقل بتصرف يسير.

الأخبار ويأتي بها من البلاد البعيدة في المدّة القريبة، وفيه ما يقطع ثلاثة آلاف فرسخ في يوم واحد، وربما اصطيد وغاب عن وطنه عشر حِجَجٍ فأكثر، ثم هو على ثبات عقله حتى يجد فرصة فيطير إلى وطنه. وسباع الطير تطلبه أشدّ الطلب، وخوفه من الشاهين أشدّ من خوفه من غيره، وهو أطير منه، ومن سائر الطير كلّه، لكنّه يذعر منه ويعتريه ما يعتري الحمار إذا رأى الأسد، والشاة إذا رأت الذئب، والفأر إذا رأى الهِرّ.

ومن عجيب الطبيعة فيه ما حكاه ابن قتيبة في عيونه عن المثنى بن زهير قال: لم أرَ شيئاً قط من رجل وامرأة إلّا وقد رأيته في الحمام، ورأيت حمامة لا تريد إلّا ذكرها وذكراً لا يريد إلّا أنثاه إلّا أن يهلك أحدهما أو يفقد، ورأيت حمامة تتزيّن للذكر ساعة يريدها، ورأيت حمامة تمكّن غير زوجها، ورأيت حمامة تقمط حمامة ويقال أنّها تبيض من ذلك، ولكن لا يكون لذلك البيض فراخ، ورأيت ذكراً يقمط ذكراً، ورأيت ذكراً يقمط كلّ ما لقي ولا يزاوج، وأُنثى يقمطها كلّ ما رآها من الذكور ولا تزاوج، وليس من الحيوان ما يستعمل التقبيل عند السفاد إلّا الإنسان والحمام، وهو عفيف في السفاد يجرّ ذنبه ليعفي أثر الأنثى، كأنّه قد علم ما فعلت فيجتهد في إخفائه، وقد يسفد لتمام ستّة أشهر والأنثى تحمل أربعة عشر يوماً وتبيض بيضتين أحدهما ذكر والثانية أُنثى، وبين الأولى والثانية يوم وليلة، والذكر يجلس على البيض ويسخنه جزء من النهار والأُنثى بقية النهار وكذلك في الليل، وإذا باضت الأُنثى وأبت الدخول على بيضها لأمر ما ضربها الذَّكر واضطرَّها للدخول، وإذا أراد الذكر أن يسفد الأُنثى أخرج فراخه عن الوكر، وقد ألهم هذا النَّوع إذا خرجت فراخه من البيض بأن يمضغ الذكر تراباً مالحاً ويطعمها إيّاه ليسهل

به في سبيل المطعم. وزعم ارسطو أنّ الحمام يعيش ثمان سنين[١].

فيه: وفي التأريخ أن المسترشد لما حُبِسَ رأى في منامه كأن على يده حمامة مطوّقة، فأتاه آت فقال له: خلاصك في هذا. فقيل له: بما أوّلته؟ فقال: ببيت أبي تمام:

هُنّ الحمام فإن كسرت عيافة ... من حائهن فانهنّ حمام

فقتل بعد أيام سنة (٥٢٩).

وعن سفيان الثوري: كان اللعب من عمل قوم لوط.

وعن إبراهيم النخعي: من لعب بالحمام الطيّارة لم يمت حتى يذوق ألم الفقر.

وفي (مسند البزاز): إن الله تعالى أمر العنكبوت فنسجت على وجه الغار وأرسل حمامتين وحشيتين فوقفتا على فم الغار، وان ذلك ممّا صدّ المشركين عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وإنّ حمام الحرم من نسل تينك الحمامتين[٢].

قلت: بل الصحيح في حمام الحرم ما رواه (الكافي) عن الصادق عليه السلام قال: أصل حمام الحرم بقية حمام كان لإسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، اتّخذها كان يأنس بها.

وعنه عليه السلام: لما قال له رجل بلغني أنّ عمر رأى حماماً يطير ورجل تحته يعدو، فقال شيطان يعدو تحته شيطان، ما كان اسماعيل عليه السلام عندكم؟ فقيل: صديق، فقال: إن بقية حمام الحرم من حمام إسماعيل عليه السلام[٣].

هذا، وروى عنه عليه السلام: يستحب أن تتخذ طيراً مقصوصاً تأنس به مخافة

---

(١) حياة الحيوان ١: ٢٥٦ ـ ٢٥٩، وما نقله من عيون ابن قتيبة ٢: ٩١، والنقل بتصرف يسير.

(٢) حياة الحيوان ١: ٢٥٩ والنقل بتصرف يسير.

(٣) الكافي ٦: ٥٤٦ و ٥٤٨ ح٣ و ١٨.

الهوامّ.

وعنه عليه السلام: شكا رجل إلى النبيّ صلى الله عليه وآله الوحشة، فأمره أن يتخذ في بيته زوج حمام.

وعنه عليه السلام: ليس من بيت فيه حمام إلّا لم يصب أهل ذلك البيت آفة من الجنّ، إن سفهاء الجنّ يعبثون في البيت فيعبثون بالحمام ويتركون الإنسان.

وعنه عليه السلام: احتفر أمير المؤمنين عليه السلام بئراً فرموا فيها، فأخبر بذلك فجاء حتى وقف عليها فقال: لتكفّن أو لأسكننّها الحمام. ثم قال أبو عبدالله عليه السلام: ان حفيف أجنحتها تطرد الشياطين[1].

وفي (حياة حيوان الدميري): كان هارون يعجبه الحمام واللعب به، فأهدي له حمام وعنده أبو البختري القاضي، فروى له أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال «لا سبق إلّا في خف أو حافر أو جناح» وضع «أو جناح» للرشيد، فأعطاه جائزة سَنِيّة، فلما خرج قال: تالله لقد علمت أنّه كذب على النبيّ صلى الله عليه وآله[2].

«وهذا نعام» في (الصحاح): النَّعامة من الطير يذكر ويؤنث، والنَّعام اسم جنس مثل حمام وحمامة[3].

وفي (حياة حيوان الدميري): قال الجاحظ: والفرس يسمّونها (أشتر مرغ) وتأويله بعير وطائر، قال:

ومثل نعامة تدعى بعيراً	تعاصينا إذا ما قيل طيري
فإن قيل احملي قالت فإنّي	من الطير المرفّه في الوكور

وتزعم الأعراب أنّ النعامة ذهبت تطلب قرنين فقطعوا أُذنيها فلذلك

---

(١) الكافي ٦: ٥٤٦ و ٥٤٨ ح٣ و ٦ و ٥ و ١٧.

(٢) حياة الحيوان ١: ٢٦٠.

(٣) صحاح اللغة ٥: ٢٠٤٣، مادة (نعم).

سمّيت بالظليم.

والنّعام عند المتكلّمين على طبائع الحيوان ليست بطائر وان كانت تبيض ولها جناح وريش، ويجعلون الخُفّاش طيراً وان كان يحبل ويلد وله أذنان بارزتان وليس له ريش لوجود الطيران فيه، وهم يسمّون الدَّجاجة طيراً وان كانت لا تطير.

ومن أعاجيبها أنّها تضع بيضها طولاً بحيث لو مد عليها خيط لاشتمل على قدر بيضها، ولم تجد لشيء منه خروجاً عن الآخر، ثمّ أنّها تعطي كلّ بيضة منها نصيبها من الحضن إذ كان كلّ بدنها لا يشتمل على عدد بيضها، وهي تخرج لعدم الطعم، فإن وجدت بيض نعامة أُخرى تحضنه وتنسى بيضها، ويضرب بها المثل في ذلك، قال ابن هرمة:

فاني وتركي الأكرمين ... وقدحي بكفي زنادا شحاحا
كتاركة بيضها بالعراء ... وملبسة بيض أُخرى جناحا

ويقال: إنّها تقسّم بيضتها أثلاثاً، فمنه ما تحضنه ومنه ما تجعل صفاره غذاء ومنه ما تفتحه ويجعله في الهواء حتى يتعفن ويتولد منه دود، فتتغذي به فراخها إذا خرجت. والنعام من الحيوان الذي يراوح ويعاقب الذكر الأُنثى في الحضن، وكلّ ذي رجلين إذا انكسرت له احداهما استعان بالأُخرى في نهوضه ما خلا النَّعامة فانّها تبقى في مكانها جاثمة حتى تهلك جوعاً، قال الشاعر:

إذا انكسرت رجل النعامة لم تجد ... على أُختها نهضاً ولاباستها حبوا

وليس للنعام حاسة السمع ولكن له شمّ بليغ، فهو يدرك بأنفه ما يحتاج فيه إلى السمع، فربما شمّ رائحة القناص من بعد، ولذلك تقول العرب «أشمّ من نعامة» كما تقول «أشم من ذَرَّة».

قال ابن خالويه: ليس في الدنيا حيوان لا يسمع ولا يشرب الماء أبداً إلّا

النعام ولا مخ له، ومتى دميت رجل واحدة له لم ينتفع بالباقية، والضب أيضاً لا يشرب ولكنه يسمع. ومن حمقها أنّها إذا أدركها القنّاص أدخلت رأسها في كثيث رمل تقدّر أنّها قد استخفت منه، وهي قوية البصر على ترك الماء، وأشدّ ما يكون عدوها إذا استقبلت الريح، وكلّما اشتدّ عصوفها كانت أشدّ عدواً، ويبتلع العظم الصلب والحجر والمدر والحديد فتذيبه كالماء.

قال الجاحظ: من زعم أنّ جوف النّعام إنّما يذهب الحجارة لفرط الحرارة فقد أخطأ، ولكن لابد مع الحرارة من غرائز، أُخر، بدليل أنّ القدر يوقد عليها الأيام ولا تذهب الحجارة، وكما ان جوف الكلب والذئب يذيبان العظم ولا يذيبان نوى التمر، وكما أن الإبل تأكل الشوك وتقتصر عليه وإن كان شديداً كشجر ام غيلان وتلقيه روثاً، وإذا أكلت الشعير ألقته صحيحاً، وإذا رأت النعامة في أُذن صغير لؤلؤة أو حلقة اختطفتها، والنعام تبتلع الجمر فيطفئها جوفه، ولا يكون الجمر عاملاً في إحراقه، وفي ذلك أعجوبتان: إحداهما: التغذّي بما لا يتغذّى به، والثانية: الاستمراء والهضم، وهذا غير منكر لأن السمندر يبيض ويفرخ في النار ـ وأعلم حمزة يوم بدر بريش نعامة.

وقالوا: «مثل النعامة لا طير ولا جمل» يضرب لمن لم يُحْكَمْ له بخير ولا شرّ.

وقالوا «أروى من النعامة» لأنّها لا تشرب الماء، فإن رأته شربته عبثاً.

وقالوا «ركب جناح نعامة» يُضرب لمن جدَّ في أمر.

وقالوا «تكلم فلان فجمع بين الأروى والنعامة» إذا تكلّم بكلمتين مختلفتين، لأن الأروى يسكن الجبال والنعامة تسكن الفيافي.

وقالوا «أحمق من نعامة» و «أجبن من نعامة».

ومرارته سمّ ساعة، وذرقه إذا أحرق وسحق وطلي على السعفة أبرأها من وقته، وقشر بيضه إذا طرح في الخلّ بعدما يخرج جميع ما فيه تحرّك في

الخل وزال من موضعه الى آخر، وإذا عمل من الحديد الذي يأكله ويخرج منه سكين أو سيف لم يكلّ ولم يقم له شيء[١]، وفي اللسان قال الشاعر:

إن بني وقدان قوم سك مثل النّعام والنّعام صك

سك أي: صمّ[٢].

«دعا كلّ طائر باسمه» الظاهر أنّه مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وعلّم آدم الأسماء كلّها﴾[٣].

وعن (تفسير العياشي): سئل عليه السلام عن الآية ماذا عُلّم آدم؟ قال: الأرضين والجبال والشعاب والأودية. ثم نظر إلى بساط تحته فقال: وهذا البساط مما عُلّمه[٤].

وفي أصل عبد الملك بن حكيم عن الصادق عليه السلام: أُهدي للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من ناحية فارس خوخ، فوضع بين يديه، فقال لأبي بكر: أي شيء هذا؟ قال: ما أعرفه، ثم قال لعمر فقال ما أعرفه، ثم قال لعثمان فقال ما أعرفه، ثم قال لعليّ عليه السلام فقال له: بأبي أنت وأمّي تسمّيه أهل فارس الخوخ. فقال عمر: ما علّم عليّ ما يسمّيه أهل فارس، فوضع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يده على علي وقال لعمر: إليك عنه، فإنّ الله تعالى قد علّمه الأسماء التي علّمها أباه آدم[٥].

والظاهر أنّ المراد بالاسم المسمّى، لقوله تعالى بعدما مرّ: ﴿ثمّ عرضهم على الملائكة﴾[٦] والمراد بالمسمّى الحقائق وإلّا فكلّ

---

(١) حياة الحيوان ٢: ٣٥٥ ـ ٣٥٩ والنقل بتصرف يسير.

(٢) أورده لسان العرب ١٠: ٤٣٩ و ٤٥٧، مادة (سك وصك).

(٣) البقرة: ٣١.

(٤) تفسير العياشي ١: ٣٢ ح ١١.

(٥) اصل عبد ملك بن حكيم: ١٠٠ والنقل بتصرف يسير.

(٦) البقرة : ٣١.

أهل لغة يدعون طائراً باسم.

كما إنّ الظاهر أنّ المراد بقوله عليه السلام «دعا» الإرادة بوجوده، قال تعالى: ﴿إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾[1]، وليس المراد الدعاء الظاهري كما في قوله تعالى: ﴿ثمّ ادعهن يأتينك سعياً﴾[2].

هذا، وفي (المعجم): لتنيس موسم يكون فيه من أنواع الطيور ما لا يكون في موضع آخر، وهي مائة ونيف وثلاثون صنفاً وهي: السلوى، القبج، المملوح، النصطفير، الزرزور، الباز الرومي، الصفري، الدبسي، البلبل، السقاء، القمري، الفاختة، النواح، الزريق، النوبي، الزاغ، الهدهد، الحسيني، الجرادي، الابلق، الراهب، الخشاف، البزين، السلسلة، درداري، الشماص، البصبص، الأخضر، الأبهق، الأزرق، الخضير، أبو الحناء، أبو كلب، أبو دنيار، وارية الليل، وارية النهار، برقع ام علي، برقع ام حبيب، الدوري، الزنجي، الشامي، شقراق، صدر النحاس، البلسطين، الستة الخضراء، الستة السوداء، الاطروش، الخرطوم، ديك الكرم، الضريس، الرقشة الحمراء، الرقشة الزرقاء، الكسر جون، الكسر لون، السماني، ابن المرعة، اليونسة، الوروار، الصردة، الحصية الحمراء، القبرة، المطوق، السقسق، السلار، المرغ، السكسكة، الارجوجة، الخوخة، فرد قفص، الاورث، السلونية، السهكة، البيضاء، اللبس، العروس، الوطواط، العصفور، الروب، اللفات، الجرين، القليلة، العسر، الأحمر، الأزرق، البشريز، البون، البرك، البرمسي، الحصاري، الزجاجي، البج، الحمر، الرومي، الملاعقي، البط، الصني، الغرناق، الاقرح البلوى، السطرف، البشروش، وز الفرط، أبو قلمون، أبو قير، أبو منجل، البجع الكركي، الغطاس، البلجوب،

---

(١) يس: ٨٢.

(٢) البقرة: ٢٦٠.

البطميس، البجوية، الرقادة، الكروان البحري، الكروان الحرحي، القرلّي، الخروطة، الحلف، الأرميل، القلقوس، اللدد، العقعق، البوم، الورشان، القطا، الدراج، الحجل، البازي، الصردي، الصقر، الهام، الغراب، الابهق، الباشق، الشاهين، العقاب، الحداء، الرخمة، ويصل إليه طير كثير لا يعرف اسمه صغار وكبار[١].

ويمكن أن يكون قوله «دعا كلّ طائر باسمه» من يكون اسمها حكاية صوتها، كما في القطاة فقالوا «أصدق من قطاة» لأنّها إذا صوتت عرفت، وقالوا «أنسب من قطاة» أيضاً لذلك، ويقال لها لذلك الصادقة، قال أبو وجرة السعدي:

ما زلن ينسبن وهناً كلّ صادقة ... باتت تباشر عرماً غير أزواج

وفي (أمثال الميداني) في «أصدق من قطاة» الضمير في «مازلن» راجع إلى الاتن التي وردت الماء، ومعنى «ينسبن كلّ صادقة» اثارتها القطا عن أماكنها حتى قالت قطا قطا، وجعل الفعل لهن مجازاً[٢].

قلت: وفي الفارسية يقال لها «كغا»، وهو أيضاً حكاية صوته واختلاف التعبير من اختلاف الطبع[٣]. وقيل في القطا «حذاء مدبرة سكاء مقبلة للماء في النحر منها نوطة عجب». قال ابن الأعرابي: قيل لها حذاء لقصر ذنبها وسكاء لأنّه لا أذن لها[٤].

«وكفل له برزقه» في (توحيد المفضل): فكّر في حوصلة الطائر وما قدر له، فان مسلك الطعام إلى القانصة ضيق، لا ينفذ فيه الطعام إلّا قليلاً قليلاً، فلو

---

(١) معجم البلدان ٢: ٥٢.

(٢) مجمع الأمثال ١: ٤١٢.

(٣) لم أجد كلمة «كغا» في معاجم اللغة الفارسية ولعلّه كان لغة أهل تستر أو موضع آخر.

(٤) جاء هذا في لسان العرب ٧: ٤٣٠، مادة (نوط)، نقلاً عن ابن سيدة.

كان الطائر لا يلقط حبّة ثانية حتى تصل الأُولى إلى القانصة لطال عليه، ومتى كان يستوفي طعمه فإنّما يختلسه اختلاساً لشدّة الحذر، فجعلت له الحوصلة كالمخلاة المعلقة أمامه ليوعي فيها ما أدرك من الطعم بسرعة، ثم تنفذه إلى القانصة على مهل. وفي الحوصلة أيضاً خلّة أُخرى، فإنّ من الطائر ما يحتاج إلى أن يزقّ فراخه فيكون ردّه للطعم من قرب، أسهل عليه[١].

«وأنشأ السحاب الثقال» ﴿وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتى إذا أقلّت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميّت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كلّ الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلّكم تَذَكَّرون﴾[٢].

«فأهطل» أي: تتابع وأدام «ديمها» مطرها الذي ليس فيه رعد، ولا برق، قال امرؤ القيس:

ديمة هطلاء فيها وطف   طبق الأرض تحرّى وتدر[٣]

«وعدد قسمها» في (توحيد المفضل): فكّر في الصحو والمطر كيف يتعاقبان على هذا العالم بما فيه صلاحه، ولو دام أحدهما عليه كان في ذلك فساده، ألا ترى أنّ الأمطار إذا توالت عفنت البقول والخضر واسترخت أبدان الحيوان وحصر الهواء، فأحدث ضروباً من الأمراض وفسدت الطرق والمسالك! وإنّ الصحو إذا دام جفّت الأرض واحترق النبات وغيض ماء العيون والأودية، فأضرّ ذلك بالنّاس وغلب اليبس على الهواء، فأحدث ضروباً أُخرى من الأمراض، فإذا تعاقبا على العالم هذا التعاقب اعتدل الهواء ودفع كلّ واحد منهما عادية الآخر، فصلحت الأشياء واستقامت[٤].

---

(١) توحيد المفضل : ١١٦ والنقل بتصرف يسير.

(٢) الاعراف: ٥٧.

(٣) أورده لسان العرب ١٢: ٢١٤، مادة (دوم).

(٤) توحيد المفضل: ١٤٨، والنقل بتصرف يسير.

«فبلَّ الأرض بعد جفوفها» بابعاد الشمس عنها وإنزال المطر عليها ﴿أو لم يَرَ الذين كفروا أنّ السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كلّ شيءٍ حيٍّ أفلا يؤمنون﴾[1].

وفي (توحيد المفضل): تأمّل نزول المطر على الأرض والتدبّر في ذلك، فانّه جعل ينحدر عليها من علو ليغشى ما غلظ وارتفع منها فيرويها، ولو كان أنّما يأتيها من بعض نواحيها لما علا المواضع المشرفة منها ويقلّ ما يزرع في الأرض. ألا ترى أنّ الذي يزرع سيحاً أقل من ذلك! فالأمطار هي التي تطبق الأرض وربما تزرع هذه البراري الواسعة وسفوح الجبال وذراها فتغل الغلة الكثيرة، وبها يسقط عن الناس في كثير من البلدان مؤنة سياق الماء من موضع إلى موضع وما يجري في ذلك بينهم من التشاجر والتظالم حتى يستأثر بالماء ذوو العز والقوّة ويحرمه الضعفاء.

ثم إنّه حين قدّر أن ينحدر على الأرض انحداراً جعل ذلك قطراً شبيهاً بالرش ليغور في قعر الأرض فيرويها، ولو كان يسكبه انسكاباً كان ينزل على وجه الأرض فلا يغور فيها، ثمّ كان يحطم الزروع القائمة إذا اندفق عليها فصار ينزل نزولاً رقيقاً فينبت الحب المزروع ويحيي الأرض والزرع القائم، وفي نزوله أيضاً مصالح أُخرى فإنّه يلين الأبدان ويجلو كدر الهواء، فيرتفع الوباء الحادث من ذلك ويغسل ما يسقط على الشجر والزرع من الداء المسمّى باليرقان الى أشباه هذا من المنافع[2].

«وأخرج نبتها بعد جدوبها» أي: قحطها.

وفي (توحيد المفضل): ولو أن ملكاً من الملوك قسم في أهل مملكته

---

(١) الأنبياء: ٣٠.

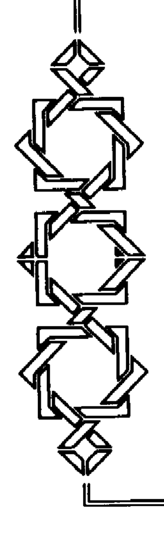
(٢) توحيد المفضل: ١٤٩ والنقل بتصرف يسير.

قناطير من ذهب وفضة، ألم يكن سيعظم عندهم ويذهب له به الصوت، فأين هذا من مطرة رواء يعمّ به البلاد ويزيد في الغلات أكثر من قناطير الذهب والفضة في أقاليم الأرض كلّها، أفلا ترى المطرة الواحدة ما أكبر قدرها وأعظم النعمة على الناس فيها وهم عنها ساهون، وربما عاقت عن أحدهم حاجة لا قدر لها فيتذمر ويسخط ايثاراً للخسيس قدره على العظيم نفعه جميلاً محمود العاقبة وقلّة معرفة لعظيم الغناء والمنفعة فيها[١].

(١) المصدر السابق.

الفصل الثامن عشر

في العلوم مذمومها وممدوحها



١
الخطبة (٧٧)

ومن كلام له عليه السلام قاله لبعض أصحابه لما عـزم عـلى المسـير إلى الخوارج، فقال له: يا أميرالمؤمنين، إن سرت في هذا الوقت خشيت ألا تظفر بمرادك من طريق علم النجوم. فقال عليه السلام:

أَتَزْعُمُ أَنَّكَ تَهْدِي إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا صُرِفَ عَنْهُ السُّوءُ؟ وَتُخَوِّفُ مِنَ السَّاعَةِ الَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا حَاقَ بِهِ الضُّرُّ؟ فَمَنْ صَـدَّقَكَ بِهذَا فَقَدْ كَذَّبَ الْقُرْآنَ، وَاسْتَغْنَىٰ عَنِ الاستِعَانَةِ بِاللهِ فِي نَيْلِ الْمَحْبُوبِ وَدَفْعِ الْمَكْرُوهِ، وَتَبْتَغِي فِي قَوْلِكَ لِلْعَامِلِ بِأَمْرِكَ أَنْ يُولِيَكَ الْحَمْدَ دُونَ رَبِّهِ، لِأَنَّكَ ـ بِزَعْمِكَ ـ أَنْتَ هَدَيْتَهُ إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي نَالَ فِيهَا النَّفْعَ وَأَمِنَ الضُّرَّ!!

ثم أقبل عليه السلام على الناس فقال:

أَيُّهَا النَّاسُ، إِيَّاكُمْ وَتَعَلُّمَ النُّجُومِ، إِلَّا مَا يُهْتَدَى بِهِ فِي بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ، فَإِنَّهَا تَدْعُو إِلَى الْكَهَانَةِ، والمُنَجِّمُ كَالكاهِنِ، وَالْكاهِنُ كالسَّاحِرِ، وَالسَّـاحِرُ

كَٱلْكافِرِ، وَٱلْكافِرُ فِي ٱلنَّارِ! سِيرُوا عَلَى ٱسْمِ ٱللهِ.

قال الخوئي: مستند هذا الكلام روي مختلفاً، منها قول ابن أبي الحديد في خطبة (٣٦): روى ابن ديزيل قال: عزم عليّ عليه السلام على الخروج من الكوفة الى الحرورية، وكان في أصحابه منجم، فقال له: لا تسر في هذه الساعة، وسر على ثلاث ساعات مضين من النهار، فانّك ان سرت في هذه الساعة أصابك وأصاب أصحابك أذىً وضرر شديد، وان سرت في الساعة التي أمرتك بها ظفرت بمطلوبك وظهرت وأصبت ما طلبت. فقال له علي عليه السلام: أتدري ما في بطن فرسي هذه أذكر هو أم أُنثىٰ؟ قال: ان حسبت علمت. فقال: من صدّقك بهذا فقد كذّب القرآن، قال الله تعالىٰ: ﴿انّ الله عنده علم الساعة وينزّل الغيث ويعلم ما في الأرحام...﴾[1].

ثم قال: ان محمّداً صلى الله عليه وآله ما كان يدّعي علم ما ادّعيتَ علمه، أتزعم انّك تهدي إلى الساعة التي يصيب النفع من سار فيها وصرفته عن الساعة التي يحيق السوء بمن سار فيها، فمن آمن بك في هذا لم آمن عليه أن يكون كمن اتخذ من دون الله ضدّاً ونداً، اللّهم لا طيرَ إلّا طيرك ولا ضيرَ إلّا ضيرك ولا إله غيرك. ثم قال: نخالف ونسير في الساعة التي نهيتنا عنها.

ثم أقبل على الناس وقال: أيّها الناس إيّاكم وتعلّم النجوم إلا ما يهتدىٰ به في ظلمات البر والبحر، إنما المنجم كالكاهن والكاهن كالكافر والكافر في النار، أما والله لئن بلغني انك تعمل بالنجوم لأُخلدنك في السجن أبداً ما بقيت ولأحرمنك العطاء ما كان لي من سلطان.

ثم سار في الساعة التي نهاه عنها المنجم فظفر بأهل النهر، ثم قال: لو سرنا فيالساعة التي أمرنا بها المنجّم لقال الناس سار في تلك الساعة فظفر

---

(١) لقمان: ٣٤.

وظهر، أما انّه ما كان لمحمّد منجّم ولا لنا من بعده حتى فتح الله علينا بلاد كسرىٰ وقيصر، أيّها الناس توكلوا على الله وثقوا به فانّه يكفي ممّن سواه.

قال: ومنها ما في (البحار) عن (مجالس الصدوق) وعن (نجوم ابن طاووس) عن (عيون جواهر الصدوق) باسناده عن نصر بن مزاحم باسناده عن عبد الله بن عوف قال: لمّا أراد أمير المؤمنين عليه السلام المسير الى النهروان أتاه منجم فقال له: لا تسر في هذه الساعة وسر في ثلاث ساعات مضين من النهار. فقال عليه السلام: ولِمَ ذلك؟ قال: لأنّك ان سرت في هذه الساعة أصابك وأصاب أصحابك أذىً وضرّ شديد، وان سرت في الساعة التي أمرتك ظفرت وظهرت وأصبت ما طلبت فقال عليه السلام له: أتدري ما في بطن هذه الدابة أذكر أم أنثىٰ؟ قال: ان حسبت علمت. قال عليه السلام: من صدّقك على هذا القول كذّب بالقرآن، قال تعالىٰ ﴿ان الله عنده علم الساعة وينزِّل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأيّ أرضٍ تموت﴾[1] ما كان محمّد يدّعي ما ادّعيت، أتزعم انّك تهدي الى الساعة التي من سار فيها صرف عنه السوء، والساعة التي من سار فيها حاق به الضر، ومن صدّقك بهذا استغنى بقولك عن الاستعانة بالله عزّوجلّ في ذلك الوجه وأحوج إلى الرغبة إليك في دفع المكروه عنه وينبغي له أن يوليك الحمد دون ربه عزوجل، فمن آمن لك بهذا فقد اتخذك من دون الله ضدّاً ونداً.

ثم قال: اللهمّ لا طيرَ إلّا طيرك ولا ضيرَ إلّا ضيرك ولا خيرَ إلاّ خيرك، بل نكذّبك ونخالفك ونسير في الساعة التي نهيت عنها.

قال: ومنها ما فيه وفي الاحتجاج عن سعيد بن جبير قال: استقبل أمير المؤمنين عليه السلام دهقان من دهاقين الفرس فقال له عليه السلام بعد التهنئة: تناحست

---

(١) لقمان: ٣٤.

النجوم الطالعات وتناحست السعود بالنحوس، وإذا كان مثل هذا اليوم وجب على الحكيم الاختفاء، ويومك هذا صعب قد انقلب فيه كوكبان وانقدحت من برجك النيران وليس الحرب لك بمكان.

فقال عليه السلام: ويحك يا دهقان المنبّئ بالآثار المحذّر من الأقدار، ما قصّة صاحب الميزان وقصّة صاحب السرطان، وكم المطالع من الأسد والساعات من المحركات، وكم بين السراري والدراري؟ قال: سأنظر ـ وأومأ بيده الى كمه وأخرج منه اسطرلاباً ينظر فيه ـ فتبسم عليه السلام وقال: أتدري ما حدث البارحة؟ وقع بيت بالصين، وانفرج برج ماجين، وسقط سور سرنديب، وانهزم بطريق الروم بأرمينية، وفقد ديان اليهود بأيلة، وهاج النمل بوادي النمل، وهلك ملك افريقية، أكنت عالماً بهذا؟ قال: لا. فقال عليه السلام: البارحة سعد سبعون ألف عالم، وولد في كلّ عالم سبعون ألفاً، والليلة يموت مثلهم وهذا منهم وأومأ بيده إلى سعد بن مسعدة الحارثي ـ وكان جاسوساً للخوارج في عسكره ـ فظن انّه يقول خذوه فأخذ بنفسه فمات.

فخر الدهقان ساجداً فقال عليه السلام: ألم أروك من عين التوفيق؟ قال: بلى. قال: أنا وصاحبي لا شرقي ولا غربي، نحن ناشئة القطب وأعلام الفلك، أما قولك «انقدحت من برجك النيران» فكان الواجب أن تحكم به لي لا علي، أما نوره وضياؤه فعندي وأما حريقه ولهيبه فذهب عنّي، فهذه مسألة عميقة أحسبها ان كنت حاسباً.

قال: وفيه عن ابن رستم الطبري مسنداً عن قيس بن سعد قال: كنت كثيراً أُساير أمير المؤمنين عليه السلام إذا سار إلى وجه من الوجوه، فلما قصد أهل النهروان وصرنا بالمدائن خرج اليه قوم من دهاقينهم معهم براذين قد جاءوا بها هدية إليه فقبلها، وكان فيمن تلقاه دهقان يدعى سرسفيل وكانت الفرس تحكم برأيه فيما مضى، فلما بصر به عليه السلام قال له: لترجع عمّا قصدت. قال:

ولِمَ؟ قال: تناحست النجوم الطوالع، فنحس أصحاب السعود وسعد أصحاب النحوس، ولزم الحكيم في مثل هذا اليوم الاختفاء والجلوس، وان يومك هذا مميت قد اقترن فيه كوكبان قتالان، وشرف فيه بهرام في برج الميزان، وانقدحت من برجك النيران، وليس الحرب لك بمكان.

فتبسم عليه السلام وقال: أيها الدهقان المنبّئ بالأخبار والمحذر من الأقدار، ما نزل البارحة في آخر الميزان وأي نجم حل في السرطان؟ قال: سأنظر ذلك وأخرج من كمّه اسطرلاباً وتقويماً. فقال عليه السلام: أنت مسيّر الجاريات؟ قال: لا. قال: فأنت تقضي على الثابتات؟ قال: لا. قال: فأخبرني عن طول الأسد وتباعده عن الطوالع والمراجع وما للزهرة من التوابع والجوامع. قال: لا علم لي بذلك. قال: فما بين السراري الى الدراري، وما بين الساعات إلى المعجزات، وكم قدر شعاع المبدرات، وكم يحصل الفجر من الغدوات؟ قال: لا علم لي بذلك.

قال: فهل علمت أن الملك انتقل اليوم من بيت الى بيت بالصين، وانقلب برج ماجين، واحترق دور بالزنج، وطفح جب سرنديب، وتهدّم حصن الأندلس، وهاج نمل الشح، وانهزم مراق الهندي، وفقد ديان اليهود بأيلة، وهزم بطريق الروم برومية، وعمي راهب عمورية، وسقطت شرفات القسطنطينية، أفعالم أنت بهذه الحوادث وما الذي أحدثها شرقيها أو غربيها من الفلك؟ قال: لا علم لي بذلك.

قال: وبأي الكواكب تقضي في أعلى القطب وبأيّها تنحس من تنحس. قال: لا علم لي بذلك. قال: فهل علمت أنّه سعد اليوم اثنان وسبعون عالماً في كلّ عالم سبعون عالماً منهم في البر ومنهم في البحر وبعض في الجبال وبعض في الغياض وبعض في العمران وما الذي أسعدهم. قال: لا علم لي بذلك.

قال: يا دهقان أظنّك حكمت على اقتران المشتري وزحل لما استنارا لك

في الغسق، وظهر تلألؤ شعاع المريخ وتشريقه في السحر، وقد سار فاتصل جرمه بجرم تربيع القمر، وذلك دليل على استحقاق ألف ألف من البشر كلّهم يولدون اليوم والليلة ويموت مثلهم ويموت هذا ـ وأشار الى جاسوس في عسكره لمعاوية ـ فإنّه منهم. فلما قال عليه السلام ذلك ظن الرجل انّه قال خذوه، فأخذ شيء بقلبه فمات لوقته. فقال عليه السلام: ألم أرك عين التقدير في غاية التصوير؟ قال: بلى أنا وصحبي هؤلاء لا شرقيون ولا غربيون، انما نحن ناشئة القطب، وما زعمت انه انقدح البارحة من برجي النيران فقد كان يجب أن تحكم لي به لأن نوره وضياءه عنده ولهبه ذاهب عنه، يا دهقان هذه قصة عجيبة فاحسبها وولدها ان كنت عالماً بالأكوار والأدوار. فقال: لو علمت ذلك لعلمت تحصي عقود القصب في هذه الأجمة.

ومضى عليه السلام فهزم أهل النهروان فقال الدهقان: ليس هذا العلم مما في أيدي زماننا، هذا علم مادته في السماء(١).

قلت: الأصل في الأولين واحد، وفي الأخيرين واحد، وانما مستند العنوان الأولان دون الأخيرين، فانّهما وان تضمنا نهي منجم له عليه السلام عن السير لما أراد النهروان، لكن مضمونهما غير مضمونه، كما لا يخفى.

ومما هو مستنده غير ما مر ما رواه سبط ابن الجوزي في تذكرته عن عكرمة عن ابن عباس وعن الشعبي عن أبي أراكة ان أمير المؤمنين عليه السلام لما انصرف من الأنبار أو الكوفة لقتال الخوارج بالنهروان كان معه مسافر بن عوف ابن الأحمر ـ وكان ينظر في النجوم ـ فقال لعليٍّ عليه السلام: لا تسر في هذه

(١) نقله الخوئي في شرحه ٢: ٢١٥ ـ ٢١٨، وما عن ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٢٦٩ وما عن أمالي الصدوق ففيه: ٣٣٨ ح١٦ المجلس ٦٤، وما عن فرج المهموم ففيه: ٥٧، ورواه في بحار الأنوار ٥٨: ٢٢٣ ح٤، وما عن الاحتجاج ففيه ١: ٢٣٩، وما عن ابن رستم الطبري فرواه عنه في فرج المهموم: ١٠٢.

الساعة وسر في ثلاث ساعات من النهار. قال: ولِمَ؟ قال: لأنّك ان سرت الساعة أصابك ومن معك بلاء وشدّة، وان سرت في الساعة الثالثة ظفرت. فقال عليه‌السلام: الله لا إله إلاّ هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون، قال الله تعالىٰ لنبيّه: ﴿قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضرّاً إلّا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسّني السوء﴾[1] وسمعت رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله يقول: من صدّق منجماً أو كاهناً فكأنما كذّب ما أُنزل على محمّد ـ وفي رواية فقد كفر ـ وسمعته يقول انما أخاف على أُمتي اثنين التصديق بالنجوم والتكذيب بالقدر.

إلى أن قال: من صدقك بهذا القول كذّب بالقرآن، قال الله تعالىٰ: ﴿انَّ الله عنده علم الساعة﴾[2]، وما كان محمّد يدّعي ما ادّعيت علمه، فمن صدقك في قولك كان كمن اتخذ من دون الله انداداً، اللّهمّ لا طائر إلّا طائرك ولا خير إلّا من عندك ولا إله غيرك.

ثم قال: يا ابن الأحمر نكذّبك ونخالفك ونسير في الساعة التي نهيت عنها، ثم أقبل على الناس وقال: إيّاكم وتعلّم النجوم إلّا ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر، المنجم كافر والكافر في النار، يا ابن الأحمر والله لئن بلغني انّك بعدها تنظر في النجوم وتعمل فيها لأجلدنّك جلد المفتري، ولأُخلدنك في الحبس ما بقيت وبقيت، ولأحرمنك العطاء ما عشت وكان لي سلطان. ثم سار عليه‌السلام في الساعة التي نهاه عن السير فيها فظفر بالخوارج وأبادهم.

ثم قال: فتحنا بلاد كسرىٰ وقيصر وتبّع وحمير وجميع البلدان بغير

---

(١) الأعراف: ١٨٨ .

(٢) لقمان: ٣٤.

قول منجم، أيّها الناس توكّلوا على الله واتقوه واعتمدوا عليه، ألا ترون انّه لو سرنا في الساعة التي أشار إليها المنجم لقال الناس انما ظفرنا بقول المنجم، فثقوا بالله واعلموا أن هذه النجوم مصابيح جعلت زينة، ورجوماً للشياطين، ويهتدى بها في ظلمات البر والبحر، والمنجمون أضداد الرسل يكذبون بما جاءوا به من عند الله لا يرجعون إلى قرآن ولا شرع، انما يتسترون بالإسلام ظاهراً ويستهزؤن بالنبيين باطناً، فهم الذين قال الله فيهم: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلّا وهم مشركون﴾[١].

وفي رواية: ان ابن احمر قال له عليه السلام: لا تسر في هذه الساعة. قال: ولِمَ؟ قال: لأن القمر في العقرب. فقال عليه السلام: قمرنا أو قمرهم[٢].

وفي (أنساب البلاذري): في مسيره عليه السلام إلى النهروان وأتاه مسافر بن عفيف الأزدي، فقال: لا تسر في هذه الساعة. فقال له: ولِمَ، أتدري ما في بطن هذه الفرس؟ قال: ان نظرت علمت. فقال عليه السلام: ان من صدّقك في هذا القول يكذّب بكتاب الله، لأن الله يقول في كتابه ﴿ان الله عنده علم الساعة وينزّلُ الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأيّ أرض تموت﴾[٣]. وتكلّم في ذلك بكلام كثير ـ وقال: لئن بلغني انّك تنظر في النجوم لأخلدنك في الحبس مادام لي سلطان، فوالله ما كان محمّد بمنجم ولا كاهن[٤].

قول المصنف: (ومن كلام له عليه السلام قاله لبعض أصحابه) قد عرفت من رواية سبط ابن الجوزي انّه كان مسافر بن عوف بن احمر، ومقتضى رواية

---

(١) يوسف: ١٠٦.

(٢) تذكرة الخواص: ١٥٨ .

(٣) لقمان: ٣٤.

(٤) انساب الأشراف ٢: ٣٦٨.

المبرد الآتية انّه كان عفيف بن قيس، فلابد أن أحدهما تصحيف.

(لما عزم عليه السلام على المسير الى الخوارج) قد عرفت من رواية كتابي الصدوق ورواية (تذكرة سبط ابن الجوزي): ان ذلك كان في مسيره عليه السلام الى خوارج النهروان، ومثلها رواية الطبري الآتية.

وروى (كامل المبرد): انّه كان في مسيره عليه السلام الى خوارج النخيلة، فقال: لما أراد علي المسير الى خوارج النخيلة بعد النهروان ـ وكانوا قد فارقوا عبد الله بن وهب ولجأوا وأقاموا بالكوفة معتزلين ثم ندموا على فراق اخوانهم فسار عليه السلام إليهم، فقال له عفيف بن قيس: لا تخرج في هذه الساعة فانّها ساعة نحس لعدوّك عليك. فقال عليه السلام له: توكلت على الله وحده وعصيت رأي كلّ متكهن أنت تزعم انّك تعرف وقت الظفر من وقت الخذلان، انّي توكلت على الله ربي وربكم، ما من دابة إلّا هو آخذ بناصيتها، ان ربي على صراط مستقيم. ثم سار إليهم فطحنهم جميعاً ولم يفلت منهم إلّا خمسة المستورد من سعد بن زيد مناة وابن جوين الطائي وفروة بن شريك الأشجعي، وهم الذين ذكرهم الحسن البصري، فقال: دعاهم إلى دين الله فجعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً، فسار اليهم أبو الحسن فطحنهم طحناً، وفيهم يقول عمران بن حطان:

انـي أديـن بـما دان الشـراة بـه ... يوم النخيلة عند الجوسق الخرب

وقال الحميري يعارض هذا المذهب:

اني أدين بما دان الوصـي بـه ... يوم النخيلة من قتل المحلينا

وبالذي دان يوم النهروان بـه ... وشاركت كفّه كفّي بصفينا

تلك الدماء معاً يا رب في عنقي ... ومثلها فاسقني آمين آمينا[1]

---

(١) كامل المبرد ٧: ١٧٥.

(فقال له: يا أمير المؤمنين ان سرت في هذا الوقت خشيت) هكذا في المصرية وابن أبي الحديد وزاد ابن ميثم (عليك)[١].

(ألا تظفر بمرادك من طريق علم النجوم) في (روضة الكافي) عن هشام الخفاف قال لي أبو عبدالله عليه السلام: كيف بصرك بالنجوم؟ فقلت: ما خلّفت بالعراق أبصر بالنجوم منّي. قال: كيف دوران الفلك عندكم؟ فأخذت قلنسوتي من رأسي فأدرتها وقلت: هكذا. فقال: لو كان الأمر كما تقول فما بال بنات النعش والجدي والفرقدين لا تدور يوماً من الدهر في القبلة؟ قلت: هذا والله شيء لا أعرفه ولا سمعته. فقال: كم السكينة من الزهرة جزءاً في ضوئها؟ فقلت: وهذا نجم ما عرفته ولا سمعته. فقال: سبحان الله، فأسقطتم نجماً بأسره، فعلى ما تحسبون؟ ثم قال: فكم الزهرة من القمر جزءاً في ضوئه؟ قلت: هذا شيء لا يعلمه إلّا الله. قال: فكم القمر جزءاً من الشمس في ضوئها؟ قلت: ما أعرف هذا. قال: صدقت. ثم قال: ما بال العسكرين يلتقيان، في هذا حاسب، فيحسب هذا لصاحبه بالظفر، وذاك لصاحبه، ثم يهزم أحدهما الآخر، فأين كانت النحوس؟ فقلت: لا أعلم. قال: صدقت. ان أصل الحساب حق، ولكن لا يعلم ذلك إلّا من علم مواليد الخلق[٢].

(فقال عليه السلام) هكذا في (المصرية وابن أبي الحديد) ولكن في (ابن ميثم) (فقال له)[٣].

«أتزعم انك تهدي الى الساعة التي من سار فيها صرف عنه السوء» في السير: لما حاصر المعتصم عمورية قال المنجمون له: انّا نجد في كتبنا ان

---

(١) ليست هناك زيادة في شرح ابن أبي الحديد ٦: ١٩٩ ولا في شرح ابن ميثم ٢: ٢١٥.

(٢) الكافي ٨: ٣٥١ ح٥٤٩.

(٣) لفظ شرح ابن أبي الحديد ٦: ١٩٩، وشرح ابن ميثم ٢: ٢١٥ مثل المصرية.

هذه المدينة لا تفتح إلّا في وقت أدراك التين والعنب، وبيننا وبين ذلك الوقت أشهر، ويمنعك من المقام البرد والثلج، فأبى ان ينصرف، واكبّ عليها حتى فتحها، فأبطل ما قالوا، وفي ذلك يقول أبو تمام:

السيف أصدق أنباءً من الكتب في حدّه الحد بين الجد واللعب

يا يوم وقعة عمورية انصرفت عنك المنى معسولة الحلب

وقال أيضاً:

أين الرواية أو أين النجوم وما صاغوه من زخرف فيها ومن كذب

وفي صلة (تاريخ الطبري): خالف خالد بن محمد الشعراني المعروف بأبي يزيد واجتمع له نحو عشرة آلاف فارس وراجل، فكتب المقتدر الى بدر الحمامي في انفاذ جيش إليه، فكتب بدر إليه قبل انفاذ الجيش يرغّبه في الطاعة وخوّفه وبال المعصية، فأجابه في طالعي كوكب بيباني لابد أن يبلغني غاية ما أُريد، فأنفذ بدر جيشاً إليه وأُخذ أسيراً فقيل فيه:

يا أبا يزيد قائل البهتان لا تغترر بالكوكب البيباني

واعلم بأن القتل غاية جاهل باع الهدى بالغي والعصيان[1]

«وتخوّف من الساعة» هكذا في (المصرية وابن أبي الحديد) ولكن في (ابن ميثم والخطية) (الساعة)[2].

«التي من سار فيها حاق» أي: أحاط «به الضرّ» في (المروج) ـ في حرب عبد الملك ومصعب ـ كان مع عبد الملك منجم، وقد التقى مقدمة مصعب، وعليها إبراهيم ابن الاشتر، ومقدمة عبد الملك، وعليها أخوه محمد بن مروان، فأشار المنجم على عبد الملك ألا يحارب له خيل في ذلك اليوم فإنّه منحوس، وليكن

---

(١) صلة تاريخ الطبري: ٤٢.

(٢) لفظ شرح ابن أبي الحديد ٦: ١٩٩، وشرح ابن ميثم ٢: ٢١٥ مثل المصرية.

حربه بعد ثلاث أيّام، فبعث عبد الملك إلى أخيه ألا يقاتل في ذاك اليوم، فقال أخوه: انا لا التفت إلى زخاريف منجمك، وقاتل وظفر[١].

وفي (تاريخ الطبري): لما اعتل الواثق علّته التي مات فيها وسقي بطنه أمر بإحضار المنجمين، فأحضروا وفيهم الحسن بن الفضل، والفضل بن إسحاق الهاشمي، وإسماعيل بن نوبخت، ومحمد بن موسى الخوارزمي المجوسي القطربلي، وسند صاحب محمد بن الهيثم، وعامة من ينظر في النجوم، فنظروا في علّته ونجمه ومولده، فقالوا يعيش دهراً طويلاً وقدروا له خمسين سنة مستقبلة، فلم يلبث إلا عشرة أيام حتى مات.

وعولج بالأقعاد في التنور مسخناً، فوجد لذلك خفة، فأمرهم بزيادة الاسخان في الغد وقعد فيه أكثر، فحمى عليه، فأُخرج وصُير في محفة، فضربت بوجهه، فعلموا انّه مات[٢].

«فمن صدق بهذا» هكذا في (المصرية) والصواب: (صدقك) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٣].

«فقد كذّب القرآن واستغنى عن الاعانة» هكذا في (المصرية) والصواب: (الاستعانة) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٤].

«بالله في نيل المحبوب ودفع المكروه» والقرآن يقول: ﴿وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلاّ هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم﴾.

في (تاريخ الطبري): كان المنجمون في سنة (٢٨٤) يوعدون الناس

---

(١) مروج الذهب ٣: ١٠٦.

(٢) تاريخ الطبري ٧: ٣٣٩، سنة ٢٣٢.

(٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٦: ١٩٩ لكن في شرح ابن ميثم ٢: ٢١٥ مثل المصرية.

(٤) المصدر السابق.

بغرق أكثر الأقاليم، وان اقليم بابل لا يسلم منه إلّا اليسير لكثرة الأمطار وزيادة الأنهار والعيون والآبار، فقحط فيها الناس، فلم يروا المطر إلّا يسيراً، وغارت الأنهار والعيون والآبار حتى احتاج الناس الى الاستسقاء، فاستسقوا ببغداد مرّات[١].

وفي الجزري: كان المنجمون قديماً وحديثاً حكموا ان في سنة (٥٨٢) تجتمع الكواكب الخمسة في برج الميزان ويحدث باقترانها رياح شديدة، فلم يكن لذلك صحّة ولم يهبّ من الرياح شيء حتى ان الغلات، الحنطة والشعير تأخر نجازها لعدم هواء يذري به الفلاحون. ونقله القفطي وقال: قالوا باجتماع الكواكب السبعة وفي رأسهم أبو الفضل الخازمي، وزاد أن الشعراء أكثروا في ذمّهم، ومنها قول الواسطي:

قل لأبي الفضل قول معترف — مضى جمادى وجاءنا رجب
وما جرت زعزع كما حكموا — ولا بدا كوكب له ذنب
كلا ولا اظلمت ذكاء ولا — أبدت أذىً من ورائها الشهب
فارم بتقويمك الفرات والاسطر — لاب خير من صفرة الخشب
فليبطل المدعون ما وصفوا — في كتبهم ولتحرق الكتب[٢]

وفيه قتل أبو طالب السميري وزير محمود السلجوقي في سنة (٥١٦) وكان برز مع السلطان ليسير الى همدان، فدخل الحمام وكان المنجمون يأخذون له الطالع ليخرج، فقالوا هذا وقت جيد وان تأخر يفوت طالع السعد، فأسرع وركب وأراد أن يأكل طعاماً فمنعوه لأجل الطالع، فخرج وخرج بين يديه الرجّالة والخيّالة وهو في موكب عظيم، فاجتاز في منفذ ضيق فيه حظائر

---

(١) تاريخ الطبري ٨: ١٩٢، سنة ٢٨٤.

(٢) كامل ابن الأثير ١١: ٥٢٨، سنة ٥٨٢.

الشوك، فتقدّم أصحابه لضيق الموضع، فوثب عليه باطني وضربه بسكين فوقعت في البغلة وهرب وتبعه الغلمان فخلا الموضع، فظهر آخر وضربه بسكين في خاصرته وجذبه عن البغلة وضربه عدّة ضربات، وعاد أصحاب الوزير وقد ذبح مثل الشاة، فحمل قتيلاً وبه نيف وثلاثون جراحة وانتُهب ماله وأخذ السلطان خزانته، وكانت زوجته قد خرجت في هذا اليوم في موكب كبير في نحو مائة جارية وجمع من الخدم والجميع بمراكب الذهب، فلما سمعن بقتله عدن حافيات حاسرات وقد تبدلن بالعزّ هواناً وبالمسرّة أحزاناً، فسبحان من لا يزول ملكه، وكان ظالماً كثير المصادرة للناس سيئ السيرة[1].

«وتبتغي» هكذا في (المصرية) والصواب: (وينبغي) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[2].

«في قولك للعامل بأمرك ان يوليك الحمد دون ربه لأنّك بزعمك أنت هديته الى الساعة التي نال فيها النفع وأمن الضر» في (الاحتجاج): عن هشام بن الحكم ان زنديقاً قال لأبي عبدالله عليه السلام : ما تقول في علم النجوم. فقال: هو علم قلّت منافعه وكثرت مضاره، ان أخبر المنجم بالبلاء لم ينجه التحرّز من القضاء، وان أخبر هو بخير لم يستطع تعجيله، وان حدث به سوء لم يمكنه صرفه، والمنجم يضاد الله في علمه يزعم انّه يرد قضاء الله عن خلقه[3].

وعن (استخارات ابن طاووس) عن كتاب محمد بن علي بن محمد ممّا يدعو الصادق عليه السلام : اللّهم انّك خلقت أقواماً يلجؤون إلى مطالع النجوم لأوقات

---

(١) كامل ابن الأثير ١٠: ٦٠١، سنة ٥١٦.

(٢) لفظ شرح ابن أبي الحديد ٦: ١٩٩، وشرح ابن ميثم ٢: ٢١٥ مثل المصرية.

(٣) الاحتجاج ٢: ٣٤٨.

حركاتهم وسكونهم، وخلقتني ابرأ إليك من اللجأ إليهم ومن طلب الاختيارات بها، وأيقن انّك لم تطلع أحداً على غيبك في مواقعها ولم تسهل له السبيل الى تحصيل أفاعيلها، وانّك قادر على نقلها في مداراتها عن السعود العامة والخاصة الى النحوس وعن النحوس الشاملة المضرّة الى السعود لأنّك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أُم الكتاب، وما أسعدت من اعتمد على مخلوق مثله واستبد الاختيار لنفسه ولا اشقيت من اعتمد على الخالق الذي أنت[1].

هذا، وفي (بلدان الحموي): خرج عروة الصعاليك وأصحابه الى خيبر يمتارون منها، فعشّروا خوفاً من وباء خيبر، وأبى عروة أن يعشر ـ والتعشير نهاق الحمير، وكانوا إذا خافوا وباء مدينة أرادوا دخولها وقفوا على بابها وعشروا كالحمير ـ فدخلوا وامتاروا ورجعوا، فلما بلغوا الى روضة الأُجداد ماتوا إلا عروة فقال:

وقالوا أحب وانهق لا تضرّك خيبر ... وذلك من دين اليهود ولوع
لعمري لئن عشرت من خشية الردى ... نهاق الحمير انني لجزوع
فلا وألت تلك النفوس ولا أتت ... على روضة الأُجداد وهي جميع[2]

وقال أُمية بن أبي الصلت وجمع آخر:

عبادك يخطؤون وأنت رب ... بكفيك المنايا والحتوم
ولا انثنى عن طيره عن مريرة ... إذا الأخطب الداعي على الدوح صرصرا[3]

---

(١) نقله عنه المجلسي في بحار الأنوار ٥٨: ٢٢٨ ح ١٢ والنقل بتلخيص.

(٢) معجم البلدان ٣: ٨٤.

(٣) قال الشارح في الهامش: أي الشقرّاق.

لا يعلم المرء ما تصبحه إلا

كواذب مما يخبر الفال

والفال والزجر والكُهّان كلّهم

مضللون ودون الغيب اقفال

إني بأحكام النجوم مكذّب

ولمدّعيها لائم ومؤنب

الغيب يعلمه المهيمن وحده

وعن الخلائق أجمعين مغيّب

الله يُعطي وهو يمنع قادراً

فمن المنجم ويحه والكوكب

لست أدري ولا المنجم يدري

ما يريد القضاء بالانسان

غير انّي أقول قول محقٍّ

وأرى الغيبَ فيه مثل العيان

ان من كان محسناً قابلته

بجميل عواقب الاحسان

يامن يقدّر أن الدهرَ ينصره

بكوكب عاجز، بالله فانتصر

لا تشركن برب العرش تجهله

كواكباً كلّها تجري على قدر

عطارد زُهرة والشمس مع زحل

كالمشتري الفرد والمريخ كالقمر

ولقد غدوتُ ـ وكنت لا
أغدو على واقٍ وحاتم(١)
فإذا الاشائم كالايامن
والأيامن كالأشائم
وكذاك لا خير ولا شرّ
على أحدٍ بدائم

«ثم أقبل عليه السلام على الناس فقال: أيّها الناس إيّاكم وتعلّم النجوم».

في (أدباء الحموي): كان بكركر من نواحي العقص ضيعة نفيسة لعليّ بن يحيى المنجم، وقصر جليل فيه خزانة كتب عظيمة يسمّيها خزانة الحكمة، يقصدها الناس من كلّ بلد، فيقيمون فيها، ويتعلّمون منها صنوف العلم، والنفقة في ذلك من ماله، فقدم أبو معشر المنجم من خراسان يريد الحجّ، وهو إذ ذاك لا يحسن كبير شيءٍ من النجوم، فوصفت له الخزانة، فمضى إليها، فلما رآها هاله أمرها، فأقام بها، وأضرب عن الحجّ، وتعلّم فيها علم النجوم، وأغرق فيه حتى ألحد، وكان ذلك آخر عهده بالحجّ وبالدين والإسلام.

«إلّا ما يهتدى به في بر أو بحر» ﴿هو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر﴾(٢).

«فانها تدعو إلى الكهانة» في (الاستيعاب): كان سواد بن قارب الدوسي أو السدوسي يتكهن في الجاهلية، ثم أسلم، وقال له عمر يوماً: ما فعلت كهانتك يا سواد؟ فغضب وقال: ما كنّا عليه نحن وأنت يا عمر من جهلنا،

(١) قال الشارح في الهامش: الواقي الصرد، وحاتم الغراب الأسود.
(٢) الأنعام: ٩٧.

وكفرنا شر منه، فما لك تعيّرني بشيء تُبت منه[١].

وفي (النهاية): الكاهن: الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ويدّعي معرفة الأسرار، وقد كان في العرب كهنة كشقّ وسطيح، فمنهم من يزعم ان له تابعاً من الجن يلقي إليه الأخبار، ومنهم من يزعم أنه يعرف الأُمور بمقدّمات أسباب يستدلّ بها على مواقعها من كلام من يسأله أو حاله أو فعله، وهذا يخصونه باسم العرّاف كالذي يدّعي معرفة الشيء المسروق ومكان الضالة ونحوهما، وكان يقال لقريظة والنضير الكاهنان وهما قبيلا اليهود بالمدينة، وهم أهل كتاب وفهم وعلم، والعرب تسمّي كلّ من يتعاطى علماً دقيقاً كاهناً، ومنهم من كان يسمّى المنجم والطبيب كاهناً[٢].

هذا، وفي (سنن أبي داود): كان أُسامة أسود وزيد أبيض، وروى عن عائشة قالت: دخل على النبيّ صلى الله عليه وآله مسروراً وقال: ألم تر ان مجزّزاً المدلجي رأى زيداً وأسامة قد غطيا رأسيهما بقطيفة وبدت أقدامهما، فقال: ان هذه الأقدام بعضها من بعض[٣].

«والمنجم» هكذا في (المصرية) والصواب: (النجم) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)[٤].

وفي (المروج): ذكر محمد بن علي العبدي الخراساني أن القاهر قال له: أنت علّامة بأخبار بني العباس، فأخبرني عن المنصور. فقال: كان أوّل خليفة قرّب المنجمين، وعمل بأحكام النجوم، وكان معه نوبخت المجوسي المنجم، وأسلم على يديه، وهو أبو هؤلاء النوبختية، وكان معه إبراهيم الفزاري

---

(١) الاستيعاب ٢: ١٢٣.

(٢) النهاية ٤: ٢١٤ و ٢١٥، مادة (كهن).

(٣) سنن ابي داود ٢: ٢٨٠ ح٢٢٦٧ و ٢٢٦٨.

(٤) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٦: ١٩٩، لكن في شرح ابن ميثم ٣: ٢١٥ مثل المصرية أيضاً.

المنجم صاحب القصيدة في النجوم، وغير ذلك من علوم النجوم وهيئة الفلك، وكان معه علي بن عيسى الاسطرلابي المنجم.

إلى أن قال: ثم أفضى الأمر إلى المأمون، فكان في بدء أمره لما غلب عليه الفضل بن سهل وغيره يستعمل النظر في النجوم وقضاياها، وينقاد إلى موجباتها، ويذهب مذاهب من سلف من ملوك ساسان كأردشير بن بابك، واجتهد في قراءة الكتب القديمة، وأمعن في درسها، وواظب على قراءتها، وبلغ درايتها، فلما كان من الفضل بن سهل ما اشتهر، وقدم العراق، انصرف عن ذلك كلّه، وأظهر القول بالتوحيد، والوعد والوعيد، وجالس المتكلّمين، وقرّب إليه كثيراً من الجدليين والنظارين، كأبي الهذيل، والنظام، وغيرهما، وألزم مجلسه الفقهاء، وأهل المعرفة من الأدباء[1].

«كالكاهن» في (المروج): كان سطيح الكاهن ـ وهو من غسان ـ يدرج سائر جسده كما يدرج الثوب لأعظم فيه، إلّا جمجمة الرأس، وكانت إذا لمست باليد يلين عظمها، وكان شقّ الكاهن ـ وكان من ربيعة ـ في عصره، وكذلك كان سمقلة وزوبعة الكاهنان في عصر واحد[2]، وقالوا: يقال لقريظة والنضير الكاهنان.

وفي (تشريف علي ابن طاووس) نقلاً من (مجموع محمّد بن الحسين المرزبان) بعد ذكر ان طريفة بنت الخير من أهل ردمان زوجة عمران بن عامر أخي عمرو بن عامر رأت في منامها ان مأرِب يخرب بالغرق، فأتى عليهم السيل العرم ـ قال: وطريفة هذه لمّا حضرتها الوفاة تفلت في فم سطيح،

---

(١) مروج الذهب ٤: ٢٢٢ ـ ٢٢٧.

(٢) مروج الذهب ٢: ١٦٠.

فانتقلت كهانتها فيه، وقبرها بأصل عقبة الجحفة[١].

ومثلا لكاهن العائف والزاجر، وفي (انساب السمعاني): اللهبي بالكسر فالسكون نسبة إلى لهب بطن من الأزد، يعرفون بالعيافة وجودة الزجر، وفيهم يقول كثير:

تيممت لهباً ابتغي العلم عندهم وقد رد علم العائفين الى لهب

وفي (الاستيعاب): روينا من وجوه ان عمر كان يرمي الجمرة، فأتاه حجر، فوقع على صلعته، فأدماه وثمّة رجل من بني لهب، فقال لا يحجّ بعدها فقتل بعد رجوعه[٢].

«والكاهن كالساحر» في (المروج): وفي سنة (٣٥) كثر الطعن على عثمان، وظهر عليه النكير لأشياء ذكروها من فعله، ومن ذلك فعل الوليد بن عقبة عامله على الكوفة في المسجد، كان بلغه عن رجل من اليهود من ساكني قرية من قرى الكوفة ممّا يلي جسر بابل يُقال له زرارة، يعمل أنواعاً من الشعبدة والسحر يعرف بمطروي، فأحضره، فأراه في المسجد ضرباً من التخاييل - وهو أن أظهر له فيلاً عظيماً على فرس في صحن المسجد - ثم صار اليهودي ناقة يمشي على جبل، ثم أراه صورة حمار دخل من فيه، ثم خرج من دبره، ثم ضرب عنق رجل، ففرّق بين جسده ورأسه، ثم أمرّ السيف عليه، فقام الرجل - وكان جماعة من أهل الكوفة حضوراً منهم جندب بن كعب الأزدي، فجعل يستعيذ بالله من فعل الشيطان، ومن عمل يبعد من الرحمٰن، وعلم أن ذلك ضرب من التخييل والسحر، فاخترط سيفه، وضرب به اليهودي ضربة أدار رأسه إلى ناحية من بدنه، وقال: جاء الحقّ وزهق الباطل، ان الباطل كان

(١) الملاحم والفتن وهو كتاب تشريف المنن : ١٨٥.

(٢) الاستيعاب ٢: ٤٦٧.

زهوقاً، وقال ان كنت صادقاً فأحي نفسك. فأنكر الوليد عليه ذلك، وأراد أن يقيده به، فمنعه الأزد، فحبسه، وأراد قتله غيلة، ونظر السجّان الى قيامه ليلة الى الصبح، فأطلقه، فقال له: تقتل بي. قال: ليس ذلك بكثير في مرضاة الله، والدفع عن وليّ من أولياء الله، فلما أصبح الوليد وقد استعدّ لقتله لم يجده، فسأل السجان، فأخبره بهربه، فضرب عنق السجّان، وصلبه بالكناس[١].

وروي في خبر آخر: ان الساحر يريهم أنّه يدخل في فم الحمار ويخرج من دبره، ويدخل في است الحمار ويخرج من فيه، ويريهم انّه يضرب رأس نفسه، فيرمي به، ثم يشتدّ، فيأخذه، ثم يعيده مكانه ـ الخبر[٢].

«والساحر كالكافر» في (المروج): روى الحسن البصري عن جندب ان النبيّ صلى الله عليه وآله قال: حد الساحر ضربة بالسيف[٣].

وفي (التهذيب): عن إسحاق بن عمار ان علياً عليه السلام كان يقول: من تعلّم شيئاً من السحر كان آخر عهده بربه وحدّه القتل إلّا أن يتوب[٤].

وفي (الكافي): عن السكوني قال النبي صلى الله عليه وآله: ساحر المسلمين يقتل، وساحر الكفار لا يقتل. قيل: ولِمَ؟ قال: لأن الكفر أعظم من السحر، ولأن السحر والشرك مقرونان[٥].

وفي (الفقيه): روي ان توبة الساحر أن يحلّ ولا يعقد[٦].

---

(١) مروج الذهب ٢: ٣٣٨ و ٣٣٩.

(٢) رواه ابن عبد البر في الاستيعاب ١: ٢١٩.

(٣) أخرج الحديث من طريق الحسن عن جندب الترمذي في سننه ٤: ٦٠ ح ١٤٦٠، والحاكم في المستدرك ٤: ٣٦٠، وابن قانع والحسن بن سفيان في مسنده عنهما الاصابة ١: ٢٥٠، وابن عبد البر في الاستيعاب ١: ٢١٨، ولم يوجد في مروج الذهب بل الظاهر انّه اشتبه على الشارح بين المروج والاستيعاب.

(٤) التهذيب ١٠: ١٤٧ ح ١٧.

(٥) الكافي ٧: ٢٦٠ ح ١.

(٦) الفقيه ٢: ١١٠ ح ٩.

«والكافر في النار» فينتج المقدمات الثلاث كون المنجم في النار.

ثم لا خلاف أن الاعتقاد بأنّها مؤثرات كفر، وهو الذي يشير إليه كلامه عليه السلام، وأما بأنّها علامات فخلافي، فالمرتضى في (مسائله السلارية) ـكما في (نجوم ابن طاووس) ـعلى انكاره، فقال: ان جريان عادة الله بأن يفعل أفعالاً مخصوصة عند طلوع كوكب أو غروبه، أو اتصاله أو مفارقته، وان كان جائزاً، لكن لا طريق الى العلم بثبوته، ومن أين لنا ان الله تعالى قد أجرى العادة بأن يكون زحل أو المريخ إذا كان في درجة الطالع كان نحساً، وان المشتري إذا كان كذلك كان سعداً، فان عولوا على التجربة، فلا نسلم صحّة التجربة، وقد رأينا خطأكم فيها أكثر من صوابكم، فهلا نسبتم الصحّة إذا اتفقت إلى الاتفاق الذي يقع في المخمن والمرجم، فإذا قلتم سبب الخطأ زلل دخل عليه في أخذ الطالع أو تسيير الكواكب، قلنا: ولِم لا؟ كانت سبب اصابتهم التخمين.

وقلت لبعض من كان مشغوفاً بالنجوم: هاهنا شيء قريب في بطلان النجوم، لو فرضنا طريقاً يمشي فيه الناس ليلاً ونهاراً، وفي محجته آبار متقاربة، وبين بعضها وبعضها طريق يحتاج سالكه الى تأمّل، حتى يتخلّص من السقوط في تلك الآبار، هل يجوز أن يكون سلامة من يمشي فيه من العميان كالبصراء؟ فقال: لا. فقلت: إذا كان هذا محالاً فأحيلوا نظيره، فان مثال البصراء هم الذين يعرفون أحكام النجوم من السعد والنحس، ومثال العميان من لا يعرفها، ومثال الطريق الذي فيه الآبار الزمان الذي يمضي عليه الخلق، ومثال آباره محنه، ولو صحّ النجوم وجب أن تكون سلامة المنجمين أكثر، وقد علمنا ان الحال فيهم غير متفاوتة.

إلى أن قال: من أدلّ الدليل على بطلان النجوم ان من جملة معجزات الأنبياء عليهم السلام الأخبار عن الغيوب، ولو كان العلم بما يحدث طريقاً نجومياً لم يكن معجزاً، وقد أجمع المسلمون قديماً وحديثاً على تكذيب المنجمين، وفي

الروايات عن النبيّ صلى الله عليه وآله في ذلك ما لا يحصى، وكذلك عن علماء أهل بيته وخيار أصحابه، فأما اصابتهم في الكسوفات فلها أُصول صحيحة في الحساب، وليس كذلك ما يدّعونه من تأثيرات الكواكب في الخير والشر والنفع والضر[١].

وابن طاووس على اثباته صنّف فيه كتابه (فرج المهموم في معرفة نهج الحلال في علم النجوم) نقل فيه مقداراً من محاجّة الصادق عليه السلام لمنجم هندي كما في الرسالة الأهليلجية، وان الهندي قال له: في علم أهل بلاده بالنجوم ان ملوك الهند لا يتخذون إلّا الخصيان لأن لكل منهم منجماً، فإذا أصبح أتى باب الملك، فقاس الشمس وحسب، فأخبره بما كان في يومه ذاك، وما حدث في ليلته التي كان فيها، فإن كانت امرأة من نسائه قارفت شيئاً أخبره به. وان في الهند قوماً بمنزلة الخناقين عندكم يقتلون الناس بلا سلاح ولا خنق من النجوم. فقال عليه السلام له: أخبرني من وضع هذا العلم الدقيق؟ قال: الحكماء.

إلى أن قال ابن طاووس بعد ذكر الخبر بطوله: أُنظر الى انّه عليه السلام ما أبطل هذا العلم بالكليّة، بل جعل الطريق إليه تعريف الله أنبياءه بالوحي، وأصحاب النجوم على اختلاف طبقاتهم اتفقوا على ان هذا العلم من ادريس عليه السلام.

وفي (المنتخب) من طريق أصحابنا في دعاء كلّ يوم من رجب «ومعلم ادريس عدد النجوم والحساب والسنين والشهور والأيام».

وفي (الجامع الصغير ليونس بن عبد الرحمن) بإسناده: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: أخبرني عن علم النجوم. فقال: هو علم الأنبياء.

وفي كتاب (التجمل) من أُصول أصحابنا عن أبي جعفر عليه السلام: علم نبوّة نوح بالنجوم.

---

(١) فرج الهموم: ٤٣ ـ ٥٣ والنقل بتلخيص.

وروى القمي في قوله تعالىٰ: ﴿فلمّا جَنَّ عليه الليل﴾[1] ان آزر كان منجماً لنمرود، فقال له: اني أرى في حساب النجوم انّه يجيءُ في هذا الزمان رجل ينسخ هذا الدين. فقال له: أفولد؟ قال: لا. قال: فينبغي أن يفرّق بين الرجال والنساء، ففرّق وحملت اُم إبراهيم بإبراهيم ولم يبن حملها.

وفي (عرائس الثعلبي): ان فرعون رأى في منامه ان ناراً قد أقبلت من بيت المقدس، حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقتها وأحرقت القبط، وتركت بني إسرائيل، فدعا فرعون السحرة والكهنة والمعبرين والمنجمين، وسألهم عن رؤياه. فقالوا: يولد في بني إسرائيل غلام يسلبك ملكك، ويغلبك على سلطانك.

وفي كتاب (نبوّة ابن بابويه): قدم علىٰ مريم وفد من علماء المجوس زائرين معظمين لأمر ابنها وقالوا: انا ننظر في النجوم، فلما ولد ابنك طلع بمولده نجم لا يفارقه حتى يرفعه الى السماء.

ونقل ما في الطبري فيمولد النبيّ صلى الله عليه وآله من ان علماء كسرى تسكعوا بعلمهم، فلا يمضي لساحر سحره، ولا لكاهن كهانته، ولا يستقيم لمنجم علم نجومه.

ونقل ما فيه ـ في ظهور المسلمين على الفرس ـ بأن رستم لما أمره يزدجرد بالخروج من ساباط بعث إلى أخيه ان السمكة قد كدرت، والنعائم قد حبست، وحسنت الزُهرة، واعتدل الميزان، وذهب بهرام، ولا أرىٰ هؤلاء القوم إلّا سيظهرون علينا.

ونقل عن كتاب (أوصياء علي بن محمد بن زياد الصيمري) في مولد الصاحب عليه السلام: انّه كان بقم منجّم يهودي موصوف بالحذق، فأحضره أحمد

(١) الأنعام: ٧٦.

بن اسحاق وقال له: قد ولد مولود في وقت كذا، فخذ الطالع واعمل ميلاداً. فأخذ الطالع وعمل عملاً له، فقال لأحمد: لايكون مثل هذا المولد إلّا لنبي أو وصيّ نبي، وان النظر فيه يدلّني على انّه يملك الدنيا شرقاً وغرباً، وبراً وبحراً، وسهلاً وجبلاً، حتى لا يبقى على وجه الأرض أحد إلّا دان له. وقال: انّه بنفسه طلب ذلك من قدامة بن الأحنف البصري المنجم، فقال مثل ذلك.

ونقل قول المفيد في (مقالاته): أما الأحكام على الكائنات بدلالتها، والكلام على مدلول حركاتها، فإن العقل لا يمنع منه، ولسنا ندفع أن يكون تعالىٰ أعلمه بعض أنبيائه، وجعله علماً له على صدقه، غير انّا لا نقطع عليه، ولا نعتقد استمراره في الناس الى هذه الغاية، فاما ما نجده من أحكام المنجمين في هذا الوقت، واصابة بعضهم فيه، فإنّه لا ينكر أن يكون ذلك بضرب من التجربة، وبدليل عادة، وقد يختلف أحياناً، ويخطئ المعتمد عليه كثيراً، ولا تصحّ إصابته فيه أبداً، لأنّه ليس بجارٍ مجرىٰ دلائل العقول، ولا براهين الكتاب، ولا أخبار النبيّ صلى الله عليه وآله، وهذا مذهب جمهور متكلّمي أهل العدل، وإليه ذهب بنو نوبخت من الإمامية، وأبو القاسم وأبو علي من المعتزلة.

ثم نقل كلام المرتضى وردّ عليه، ثم نقل خبر الكليني في (روضته) عن الصادق عليه السلام انّه قال لابن سيابة: ضلّ علماء النجوم، فمنهم من يصيب، ومنهم من يخطئ.

ونقل خبر (الروضة) أيضاً عنه عليه السلام: ما يعلم النجوم إلّا أهل بيت من العرب، وأهل بيت في الهند، وحدّثني ان الذين في الهند أولاد وصيّ إدريس.

ونقل مثله عن أصل ابن أبي عمير.

ونقل خبر أصل معاوية بن حكيم عن الصادق عليه السلام: ان في السماء أربعة نجوم ما يعرفها إلّا أهل بيت من العرب، وأهل بيت من الهند، يعرفون منها نجماً واحداً، فلذلك قام حسابهم.

ونقل عن أصل عبدالله بن القاسم وكتاب أبي القاسم النيسابوري قال عليه‌السلام لرجل يماني: أخبرني كم لضوء القمر على ضوء الزهرة.

وخبر (نوادر الحكمة): قال الرضا عليه‌السلام للحسن بن سهل: كم لنور الشمس على نور القمر فضل (درجة)؟

وخبر (دلائل النعماني) و (واحدة ابن جمهور): ان الفضل بن سهل سأل الرضا عليه‌السلام عن تقدّم الليل والنهار من جهة الحساب، فقال عليه‌السلام له: ألستم تقولون ان طالع الدنيا السرطان؟ الخبر.

ونقل خبر (دلائل الحميري): ان الصادق عليه‌السلام قال لبياع السابري: تعد الطوالع؟ قال: نعم. فقال: كم تسقي الشمس من نورها القمر. فقال: هذا شيء لم أسمعه. فقال: وكم تسقي الزُهرة الشمس من نورها ـ إلى أن قال ـ ليس يعلم النجوم إلّا أهل بيت من قريش، وأهل بيت من الهند.

ونقل خبر أصل التجمل: ان محمّداً وهارون ابني أبي سهل كتبا إلى الصادق عليه‌السلام: ان أبانا وجدّنا كانا ينظران في النجوم، فهل يحلّ النظر فيه؟ قال نعم.

وروى عنهما خبراً آخر مثله مع زيادة.

وعن الصادق عليه‌السلام «في يوم نحس مستمر» ان القمر كان منحوساً بزحل.

ونقل عن ربيع الزمخشري قال ابن عباس: النجوم علم عجز عنه الناس، ووددت أني علمته.

ونقل من كان منجماً من الإمامية كالنوبختية وغيرهم، ونقل عن الفقيه خبره قال ابن أبي عمير: كنت أنظر في النجوم، وأعرف الطالع، فيدخلني من ذلك شيء، فشكوت ذلك إلى الكاظم عليه‌السلام، فقال: إذا وقع في نفسك شيء فتصدّق على أوّل مسكين، ثم امض، فإنّ الله يدفع عنك. ورواه عن كتاب التجمل

وفيه: فشكوت إلى أبي عبدالله عليه السلام.

ثم قال ابن طاووس: لو لم يكن في الشيعة عارف بالنجوم إلّا محمد بن أبي عمير لكان حجّة في صحتها[١].

قلت: لم يعلم كون ابن أبي عمير فيه هو ابن ابي عمير المعروف، لأن ذاك يروي عن ابن اذينة، ولم يلق الصادق عليه السلام، وهذا روى عنه ابن اذينة وروى عنه عليه السلام.

ونقل رواية الكشي: أنّ الكاظم عليه السلام لما مات وقف عليه أبو خالد السجستاني، ثم نظر في نجومه، فعلم انّه قد مات، فخالف أصحابه.

وقال في مجموع عتيق: ان بوران بنت الحسن بن سهل برعت في النجوم، فعثرت يوماً بقطع على المعتصم سببه الخشب ـ الى أن قال ـ فخلا المعتصم ذلك اليوم بالحسن، فأشار عليه أن ينتقل من المجلس السقفي الى مجلس أزجي لا يوجد فيه وزن درهم من الخشب ـ إلى أن قال ـ فجاء خادم، ومعه المشط والمسواك، فقال الحسن للخادم: امتشط بالمشط، واستك بالمسواك. فقال: كيف أتناول آلة الخليفة. فقال له المعتصم: ويلك امتثل قوله، ففعل، فسقطت ثناياه، ورفع ميتاً، ونقله عن وزراء ابن عبدوس.

ونقل أيضاً عنه: ان يحيى البرمكي قال: لا يكون هلاك بيتهم إلّا بسبب ابنه جعفر، وانه كتب رقعة، وأعطاها اسمعيل بن صبيح كاتبه، وقال له: اكتب فيها «إذا دخلت سنة (١٨٧) فكان هارون أوقع بهم تلك السنة». وانه رأى في النوم ان صائحاً يصيح على جانب من الجسر:

كأن لم يكن بين الحجوم إلى الصفا أنيسٌ ولم يسمر بمكة سامر

فأجابه هو من الجانب الآخر:

---

(١) هذا خلاصة كتاب فرج المهموم من أوّله إلى صفحة ١٢٤ .

بلى نحن كنّا أهلها فأبادنا صروف الليالي والجدود العواثر

فانتبه، فلجأ الى أخذ الطالع، فوقف على انّه لابد من انقضاء مدتهم، كان يحكي ذلك لأبي موسى بن صير الوصيف، فما أتم كلامه حتى دخل عليه مسرور الخادم برأس جعفر.

ونقل عن (أخبار وزراء عبد الرحمن بن المبارك): ان جعفر البرمكي لما عزم على الانتقال الى قصره الذي بناه جمع المنجمين لاختيار وقت ينتقل فيه، فاختاروا له وقتاً من الليل، فلما حضر الوقت خرج على حمار إليه، والطرق خالية، والناس ساكنون، فلما وصل الى سوق يحيى رأى رجلاً ينشد:

يدبر بالنجوم وليس يدري وربُّ النجم يفعل ما يريد

فاستوحش وقال للرجل: ما أردت بهذا؟ قال: شيء عرض لي وجرى على لساني.

ونقل خبر (العيون): ان المأمون لما عزم على عقد عهد للرضا عليه السلام قال بعضهم: لأعرفن ما في نفس المأمون، أيحب اتمام الأمر أم لا؟ فكتبت إليه عزم ذو الرياستين على عقد العهد، والطالع السرطان، وهذا يدلّ على نكبة المعقود له. فكتب إلي ان وقف أحد على ما عرفتنيه، أو رجع الفضل عن عزمه، علمت انك سببه، فضاقت عليّ الدنيا، ثم بلغني ان الفضل قد تنبّه، ورجع عن عزمه ـ وكان حسن العلم بالنجوم ـ فركبت إليه، فقلت له: أتعلم في السماء نجماً أسعد من المشتري ـ الخبر.

وقال: روى محمّد بن خالد البرقي في (قصص أنبيائه): ان يوشعاً لما انتهى الى البلقاء لما فتح مدائن الشام، فجعلوا يخرجون يقاتلونه، فلا يقتل منهم رجل، فسأل يوشع عن ذلك، فقيل ان في مدينته امرأة منجم تستقبل الشمس بفرجها، ثم تحسب، فتعرض عليها الخيل، فلا تخرج رجلاً حضر أجله. فصلّى يوشع ركعتين ودعا ربّه أن يؤخر الشمس، فاضطرب عليها

الحساب، فدخلت في دين يوشع.

ونقل عن نشوار التنوخي حكايات عن (اصابات أبي علي الجبائي):

منها: ان ابنه ابا هاشم لما اعتل قلقت اخته، فقيل لها: أليس حكم أبوه انّه يعيش نيفاً وسبعين سنة شمسية؟ فقالت: بلى ولكن قال ان أفلت من السنة السادسة والأربعين، فمات في تلك العلّة.

ومنها: انّه اجتاز بدار في عسكر مكرم، فسمع فيها صيحة ولادة، فقال: ان صح ما يقول المنجمون فهذا المولود ذو عاهة، ففحص فإذا المولود أحنف.

ومنها انّه في عسكر مكرم أخذ طالع مولود بعض غلمانه، فقال: ان صح التنجيم يموت الولد بعد خمسة عشر يوماً، فمات كذلك.

ونقل حكايات عن (اصابات أبي معشر):

منها: انّه ضربه المستعين أسواطاً لأنّه أصاب في شيء، وأخبر به قبل وقته، فكان يقول: أصبت فعوقبت.

ومنها: انّه قال: أخذت طالع المعتز والمستعين، فحكمت على المستعين بالخلع والقتل، وللمعتز بالخلافة بعد فتنة وحروب، فكان كما قال.

ومنها: ان الموفق قال له ولمنجم آخر: خذا الطالع في شيء قد أضمرته، فقالا تسألنا عن حمل غير انسي. فقال: هو كذلك فما هو. ففكرا طويلاً فقالا: حمل بقرة. قال: هو كذلك فما تلد؟ قالا: ثوراً. قال: فما صفته؟ قال أبو معشر: أسود في جبهته بياض ـ وقال الآخر أسود في ذنبه بياض ـ فقال الموفق: احضروا البقرة، فأحضرت وذبحت فأخرج منه ثور أبيض طرف أنفه، وقد التف ذنبه فصار على وجهه.

ومنها: أن الموفق قال له ولرفيقه: أي شيء في كمي؟ فقال رفيقه ـ بعدما أخذا الزائجة ـ شيء من الفاكهة، وقال هو شيء من الحيوان. فقال الموفق

لرفيقه أصبت، ولأبي معشر أخطأت ـ ورمى تفاحة من يده ـ فعاود أبو معشر الزائجة، ثم سعى نحو التفاحة، فأخذها وكسرها، فإذا هي تنثر دوداً، فقال: أنا أبو فلان.

وعن (ربيع الزمخشري): ان امرأة افتقدت خاتماً، فقال أبو معشر: خاتم أخذه الله، فوجدته في اثناء ورق المصحف.

وعن (بصائر التوحيدي): قال أبو معشر: حضرت أنا وسلمة والزبادي والهاشمي عند الموفق ـ وكان الزبادي استاد أهل زمانه في النجوم ـ فأضمر الموفق شيئاً، فقال كلّ منهم شيئاً، فقال لهم: أخطأت، ثم قال؛ هات ما عندك. قلت: أضمرت الله عزّوجلّ. فقال لي: أحسنت والله أنى لك هذا؟ قلت: الرأس يرى فعله، ولا يرى نفسه، كان في رابع درجة من الفلك، ولا أعرف له مثلاً إلّا الله عزّوجلّ، فهو فوق كلّ ذي سلطان، وليس فوقه شيء.

وعن (أسرار أبي سعيد شاذان): قال أبو معشر: نزلت في خان ببعض قرى الري، فصعدت الى سطح الخان، وأخذت الارتفاع، فإذا الطالع لمسيرهم الثور وفيه المريخ، والقمر في الأسد، فقلت للقافلة: الله الله في أنفسكم لا ترحلوا، فأبوا وذهبوا، فعاد جماعة منهم مجروحين قد قطع عليهم الطريق على فرسخين، فلما رأوني أخذوا الحجارة والعصا، وقالوا: يا ساحر يا كافر أنت قتلتنا وقطعت علينا الطريق، وتناولوني ضرباً، فما خلصت منهم إلّا بعد جهد، وعاهدت الله ألا أُكلّم أحداً من السوقة في شيء من هذا العلم.

وعن (تاريخ محمّد بن عبد الملك الهمداني) أنّه كتب الى أبي معشر بصورة مولد صاحب الزنج قبل خروجه، فقال: ان كان هذا الولد صحيحاً، فانّه الرجل الذي ذكر في كتاب الدول، وسيكون من أمر هذا الفتى شيء عظيم من اقدامه على الدماء واخراب المدن.

وعنه: ان صاحب الزنج كان يقول في الليلة التي انقضى أمره: ان مضت

هذه الليلة بقيت لأربع عشرة سنة أُخرىٰ غير الماضية، كان يقول ذلك من طريق النجوم التي علمها من أبي معشر.

وفي (الأسرار): انّه على تقدّمه في هذه الصناعة كان يصيبه الصرع عند امتلاء القمر في كلّ شهر مرّة.

وعن (البصائر): قال يحيى بن أبي منصور: دخلت أنا وجماعة من المنجمين على المأمون، وعنده انسان قد تنبأ ونحن لا نعلم ـ الى أن قال ـ فقال كلّ من حضر غيري: كلّ ما يدّعيه صحيح، وله حجّة زُهرية وعطاردية، فقلت أنا: هو في طلب تصحيح الذي يطلبه، لا ينتظم الذي قالوا، انما هو ضرب من التزويق والخداع، فقال: لله درّك. ثم قال: وهذا الرجل يزعم انّه نبي. فقلت: أفمعه شيء يحتجّ به؟ فقال: نعم معي خاتم ذو فصين ألبسه، فلا يتغيّر مني شيء، ويلبسه غيري، فيضحك ولا يتمالك حتى ينزعه، ومعي قلم آخذه، فأكتب به، ويأخذه غيري، فلا تنطلق اصبعه. فقلت: هذه الزهرة وعطارد زور عمله بهما، فأمره المأمون أن يفعل ما كان فعل، ففعل، فعلم انّه علاج من الطلسمات، فمازال به المأمون حتى تبرأ من دعوى النبوّة، ووصف الحيلة التي احتالها في الخاتم والقلم، وكان أعلم الناس بالنجوم. قال أبو معشر: وهو الذي عمل طلاسم الخنافس في ديور كثيرة.

وعن (أسرار أبي معشر): ان فتى من ولد يعقوب بن فرازون النصراني قال لقاسم بن عبدالله وهو ابن ست عشرة سنة ـ وأبوه متعطّل ـ انك تتقلّد الوزارة، فاكتب لي خطاً بكذا، وصار كما قال.

وعن نشوار التنوخي: ان أباه حول مولد نفسه في السنة التي مات فيها، فقال لنا: هذه سنة قطع على مذهب المنجمين، وقال إذا كان العصر لسبع بقين من الشهر فهي ساعة قطع، فمات كما قال.

وعنه: قال غلام زحل لأبي يوسف اليزيدي ـ في اليوم الذي عزم فيه

الركوب الى الابلة ليسلّم فيه على أخيه أبي عبدالله اليزيدي - أيّها الاستاذ لا تركب في هذا اليوم، فان تحويله يوجب عليك قطعاً بالحديد. فقال: يا فاعل انّما أركب الى أخي، فممن أخاف، وخرج، فعاد غلام زحل، فأخرج جميع ما كان له في دار أبي يوسف، وقال: هذه الدار بعد ساعة تُنهب، ومضى اليزيدي الى أخيه، فقتله في ذلك اليوم.

وعنه: ان أباه قال: ان اليزيدي لما أنفذه برسالة الى ابن بويه خرج بطالع، فقالوا له: بالطريق لص يعرف بالكرخي مستفحل الأمر - الى أن قال: وجعلت أُفكر في الطالع الذي خرجت، والناس قد أبرزوا الى الشط، وأنا في جملتهم، وهم يفرغون السفن - الى أن قال: حين رآني رئيسهم انكب عليّ يقبّل يدي وقال: انا الصبي الذي ربيت في دارك.

وعن كتاب جليس المعافى بن زكريا: ان عبد الله بن محمد بن عبد الله بن طاهر كان ذات ليلة عندأهله فقال: مولدي في السرطان، وطالع السنة السرطان، والقمر يكسف الليلة في السرطان، فلما انكسف من القمر ثلثه، قال: ما تقولون في رجل قاعد عندكم يقضي ويمضي، وقد ذهب ثلث عمره، فلما انكسف ثلثا القمر عمد الى جواريه، فاعتق منهن من أحب، والى ضياعه فوقف منها ما وقف، فلما انقضىٰ من الثلث الثالث دقيقتان قال لهم: إذا استغرق القمر فامضوا الى أخي عبيدالله، ثم قام، فاغتسل، ولبس اكفانه، واضطجع، فلما استغرق القمر في الانكساف فاضت نفسه، فانطلقوا الى أخيه ليعلموه، فإذا هو في طيارة قد سبقهم، فقال لهم: مات أخي؟ قالوا: نعم. فقال: مازلت آخذ الطالع حتى استغرق الخسوف، فعلمت انه قد قبض. وقال:

كسف البدر والأمير جميعاً فانجلى البدر والأمير عميد
عاود البدرُ نورَه فتجلّى ونورُ الأمير ليس يعود

وعن (مجموع عتيق): ان الصاحب قال لبدر بن حسنويه يوماً انّه يموت

بعد مائة وثلاة أيام، ويجلس الشاهنشاه له في العزاء سبعة أيّام، ويستوزر أبا العباس الضبي، فصار كما قال.

وعن كتاب (ملح الحسين بن خالويه): ان ملك الهند الذي كتب الى عمر ابن عبد العزيز «من ملك الأملاك الذي في مربطه ألف فيل، وتحته بنات ألف ملك، وله نهران يجيئان له باللؤلؤ والعنبر والكافور» كانت أُمه راعية، فأدركها الطلق قبل طلوع الشمس، فمر بها منجم هندي، فقال: ان لم يولد هذا المولود حتى يطلع قرن الشمس ملك الهند. فجمعت المرأة عباءة كانت معها، واستثفرت بها، فلما ذر قرن الشمس قذفت بعباءتها، فولد وبلغ ما قال المنجم.

وعن (تاريخ الحاكم النيسابوري): ان سابور ذا الاكتاف مات أبوه هرمز، وهو جنين، وأعلمه المنجمون، انّه يولد له ذكر يملك الأرض، فوضع التاج على بطن أُمّه، وكتب عنه الى ملوك الآفاق وهو جنين.

وعن (خط الشيخ): قال بعضهم حكم المنجمون في سنة (١٧٠) ان في ليلة واحدة يموت ملك عظيم، ويقوم ملك كريم، ويولد ملك حكيم، فمات الهادي، وقام الرشيد، وولد المأمون.

وعن (تذييل صدقة بن حسن): انه كان لقماج صاحب بلخ منجم يعرف بالعماد، فأخبره ان خراسان تخرب، ويهلك أهلها في العام القابل من قوم بغزنة مما وراء النهر، فصار كما قال: وملكت الغز خراسان، وفعلوا بهم كما فعل التتر بعد.

وعن (تاريخ الحاكم): ان هارون لما خرج من بغداد ودخل الري، جمع المنجمين، وسألهم النظر في خروجه، فقالوا تهلك بخراسان بقرية يقال لها سناباذ، فسألهم عنها، فقالوا من قرى بيهق، فتنحى عن الطريق، ولم يدخل بيهق، ثم خرج من نيسابور الى طوس، ونزل قرية حميد الطوسي، فسأل عن اسمها فقيل سناباذ، ومرض، فعلم انها تربته.

ونقل ما في (اكمال الصدوق) في يوذاسف ان أباه جمع المنجمين لتقويم ميلاده، فقالوا يبلغ من الشرف ما لا يبلغه أحد، وانّه بعد دعاهم، فقال أحدهم: سيكون هذا إماماً.

وعن نشوار التنوخي: ان المعتصم سايره يوماً الزيات وابن ابي دؤاد الى رحبة الجسر، فجعل يضحك ولا شيء يضحكه، فسأله ابن أبي دؤاد فقال: أما إذ سألتماني كان منجم أيام فتنة ابن شكلة يقعد على الطريق، فركبت يوماً حماراً متنكراً لبعض شأني، فرأيت ذلك المنجم، فتطلعت إليه نفسي أن أسأله عن أمر إبراهيم هل يتمّ له شيء أو يغلب المأمون، فقلت لغلامي: اعطه درهمين وقلت له خذ الطالع، ثم قال لي: أنت هاشمي؟ قلت: نعم. قال: فهذا الطالع الأسد، وانّه يوجب لك الخلافة، وانت تفتح الآفاق، وتزيل الممالك، ويعظم جيشك، وتبني بلاداً عظيمة ـ وقصّ عليّ جميع ما أنا فيه الآن ـ فقلت له: فهذا السعود، فهل علي من النحوس؟ قال: لا ولكنك اذا ملكت فارقت وطنك، وكثرت أسفارك. قلت: فهل غير هذا؟ قال: نعم، ما شيء أنحس عليك من شيء واحد يكون المتولون عليك في أيام ملكك أُصولهم دنية سفلة، فيغلبون عليك، ويكونون أكابر مملكتك. ولما بلغت الرحبة وقعت عيني على موضعه بالطريق، فذكرته، وتأملتكما حولي، وأنتما أكبر أهل مملكتي، وأحدكما ابن زيات، والآخر ابن قيار، وأخذني الضحك إذ ترأس في دولتي أولاد السفل، فانكسرا، وودا انّهما لم يسألاه عن ضحكه.

وقال: وفي حديث ملوك الفرس ان كسرى قال لولده شيرويه: وأما أنت خاصة فان المنجمين قضوا في تولدك انّك مزر علينا، وناقض ما أبرمنا، ووجدنا قرمساً ملك الهند كتب إلينا في سنة (٣٦) من ملكنا ـ الى ان قال: وجدناه قد وقع على كتابه اليك بالهندية «اكتم ما فيه»، فأمرنا أن يصرف لكلّ واحد ما بعث إليه من هدية وكتاب، واحتبسنا ما كتبه إليك من أجل التوقيع

الذي كان فيه، ودعونا بكاتب هندي، وأمرناه بفض خاتم الكتاب وقراءته، فكان فيه ابشر وقرّ عيناً، فانّك متوج في ماه آذار ويوم آذار.

ونقل عن الطبري: ان المنجمين كانوا قد قالوا لأبي مسلم تقتل في الروم، فكان قتله في رومية المدائن.

وعن نشوار التنوخي: ان منجماً كان بعبر الرؤيا صاح على بابويه ـ وكان يصيد السمك ـ فأدخله وقال له: رأيت ليلة كأني جالس أبول، فخرج من ذكري نار عظيمة كالعود، ثم تشعبت يمنة ويسرة، واماماً وخلفاً، حتى ملأت الدنيا. فقال له الرجل: لا افسرها لك بأقلّ من ألف درهم. فسخر منه وقال له: ويلك نحن فقراء نصطاد سمكاً لنأكله، ولكن نعطيك سمكة من أكبر هذه الأسماك ـ وكان قد صاد مقداراً من السمك ـ فقبل وقال لبويه يكون لك أولاد، ويفترقون في الدنيا، فيملكون، ويعظم سلطانهم قدر ما احتوت النار من الأرض ـ فصفعوه وقالوا سخرت بنا، وأخذت السمكة حراماً، وقال له بويه انا صيّاد فقير، وأولادي هؤلاء ـ وأشار الى علي والحسن وأحمد ـ أي شيء يكون منهم.

وقال: ذكر الزمخشري ان المنصور لما أراد السفر الى عبدالله بن معاوية الطالبي سأل نوبخت عمّا يؤول إليه أمره، فقال له: تصير ملك العرب، وينالك في وجهك هذا مكروه، فأخذه سليمان بن حبيب المهلبي، فحبسه.

ونقل عن كتاب (المنجمين لمحمود بن الفضل): أن الربيع قال للمنصور: زعم ما شاء الله المنجم أن الذي يحجّ بالناس في هذه السنة يموت في طريقه، فحجّ المنصور فمات بذات عرق[1].

وأقول: ان كلاً من المرتضى وابن طاووس أفرط فيما قال، اما المرتضى

---

(١) هذه خلاصة كتاب فرج المهموم من صفحة ١٣١ وما بعدها.

فحمله ما نقل من صواب المنجمين فيما اخبروا على الاتفاق غير صحيح، لأن في أخبارهم ذكر خصوصيات لا يمكن كونها اتفاقاً، وانما يمكن حمل مثل اخبارهم بأن المريض الفلاني يموت أو يصح، أو المرأة الفلانية تلد غلاماً أو جارية، أو في اليوم المعين ينزل المطر أو لا ينزل، وما من هذا القبيل على الاتفاق دون نظير كلّ ما مر، وكيف يمكن انكار الأمر المتواتر ولو كان إجمالياً، فانّه وان لم يكن ما نقل عن كلّ من المنجمين ثابتاً، إلّا ان المجموع لا يمكن انكاره، فيمكن ان يجمع من اصاباتهم مجلّدات ضخمة، وأما خطؤُهم فمن نقص علمهم، لا من عدم صحته رأساً.

وفي (أخبار حكماء القفطي): للحسن بن الخصيب كتاب في أحكام النجوم حكم فيه بأحكام لم يصح منها شيء، ومنها انّه قال: إذا نزل زحل في دقائق من أوّل درجة من الجوزاء يموت ملك مصر في ذاك الأوان. ورأيت هذا في عمري مرتين ولم يصحّ شيء منه.

وفيه: انّه لما قال أبو الفضل الخازمي انّه لما اجتمعت الكواكب السبعة في برج الميزان في سنة (٥٨٢) يحدث هواء شديد يهلك العامر، ووافقه منجموا الأقطار سوى شرف الدولة العسقلاني، فقال: وجدت في اقتران الكواكب والمكافاه ما يدفع ضرر بعضها عن بعض، وشرط أن يكون تلك الليلة التي أنذروا بوقوع الهواء فيها لا يهبّ فيها نسيم. قال: وعمل الناس السراديب في البلاد السهلية والمغائر في الجبلية، فلما كان الموعد لم يهبّ نسيم.

كما ان الأخبار أيضاً متواترة إجمالاً بصحّة أصلها، ونقص علم المنجمين، واما ما قاله من أنه لو كانت النجوم تدلّ على الاصابة لكان المنجمون سالمين فغير صحيح، فعدم سلامتهم لا تدلّ على عدم اصابتهم، بل على عدم نفع الحذر من الخلاص عن القضاء والقدر، فالحسن بن سهل أراد

العمل بعلمه في دفع النحس عن أخيه الفضل، فلم يتيسر له.

فروى العيون عن ياسر الخادم قال: ورد على الفضل كتاب من أخيه الحسن اني نظرت في تحويل هذه السنة، فوجدت انك تذوق في شهر كذا يوم الأربعاء حر الحديد وحرّ النار، وأرى ان تدخل أنت وأبا الحسن الرضا والمأمون الحمام في هذا اليوم، وتحتجم، وتصب الدم على بدنك ليزول نحسه عنك. فكتب الفضل بذلك الى المأمون، وسأله ان يدخل الحمام معه، وكتب المأمون ذلك الى الرضا عليه السلام، فكتب الرضا إليه انّي لست بداخل غداً الحمام، ولا أرى لك أن تدخله، ولا أرى للفضل أن يدخله، فأعاد إليه عليه السلام ذلك، فكتب إنّي لست بداخل الحمام غداً، فإنّي رأيت في هذه الليلة النبيّ صلى الله عليه وآله في النوم يقول لي: لا تدخل الحمام غداً، فكتب إليه المأمون صدقت وصدق النبي، واني لست بداخل الحمام غداً، والفضل هو أعلم وما يفعل. قال ياسر: فلما أمسينا وغابت الشمس قال لنا الرضا عليه السلام قولوا نعوذ بالله من شرّ ما ينزل في هذه الليلة، فأقبلنا نقول، فلما كان قريباً من طلوع الشمس، وإذا بالمأمون قد دخل من باب داره الذي كان الى دار الرضا عليه السلام، وقال له: آجرك الله في الفضل، كان دخل الحمام، فدخل عليه قوم بالسيوف وقتلوه[1].

وكان المأمون لا يقيم برقة العراق لأنّه سمع من النجوم أن موته بالرقة، فمات برقة الروم، فقال فيه أبو سعيد المخزومي كما في المروج ـ ومر أن أباه يتحامى عن بيهق فمات بطوس ـ:

هل رأيت النجوم أغنت عن المأ ... مون شيئاً وملكه المانوس
خلفوه بعرصتي طرسوس ... مثل ما خلفوا أباه بطوسِ[2]

(١) عيون الأخبار للصدوق ٢: ١٦١.

(٢) مروج الذهب ٣: ٤٥٨.

وهل كان منع نمرود وفرعون عن وصول الرجال الى النساء لما سمعا من المنجمين بولادة شخص يكون هلاكهما على يده مغنياً لهما شيئاً.

وكذلك منع ابرويز من ولادة يزدجرد، فسمع من المنجمين ان به ينقرض ملكهم ما أفاده شيئاً.

ففي (تاريخ الطبري): قال هشام بن محمد: ولد لكسرى ابرويز ثمانية عشر ولداً ذكراً أكبرهم شهريار وكانت شيرين تبنته، فقال المنجمون لكسرى: انّه سيولد لبعض ولدك غلام يكون خراب هذا المجلس وذهاب هذا الملك على يديه، وعلامته نقص في بعض بدنه. فحصر ولده لذلك عن النساء، فمكثوا حيناً لا يصلون الى امرأة حتى شكا ذلك شهريار الى شيرين، وبعث اليها يشكو الشبق، ويسألها ان تدخل عليه امرأة وإلا قتل نفسه، فأرسلت إليه اني لا أصل الى إدخال النساء عليك إلّا أن تكون امرأة لا يؤبه بها ولا يجمل بك أن تمسّها. فقال لها: لست أُبالي ما كانت بعد أن تكون امرأة. فأرسلت إليه بجارية كانت تحجمها ـ وكانت فيما يزعمون من بنات أشرافهم، إلّا أن شيرين كانت غضبت عليها في بعض الأمور، فأسلمتها في الحجامين، فلما أدخلتها على شهريار وثب عليها، فحملت يزدجرد، فأمرت بها شيرين، فقصرت حتى ولدت وكتمت أمر الولد خمس سنين.

ثم انّها رأت من كسرى رقة للصبيان حين كبر، فقالت له: هل يسرّك أيها الملك أن ترى ولداً لبعض بنيك على ما كان في ذلك من المكروه. فقال: لا أُبالي. فأمرت يزدجرد، فطيب وحلّي، فأدخلته عليه وقالت له: هذا يزدجرد بن شهريار. فدعا به، فأجلسه في حجره، وقبّله، وعطف عليه، وأحبه حبّاً شديداً، وجعل يبيته معه، فبينا هو يلعب ذات يوم بين يديه إذ ذكر ما قيل، فدعا به، فعرّاه من ثيابه، واستقبله واستدبره، فاستبان النقص في أحد وركيه، فاستشاط غضباً واحتمله ليجلد به الأرض، فتعلقت به شيرين وناشدته الله أن

لا يقتله، وقالت له: ان يكن أمر قد حضر في هذا الملك فليس له مردّ. فقال: ان هذا هو المشؤوم الذي أُخبرت عنه، فأخرجيه، فلا انظر إليه. فأمرت به، فحمل إلى سجستان.

وقال آخرون بل كان بالسواد عند ظؤرته في قرية يُقال لها خمانية، ووثبت فارس على كسرى، فقتلته، وساعدها على ذلك ابنه شيرويه ابن مريم الرومية، وكان ملكه (٣٨) سنة[١].

وكان مروان الحمار أراد دفع القضاء عنه بالنجوم فلم يتيسر له. ففي أخبار طوال الدينوري: لما هرب مروان من عساكر أبي مسلم طلبته الخيل، فحال بينها وبينه الليل، فعبر مروان النيل في سفينة، فصار في الجانب الغربي ـ وكان منجماً ـ فقال لغلامه: اني ان سلمت هذه الليلة رددت خيل خراسان على أعقابها، فقتل في تلك الليلة في النوم.

وكان المنصور جمع عنده المنجمين لدفع القضاء عنه، فلم يتيسر له. وفي (المروج): قال الفضل بن الربيع: كنت مع المنصور في السفر الذي مات فيه، فنزل منزلاً، فبعث إليّ وهو في قبة ووجهه الى الحائط، فقال: ألم أنهك أن تدع العامة يدخلوا هذه المنازل، فيكتبوا فيها ما لا خير فيه. قلت: وما هو؟ قال: أما ترى على الحائط مكتوباً:

أبا جعفر حانت وفاتك وانقضت ... سنوك وأمر الله لابد نازل

أبا جعفر هل كاهن أو منجم ... يرد قضاء الله أم أنت جاهل

فقلت: والله ما أرى على الحائط شيئاً وانه لنقي أبيض. قال: فاذن نفسي نعيت إليّ[٢].

---

(١) تاريخ الطبري ١: ٦١٧.

(٢) مروج الذهب ٣: ٣٠٧.

ومرّ أن جعفر البرمكي أمر المنجمين لاختيار وقت له لانتقاله الى قصر له بناه، فانتقل إليه في ذاك الوقت، فسمع من ينشد:

يدبر بالنجوم وليس يدري ... وربّ النجم يفعل ما يريد[١]

وفي (المروج): قال الأصمعي: وجه إليّ الرشيد في ليلة قتل جعفر البرمكي، فقال: قلت شعراً فاسمعه:

لو أن جعفراً أهاب أسباب الردى ... لنجا بمهجته طمّر ملجمُ

ولكان من حذر المنون بحيث لا ... يسمو إليه به العقاب القشعمُ

لكنه لما تقارب وقته ... لم يدفع الحدثان عنه منجمُ[٢]

وفي (كامل الجزري): قال منجم ليحيى بن تميم صاحب افريقية: ان عليه قطعاً في يوم الأضحى من سنة (٥٠٩) فلا يركب الى المصلىٰ، فلم يخرج وأخرج أولاده وأهل دولته، فلما انقضت الصلاة حضروا عنده للسلام عليه وانصرفوا الى الطعام، فقام ليحضر معهم فلم يمش غير ثلاث خطى حتى وقع ميتاً[٣].

وفيه: كان المنجمون يقولون لسعد الدولة المعروف بالطواشي: انّك تموت متردياً، حتى انّه ولي بيروت وأرضها مفروشة بالبلاط، فقلعه خوفاً أن يزلق به فرسه، فأنفذه أمير الجيوش لحرب الفرنج، فانهزم فتردىٰ به فرسه فسقط ميّتاً ولم ينفعه الحذر مع القدر، كان ذلك في سنة (٤٩٦)[٤]

وأما ابن طاووس فزعمه ان اصاباتهم مفيدة، فرد على المرتضى في قوله بأنّه لو كانوا مصيبين كانوا سالمين من الآفات، بأنّه ليس كلّ من عرف علماً

(١) مر نقله عن فرج المهموم عن أخبار وزراء عبد الرحمن بن المبارك.

(٢) مروج الذهب ٣: ٣٨٠.

(٣) كامل ابن الأثير ١٠: ٥١٢، سنة ٥٠٩.

(٤) كامل ابن الأثير ١٠: ٣٦٣، سنة ٤٩٦.

عمل بعلمه، وخلص نفسه من الردىٰ.

وأورد عليه نقضاً لو أن قائلاً قال لك: لو كان العقل موجوداً مع الموصوفين به لكان السالمون به من الآفات أضعاف الهالكين مما ليس لها عقول، ونحن نرى الآفات على الفريقين على المناسبة[١].

فيقال له: انما الناس لم يعملوا بعلمهم في أمر الدين، وأما فيما كان راجعاً الى دنياهم فيتهالكون عليه. وانما الجواب الصحيح للمرتضى ما قلنا، ونزيد ان اصابة الآفات لأهل النجوم ولغيرهم على السواء قد يكون لعدم فهم المنجم لقصر علمه، كما عرفت في علّة الواثق وقضية الوزير السلجوقي، وقد يكون لكون ما فهمه من النجوم مجملاً لا يصل معه الى المراد، كما في تنحي هارون عن دخول بيهق لئلا يرد في سناباد، ومحل قتل أبي مسلم بالروم والرومية، وموت المأمون برقة الروم ورقة العراق.

وفي (تاريخ اليعقوبي): كان الفضل بن سهل كثيراً ما يقول في أيام المأمون:

لئن نجوت أو نجت ركائبي من غالب ومن لفيف غالب
اني لنجّاء من الكرائب

ولا يدري من غالب، ولا يذهب إلّا إلى قريش، حتى دخل عليه غالب الرومي صاحب ركاب المأمون، فقتله، فقال له الفضل: لك مائة ألف دينار. فقال: ليس بأوان تملّق، ولا رشوة، وقتله[٢].

وفي (الأُدباء): كان في قابوس بن وشمكير عسف وشدّة، فسئمه عسكره، فتغيّروا عليه، وحسنوا لابنه منوجهر حتى قبض عليه، وقالوا له: إن

---

(١) فرج المهموم: ٤٨ و ٤٩.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ٤٥٢.

لم تقبض عليه قتلناه، واذا قتلناه فلا نأمنك على نفوسنا، فنحتاج أن نلحقك به، فوثب عليه، وقبض عليه، وسجنه في القلعة، ومنعه ما يتدثر به في شدّة البرد، فجعل يصيح: أعطوني ولو جلّ دابة حتى هلك. وكان حكم على نفسه في النجوم أن منيته على يد ولده، فأبعد ابنه داراً لما كان يراه من عقوقه، وقرّب ابنه منوجهر الذي أخذه لما رأى من طاعته له.

ولغلام زحل جمع آخر في صوابهم وخطئهم، ففي (أخبار حكماء القفطي): اجتمع يوماً الضميري والنوشنجاني والعروضي والمقدسي وغلام زحل عند أبي سليمان المنطقي، وكلّ واحد منهم امام في شأنه وفرد في صناعته، فذكروا علم النجامة وقالوا: هي من العلوم التي لاتجدي. فقالوا وأطالوا، فقال غلام زحل: ان صحتها وبطلانها متعلقان بآثار الفلك، وقد يقتضي شكل الفلك في زمان ألا يصحّ منها شيء، وان غيص على دقائقها، وبلغ الى أعماقها، وقد يزول ذلك الشكل، فيجيء زمان لا يبطل منها شيء فيه، وان قورب في الاستدلال، وقد يتحوّل هذا الشكل في وقت آخر الى أن يكثر الصواب فيها أو الخطأ ويبقى زمناً. قال: ومتى وقف الأمر على هذا الحد لم يثبت على قول قضاء ولاوثق بجواب، فقال أبو سليمان المنطقي: هذا أحسن ما يمكن أن يقال في الباب واسم غلام زحل عبيد الله بن الحسن.

كما أن ما نقل ابن طاووس عن المرتضى انّه قال: مما أفحم به القائلون بصحّة الأحكام ولم يحصل منهم على جواب انّهم ان قيل لهم في شيء بعينه خذوا الطالع واحكموا هل يؤخذ أو يترك، فان حكموا بأحدهما وفعل خلاف ما حكموا به فقد أخطؤوا، وما أجابه عنه من أن هذه المسألة انما تلزم من يقول ان النجوم علّة موجبة، فأما من يقول انها ليست بفاعل مختار يمكنهم أن يقولوا: ان النجوم وان دلّت على فعل فإن الله تعالى فاعل مختار وقادر على

الترك والفعل لا يطلع على ما يريده تعالىٰ أحداً[1].

ليس يصحّ جوابه، فان المرتضى انما قال العبد يقدر على خلاف ما أخبروا به، وهو قال ان الله قادر على خلاف ما أخبروا. كما لا يصحّ سؤال المرتضى فلم يعلم أصابة المنجم إلّا بعد وقوع ما أخبر به كموارد اتفقت الموافقة، واما إذا لم تقع موافقة فيحمل على خطئهم في الحساب، فإنّه لا ريب ان خطأهم أكثر من صوابهم، ولو فرض اصابته فالناس لا يقدرون على خلافه.

وفي كتاب النظامي العروضي المترجم بچهار مقاله في الحكاية الثانية من العشر التي نقلها في (اصابات المنجمين): ان محمود الغزنوي كان في غزنين جالساً على سطح قصره الذي كان في بستانه الذي كان له ألف شجر، وكان للقصر أربعة أبواب، فقال لأبي ريحان البيروني: احكم من النجوم اني أخرج من أي باب من هذه الأبواب، واكتب ذلك في رقعة، واجعلها تحت فراشي، فأخذ أبو ريحان الأسطرلاب، وأخذ الارتفاع، وتفكّر ساعة، ثم كتب شيئاً، وجعله تحت فراش السلطان، فأمر السلطان بإحضار الفعلة، واحداث باب خامس، ففعلوا، وخرج منه، ثم طلب ورقة أبي ريحان، فرأى انّه كتب: ان السلطان لا يخرج من هذه الأبواب، بل من باب آخر يحدثه. فغضب لاصابته، لأنّه أراد أخذ الخطأ عليه، فحكم أن يرموه من سطح القصر الى الأرض ففعلوا. وكان قنصٌ هناك مشدود على الجدار، فوقع فيه، فخرقه، ووصل الى الأرض هيناً بحيث لم يصله جرح، فلما رأى ذلك السلطان طلبه وقال: هل علمت باسقاطك من القصر؟ قال: نعم. قال: حجّتك. فقال: يا غلام ايتني بالتقويم، فأخرج تحويله منه، فرأى انّه كتب في أحكام ذلك اليوم انه يهوىٰ به من

---

(١) فرج المهموم: ٤٧.

موضع مرتفع ولكنه يسلم، فغضب محمود ثانياً لإصابته وأمر بحبسه.

وفي (أخبار حكماء القفطي): قال غرس النعمة محمد بن هلال: قال أبي: ركبت أنا وأبو علي بن الحواري وأبو الحسن الديلمي وأبو طاهر الطبيب العلوي إلى دعوة أبي القاسم الوتّار، فلقينا أبو الحسن البتي وسألنا أن نمضي معه إلى مؤيد الملك أبي علي الرخجي وزير الوقت في حاجة له إليه، فرأينا شكحاً المنجّم الأعمىٰ، فقلنا له: لابد من أن تأخذ طالع الوقت، وتحسب لنا فيما نمضي، وما يجري لنا فيه اليوم. فقال: أنتم بطرون امضوا في طريقكم. فقلنا: ما نبرح إلّا بعد ذلك، فأخذ له طالع الوقت غلام كان معه، فقال: أنتم أضياف. فقلنا: طريق. فقال: يقدم اليكم فيها السماء بنجومها، وللاستاذ أبي الحسن الذي معكم حاجة لا تقضى. فقال له: لا بشّرك الله بخير ويلك ما هذا مما تدلّ عليه النجوم غير أنّك رزقت حذقاً ردياً. ثم فارقناه وقصدنا مؤيد الملك، فما قضى الحاجة، وخرق رقعته، فعرفناه خبر شكح المنجم طلباً لأن يرجع عن فعله، فما رجع. ومضينا الى ابن الوتّار، ونحن نتوقع السماء التي ذكرها، فقدم الينا في آخر الطعام مقلي النرجسية، وقد صبغ بياض البيض والباقلاء واللحم بالنيل، حتى صار كزرقة السماء، وطرح صفار البيض عليه، فصار كالنجوم، فعجبنا من ذلك، واستظرفناه، ولم نشتغل عند ابن الوتّار في الدعوة ذلك اليوم إلّا بحديث شكح المنجم.

كما أن طعن ابن طاووس في عنوان النهج بأن عيون جواهر ابن بابويه رواه عن نصر عن عمر بن سعد وهو قاتل الحسين عليه السلام[1] أيضاً غلط منه، فان قاتله عليه السلام كان عمر بن سعد بن أبي وقاص الزهري، ومن روى عنه نصر انما هو عمر بن سعد بن أبي الصيد الأسدي كما يظهر من أوّل

---

(١) فرج المهموم: ٥٧.

كتابه، ونصر لم يدرك القاتل، وكيف يطعن في خبر نصر، ونصر ممّن يعتمد عليه العامة والخاصة، مع انّه رواه غير نصر، كما عرفت عند ذكر أسانيده.

كطعنه في متن العنوان بأنّه لو كان صحيحاً لكان عليه السلام حكم على المنجم بالكفر، لأنّه تضمن ان المنجم كالكافر، وما عرفنا انّه عليه السلام حكم بذلك، بل قال لأصحابه سيروا وهو أحدهم.

ويبطل قوله في الخبر «من صدّقك بهذا فقد كذّب القرآن» ان الطلائع في الحروب يدلّون على السلامة من هجوم الجيوش، وكثير من النحوس[1].

ففي ما قاله ابتداءً أنّه ورد ان شارب الخمر كعابد الوثن، مع انه ليس بكافر مثله، ومن أين انّه عليه السلام قال للمنجم ثانياً، ففي الخبر انّه عليه السلام أعرض عنه، وأقبل على أصحابه، وحذّرهم من تعلّم النجوم، ثم أمرهم بالمسير، مع ان في رواية ابن ديزيل ورواية سبط ابن الجوزي انّه عليه السلام قال له «لئن بلغني انّك تعمل بالنجوم لأخلدنك في السجن» كما مر.

وأي ربط لقوله لما أورده من النقض على قوله «فمن صدقك بهذا، فقد كذّب القرآن» وكيف لا يكون المصدق له مكذّباً بالقرآن، وقد كان قال له عليه السلام ان سرت في هذه الساعة تهلك، وان سرت في ساعة أنا أقول تظفر، وقد قال تعالى: ﴿وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلّا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله﴾[2]، فانّه ان قلنا بصحّة كون النجوم علامات، فلا يقدر المنجم أن يجعل ما جعله تعالى سعداً نحساً أو بالعكس، وهذا موضع اشتباههم وخلطهم.

---

(١) فرج المهموم: ٥٨ و ٥٩.

(٢) يونس: ١٠٧.

وأما النهي عن التزوّج والقمر في العقرب، والسفر يوم الاثنين فشيء آخر.

هذا، ومن اصاباتهم ما في (المعجم): ذكر أبو سهل بن نوبخت أمرني المنصور لمّا أراد بناء بغداد بأخذ الطالع، ففعلت، فإذا الطالع في الشمس وهي في القوس، فخبرته بما تدلّ النجوم عليه من طول بقائها، وكثرة عمارتها، وفقر الناس الى ما فيها. ثم قلت: وأخبرك خلة أُخرىٰ أسرك بها. قال: وما هي؟ قلت: نجد في أدلّة النجوم انّه لا يموت بها خليفة أبداً حتف أنفه، فتبسّم، قال: ولذلك يقول عمارة بن عقيل:

قضى ربُّها ألا يموتُ خليفة   بها انّه ما شاء في خلقه يقضي

قال: والمنصور مات وهو حاجّ، والمهدي بماسبذان، والهادي بعيساباد قرية أو محلة بالجانب الشرقي من بغداد، والرشيد بطوس، وقتل الأمين بالجانب الشرقي، ومات المأمون بالبذندون، ومات المعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر وباقي الخلفاء بسامراء، ثم انتقل الخلفاء الى التاج من شرقي بغداد، وتعطّلت مدينة المنصور منهم[1].

قلت: وأخطأ أبو سهل والمنصور في السرور بعدم موت خليفة فيها، فإن لفظه كان سروراً، ومعناه كان حزناً، لأن معناه أن خلفاءها يموتون غرباء بعيدين عن دار ملكهم.

«سيروا على اسم الله» قال الشاعر:

لا يمنعنّك من بغاء الخير تعقاد التمائم

ان الاشائم كالأيامن والأيامن كالأشائم

في باب الأيام من أبواب (حجّ الفقيه): روي عن عبد الملك بن أعين قلت

(١) معجم البلدان ١: ٤٦٠.

للصادق عليه السلام: انّي قد ابتليت بهذا العلم، فأريد الحاجة، فإذا نظرت الى الطالع ورأيت الطالع الشر جلست ولم أذهب فيها، وإذا رأيت طالع الخير ذهبت في الحاجة. فقال لي: تقضي؟ فقلت: نعم. قال: احرق كتبك[1].

وفي (تاريخ الطبري): نادىٰ علي عليه السلام بالرحيل الى الخوارج، وخرج، فعبر الجسر، فصلّى ركعتين بالقنطرة، ثم نزل دير عبد الرحمٰن، ثم دير أبي موسى، ثم أخذ على قرية شاهي، ثم على دباها، ثم على شاطئ الفرات، فلقيه في مسيره ذلك منجم أشار عليه بسير وقت من النهار وقال له: ان سرت في غير ذلك الوقت لقيت أنت وأصحابك ضرّاً شديداً، فخالفه وسار في الوقت الذي نهاه. فلما فرغ من النهر قال: لو سرنا في الساعة التي أمرنا بها المنجم لقال الجهّال سار في تلك الساعة فظفر[2].

وفيه: لما أراد علي عليه السلام المسير الى أهل النهر من الأنبار قدم قيس بن سعد بن عبادة، وأمره أن يأتي المدائن فينزلها حتى يأمره بأمره، ثم جاء مقبلاً ووافاه قيس وسعد بن مسعود الثقفي بالنهر ـ الى أن قال بعد ذكر اتمامه عليه السلام الحجّة عليهم ـ تنادوا لا تكلّموهم، فعبأ علي الناس، فجعل على ميمنته حجر بن عدي، وعلى ميسرته شبث أو معقل بن قيس الرباحي، وعلى الخيل أبا أيوب الأنصاري، وعلى الرجالة أبا قتادة الأنصاري، وعلى أهل المدينة قيس بن سعد ابن عبادة، وعبأت الخوارج، فجعلوا على ميمنتهم زيد بن حصين الطائي، وعلى ميسرتهم شريح بن أوفى العبسي، وعلى خيلهم حمزة بن سنان الأسدي، وعلى الرجّالة حرقوص بن زهير السعدي.

---

(١) الفقيه ٢: ١٧٥ ح ١٤.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٦١، سنة ٣٧.

الى أن قال: فوالله ما لبثوهم ان أناموهم[١].

هذا، وفي (الأغاني): مر امرؤ القيس في مسيره الى بني أسد ليثأر بأبيه منهم بتبالة، وبها صنم للعرب تعظّمه يقال له ذو الخلصة، فاستقسم عنده بقداحه ـ وهي ثلاثة الآمر والناهي والمتربص ـ ثم أجالها، فخرج الناهي، ثم أجالها فخرج الناهي، ثم أجالها فخرج الناهي، فجمعها، وكسرها، وضرب بها وجه الصنم، وقال له: مصصت بظر أُمك لو أبوك قتل ما عقتني، ثم خرج فظفر ببني أسد.

وكتبوا من خطئهم ما في (التقريب): فتح المعتصم عمورية، وكان المنجمون أجمعوا على أنها لا تفتح في تلك الغزاة، قال أبو تمام:

أيسن الرواية أو أين النجوم وما صاغوه من زخرفٍ فيها ومن كذب

ومن صوابهم ما في حكماء القفطي: حكى ابن نصر الكاتب ان بعضهم خاطر مخرج الضمير المنجم على دنانير في إخراج ما خبأ له، فخرج الضمير الزايجة ولم يزل يقول خبأت جوهراً من جواهر الأرض لا طعم له ولا رائحة. ثم قال: وهو حجر، ثم رمى عمامته عن رأسه ومضى الى السوق على تلك الحال وعاد وقال خبأت مسناً مثل هذا ـ ورمى من يده قطعة من مسن ـ وأخذ الدنانير قلنا لم عدوت مكشوف الرأس؟ قال: دلّني كوكب على لون وكوكب آخر على لون غيره وتقابلت الدلالتان فلم تعلق أحداهما بالأُخرىٰ، ولم أدر إذا ما امتزجا ما اللون الذي يخرج بينهما، وعمي قلبي من الفكر، فكشفت رأسي وعدوت الى الصباغ وقلت له: إذا مزجت اللون الفلاني باللون الفلاني أي شيء يخرج بينهما؟ قال مسني فقلت هو مسن زجراً وتخميناً، فخرج الحدس صحيحاً.

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٦١ ـ ٦٤، سنة ٣٧.

وفي (الصحاح): «والمسن حجر يحدد به».

وما فيه قال الحسن بن رافع الكاتب: جلست في بعض الدكاكين الشارعة على طريق أحمد بن طولون قبل أن يدخل مصر بساعة، والناس مجتمعون لتأمله عند دخوله، وجلس معي شاب مكفوف ينسب الى قبيل صاحب الملاحم المعروف بالمكفوف الملاحمي، فسأله رجل عمّا يجده في كتبهم له، فقال: هذا رجل صفته كذا وكذا، ويتقلّد وولده قريباً من أربعين سنة. فما تمّ كلامه حتى مر بنا ابن طولون، وكان كما ذكر لم يغادر شيئاً منه.

واتفق أن نظر بعض المنجمين في مصر طالع الدخول في الأسطرلاب، فكان ثلاث عشرة درجة من برج العقرب، فقال بعض من له يد في الحكم النجومي: هذا طالع من قامت به دولة بني العباس، فان صدق الحكم يملك هذا البلد ويملكه قوم من نسله قرانين، وهو قريب من أربعين سنة، فعجب الحاضرون من اتفاق القولين في ذلك. وكان الأمر كما قيل، فإنّه ملك وولده وولد ولده ثمانياً وثلاثين سنة.

٢
الخطبة (٢٠٨)

ومن كلام له عليه السلام وقد سأله سائل عن أحاديث البدع، وعما في أيدي الناس من اختلاف الخبر، فقال عليه السلام :

إنَّ فِي أَيْدِي النَّاسِ حَقًّا وَبَاطِلاً، وَصِدْقاً وَكَذِباً، وَنَاسِخاً وَمَنْسُوخاً، وَعَامّاً وَخَاصّاً، وَمُحْكَماً وَمُتَشَابِهاً، وَحِفْظاً وَوَهْماً، وَلَقَدْ كُذِبَ عَلى رسُول اللهِ ـ صلّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ ـ على عهدِهِ، حَتّىٰ قامَ خطيباً، فقال: «من كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ». وَإِنّمَا أَتَاكَ

بِالْحَدِيثِ أَرْبَعَةُ رِجَالٍ لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ: رَجُلٌ مُنَافِقٌ مُظْهِرٌ لِلْإِيمَانِ، مُتَصَنِّعٌ بِالْإِسلاَمِ، لاَ يَتَأَثَّمُ وَلاَ يَتَحَرَّجُ، يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ ٱللهِ، مُتَعَمِّداً، فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ مُنَافِقٌ كَاذِبٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ، وَلَمْ يُصَدِّقُوا قَوْلَه، وَلَكِنَّهُمْ قَالُوا صَاحِبُ رَسُولِ ٱللهِ ـ صلّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ ـ رَآهُ وَسَمِعَ مِنْهُ، وَلَقِفَ عَنْهُ، فَيَأْخُذُونَ بقَوْلِهِ. وَقَدْ أَخْبَرَكَ ٱللهُ عَنِ المُنافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَكَ، وَوَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ لَكَ ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ عَلَيهِ وآله السّلام. فَتَقَرَّبُوا إلَى أَئِمَّةِ الضَّلاَلَةِ، وَالدُّعَاةِ إِلَى النَّارِ بِالزُّورِ وَٱلْبُهْتَانِ، فَوَلَّوْهُمُ ٱلْأَعْمَالَ، وَجَعَلُوهُمْ حُكَّاماً عَلَى رِقَابِ النَّاسِ، فَأَكَلُوا بِهِمُ الدُّنْيَا. وَإِنَّمَا النَّاسُ مَعَ المُلُوكِ وَالدُّنْيَا، إلَّا مَنْ عَصَمَ ٱللهُ، فَهَذَا أَحَدُ ٱلْأَرْبَعَةِ.

وَرَجُلٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ ٱللهِ شَيْئاً لَمْ يَحْفَظْهُ عَلَى وَجْهِهِ فَوَهِمَ فِيهِ، وَلَمْ يَتَعَمَّدْ كَذِباً، فَهُوَ فِي يَدَيْهِ، وَيَرْوِيهِ وَيَعْمَلُ بِهِ وَيَقُولُ: أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ ٱللهِ. فَلَوْ عَلِمَ المُسْلِمُونَ أَنَّهُ وَهِمَ فِيهِ لَمْ يَقْبَلُوه مِنْهُ وَلَوْ عَلِمَ هُوَ أَنَّهُ كَذَلِكَ لَرَفَضَهُ!

وَرَجُلٌ ثَالِثٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ ٱللهِ صلّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ شَيْئاً يَأْمُرُ بِهِ، ثُمَّ إِنَّهُ نَهَىٰ عَنْهُ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، اَوْ سَمِعَهُ يَنْهَىٰ عَنْ شَيْءٍ ثُمَّ اَمَرَ بِهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، فَحَفِظَ المَنْسُوخَ، وَلَمْ يَحْفَظِ النَّاسِخَ. فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضَهُ، وَلَوْ عَلِمَ المُسْلِمُونَ إذْ سَمِعُوهُ مِنْهُ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضُوهُ.

وَآخَرُ رَابِعٌ، لَمْ يَكْذِبْ عَلَىٰ ٱللهِ، وَلاَ عَلَى رَسُولِهِ، مُبْغِضٌ لِلْكَذِبِ خَوْفاً مِنَ ٱللهِ، وَتَعْظِيماً لِرَسُولِ ٱللهِ، وَلَمْ يَهِمْ، بَلْ حَفِظَ مَا سَمِعَ عَلَى وَجْهِهِ، فَجَاءَ بِهِ عَلَى ما سَمِعَهُ لَمْ يَزِدْ فِيهِ وَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ. فَحَفِظَ النَّاسِخَ فَعَمِلَ بِهِ، وَحَفِظَ المَنْسُوخَ فَجَنَّبَ عَنْهُ، وَعَرَفَ ٱلْخَاصَّ وَٱلْعَامَّ، فَوَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ مَوضِعَهُ، وعَرَفَ والمتشابِهَ ومُحْكَمَه.

وَقَد كَانَ يَكُونُ مِنْ رَسُولِ ٱللهِ صلّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ ٱلْكَلَامُ لَهُ وَجْهَانِ: فَكَلَامٌ خَاصٌ، وَكَلَامٌ عَامٌ، فَيَسْمَعُهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ مَا عَنَىٰ ٱللهُ سُبْحَانَهُ بِهِ، وَلَا مَا عَنَىٰ رَسُولُ ٱللهِ فَيَحْمِلُهُ السَّامِعُ، وَيُوَجِّهُهُ عَلَى غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِمَعْنَاهُ، وَمَا قُصِدَ بِهِ وَمَا خَرَجَ مِنْ أَجْلِهِ، وَلَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ رسول ٱلله مَنْ كَانَ يَسْأَلُهُ وَيَسْتَفْهِمُهُ، حَتَّى إِنْ كَانُوا لَيُحِبُّونَ أَنْ يَجِيءَ ٱلْأَعْرَابِيُّ وَالطَّارِئُ، فَيَسْأَلَهُ حَتَّى يَسْمَعُوا، وَكَانَ لَا يَمُرُّ بِي مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ إِلَّا سَأَلْتُ عَنْهُ وَحَفِظْتُهُ. فَهٰذِهِ وُجوهُ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ فِي ٱخْتِلافِهِمْ، وَعِلَلِهِمْ فِي رِوَايَاتِهِمْ.

أقول: ورواه (الكافي) في كتاب العقل والجهل في باب اختلاف الحديث، ورواه الصدوق في (اعتقاداته) وفي (خصاله) في باب الأربعة، ورواه ابن شعبة الحلبي في (تحف عقوله)، ورواه محمد بن جرير بن رستم الطبري في (مسترشده)، ورواه سبط ابن الجوزي في (تذكرته)، وكذا جدّه في (مناقبه)، ورواه (غيبة النعماني) في باب ان الأئمةعليهم السلام اثنا عشر[1].

روىٰ الأول عن القمي عن أبيه عن حمّاد بن عيسى عن إبراهيم بن عمر اليماني عن أبان بن أبي عياش عن سليم بن قيس الهلالي قلت لأمير المؤمنين عليه السلام: اني سمعت من سلمان والمقداد وأبي ذر شيئاً من تفسير القرآن وأحاديث عن النبي غير ما في أيدي الناس، ثم سمعت منك تصديق ما سمعت منهم، ورأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن والأحاديث عن النبيّ أنتم تخالفونهم فيها وتزعمون ان ذلك كلّه باطل، أفترى الناس يكذبون علىٰ رسول الله متعمدين ويفسّرون القرآن بآرائهم؟

---

(١) رواه الصدوق في الاعتقادات: ٤٩، وفي الخصال ١: ٢٥٥ ح١٣١، وابن شعبة في تحف العقول: ١٩٣، والنعماني في الغيبة: ٤٩، ويأتي تخريج غيره في موضعه.

فأقبل عليه السلام عَلَيَّ وقال: قد سألت فافهم الجواب، ان في أيدي الناس حقّاً وباطلاً، وصدقاً وكذباً، وناسخاً ومنسوخاً، وعامّاً وخاصّاً، ومحكماً ومتشابهاً، وحفظاً ووهماً، وقد كذب على النبي علىٰ عهده حتىٰ قام خطيباً فقال: «أيّها الناس قد كثرت عليَّ الكذّابة فمن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»، ثم كُذبَ عليه من بعده، وانما أتاكم الحديث من أربعة ليس لهم خامس: رجلٌ منافق يظهر الايمان متصنّعٌ بالإسلام لا يتأثم ولا يتحرّج ان يكذب على النبي متعمداً، فلو علم الناس انّه منافق كذّاب لم يقبلوا منه ولم يصدّقوه ولكنّهم قالوا هذا صحب النبي ورآه وسمع منه، فأخذوا عنه وهم لا يعرفون حاله، وقد أخبره الله عن المنافقين بما أخبره ووصفهم بما وصفهم، فقال تعالىٰ: ﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم﴾[1] ثم بقُوا بعده، فتقرّبوا الى أئمة الضلالة والدعاة الى النار بالزور والبهتان والكذب، فولّوهم الأعمال وحملوهم على رقاب الناس وأكلوا بهم الدنيا، وانما الناس مع الملوك والدنيا إلّا من عصم الله، فهذا أحدُ الأربعة.

ورجل سمع من النبيّ صلى الله عليه وآله شيئاً لم يحمله على وجهه ووهم فيه فلم يتعمد كذباً، فهو في يده يقول به ويعمل به ويرويه فيقول انا سمعته من النبي، فلو علم المسلمون انّه وهمٌ لم يقبلوه ولو علم هو انّه وهمٌ لرفضه.

ورجل ثالث سمع من النبيّ صلى الله عليه وآله شيئاً أمر به ثم نهى عنه وهو لا يعلم أو سمعه ينهى عن شيء ثم أمر به وهو لا يعلم، فحفظ منسوخه ولم يحفظ الناسخ، فلو علم انّه منسوخ لرفضه، ولو علم المسلمون إذ سمعوه منه انّه منسوخ لرفضوه.

---

(١) المنافقون: ٤.

وآخر رابع لم يكذب على النبيّ ﷺ مبغض للكذب خوفاً من الله تعالى وتعظيماً لرسوله ولم ينسه بل حفظ ما سمع على وجهه، فجاء به كما سمع لم يزد فيه ولم ينقص منه، وعلم الناسخ من المنسوخ فعمل بالناسخ ورفض المنسوخ، فان أمر النبيّ مثل القرآن ناسخ ومنسوخ، وخاص وعام، ومحكم ومتشابه، وقد كان يكون من النبي الكلام له وجهان: كلام عام وكلام خاص مثل القرآن وقال تعالىٰ في كتابه: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[1] فيشتبه على من لم يعرف ولم يدر ما عنى الله ورسوله به، وليس كلّ أصحاب النبيّ كان يسأله عن الشيء فيفهم، وكان منهم من يسأله ولا يستفهمه حتى ان كانوا ليحبون ان يجيء الاعرابي والطارئ فيسأل النبيّ ﷺ حتى يسمعوا.

وقد كنت أدخل على النبيّ ﷺ كلّ يوم دخلة وكلّ ليلة دخلة، فيخليني فيها أدور معه حيث دار، وقد علم أصحاب النبيّ انّه لم يصنع ذلك بأحد من الناس غيري، فربما كان في بيتي يأتيني وكنت إذا دخلت عليه في منازله أخلا بي وأقام عني نساءه فلا يُبقي عنده غيري، وإذا أتاني للخلوة معي في منزلي لم تقم عني فاطمة ولا أحد من ابنيّ، وكنت إذا سألته أجابني، وإذا سكت عنه وفنيت مسائلي ابتدأني، فما نزلت على النبي آية من القرآن إلّا أقرأنيها وأملاها عليّ، فكتبتها بخطي وعلّمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصّها وعامّها، ودعا الله أن يعطيني فهمها وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله تعالى ولا علماً أملاه عليّ، وما ترك شيئاً مما علّمه الله من حلال ولا حرام، ولا أمر ولا نهي كان أو يكون ولا كتاب منزل على أحد قبله من طاعة أو معصية إلّا علمنيه، ثم وضع يده على صدري

---

(١) الحشر: ٧.

ودعا الله لي أن يملأ قلبي علماً وفهماً وحكماً ونوراً ـ الخبر[1].

وفي (تذكرة سبط ابن الجوزي): قال الشعبي حدّثني من سمع علياً عليه السلام ـ وقد سئل عن سبب اختلاف الناس في الحديث ـ يقول: الناس أربعة: منافق مظهرٌ للايمان، ومضيعٌ للإسلام، وقلبه يأبى الايمان لا يتأثم ولا يتحرّج، كذَبَ على النبيّ صلى الله عليه وآله متعمداً، فلو علم الناس حاله لما أخذوا عنه، ولكنهم قالوا صاحب رسول الله فأخذوا بقوله، وقد أخبر الله عن المنافقين بما أخبر ووصفهم بما وصف، ثم انهم عاشوا بعده فتقرّبوا الى أئمة الضلالة والدعاة الى النار بالزور والبهتان، فولوهم الأعمال وجعلوهم على رقاب الناس، فأكلوا بهم الدنيا، وانما الناس تبع للملوك إلّا من عصمه الله.

ورجل سمع النبيّ صلى الله عليه وآله يقول قولاً أو رآه يفعل فعلاً ثم غاب عنه ونسخ ذلك القول والفعل ولم يعلم، فلو علم أنّه نسخ ما حدّث به، ولو علم الناس انّه نسخ لما نقلوا عنه.

ورجل سمع النبيّ صلى الله عليه وآله يقول قولاً فوهم فيه، فلو علم أنّه وهم فيه لما حدّث عنه ولا عمل به.

ورجل لم يكذب ولم يغب حدّث بما سمع وعمل به. فأما الأول فلا اعتبار بروايته لا يحلّ الأخذ عنه، وأما الباقون فينزعون الى غاية، ويرجعون الى نهاية ويستقون من قليب واحد، وكلامهم أشرق بنور النبوّة ضياؤه ومن الشجرة المباركة اقتبست ناره ـ وهذه رواية الشعبي.

وفي رواية كميل بن زياد عنه انّه قال: ان في أيدي الناس حقّاً وباطلاً، وصدقاً وكذباً، وناسخاً ومنسوخاً، وعامّاً وخاصّاً، ومحكماً ومتشابهاً، وحفظاً ووهماً، وقد كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله في عهده حتى قام خطيباً فقال:

---

(١) الكافي ١: ٦٢ ح١.

من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، وانما يأتيك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس ـ وذكرهم[١].

وفي (مناقب ابن الجوزي) ـ كما في (البحار) ـ قال علي عليه السلام وقد سئل عن أحاديث النبيّ صلى الله عليه وآله من رواية الشعبي عن ضرار بن ضمرة وعبد خير قالا له: قيل له ما سبب اختلاف الناس في الحديث ـ الخ، مثل ما في تذكرة سبطه الى «اقتبست ناره» ثم قال: وفي رواية انّه قال «في أيدي الناس» ـ الخ مثله[٢].

ورواه (الاحتجاج) جزء ما رواه عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد عليه السلام أنّه عليه السلام خطب لما كان معه ناس من أهل بيته وخاص شيعته ـ فقال: لقد عمل الولاة قبلي بأمور عظيمة خالفوا فيها رسول الله صلى الله عليه وآله متعمدين لذلك، ولو حَمَلت الناس على تركها وحولتها الى مواضعها التي كانت عليها على عهد النبي لتفرق عني جندي حتى أبقى وحدي إلّا قليلاً من شيعتي، الذين عرفوا فضلي وإمامتي من كتاب الله وسنّة نبيه، أرأيتم لو أمرت بمقام إبراهيم عليه السلام ـ إلى أن قال ـ فقال له رجل: اني سمعت من سلمان وأبي ذر والمقداد أشياء في تفسير القرآن والرواية عن النبيّ صلى الله عليه وآله، وسمعت منك تصديق ما سمعت منهم، ورأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة في تفسير القرآن والأحاديث عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأنتم تخالفونهم وتزعمون أن ذلك باطل، فترى الناس يكذبون متعمدين على النبي ويفسّرون القرآن بآرائهم؟ فأقبل عليه السلام فقال له: قد سألت فافهم الجواب، ان في أيدي الناس حقاً وباطلاً ـ الخ مثله[٣].

---

(١) تذكرة الخواص: ١٤٢ و ١٤٣.

(٢) نقله عن مناقب ابن الجوزي المجلسي في البحار ٧٨: ٧٧ ح٤٩، وكتاب مناقب ابن الجوزي الذي ينقل عنه المجلسي هو عين كتاب تذكرة الخواص لا كتاب آخر.

(٣) الاحتجاج ١: ٢٦٣.

ورواه الكشي في عنوان سليم بن قيس عن ابان بن أبي عياش عن سليم ـ وزاد ـ قال أبان: فقدر لي بعد موت الحسين عليه السلام أني حججت فلقيت محمد بن علي عليه السلام فحدثته بحديث سليم، فقال: صدق سليم، أتى أبي بعد جدّي الحسين وأنا عنده فحدّثه بهذا الحديث، فقال له أبي: صدقت حدّثني بهذا الحديث أبي الحسين وعمّي الحسن عن أمير المؤمنين ـ الخ [١].

وبالجملة رواه العامة والخاصة بطرق متعددة، العامة عن ضرار بن ضمرة وعبد خير وكميل والخاصة عن سليم وغيره كما عرفت.

قول المصنف: (ومن كلام له عليه السلام وقد سأله سائل عن أحاديث البدع) هكذا في المصرية وابن ميثم ولكن في نسخة ابن أبي الحديد (عن مسائل البدع)[٢].

(وعمّا في أيدي الناس) غير شيعته (من اختلاف الخبر) مع ما عنده عليه السلام وعند شيعته (فقال عليه السلام) هو توكيد بعد قوله «ومن كلام له» كما لا يخفى.

قوله عليه السلام: «ان في أيدي الناس حقاً وباطلاً وصدقاً وكذباً وناسخاً ومنسوخاً وعاماً وخاصاً ومحكماً ومتشابهاً وحفظاً ووهماً» واطلق السائل على جميعها عنوان الكذب، فبيّن عليه السلام ان لها عناوين، وبيّنها عموم من وجه، فالناسخ والمنسوخ، والعام والخاص، والمحكم والمتشابه، كلّها صدق من حيث الصدور عن النبيّ صلى الله عليه وآله، لكن العمل بالجميع ليس بحق، فلا يجوز العمل بالمنسوخ، ولا بالعام في غير مورده الخاص، ولا بالمتشابه، وانما الحق الناسخ والخاص والمحكم، كما أن الوهم ليس بكذب وانما هو باطل، والحفظ حق وصدق وخاص ومحكم.

---

(١) اختيار معرفة الرجال: ١٠٤ ح١٦٧.

(٢) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١١: ٣٨، وشرح ابن ميثم ٤: ١٩ مثل المصرية.

«ولقد» هكذا في (المصرية) والصواب: (وقد) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[1].

«كذب على رسول الله ﷺ على عهده» ذكر عليه السلام ذلك لرفع استبعاد الكذب على النبيّ بعده، فالسائل كان تعجب من أن يكذبوا عليه بعده (حتى قام خطيباً).

المفهوم من خبر مجادلة الجواد عليه السلام مع يحيى بن أكثم في أخبار وضعوها في الفضائل للشيخين ان قيام النبيّ ﷺ بذلك خطيباً كان في حجّة الوداع قائلاً: قد كثرت عليّ الكذّابة وستكثر، فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوء مقعده من النار[2].

«فقال: من كَذَبَ عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» قال سبط ابن الجوزي: رواه عن النبيّ ﷺ مائة وعشرون من الصحابة ذكرتهم في كتابي (حق اليقين)[3].

«وانما أتاك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس» بحكم الاستقصاء.

«رجل منافق مظهر للايمان» بلسانه. «متصنع بالاسلام» كالمغيرة بن شعبة مشير الصديق لهم والفاروق، فانما تصنّع بالإسلام لغدره بقومه. «لا يتأثم ولا يتحرّج» أي: لايعد شيئاً اثماً له ولا حرجاً عليه. «يكذب على رسول الله متعمداً» لعدم اعتقاده بالله.

روى نصر بن مزاحم: ان عثمان لما قتل وأتىٰ معاوية كتاب علي عليه السلام بعزله عن الشام خرج حتى صعد المنبر، ثم نادى في الناس أن يحضروا،

---

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١١: ٣٨ لكن شرح ابن ميثم ٤: ١٩.

(٢) رواه الطبري في الاحتجاج ٢: ٤٤٧.

(٣) تذكرة الخواص: ١٤٣ .

فخطبهم وقال: يا أهل الشام قد علمتم أني خليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وخليفة عثمان، وقتل مظلوماً، وقد تعلمون أني وليّه، وقال الله في كتابه ﴿ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً﴾[1]، وأنا أحب أن تعلموني ما في أنفسكم من قتل عثمان.

فقام مرة بن كعب السلمي وفي المسجد يومئذٍ أربعمائة رجل أو نحو ذلك من أصحاب النبي، فقال: والله لقد قمت مقامي هذا، واني لأعلم أن فيكم من هو أقدم صحبة للنبي مني، ولكني قد شهدت منه مشهداً لعلّ كثيراً منكم لم يشهده، وإنّا كنّا معه نصف النهار في يوم شديد الحر، فقال: لتكونن فتنة حاضرة ـ فمر رجل مقنع ـ فقال النبي هذا المقنع يومئذ على الهدىٰ، فقمت، فأخذت بمنكبيه وحسرت عن رأسه، فإذا عثمان، فأقبلت بوجهه الى النبي، فقلت: هذا. قال: نعم. فأصفق حينئذٍ أهل الشام مع معاوية وبايعوه على الطلب بدم عثمان أميراً لا يطمع في الخلافة ثم الأمر شورىٰ[2].

ومن الغريب ان ابن أبي الحديد نقله في شرح عنوان «من كلام له عليه السلام وقد اشير عليه بالاستعداد للشام» عن كتاب ابن ديزيل وقال: هذا الحديث رواه كثير من محققي أصحاب الحديث، ورواه البخاري في تاريخه بعدّة روايات. وليس لقائل أن يقول فهذا الحديث إذاً صححتموه كان حجّة السفيانية، لأنّا نقول الخبر تضمن على أن عثمان وأصحابه على الحق، وهذا مذهبنا فإنّا نذهب ان عثمان قتل مظلوماً، وانّه وناصريه يوم الدار على الحق، وان القوم الذين قتلوه لم يكونوا على الحق، فأما معاوية وأهل الشام الذين

(١) الاسراء: ٣٣.

(٢) وقعة صفين: ٨١.

حاربوا علياً بصفين فليسوا بداخلين في الخبر[١].

فان مرة بن كعب وضعه معاوية قبل، وعلمه وضع هذا الحديث ليقدر على محاربة أمير المؤمنين عليه السلام، ويجعله باطلاً، ويجعل نفسه حقاً، وهل كان فهم ابن أبي الحديد دون فهم أهل الشام، فانّهم مع كونهم كالأنعام فهموا بفطرتهم المانعة من الجمع بين الضدين أن مقتضى الحديث حقّيّة معاوية وبطلان علي، فاصفقوا صفقة واحدة مع معاوية على الطلب بدمه، لكون اتحاد معاوية وعثمان من البديهيات، وقد كان معاوية قال لعثمان: اجعل لي الطلب بدمك. فقال له: هذه لك ان قتلت فلا يطل دمي.

وإذا كان محققوا حديثهم وامام حديثهم البخاري ورووه فويل لأحاديثهم، فآثار الوضع عليه كالشمس لائحة، لكن لما اتخذوا عثمان الذي أباح المسلمون دمه وكفّروه إماماً، لابد لهم من أن يبنوا له موضوعات معاوية واتباعه.

ثم قول ابن أبي الحديد: عثمان وأصحابه يوم الدار كانوا على الحق، فعمدة أصحابه وأنصاره انما كان مروان طريد النبيّ صلى الله عليه وآله، ولعين النبي، ومن يستهزء بالوليد بن عتبة لما تحرج من شركته في دم الحسين عليه السلام.

ثم المنافق الذي لا يتحرّج أن يكذب على النبيّ متعمداً قد يضعه من رأس كخبر مرة هذا، وان كان وضعه في مقابل قول النبي في أمير المؤمنين في ما رواه جمع منهم ابن مردويه وأخطب خوارزم والمعافى بن زكريا وغيرهم مسنداً عن أبي ذر والمقداد وسلمان قالوا: كنّا قعوداً عند النبيّ صلى الله عليه وآله ما معنا غيرنا إذ أقبل ثلاث رهط من المهاجرين والبدريين، فقال: تفترق أُمتي ثلاث فرق بعدي، فرقة أهل حق لا يشوبون بباطل مثلهم كمثل الذهب

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣: ١٠٠.

كلّما فتنته بالنار إزداد جودة وطيباً إمامهم هذا ـ وأشار الى أحدهم ـ وهو الذي أمر الله به في كتابه إماماً ورحمة، وفرقة أهل باطل لا يشوبونه بحق مثلهم كمثل خبث الحديد كلما فتنته بالنار إزداد خبثاً وإمامهم هذا ـ وأشار الى آخر من الثلاثة ـ وفرقة أهل ضلالة مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء وإمامهم هذا ـ وأشار الى آخر. قال: فسألتهم عن أهل الحق وإمامهم، فقالوا هو علي بن أبي طالب إمام المتقين، وامسكوا عن الاثنين، فجهدت أن يسمّوهما، فلم يفعلوا[١].

وقد يأخذ ذاك المنافق كلام النبيّ صلى الله عليه وآله، فيخرجه عن مورده، أو يزيده وينقصه، ويجعله كذباً، فروى الخطيب الناصبي في محمد بن اسحاق ابن مهران المعروف بشاموخ رواية شاموخ عن جابر أن النبي قال «إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاقبلوه فإنّه أمين مأمون»، فإن الأصل في الخبر ما رواه نصر بن مزاحم عن عمرو بن ثابت عن إسماعيل عن الحسن البصري قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاقتلوه». قال الحسن فحدّثني بعضهم ان أبا سعيد الخدري قال: فلم نفعل ولم نفلح.

ورواه نصر بلفظ آخر باسناد عن الحسن واسناد عن ابن مسعود قالا: قال النبيّ صلى الله عليه وآله «إذا رأيتم معاوية بن أبي سفيان يخطب على منبري فاضربوا عنقه» قال الحسن: فما فعلوا ولا أفلحوا[٢].

فترى بدل قول النبيّ صلى الله عليه وآله «فاقتلوه» من القتل بقوله «فاقبلوه» من القبول ـ وزاد قوله «فانه أمين مأمون» شاهداً لتبديله.

ومن الغريب أن الخطيب قد يروي أحاديث مجمع عليها في أمير

---

(١) رواه عنهم ابن طاووس في الطرائف ١: ٢٤١ ح٣٤٦.

(٢) وقعة صفين: ٢١٦.

المؤمنين عليه السلام ويطعن فيها بأنها منكرة، ولم يقل هنا سوى «ان رجال السند ما بين محمد بن إسحاق وابي الزبير مجهولون» حشره الله مع ذاك الأمين المأمون.

ومن هذا القبيل رواية أبي بكر أن النبي قال: «نحن معاشر الأنبياء ما تركناه صدقة»[١] فان الأصل فيه ان النبي قال ـ كما قال الصادق عليه السلام ـ «ان العلماء ورثة الأنبياء، وان الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ولكن ورثوا العلم، فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر»[٢] فالخبر انما كان في مقام ان الأنبياء لما لم يكونوا من أهل الدنيا الذين همّهم جمع المال ما يتركون بعدهم شيئاً مهماً من عرض الدنيا، وانما يتركون أحاديث مبينة لأحكام الدين لأنها الأصل عندهم، لا انهم مخصوصون من بين الناس بحكم في الميراث، وخارجون من العموم، فزاد عليه «ما تركناه صدقة» حتى يسلخه عن المعنى الأوّل ويسوقه الى مراده، وإلا فكيف يعقل أن تكون فاطمة التي شهد الله تعالى بعصمتها في آية التطهير[٣] وشهد عزّوجلّ باختصاصها من بين نساء العالم بالنبي في آية المباهلة[٤] وقال فيها أبوها في المتواتر «انها سيّدة نساء العالمين»[٥] وفي المستفيض انّها بضعة منه، ورضاها رضاه،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٢: ١٨٥ و ٣٠١ و٣: ١٧ و ٥٥ و ٤: ١٦٤، ومسلم في صحيحه ٣: ١٣٨٠ و ١٣٨١ ح ٥٢ ـ ٥٤ وغيرهم.

(٢) رواه عن طريق الصادق عليه السلام وغيره عن النبي صلى الله عليه وآله الكليني في الكافي ١: ٣٢ ح ٢، والصفار في البصائر: ٣٠ و ٣١ ح ١ و ٣ والبخاري في صحيحه ١: ٢٣، وأبو داود في سننه ٣: ٣١٧ ح ١ ٣٦٤ و غيرهم.

(٣) انظر الآية ٣٣ من سورة الأحزاب.

(٤) انظر الآية ٦١ من سورة آل عمران.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ٤: ٩٦، ومسلم في صحيحه ٤: ١٩٠٤ و ١٩٠٥ ح ٩٨ و ٩٩ والحاكم في المستدرك ٣: ١٥١ و ١٥٤ و ١٥٦.

وسخطها سخطه[١] وان يكون أمير المؤمنين عليه السلام الذي نص القرآن بكونه نفس النبي[٢] وكان ملازماً للنبي من مولده فضلاً عن بعد بعثة النبي الى وفاة النبي ليلاً ونهاراً لم يسمعا هذا الحديث، وسمعه أبو بكر الذي تمنىٰ حال الموت ان لو سأل النبي صلى الله عليه وآله عن حكم ميراث الجد هل بدلت قضية العقول لهؤلاء المدّعين للألباب، وهل التقليد والعصبية يبلغان بالإنسان هذه المرتبة.

ولقد وضعوا أحاديث تُضحك الثكلىٰ من قلّة حياء واضعيها، وصلب وجوههم. فإن أغلب الكذّابين انّما يفترون في أُمور غير معلومة حقّها وباطلها، وأما من يكذب على خلاف العيان فكمن يبهت في وجه الانسان. نظير ما رواه الكشي في سفيان الثوري عن ميمون بن واقد قال: أتى قوم أبا عبدالله عليه السلام من الأمصار وأنا عنده يسألونه عن الحديث، فقال لي: أتعرف أحداً من القوم؟ قلت: لا . قال: فكيف دخلوا عليّ؟ قلت: هؤلاء قوم يطلبون الحديث من كلّ وجه لا يبالون ممّن أخذوا الحديث. فقال لرجل منهم: هل سمعت من غيري الحديث؟ قال: نعم. قال: فحدثني ببعض ما سمعت. قال: انما جئت لأسمع منك لم أجئ أُحدثك. قال: اجعل الذي حدّثك أحاديثه أمانة لا تحدث بها أحداً أبداً. قال: لا. قال: فاسمعنا ببعض ما اقتبست. قال: حدّثنا سفيان الثوري عمّن حدّثه عن محمد بن علي انّه قال: من لا يمسح على خفيه فهو صاحب بدعة، ومن لم يشرب النبيذ فهو مبتدع، ومن لم يأكل الجريث وطعام أهل الذمة وذبائحهم فهو ضال، أما النبيذ فقد شربه عمر، وأما المسح فقد مسح عمر على الخفين ثلاثاً في السفر ويوماً وليلة في الحضر، واما الذبائح فقد أحلها علي وقال

---

(١) أخرجه جمع كثير منهم البخاري في صحيحه ٢: ٣٠٢ و ٣٠٣ و ٣٠٨ و ٣: ٢٦٥، ومسلم في صحيحه ٤: ١٩٠٢ ـ ١٩٠٤ ح٩٣ ـ ٩٦.

(٢) النظر الى الآية ٦١ من سورة آل عمران.

كلوها فان الله يقول: ﴿اليوم أُحِل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حلٌّ لكم وطعامكم حل لهم﴾[1] ثم سكت.

فقال أبو عبدالله عليه السلام: زدنا. فقال: حدثتك بما سمعت. قال: أكلُّ الذي سمعت هذا؟ قال: لا. قال: فزدنا. قال: حدّثنا عمرو بن عبيد عن الحسن قال: أشياء صدّق الناس بها وأخذوا بها ليس في كتاب الله لها أصل، منها عذاب القبر، ومنها الميزان، ومنها الحوض، ومنها الشفاعة، ومنها النيّة ينوي الرجل من الخير والشر ولا يعمله فيثاب عليه ولا يثاب الرجل إلّا بما عمل ان خيراً فخيراً وإن شرّاً فشراً. قال ميمون: فضحكت من حديثه، فغمزني أبو عبدالله عليه السلام أن كُفَّ حتى نسمع ـ فرفع الرجل رأسه إليَّ وقال: ما يضحكك منّي من الحق أو الباطل. قلت: أو أبكي انّما يضحكني منك تعجبي كيف حفظت هذه الأحاديث، فسكت.

فقال أبو عبدالله عليه السلام: زدنا. قال: حدّثنا سفيان الثوري عن محمد بن المنكدر انّه رأى علياً على منبر الكوفة وهو يقول: لئن أتيت برجل يفضلني على أبي بكر وعمر لأجلدنّه حد المفتري.

فقال له أبو عبدالله عليه السلام: زدنا. فقال: حدّثني سفيان عن جعفر انّه قال: حبّ أبي بكر وعمر ايمان وبغضهما كفر.

قال أبو عبدالله عليه السلام: زدنا، فقال: حدّثني يونس بن عبيد عن الحسن ان علياً أبطأ عن بيعة أبي بكر وعمر فقال له عتيق: ما خلّفك يا علي عن البيعة، والله لقد هممت أن أضرب عنقك. قال له علي: يا خليفة رسول الله لا تثريب. قال: لا تثريب.

قال له أبو عبدالله عليه السلام: زدنا. قال: حدّثني سفيان الثوري عن الحسن أن

---

(١) المائدة: ٥.

أبا بكر أمر خالد بن الوليد أن يضرب عنق عليّ إذا سلم من صلاة الصبح، وان أبا بكر سلم بينه وبين نفسه ثم قال: يا خالد لا تفعل ما أمرتك.

فقال له أبو عبدالله عليه السلام: زدنا. قال: حدّثني نعيم بن عبدالله عن جعفر بن محمّد أنّه قال: ود علي بن أبي طالب انّه بنخيلات ينبع يستظل بظلّهن ويأكل من حشفهن، ولم يشهد يوم الجمل ولا النهروان.

قال عليه السلام: زدنا. قال: حدّثنا عباد عن جعفر بن محمد انّه قال علي ـ لما رأى كثرة الدماء يوم الجمل ـ لابنه الحسن: يا بني هلكت. فقال له الحسن: يا أبة أليس قد نهيتك عن هذا الخروج. فقال: يا بني لم أدر ان الأمر يبلغ هذا المبلغ.

فقال عليه السلام له: زدنا. قال: حدّثني سفيان الثوري عن جعفر بن محمد ان علياً لما قتل أهل صفين بكى عليهم ثم قال جمع الله بيني وبينهم في الجنّة.

قال ميمون: فضاق بي البيت وعرقت وكدت أن أخرج من مُسكي، فأردت أن أقوم إليه وأتوطأه، ثم ذكرت غمزة أبي عبدالله عليه السلام فكففت. فقال له أبو عبدالله عليه السلام: من أي البلاد أنت؟ قال: من أهل البصرة. قال: فهذا الذي تحدث عنه وتذكر اسمه جعفر بن محمد تعرفه؟ قال: لا. قال: فهل سمعت منه شيئاً قط؟ قال: لا. قال: فهذه الأحاديث عندك حق؟ قال: نعم. قال: فمتى سمعتها؟ قال: لا أحفظ إلا أنّها أحاديث مصرنا منذ دهر لا يمترون فيها. فقال عليه السلام: لو رأيت هذا الرجل الذي تحدّث عنه، فقال لك هذه التي ترويها عنّي كذب لا أعرفها ولم أحدث بها هل كنت تصدقه؟ قال: لا. قال: ولِمَ؟ قال: لأنّه شهد على قوله رجال لو شهد أحدهم على عُنقِ رجل لجاز قوله. فقال عليه السلام له: أُكتب «بسم الله الرحمٰن الرحيم حدّثني أبي عن جدي ـ قال: ما اسمك؟ قال: وما تسأل عن اسمي ـ ان النبيّ صلى الله عليه وآله قال: خلق الله الأرواح قبل الأجساد بألفي عام، ثم أسكنها الهواء، فما تعارف منها ثمة إئتلف هاهنا وما تناكر منها ثمة اختلف هاهنا، ومن كذب علينا أهل البيت حشره الله يوم القيامة أعمى يهودياً، وان أدركه

الدجال آمن به وان لم يدركه آمن به في قبره» يا غلام ضع لي ماءً. فقال: لا تبرح وقام القوم فانصرفوا وقد كتبوا الحديث الذي سمعوا منه. ثم انّه عليه السلام خرج ووجهه منقبض. فقال: أما سمعت ما يحدّث به هؤلاء. قلت: نعم ما هؤلاء وما حديثهم. قال: كان أعجب حديثهم عندي الكذب عليّ والحكاية عني ما لم أقل ولم يسمعه أحد، وقولهم لو أنكر الأحاديث ما صدقناه ما لهؤلاء، لا أمهل الله لهم ولا أُملي لهم.

ثم قال: ان علياً عليه السلام لما أراد الخروج من البصرة قام على أطرافها ثم قال: لعنك الله يا أنتن الأرض تراباً وأسرعها خراباً وأشدها عذاباً، فيك الداء الدوي. قيل: ماهو؟ قال: كلام القدري الذي فيه الفرية على الله وبغضنا أهل البيت واستحلالهم الكذب علينا[1].

ومن أخبارهم الواضحة الوضع روايتهم أن عائشة زوجة النبيّ صلى الله عليه وآله في الآخرة[2]، فمع كونه خلاف صريح القرآن، حيث ضرب تعالىٰ مثلاً لها ولصاحبتَيها امرأة نوح وامرأة لوط وقال: ﴿كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين﴾[3] وقال تعالىٰ لهن: ﴿من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيراً﴾[4] ولا فاحشة أبين مما أيت به في الجمل من الخروج على الامام، وقتل آلاف من المؤمنين والمسلمين، وكيف

---

(١) اختيار معرفة الرجال : ٣٩٣ ح٧٤١ والنقل بتصرف يسير.

(٢) أخرجه أبو نعيم في فضائل الصحابة عنه منتخب كنز العمال ٥: ١١٧، عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله والحاكم في المستدرك ٤: ١٠، عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله وروى عن ضمرة بن حبيب وعيسى بن طلحة ومسلم البطين وأبي محمد مولى الغفاريين مرفوعاً وعن علي عليه السلام وعمّار موقوفاً.

(٣) التحريم : ١٠ .

(٤) الاحزاب: ٣٠.

تكون زوجته في الآخرة، ولما قيل لها ندفنك عند النبيّ صلى الله عليه وآله قالت: اني أحدثت بعده أحداثاً، فادفنوني في البقيع مع اخواني[1].

ومن المضحك أنّهم وضعوا ذلك على لسان أمير المؤمنين عليه السلام ، كما وضعوا لأبيها وصاحب أبيها على لسانه في مقابل ان الشيعة بل هم أنفسهم رووا عنهما فضائله عليه السلام ، حيث ان الله تعالى أجرى الحق على لسانهما كثيراً إتماماً للحجّة عليهم، ليهلك من هلك عن بيّنة، ويحيي من حيي عن بيّنة.

ومن أكاذيبهم تلقيبهم للرجلين بالصديق والفاروق، ولأبي عبيدة بأمين الأُمة، ولابن عوف بأمين السماء والأرض، ولخالد بسيف الله، ولجمع منه بالعشرة المبشرة، لمخالفة ما قالوا مع العقول، وتناقضه مع تواتر المنقول.

أما الأول فلأن الصّديقية لو كان بمجرد تصديقه للنبيّ صلى الله عليه وآله فهو أمر عام لجميع المسلمين، فاختصاصه به تحكم. فإن قالوا انّه أوّل من آمن فهو دفع للبداهة، فانّه يعلم جميع الناس حتى اليهود والنصارى والملاحدة ان محمّداً لما أظهر دعوته كان أوّل من آمن به عليّ عليه السلام ، لأن ذلك من التواترات لا تختص بالديانات، حتى ان الجاحظ في كتابه العثمانية لم يستطع دفعه، إلا انّه أظهر شبهة بأن علياً وان كان أوّل من أسلم، إلا أن اسلامه لما لم يكن بالغاً التكليف لم يكن مقبولاً[2]، فطعن في النبي بقبوله. فإن قالوا قال حسان الشاعر في ذلك شعراً، فقال شاعر آخر في مسيلمة:

لهفي عليك ابا ثمامة ... كم آية لك فيهم

كالشمس تطلع من غمامة

---

(١) اخرج هذا المعنى البخاري في صحيحه ٤: ٢٦٦ وابن سعد في الطبقات ٨: ٥١.

(٢) نقله عنه ابن أبي الحديد في شرحه ١٣: ٢١٨.

ولِمَ لم يفتروا على حسان! وكذا الصديقية ليست بجزاف، وقد ذكر تعالى في أصل الصادقية أوصافاً فقال: ﴿ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال عل حبِّه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾[1].

ومن أين اتصافه بهذه الصفات، وكيف!؟ وكان عدم صبره حين البأس، وفراره في أُحد وحنين، ولا سيما في خيبر معلوم، ولقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام الى كذب خبر تلقيبهم له بالصدّيق في مقاله الذي اتفق عليه الفريقان انّه قال على المنبر: «أنا عبدالله، وأخو رسولِهِ، وأنا الصدّيق الأكبر، لا يقولها بعدي إلّا كاذب مفتر، صلّيت مع رسول الله قبل الناس بسبع سنين»[2].

وأما الثاني فكيف يكون فاروقاً بين الحق والباطل من لم يفرق بين حياة النبيّ صلى الله عليه وآله ووفاته، وهو أمر يعلمه كلّ صبيٍ وغبيٍ، ومن منع من وصيّة النبي، وسمّى كلامه هذيان المرض مكذباً بقوله تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى* إن هو إلّا وحيٌ يوحى﴾[3].

ولم لم يفرق بين أمر النبي صلى الله عليه وآله وغيره كصاحبه الصديق، حيث لم يصدّق قول النبي في استحقاق رئيس الخوارج القتل، ففي كامل المبرد: نظر النبي الى رجل ساجد فقال: ألا رجل يقتله. فحسر أبو بكر عن ذراعه، وانتضى السيف، وصمد نحوه، ثم رجع الى النبي، فقال له: أأقتل رجلاً يقول لا إله إلّا

---

(١) البقرة: ١٧٧.

(٢) أخرجه الثعلبي في تفسيره عن الطرائف ١: ٢٠ ح١٢ وأحمد في الفضائل عنه ذيل احقاق الحق ٤: ٢٠٩.

(٣) النجم: ٣ و ٤.

الله؟ فقال النبي ثانياً: ألا رجل يفعل، ففعل عمر مثل أبي بكر، فقال النبي انّه أول فتنة وآخرها، ولو قتل ما اختلف اثنان[١].

فان قالوا كان فاروقاً لأنّه عز الإسلام بإسلامه، قيل لهم لم يكن له شجاعة ولا شرف، وانما عز الاسلام بإسلام حمزة الجامع بينهما القادر على أن يشجّ مثل أبي جهل الذي أذعنت قريش لرئاسته منذ صباه، وحكم الشيطان بصواب رأيه من بين آراء قريش في إرادتهم الكيد بالنبي، ولم يكن أحد مثله في نفوذ الكلمة، حتى انّه صار سبباً لحصول غزوة بدر، مع كراهة جميع قريش حضورها، لا سيما شيخا عبد شمس عتبة وشيبة.

وهذا نص الجزري في إسلام حمزة: ان أبا جهل مر بالنبيّ ﷺ وهو جالس عند الصفا، فآذاه وشتمه ونال منه وعاب دينه، ومولاة لعبد الله بن جذعان في مسكن لها تسمع ذلك، ثم انصرف عنه، فجلس في نادي قريش عند الكعبة، فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب ان أقبل من قنصه متوشحاً قوسه ـ وكان إذا رجع لم يصل الى أهله حتى يطوف بالكعبة وكان يقف على أندية قريش ويسلّم عليهم ويتحدّث معهم ـ وكان أعزّ قريش وأشدّهم شكيمة، فلما مر بالمولاة وقد قام النبي ورجع الى بيته قالت له: يا أبا عمارة لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد من أبي الحكم بن هشام ـ تعني أبا جهل ـ فإنّه آذاه وسبّه، ثم انصرف عنه ولم يكلّمه محمّد، فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله به من كرامته، فخرج سريعاً لا يقف على أحد كما كان يصنع يريد الطواف بالكعبة معداً لأبي جهل إذا لقيه أن يقع به حتى دخل المسجد، فرآه جالساً في القوم، فأقبل نحوه وضرب رأسه بالقوس، فشجّه شجّة منكرة وقال: أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول. وقام رجال من بني مخزوم الى حمزة لينصروا أبا

---

(١) كامل المبرد ٧: ١١٠ و ١٥٢ والنقل بالمعنى.

جهل، فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة، فإني سببتُ ابن أخيه سبّاً قبيحاً. وتمّ حمزة على اسلامه، فلما أسلم حمزة عرفت قريش ان النبيّ ﷺ قد عزّ وان حمزة سيمنعه (يحامي عنه)، فكفّوا عن بعض ما كانوا ينالون منه ـ الخ[1]. وقد صرّح بأن اسلامه كان قبل إسلام عمر.

وأما عمر فغاية ما قيل انّه أظهر اسلامه لأبي جهل وكان خاله، فنهره أبو جهل، ولم يستطع عمر رداً عليه. فقال الجزري أيضاً قال عمر: لما أسلمت أتيت باب أبي جهل، فضربت عليه بابه، فخرج إلي وقال مرحباً بابن اختي ما جاء بك؟ قلت: جئت لأخبرك أني قد أسلمت وصدقت ما جاء به محمد، فضرب الباب في وجهي وقال: قبّحك الله وقبّح ما جئت به[2].

ومع مقام حمزة ذلك لم نسمه فاروقاً، لأن الفاروق الحقيقي انما كان أمير المؤمنين عليه السلام الذي أعزّ الاسلام بسيفه في غزوات النبيّ ﷺ، ولو لم يكن له عليه السلام آثار فيها إلّا غزوة الأحزاب وقتله عمرو بن عبد ود فارس يليل لكفاه.

قال أبو بكر بن عياش: لقد ضرب علي عليه السلام ضربة ما كان في الاسلام أعزّ منها يوم عمرو، وقد قال النبي في ضربته تلك: انّها أفضل من عبادة الثقلين[3].

وهو عليه السلام الذي فرّق بين الحق والباطل، وميّز بينهما، وقد تواتر عن النبيّ ﷺ انّه كان يقول: علي مع الحق والحق معه يدور حيثما دار[4].

---

(١) هذا نصه في الكامل ٢: ٨٣ وقال نحوه في اسد الغابة ٢: ٤٦.

(٢) هذا نصه في الكامل ٢: ٨٧.

(٣) رواهما السروي في مناقبه ٣: ١٣٨، والنقل بتصرف يسير.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣: ١٢٤، والخطيب في تاريخ بغداد ١٤: ٣٢١، لكن أقرب الألفاظ لفظ مسند البزار كما في مجمع الزوائد ٧: ٢٣٦.

وتواتر أن عمر نفسه كان يفزع إليه في كلّ موضع يلتبس الحق عنده، فيكشفه له، فيقول: لا عشتُ لمعضلة ليس لها أبو الحسن، حتى انّه صار كلامه مثلاً، فقالوا «معضلة ولا أبا الحسن»[١].

وقد رووا ان النبيّ صلى الله عليه وآله انما لقب هذا اللقب أمير المؤمنين، فروى أبو بكر بن أبي الثلج عن أبي سخيلة قال: أنا وعمّار حاجّين، فنزلنا عند أبي ذر، فأقمنا عنده ثلاثة أيام، فلما دنا منّا الخفوق قلت له: يا أبا ذر ألا ترى قد دنا اختلاط من الناس فما ترى؟ قال: الزم كتاب الله وعلي بن أبي طالب، فاشهد على النبيّ صلى الله عليه وآله انّه قال: علي أوّل من آمن بي، وأوّل من يصافحني يوم القيامة، وهو الصدّيق الأكبر، والفاروق بين الحق والباطل[٢].

فان أرادوا في التلقيب بالصدّيق والفاروق مجرّد اسم بلا مسمّىً، بل مع معنى بالضد كما قالوا في الفارسية «بر عكس نهند نام زنگى كافور»، كما في ألقاب الخلفاء العبّاسية «المتوكل على الله»، و «المعتصم بالله»، فلا مشاحة، إلّا انّهم لم ينسبوها الى الشارع الحكيم الذي لا يقول ولا يفعل شيئاً جزافاً.

فإن تجاوزنا في الصدّيقية والفاروقية عن أمير المؤمنين عليه السلام، لِمَ لا نسمّي أبا ذر صديقاً، وقد قال النبي فيه «ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء أصدق لهجةً من أبي ذر»[٣]، ولِمَ لا نسمّي ذا الشهادتين فاروقاً، وقد فرّق بين ادّعاء النبي وادعاء غيره، فشهد له بما لم تره عينه لعصمته، فجعل النبي لذلك شهادته شهادة رجلين، وسمّاه ذا الشهادتين[٤].

---

(١) رواه جمع كثير منهم ابن سعد في الطبقات ٢: ق٢ ١٠٢، والخوارزمي في مناقبه: ٥١.

(٢) رواه عن طريق ابن أبي الثلج المفيد في الإرشاد: ٢١ وعن طريق غيره أبو علي الطوسي في أماليه ١: ٢٥٦ جزء ٩، وابن السماك في الفضائل عنه البحار٣٨: ٢١٠ ح١٠.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه٥: ٦٦٩ ح٣٨٠١ و ٣٨٠٢ وابن ماجة في سننه ١: ٥٥ و ١٥٦ وغيرهما.

(٤) رواه ابن عبد البر في الاستيعاب ١: ٤١٧، وابن الأثير في اسد الغابة ١: ١١٤، وابن حجر في الاصابة ١: ٤٢٥

ولابد انّهما تقارضا التلقيب كأمر الخلافة، فلقب الثاني الأول الصديق، والأول الثاني الفاروق.

وفي كتاب معاوية الى محمّد بن أبي بكر: فقد كنّا ـ وأبوك فينا ـ نعرف حق ابن أبي طالب لازماً لنا، وفضله مبرزاً علينا، فلما اختار الله لنبيه ما عنده كان أبوك وفاروقه أوّل من ابتزه حقّه، وخالفه على أمره ـ الخ[1].

وأما الثالث (أبو عبيدة) فانما كان أمين الرجلين، وتواطأ الثلاثة، فيقول الأول للناس بايعوا أحد هذين، وهما يقولان بل يبايعونك أنت صاحب الغار، وكيف كان أمين الأمة، وقد نسبه أمير المؤمنين عليه السلام الى الخيانة واتباع الهوى فيما فعل. ففي (خلفاء ابن قتيبة): قال أبو عبيدة بن الجراح لعليّ: يا ابن عم انك حديث السن وهؤلاء مشيخة قومك، ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمور، ولا أرى أبا بكر إلّا أقوى على هذا الأمر منك، وأشدّ احتمالاً واستطلاعاً، فسلّم لأبي بكر هذا الأمر، فإنّك ان تعش ويطل بك بقاء فأنت لهذا الأمر خليق في فضلك ودينك، وعلمك وفهمك، وسابقتك، ونسبك وصهرك. فقال علي كرم الله وجهه: الله الله يا معشر المهاجرين، لا تخرجوا سلطان محمد في العرب من داره وقعر بيته الى دوركم وقعور بيوتكم، وتدفعون أهله عن مقامه في الناس وحقه، فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أحقّ الناس به لأنّا أهل البيت، ونحن أحق بهذا الأمر منكم. ما كان فينا القارئ لكتاب الله، الفقيه في دين الله، العالم بسنن رسول الله، المتطلّع لأمر الرعية، الدافع عنهم الأمور السيئة، القاسم بينهم بالسوية؟ والله انّه لفينا، فلا تتبعوا الهوى، فتضلوا عن

و ٤٢٦.

(١) رواه ابن مزاحم في وقعة صفين: ١٢٠، والمسعودي في المروج ٣: ١٢، والبلاذري في أنساب الأشراف ٢: ٣٩٦.

سبيل الله، فتزدادوا من الحق بعداً[١].

وأما الرابع (ابن عوف) فكان أمين عمر لانتخاب عثمان من الستة، وأمين عثمان باختياره، وهل تسميتهما له بالأمين إلا كتسمية بني العباس لأبي مسلم الخراساني أمين آل محمّد، ولقد كان الأمينان أمين أبي بكر وعمر، وأمين عمر وعثمان أولى من أبي عمرة الذي ولّاه المنتصر مظالمه بما قالوا فيه:

يا ضيعة الإسلام لمّا وُلّي ... مظالم الناس أبو عمره
صُيِّر مأموناً على الله ... وليس مأموناً على بعره

فلم يكن لأثر مأمونية أبي عمرة لعمرُ الله في ضيعة الإسلام وفساده واحد من ألف من أثر مأمونية الرجلين في ضيعة الإسلام وفساده، ثم كيف يكون ابن عوف يوماً أميناً لعمر، يوماً منافقاً لعثمان.

وأما الخامس (خالد) فإن الرجل انما كان سيف أبي بكر لا سيف الله، وما نقلوه من انّه لما قتل جعفر الطيار وصاحباه في مؤتة، وأُخبر النبي بشهادتهم، قال النبي ﷺ: «ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله خالد بن الوليد، فعاد بالناس، فمن يومئذ سمّي خالد سيف الله»[٢] مما يضحك الثكلىٰ، فان خالداً صار يومئذ عاراً على الاسلام حيث حمل عسكر الإسلام على الفرار. روى محمد بن إسحاق في مغازيه عن داود بن سنان عن ثعلبة بن أبي مالك قال: انكشف خالد بالناس حتى عيّروه بالفرار وتشاءم الناس به[٣].

وقال الواقدي في كتابه: قال أبو بكر بن عبدالله بن عتبة: ما لقي جيش

---

(١) الامامة والسياسة ١: ١١.

(٢) رواه أحمد في مسنده ٤: ٩٠ و ٥: ٢٩٩ و ٣٠٠، والطبري في تاريخه ٢: ٣٢٢ سنة ٨.

(٣) هذا من سهو قلم الشارح بل رواهما الواقدي في مغازيه ٢: ٧٦٤.

بعثوا مبعثاً ما لقي أصحاب مؤتة من أهل المدينة، لقوهم بالشر حتى أن الرجل ينصرف الى بيته وأهله فيدق عليهم فيأبون أن يفتحوا له، يقولون ألا تقدمت مع أصحابك فقتلت، وجلس الكبراء منهم في بيوتهم استحياءاً من الناس[١].

وقال محمد بن إسحاق: قال أبو سعيد الخدري: أقبل خالد بالناس منهزمين، فلما سمع أهل المدينة بهم تلقوهم بالجرف، فجعلوا يحثون في وجوههم التراب، ويقولون: يا فرار أفررتم في سبيل الله[٢].

وفي (تاريخ الطبري): قالت أم سلمة لامرأة مسلمة بن هشام بن المغيرة: مالي لا أرى مسلمة يحضر الصلاة مع النبي والمسلمين؟ قالت: والله ما يستطيع أن يخرج، كلّما خرج صاح الناس «أفررتم في سبيل الله» حتى قعد في بيته فما يخرج[٣].

ولعمر الله ان التلقيب كان من أبي بكر، فلا يحتاجون الى الافتراء على النبي، وان كان عمر أيضاً منكراً لكونه سيف الله، فلما غدر خالد بمالك بن نويرة، وقتله، وزنى بزوجته، قال عمر لأبي بكر ـ كما هو نص الجزري ـ ان سيف خالد فيه رَهَق، وأكثر عليه في ذلك، فقال: يا عمر تأوّل فأخطأ، فارفع لسانك عن خالد، فاني لا اشيم سيفاً سلّه الله على الكافرين، ووَدي مالكاً، وكتب الى خالد ان يقدم عليه، ففعل، ودخل المسجد، وعليه قباء، وقد غرز في عمامته أسهماً، فقام اليه عمر، فنزعها، وحطّمها، وقال له: أقتلت امرءاً مسلماً، ثم نزوت على امرأته، والله لأرجمنّك بأحجارك، وخالد لا يكلّمه

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٧٦٥.

(٢) هذا من سهو قلم الشارح بل رواهما الواقدي في مغازيه ٢: ٧٦٤.

(٣) تاريخ الطبري ٢: ٣٢٣، سنة ٨.

يظن ان رأي أبي بكر مثله ـ الخ[١].

ومما وضعوا له ما في تاريخ الطبري في يوم يرموك: خرج جرجة ونادى ليخرج إليّ خالد، وقال له: بم سُميت سيف الله؟ قال: لما بايعت النبي صلى الله عليه وآله بعد تكذيبه قال لي: أنت سيف من سيوف الله سلّه الله على المشركين، فسمّيت سيف الله بذلك[٢].

وما في (تاريخ الطبري) ـ بعد ان روىٰ عن الزهري أن قريشاً قدموا خالداً في خيلهم لئلا يدخل النبي مكة ـ وبعضهم قال: ان خالداً كان يومئذ مع النبي وان النبي أتى منىٰ فأتاه عينه وقال له: ان عكرمة بن أبي جهل خرج عليك في خمسمائة، فقال النبي لخالد: هذا ابن عمك قد أتاك في الخيل. فقال خالد: أنا سيف الله وسيف رسوله ـ فيومئذٍ سمّي سيف الله ـ ارم بي حيث شئت[٣].

قلت: تسميتهم له بسيف الله ـ بعد تلك الأعمال الشنيعة التي صدرت منه في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله من غدره ببني جذيمة، وقتله لجمع حتى قال النبي: «اللّهم اني أبرأ اليك مما صنع خالد» وبعث فوَديهم[٤]، وفي تقوية صديقهم بعده صلى الله عليه وآله، حتى انه لم يكتف بقتل مالك وأصحابه غدراً، وزناه بإمرأته، بل أمر بأن يجعل رأس مالك وأصحابه أثا في قدورهم ـ نظير تسمية بلعاء بن قيس برصه سيف الله، ففي معارف ابن قتيبة في عنوان البرص: كان بلعاء أبرص، ويقول برصي سيف الله جلاه.

ولِمَ لم يلقبوا الأشتر بسيف الله، مع أن آثاره في الجمل وصفين

---

(١) رواه ابن الأثير في الكامل ٢: ٣٥٨، سنة ١١، والطبري في تاريخه ٢: ٥٠٣ سنة ١١.

(٢) تاريخ الطبري ٢: ٥٩٥ سنة ١٣.

(٣) تاريخ الطبري ٢: ٢٧٢ سنة ٦.

(٤) رواه جمع من أهل الحديث والسيرة منهم البخاري في صحيحه ٣: ٧١ و٤: ٢٤٢، والطبري في تاريخه ٢: ٣٤١ سنة ٨، وابن سعد في الطبقات ٢: ق١ ١٠٦.

والنهروان في إحياء الدين وقمع الملحدين معلومة، وقد وصفه أمير المؤمنين عليه السلام بسيف الله.

ففي (تاريخ الطبري): انه عليه السلام كتب الى أهل مصر: بعثت إليكم عبداً من عباد الله لا ينام أيام الخوف، وانّه سيف من سيوف الله لا كليل الظبة ولا نابي الضريبة ـ الخ[1].

وأما خبر العشرة المبشرة فراويه سعيد بن زيد ابن عم عمر، وهو أحد العشرة، والباقون غير أمير المؤمنين عليه السلام ـ ولا يحتاج الى خبرهم ـ أبو بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير، وابن عوف، وسعد، وكيف يقبل شهادته لنفسه، وان ضم معه غيره.

مع ان أحد العشرة ـ وهو سعد بن أبي وقاص ـ قال: ان النبيّ صلى الله عليه وآله لم يشهد لأحد أنّه من أهل الجنة إلّا لعبد الله بن سلام، ففي الاستيعاب: روى ابن وهب وأبو مسهر وجماعة عن مالك بن أنس عن أبي النضر عن عامر بن سعد ابن أبي وقاص عن أبيه قال: ما سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول لأحد يمشي على وجه الأرض انّه من أهل الجنّة، إلّا لعبد الله بن سلام.

قال: وهذا حديث ثابت صحيح لا مقال فيه لأحد[2]. مع ان سعداً تخلّف عن بيعة أمير المؤمنين عليه السلام وحروبه، وهو كبيرة موبقة.

ومنهم طلحة والزبير، وقد حاربا أمير المؤمنين عليه السلام، واستحلا دمه، وهو كنفس النبيّ صلى الله عليه وآله، واستحلّا دم الحسن والحسين عليهما السلام، وهما ابنا النبي صلى الله عليه وآله، وسيدا شباب أهل الجنّة، وأهل بيت العصمة، وقتلا ألوفاً من المسلمين، ومن المؤمنين المتفق على ايمانهم، وقد قال سبحانه: ﴿ومن يقتل

(١) تاريخ الطبري ٤: ٧٢ سنة ٣٨، والنقل بتصرف في اللفظ.

(٢) الاستيعاب ٢: ٣٨٢.

مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً﴾[١] فالله تعالى يقول بخلودهما في النار، فكيف يقول نبيه بكونهما من المبشرة بالجنة، فلو قيل بكونهما من المبشرة بالنار كان أقرب الى الاعتبار.

ولعمر الله ان حديث العشرة المبشرة كحديث عمر في ستة شوراه ان النبيّ ﷺ مات راضياً عنهم، مع قوله بعد ساعة في أحدهم ان النبي ﷺ مات ساخطاً عليه. فقال الجاحظ في عثمانيّته: قال عمر ان النبي مات وهو راض عن هذه الستة من قريش، علي، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد، وعبد الرحمن بن عوف، وقد رأيت أن أجعلها شورىٰ بينهم ليختاروا لأنفسهم.

ثم دعاهم، فدخلوا عليه وهو ملقىً، فقال: أكلُّكم يطمع في الخلافة بعدي؟ ثم أقبل على طلحة ـ وكان له مبغضاً منذ قال لأبي بكر يوم وفاته ما قاله في عمر ـ فقال له: أقول أم أسكت؟ قال له طلحة: قل فإنّك لا تقول من الخير شيئاً. قال: أما اني أعرفك منذ أصيبت اصبعك يوم أُحد بالباو الذي حدث لك، ولقد مات النبي ساخطاً عليك، للكلمة التي قلتها يوم أُنزلت آية الحجاب.

قال: ان كلمة طلحة هي انّه لما أُنزلت آية الحجاب قال طلحة بمحضر ممّن نقل الى النبيّ ﷺ: ما الذي يغنيه حجابهن اليوم، وسيموت غداً، فننكحهن.

قال: لو قال قائل لعمر أنت قلت ان النبي ﷺ مات وهو راض عن الستة، فكيف تقول لطلحة الآن ان النبي مات ساخطاً عليك للكلمة التي قلتها، لكان قد رماه بمشاقصه ولكن من الذي كان يجسر على عمر أن يقول له ما دون هذا، فكيف هذا[٢].

---

(١) النساء: ٩٣.

(٢) بل قاله الجاحظ في السفيانية كما في شرح ابن أبي الحديد ١: ١٨٥ و ١٨٦.

وبالجملة هؤلاء العشرة أكثرهم يكفر بعضهم بعضاً، ويستحل بعضهم دماء بعض، فكيف يعقل أن يقول نبيهم صلى الله عليه وآله انّهم مبشرة بالجنة. أما يستحيون هؤلاء من الدهرية بأن يقولوا أظهر المليون المسلمون، وفي دينهم هذه التناقضات والتهافتات، ومن أهل الكتاب أن يقولوا ان في كتابكم ﴿ان الدين عند الله الإسلام﴾[1] واسلامكم شيء على خلاف العقول.

ألم يكونوا أصحاب أحداث، وقد تواتر عن النبي صلى الله عليه وآله قال: سيجاء برجال من أُمتي أعرفهم ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم، ويؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول أُمتي، فيقال انّك لا تدري ما أحدثوا بعدك، انّهم لن يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول سحقاً سحقاً لمن بدل بعدي وغيّر[2].

ويحهم بدلوا الاثني عشر أهل بيت العصمة والطهارة باتفاق الأُمة بتسعة أجلاف استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة، واتخذوا الههم هواهم ﴿ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار﴾[3].

هذا، وفي تاريخ بغداد عن بعضهم قال: دخلت على محمد بن محمد الباغندي، فقال: لا تكتبوا عن ابني أحمد فانّه كذّاب. ثم دخلت على ابنه، فقال: لا تكتبوا عن أبي فانّه كذّاب ـ وكان الابن أوثق.

هذا، وكما كُذِبَ على النبيّ صلى الله عليه وآله كُذِبَ عليه عليه السلام وعلى أهل بيته، وروى (الكافي): ان معمر بن خيثم قال للباقر عليه السلام بلغنا عن علي عليه السلام انّ من اكتنى وليس له أهل فهو أبو جعر. فقال: ليس هذا من حديث علي، إنّا لنكني أولادنا في

---

(١) آل عمران: ١٩.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٢: ٢٣٣ و ٢٥٦ و ٣: ١٢٧ و ١٦٠ و٤: ١٣٣، ومسلم في صحيحه ٤: ٢١٩٤ ح٥٨ وغيرهما عن ابن عباس وروي أيضاً عن ابن مسعود وأبي سعيد وحذيفة وجمع آخر من الصحابة.

(٣) إبراهيم: ٢٨.

صغرهم مخافة النبزان يلحق بهم[١]، والجعر النجو.

«فلو علم الناس انّه منافق كاذب لم يقبلوا منه ولم يصدّقوا قوله، ولكنّهم قالوا صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله رآه وسمع منه ولقف» أي: أخذ «عنه».

والمفاسد التي حدثت في الاسلام كلّها من أولئك المنافقين الذين جعلوا أنفسهم مؤمنين، وإلا فمثل عبد الله بن أبي سلول أو عيينة بن حصن لم يحصل منهم فساد في الدين، فكان عيينة لما أسلم اقرّ أنّه منافق، ولما ارتد في أيام طليحة فأسر وأدخل المدينة كان الصبيان يقولون له يا عدوّ الله أكفرت بعد إيمانك، فيقول لهم: ما آمنتُ بالله طَرفة عين.

ومن الغريب قولهم بعدالة كلّ الصحابة، فقال أبو عمر في (استيعابه): أجمع أهل السنة والجماعة على أن الصحابة كلّهم عدول[٢].

وقال الجزري في كتابه: المجهول لا تَصِحُّ روايته، والصحابة كلّهم عدول، لا يتطرّق إليهم الجرح، لأن الله تعالى زكّاهم وعدّلهم ـ الخ[٣].

ولم أفهم معنى اجماعاتهم، فإجماعهم هذا كإجماعهم في بيعة أبي بكر، كما ان عدالتهم هذه أي عدالة لا ينقضها شيء، فمن صحابتهم المغيرة بن شعبة الذي كان نفاقه لا ينكره أحد، حتى ان عثمان لما أُنكر عليه توليته فسّاق بني أُمية استند الى تولية عمر المغيرة مع وضوح نفاقه، ولمّا صار عثمان خليفة وقال له المغيرة لو بايعوا غيرك ما بايعناه قال له ابن عوف: يا أعور لو كان قد بويع غيره لبايعته ولقلت له هذا القول، ومنهم عمرو بن العاص، ومنهم معاوية بن أبي سفيان، وكانت أعمالهم عاراً لعالم البشرية، وسواداً لوجه

---

(١) الكافي ٦: ١٩ ح١١.

(٢) الاستيعاب ١: ٩.

(٣) أُسد الغابة ١: ٣، والنقل بتلخيص.

التاريخ، ومن بلغ كلامه هذه المرتبة لا تستحق المكالمة، وفي مثلهم قال تعالىٰ: ﴿فذرهم في غمرتهم حتى حين﴾[١].

وكيف يقولون بعدالتهم، ومن صحابتهم الوليد بن عقبة، وقد نص القرآن على فسقه في قوله تعالىٰ: ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً﴾[٢] وفي قوله تعالىٰ: ﴿ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾[٣] باجماع المفسرين بإرادته.

«فيأخذون بقوله» لغفلتهم عن نفاقه، وجهلهم بتعمّد كذبه «وقد أخبرك الله عن المنافقين بما أخبرك ووصفهم بما وصفهم به لك» من قوله تعالىٰ: ﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم﴾[٤] وقوله تعالىٰ: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين* يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون* في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون﴾[٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا الى شياطينهم قالوا إنّا معكم إنّما نحن مستهزئون* الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون* اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين﴾[٦].

فكيف يكون الصحابة كلّهم عدولاً، وهؤلاء المنافقون الذين بيّن تعالى في غير موضع من كتابه ذمّهم وأوصافهم هم جمع من الصحابة.

وقد روى الحميدي في (الجمع بين الصحيحين) من مسند سعيد بن

---

(١) المؤمنون: ٥٤ .

(٢) السجدة: ١٨ .

(٣) الحجرات : ٦.

(٤) المنافقون : ٤ .

(٥) البقرة : ٨ ـ ١٠ .

(٦) البقرة : ١٤ ـ ١٦ .

المسيب ومن مسند عائشة ومن مسند أم سلمة عن النبي صلى الله عليه وآله قال: بينما أنا قائم إذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل بيني وبينهم، فقال: هلموا. فقلت: إلى أين؟ قال: الى النار والله. قلت: ما شأنهم؟ قال: انهم ارتدّوا بعدك على أدبارهم القهقرى. ثم إذا زمرة حتى اذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلموا، فقلت: الى أين؟ فقال: الى النار والله. قلت: ما شأنهم؟ قال: انهم ارتدّوا على أدبارهم، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم[1] «ثم بقوا بعده عليه وآله السلام» هكذا في (المصرية) وليس في (ابن أبي الحديد) جملة التسليم وفي (ابن ميثم) رمز (عليه السلام)[2].

«فتقرّبوا الى أئمة الضلالة والدعاة الى النار بالزور والبهتان فولوهم الأعمال» جزاء كذبهم لهم.

قال ابن أبي الحديد: فان قلت: من هم أئمة الضلالة الذين تقرب اليهم المنافقون الذين رأوا النبي صلى الله عليه وآله وصحبوه بالزور والبهتان، وهل هذا إلا تصريح بما تذكره الإمامية، وتعتقده الإمامية؟

وقال: ليس الأمر كما ظننت وظنوا، وانما يعني معاوية وعمراً ومن شايعهما على الضلال، كالخبر الذي رواه من رواه في حق معاوية «اللّهم قه العذاب والحساب، وعلمه الكتاب» وكرواية عمرو تقرباً الى معاوية «ان آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء، انما وليي الله وصالح المؤمنين»، وكرواية قوم في أيام معاوية أخباراً كثيرة من فضائل عثمان تقرّباً الى معاوية بها، ولسنا

---

(١) نقله عن الجمع بين الصحيحين ابن طاوس في الطرائف ٢: ٣٧٦ والحديث أخرجه البخاري في صحيحه ٤: ١٤٢ عن سعيد بن المسيب عن أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وأخرجه مسلم في صحيحه ٤: ١٧٩٤ ح٢٨ و ٢٩ عن عائشة وام سلمة وقد أخرجا هذا الحديث عن ابن عباس وابن مسعود وابي هريرة وابي سعيد وحذيفة وسهل بن سعد وأنس واسماء بنت أبي بكر أيضاً.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١١ : ٣٨، لكن في شرح ابن ميثم ٤: ١٩ مثل المصرية.

نجحد فضل عثمان وسابقته، ولكنّا نعلم أن بعض الأخبار الواردة فيه موضوع، كخبر عمرو بن مرة ـ شامي له صحبة ـ فيه وهو مشهور، وليس يجب من قولنا ان بعض الأخبار الواردة في حق فاضل مفتعلة أن تكون قادحة في فضله، فانا مع اعتقادنا ان علياً عليه السلام أفضل الناس نعتقد ان بعض الأخبار الواردة في فضائله مختلق.

قال: وقد رُوي ان أبا جعفر محمد بن علي الباقر قال لبعض أصحابه: يا فلان، ما لقينا من ظلم قريش إيانا، وتظاهرهم علينا، وما لقي شيعتنا ومحبّونا من الناس، ان النبي صلى الله عليه وآله قبض وقد أخبر انّا أولى الناس بالناس، فتمالأت علينا قريش حتى أخرجت الأمر من معدنه، واحتجت على الأنصار بحقّنا وحجتنا، ثم تداولتها قريش، واحد بعد واحد، حتى رجعت الينا، فنكثت بيعتنا، ونصبت الحرب لنا، ولم يزل صاحب الأمر في صعود كؤود حتى قتل، فبويع ابنه الحسن عليه السلام ، عوهد، ثم غُدر به، وأسلم، ووثب عليه أهل العراق حتى طعن الخنجر في جنبه، وانتهب عسكره، وعولجت خلاخيل أُمهات أولاده، فوادع معاوية، وحقن دمه ودماء أهل بيته، وهم قليل حق قليل، ثم بايع الحسين عليه السلام من أهل العراق عشرون ألفاً، ثم غدروا به، وخرجوا عليه، وبيعته في أعناقهم، ثم لم نزل أهل البيت نستذل ونستضام، ونقصى ونمتهن، ونحرم ونقتل، ونخاف ولا نأمن على دمائنا ودماء أوليائنا، ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعاً يتقربون به الى أوليائهم وقضاة السوء وعمّال السوء في كل بلدة، فحدّثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة، ورووا عنّا ما لم نقله وما لم نفعله ليبغّضونا الى الناس وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن عليه السلام ، فقتلت شيعتنا بكلّ بلدة، وقطّعت الأيدي والأرجل على الظنة، وكان من يُذكّر بحبنا، والانقطاع الينا سجن، أو نُهب ماله، أو هدّمت داره، ثم لم يزل البلاء يشتدّ ويزداد الى زمان عبيدالله بن زياد قاتل

الحسين عليه السلام، ثم جاء الحَجّاج، فقتلهم كلّ قتلة، وأخذهم بكلّ ظنة وتهمة، حتى ان الرجل ليقال انّه زنديق أو كافر أحب إليه من أن يقال انّه من شيعة علي، وحتى صار الرجل الذي يذكر بخير، ولعلّه يكون ورعاً صدوقاً يحدث بأحاديث عظيمة عجيبة من تفضيل بعض من قد سلف من الولاة، ولم يخلق الله تعالى شيئاً منها، ولا كانت، ولا وقعت، وهو يحسب انّها حق لكثرة من قد رواها ممّن لم يعرف بكذب ولا بقلّة ورع.

قال: وروى أبو الحسن علي بن محمد بن أبي سيف المدائني في كتاب الأحداث قال: كتب معاوية نسخة واحدة الى عمّاله بعد عام الجماعة: ان برئت الذمة ممّن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته، فقامت الخطباء في كلّ كورة وعلى كلّ منبر يلعنون علياً عليه السلام، ويبرؤون منه، ويقعون فيه، وفي أهل بيته، وكان أشدّ الناس بلاءً حينئذٍ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي، فاستعمل عليهم زياد بن سمية وضمّ إليه البصرة، فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف، لأنّه كان منهم أيام علي، فقتلهم تحت كلّ حجر ومدر، وأخافهم، وقطع الأيدي والأرجل، وسَمل العيون، وصلبهم على جذوع النخل، وطردهم وشردهم عن العراق، فلم يبق بها معروف منهم.

وكتب معاوية الى عمّاله في جميع الآفاق: لا تجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة. وكتب اليهم: ان انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبّيه، وأهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه، فادنوا مجالسهم، وقرّبوهم، واكرموهم، واكتبوا إليّ بكل ما يروي كلّ رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته، ففعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه لما كان يبعثه اليهم معاويه من الصلات والكساء والحباء والقطائع، ويفيضه في العرب منهم والموالي، فكثر ذلك في كلّ مصر، وتنافسوا في المنازل والدنيا.

فلبثوا بذلك حيناً، ثم كتب الى عمّاله أن الحديث في عثمان قد كثر وفشا

في كلّ مصر، وفي كل وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا، فادعوا الناس الى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب، إلا وأتوني بمناقض له في الصحابة، فإن هـذا أحبّ إليّ، وأقرّ لعيني، وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته، وأشدّ عليهم من مناقب عثمان وفضله، فقرئت كتبه على الناس، فـرُويت أخـبار كـثيرة فـي مـناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجدّ الناس في رواية ما يجري هذا المـجرىٰ، حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر، وألقى الى معلمي الكتاب، فعلّموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع، حتى رووه وتعلّموه كما يتعلّمون القرآن، وحتى علّموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم، فلبثوا بذلك ما شاء الله.

ثم كتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان: أنظروا مـن قـامت عليه البينة أنه يحب عليّاً وأهل بيته، فامحوه من الديـوان وأسـقطوا عـطاءه ورزقه. وشفع ذلك بنسخة أُخرى: «من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم، فنكلوا به واهدموا داره»، فلم يكن البلاء أشد ولا اكثر منه بالعراق، ولا سيما بالكوفة، حتى ان الرجل من شيعة عليّ عليه السلام ليأتيه من يثق به، فيدخل بيته، فيلقي إليه سره، ويخاف من خادمه ومملوكه، ولا يحدثه حتى يأخذ عليه الأيمان الغليظة ليكتمن عليه، فظهر حديث كثير موضوع وبهتان منتشر، ومضى عـلى ذلك الفقهاء والقضاة والولاة.

وكان أعظم الناس في ذلك بلية القراء المراؤون، والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك، فيفتعلون الاحاديث ليحظوا بـذلك عـند ولاتـهم، ويقربوا مجالسهم، ويصيبوا به الاموال والضياع والمنازل، حتى انتقلت تلك الاخبار والاحاديث إلى يدي الديانين الّذين لا يستحلّون الكـذب والبـهتان، فقبلوها ورووها، وهم يظنون أنها حق، ولو علموا أنها باطلة لما رووها ولا تدينوا بها، فلم يزل الامر كذلك حتى مات الحسن بن عليّ عليه السلام، فازداد البلاء

والفتنة، فلم يبق أحد من هذا القبيل الا وهو خائف على دمه، أو طريد في الارض، ثم تفاقم الامر بعد قتل الحسين عليه السلام، وولي عبدالملك بن مروان، فاشتد على الشيعة، وولي عليهم الحجاج بن يوسف، فتقرب إليه أهل النسك والصلاح والدين ببغض علي، وموالاة أعدائه، وموالاة من يدعي قوم من الناس انهم اعداؤه، فأكثروا في الرواية من فضلهم وسوابقهم ومناقبهم، وأكثروا من الغض من علي وعيبه والطعن فيه والشنئان له، حتى ان انساناً وقف للحجاج -ويقال أنه جد الاصمعي عبدالملك بن قريب- فصاح به أيها الاميران أهلي عقوني فسموني علياً، واني فقير بائس، واني إلى صلة الامير محتاج، فتضاحك له الحجاج وقال: للطف ما توسلت به قد وليتك موضع كذا.

وقال: وقد روى ابن عرفة المعروف بنفطويه -وهو من اكابر المحدثين وأعلامهم- في تاريخه ما يناسب هذا الخبر.

وقال: ان أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيام بني امية تقرباً إليهم بما يظنون أنهم يرغمون به أنف بني هاشم، ولا يلزم من هذا أن يكون علي يسوؤه ان يذكر الصحابة والمتقدمون عليه بالخير والفضل، لان معاوية وبني امية كانوا يبنون الامر من هذا على ما يظنونه في عليّ عليه السلام من أنه عدو من تقدم عليه، ولم يكن الامر في الحقيقة كما يظنّونه، ولكن كان يرى انه أفضل منهم، وانهم استأثروا عليه بالخلافة من غير تفسيق منه لهم ولا براءة منهم[1].

قلت: أما قوله ليس الامر كما ظننت وظنوا من كون المراد من قوله «فتقربوا إلى ائمة الضلالة» الثلاثة، وانما يعني معاوية -الخ، فغلط، لانه عليه السلام لم يخبر عن الزمان الآتي بل سئل عليه السلام عن اختلاف كان قد وقع، فأجاب بما

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٤٢ - ٤٧.

أجاب، والرضي وان أجمل في قوله «سأله سائل عما في أيدي الناس من اختلاف الخبر» إلا انك عرفت تفصيله من اسانيده، وان السائل قال له: سمعت من شيعتك سلمان والمقداد وأبيذر شيئاً في التفسير وأحاديث عن النبيّ صلى الله عليه وآله انت تصدّقهم، والناس لا يقبلونها، ويروون خلافها، فهل كل احاديثهم افتراء على النبيّ؟ فأجابه عليه السلام بأن الاحاديث عن النبيّ أربعة اقسام: احدها الافتراء، وبعضها وهم، وبعضها منسوخ، وغير ذلك. وكيف يحمله على زمان سلطنة معاوية بعده وبني امية بعد معاوية وقد قال عليه السلام قبله ان في أيدي الناس حقاً وباطلا ـ إلى قوله ـ وقد كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله على عهده حتى قام خطيباً ـ الخ. ثم كيف يحمل قوله عليه السلام «ثم بقوا بعد النبيّ، فتقربوا إلى أئمة الضلالة» على ما قال.

وما رواه عن الباقر عليه السلام والمدائني وابن عرفة من كثرة جعل الاخبار زمن معاوية وبعده في عثمان، ثم في أبيبكر وعمر، ثم في باقي الصحابة، لا ينافي كون الاساس من زمن الثلاثة قبله عليه السلام، ومما وضع لهم تقرباً إليهم التلقيب بالصديق، والفاروق، وأمين الامة، وأمين الارض والسماء، والحواري، والستة الّتي مات النبيّ صلى الله عليه وآله راضياً عنهم، والعشرة الّتي بشرهم بالجنة، وغير ذلك من كونهم خليفة الرسول وأمير المؤمنين.

وفي (خلفاء ابن قتيبة): في كيفية بيعة عليّ عليه السلام مع أبيبكر بعد ذكر ارادة عمر حرق البيت على عليّ وفاطمة لما تخلف هو وجمع معه، ثم خروج الجمع لما رأوا ذلك للبيعة، وتخلفه عليه السلام معتذراً بحلفه الا يضع ثوبه على عاتقه حتى يجمع القرآن، فقال عمر لأبيبكر: ألا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعة. فقال أبوبكر لقنفذ ـ وهو مولى له ـ ادع لي علياً، فذهب إليه فقال له: ما حاجتك؟ فقال: يدعوك خليفة رسول الله. فقال عليّ: لسريع ما كذبتم على رسول الله، فرجع فأبلغ الرسالة، فبكى أبوبكر طويلا، فقال عمر الثانية: لا تمهل هذا

المتخلف عنك بالبيعة. فقال أبوبكر لقنفذ عد إليه، فقل له: أمير المؤمنين يدعوك لتبايع، فجاءه قنفذ وأدى ما امر به، فرفع عليّ صوته وقال: سبحان الله لقد ادعى ما ليس له، فرجع قنفذ فأبلغ الرسالة، فبكى أبوبكر طويلا ـ الخبر في اخراج عمر له عليه السلام قهراً وفاطمة تصيح يا أبة يا رسول الله ماذا لقينا بعدك من ابن الخطّاب وابن أبي قحافة، وقول علي ان لم أُبايع فمه، وقولهما له اذن والله نضرب عنقك، وقوله اذن تقتلون أخا رسوله، وانكار عمر كونه أخا الرسول، ولحوق علي بقبر النبي ونداءه يا ابن ام ان القوم استضعفوني، وكادوا يقتلونني[1].

أو ليس المغيرة قال لعمر وكانوا يقولون له خليفة: ألسنا المؤمنين وانت أميرنا؟ قال: بلى. قال: فأنت أمير المؤمنين[2].

ولعمر الله اذا كان المؤمنون مثل المغيرة، ففاروقهم أمير أولئك المؤمنين، فشكره عمر ذلك ولغيره، فولاه البصرة، ثم لما زنا محصناً دافع عنه، ومنع زياداً عن أداء الشهادة لئلا يثبت عليه الرجم، ثم ولّاه الكوفة مادامت حياته، ثم تعهد لمعاوية اجراء مقاصده ان ولاه، كما اجرى لعمر مقاصده.

وفي تاريخ الطبري: لما ولّى معاوية في سنة (٤١) المغيرة الكوفة قال له: أردت ايصاءك بأشياء كثيرة، فانا تاركها اعتماداً على بصرك بما يرضيني، ويسعد سلطاني، ويصلح به رعيتي، ولست تاركاً ايصاءك بخصلة، لا تتحمّ عن شتم علي وذمه، والترحم على عثمان والاستغفار له، والعيب على أصحاب علي، والاقصاء لهم، وترك الاستماع منهم، وباطراء شيعة عثمان،

---

(١) الامامة والسياسة ١: ١٣.

(٢) رواه المسعودي في مروج الذهب ٢: ٣٠٥ بالمعنى.

والادناء لهم، والاستماع منهم. فقال المغيرة: قد جَربت وجُربت، وعملت قبلك لغيرك فلم يذمم بي دفع ولا رفع ولا وضع ـ الخ[١].

وما ذكره من ان افتعال عمرو بن العاص ان النبيّ قال «ان آل أبي طالب ليسوالي بأولياء» كان تقرباً منه إلى معاوية، ليس كما قال: وكيف وقد قال شيخه النقيب ـ ولم يكن امامياً كما نقل في شرح قوله «لله بلاد فلان» ـ ان الرجل (أي عمر) ما اهمل أمر نفسه في دفع النص على عليّ، بل أعد أعذاراً واجوبة، وذلك لانه قال لقوم عرضوا له بحديث النص: ان النبيّ رجع عن ذلك باقامة أبي‌بكر مقامه في الصلاة، وأوهمهم ان ذلك جار مجرى النص عليه بالخلافة ـ إلى أن قال ـ ثم عاب علياً بخطبة بنت أبي جهل، فأوهم ان النبيّ كرهه لذلك، وأرضاه عمرو بن العاص، فروى حديثاً افتعله واختلقه على النبيّ، قال سمعته يقول «ان آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء، انما وليّي الله وصالح المؤمنين»، فجعلوا ذلك كالناسخ لقول النبيّ في عليّ عليه السلام «من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه»[٢].

كما أن كثرة الافتعالات زمان معاوية وبعده منشؤها الافتعالات أيام الثلاثة، كما أن منشأ خلافة معاوية ومن بعده خلافة الثلاثة، وكتب معاوية إلى محمد ابن أبي‌بكر ـ لما كان محمد قد كتب إليه: «رأيتك تسامي علياً، وأنت أنت، وهو هو» ـ فقد كنا وابوك فينا نعرف فضل ابن أبي طالب، وقديم سوابقه، وقرابته إلى الرسول صلى الله عليه وآله، ومواساته اياه في كل هول وخوف، فلما اختار الله لنبيه ما عنده كان أبوك وفاروقه أول من ابتزه حقه. إلى أن قال: فخذ حذرك عن أن توازي مَنْ أبوك مهّد مهاده، وبني له ملكه وشاده، فان يك ما نحن فيه

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ١٨٨ / سنة ٥١.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٢: ٨٨ و٩٠.

صواباً فأبوك استبد به، ونحن شركاؤه، ولولا ما فعل أبوك من قبل ما خالفنا ابن أبي طالب ولسلمنا إليه، ولكنا رأينا اباك فعل به ذلك من قبلنا، فأخذنا بمثله، فعب أياك بما بدا لك أودع ذلك[1].

وأما قول ابن أبي الحديد: ولسنا نجحد فضل عثمان وسابقته، ولكنّا نعلم ان بعض الأخبار الواردة فيه موضوع، فيقال له: ثبّت له فضلاً وسابقة غير الدفاع عن أعداء الاسلام كالمغيرة بن أبي العاص، وابن أبي سرح، والحكم بن أبي العاص، وتولية دبره في الجهاد، لا سيما في أُحد، ففر الى جبل، واختفى فيه ثلاث ليال، حتى قال له النبي ﷺ «لقد ذهبت فيها عريضة طويلة»[2] ولواحقه معلومة.

وقوله: وليس يجب من قولنا أن بعض الأخبار الواردة في حق فاضل مفتعلة أن تكون قادحة في فضله، صحيح كبرى إلا أنّ صغراه في مورد عثمان سابقة ولاحقة.

وأما قوله: أن أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيام بني أُمية تقرّباً إليهم بما يظنون انهم يرغمون به أنف بني هاشم، فقالوا: الشاهد يرى ما لا يرى الغائب، وهو عكس، وقال: انا الغائب أرى ما لم يروه.

وقوله: ولا يلزم من هذا أن يكون عليٌّ يسوؤه أن يذكر الصحابة والمتقدمون عليه بالخير والفضل، فيه ـ بعد الغض عن عدم فضل لهم، فلم يذكر الثاني للأوّل يوم السقيفة إلا كونه صاحب الغار، وأمره بالصلاة، ولا يخفى ما فيهما من العوار ـ أنّه لا يمكن أن يكتب معاوية الى محمد بن أبي بكر

---

(١) رواه ابن مزاحم في وقعة صفين: ١١٨، والمسعودي في المروج ٣: ١١، والبلاذري في انساب الاشراف ٢: ٣٩٣.

(٢) رواه الطبري في تاريخه ط: ٣٠٢، سنة ٣.

بما لا يعرف من حال أبيه وصاحبه معه عليه السلام، وقد عرفت مقداراً مما كتب إليه، وممّا كتب إليه: ان أباك وصاحبه دعواه الى بيعتهما، فأبطأ عنهما، وتلكأ عليهما، فهمّا به الهموم، وأرادا به العظيم، ثم انّه بايعهما، وسلّم لهما، وأقاما لا يشركانه أمرهما، ولا يطلعانه على سرّهما ـ الخ[1].

وكيف لا يسوؤه ما قال وهو أمر فطري، إلّا ان هؤلاء ينكرون البديهيات، ويجمعون بين المتناقضات، ومعاوية وباقي بني أُمية وان كانوا جبابرة وفجرة كفرة، الا انهم لم يكونوا سفهاء مثل هؤلاء يجمعون بينه عليه السلام وبين الثلاثة، فتضاده معهم لا سيما الأخير كتضاد النبي صلى الله عليه وآله مع أبي جهل، وكتضاده مع مسيلمة، وانما كانوا يتقون.

وكيف لا وقد كتب معاوية الى الحسن عليه السلام جواب كتابه في الشكاية منهم «ذكرت تنازع المسلمين الأمر بعد النبي، فصرحت بتهمة ابي بكر الصديق، وعمر الفاروق، وأبي عبيدة الأمين، وحواري النبي، وصلحاء المهاجرين والأنصار، فكرهت ذلك لك، انك امرؤٌ عندنا وعند الناس غير الظنين، ولا المسيء، ولا اللئيم، وأنا أحب لك القول السديد، والذكر الجميل»[2].

وقوله: ولم يكن الأمر في الحقيقة كما يظنونه، ولكنه كان يُرىٰ انّه أفضل منهم، وانهم استأثروا عليه بالخلافة من غير تفسيق منه لهم ولا براءة منهم، كلام غير معقول، فالخلافة ان كانت من الله كما هو معتقده عليه السلام فقيام غيره بها يكون مثله مثل قيام مسيلمة في قبال النبيّ صلى الله عليه وآله، فهل يعقل أن يرضى به النبي، وان كانت مجرد رئاسة وسلطنة ـ ويدعي الخصم خلافه، فقتل خالد بن الوليد مالك بن نويرة لتعبيره عن أبي بكر بقوله له «صاحبك»،

---

(١) رواه ابن مزاحم في وقعة صفين: ١٢٠ والمسعودي في المروج٣: ١٢ والبلاذري في أنساب الأشراف ٢: ٣٩٦.

(٢) رواه أبو الفرج في مقاتل الطالبيين: ٣٦.

فجعل ذلك ارتداداً منه، وان غالط عمر يوم السقيفة فقال لأبي بكر: رضيك النبي لديننا بأمرك الصلاة، فلا نرضاك لدنيانا نجعلك خليفة[1] ـ فكيف يعقل الا يبرأ منهم بعد حصول هذه المفاسد في الدين من قيام عثمان ومعاوية ويزيد وباقي بني أُمية، وبعد حصول القتل والأسر والحبس له ولأهل بيته، ولوقوع شيعته في تلك الشدائد، هل يعقل ذلك عند غبي لولا المكابرة، وانما شيء نسبه بنو أُمية إليه عليه السلام كذباً تصديه لقتل عثمان.

قال ابن أبي الحديد: واعلم ان أصل الأكاذيب في أحاديث الفضائل كان من جهة الشيعة، فانهم وضعوا في مبدأ الأمر أحاديث مختلقة في صاحبهم حملهم على وضعها عداوة خصومهم نحو حديث السطل، وحديث الرمانة، وحديث غزوة البئر التي كان فيها الشياطين ويعرف ـ كما زعموا ـ بذات العلم، وحديث غسل سلمان الفارسي، وطي الأرض، وحديث الجمجمة، ونحو ذلك، فلما رأت البكرية ما صنعت الشيعة وضعت لصاحبها أحاديث في مقابلة هذه الأحاديث، نحو «لو كنت متخذاً خليلاً» فانهم وضعوه في مقابلة حديث «الاخاء»، ونحو «سد الأبواب» فانّه كان لعلي عليه السلام فقلبته البكرية الى أبي بكر، ونحو «إيتوني بدواة وبياض اكتب فيه لأبي بكر كتاباً لا يختلف عليه اثنان. ثم قال: يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر» فانهم وضعوه في مقابلة الحديث المروي عنه في مرضه «إيتوني بدواة وبياض اكتب لكم ما لاتضلون بعده، فاختلفوا عنده، وقال قوم لقد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله»، ونحو حديث «أنا راض عنك فهل أنت راض عني» ونحو ذلك، فلما رأت الشيعة ما قد وضعت البكرية أوسعوا في وضع أحاديث، فوضعوا حديث الطوق الحديد الذي زعموا انّه فتله في عنق خالد، وحديث اللوح الذي زعموا انّه كان في غدائر الحنفية أم محمد، وحديث

---

(١) روى هذا المضمون الجوهري في السقيفة: ٦٣ وغيره.

«لا يفعلن خالد ما أمر به»، وحديث الصحيفة التي علقت عام الفتح بالكعبة، وحديث الشيخ الذي صعد المنبر يوم بويع أبو بكر فسبق الناس الى بيعته، وأحاديث مكذوبة كثيرة تقتضي نفاق قوم من أكابر الصحابة والتابعين الأولين وكفرهم وعلى أدون الطبقات وفسقهم، فقابلتهم البكرية بمطاعن كثيرة في علي عليه السلام وفي ولديه، ونسبوه تارة الى ضعف العقل، وتارة الى ضعف السياسة، وتارة الى حب الدنيا والحرص عليها، ولقد كان الفريقان في غنية عمّا اكتسباه واجترحاه، ولقد كان في فضائل علي عليه السلام الثابتة الصحيحة وفضائل أبي بكر المحققة المعلومة ما يغني عن تكلف العصبية لهما، فان العصبية لهما أخرجت الفريقين من ذكر الفضائل الى ذكر الرذائل، ومن تعديد المحاسن الى تعديد المساوئ والمقابح، نسأل الله أن يعصمنا من الميل الى الهوى[1].

قلت: كلامه كلّه خلط وخبط، أما قوله: أصل الأكاذيب في أحاديث الفضائل كان من جهة الشيعة، فمضحك، فهو قد نقل قول معاوية في كتابه الى عماله «لا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب، ألا وأتوني بمناقض له في الصحابة، فإن هذا أحب اليّ وأقرّ لعيني، وادحض لحجّة أبي تراب وشيعته، وأشدّ إليهم من مناقب عثمان وفضله»[2]، فتراه يعترف بأن أحاديث فضائله عليه السلام روتها فرق المسلمين، وأمر بجعل أخبار في الفضائل للشيخين ليدحضوا حجّة الشيعة بتفرّده عليه السلام بالفضائل، فليتفرد بالإمامة بحسب الفطرة وقضية العقول.

(١) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٤٨.

(٢) رواه المدائني في الأحداث كما في شرح ابن أبي الحديد ١١: ٤٥، وروى هذا الكتاب بفرق يسير سليم بن قيس في كتابه: ٢٠٤، والطبرسي في الاحتجاج ٢: ٢٩٥.

وقوله: حملهم على وضعها عداوة خصومهم، كلام بلا معنىً، وانما كان له معنىً لو كان قد قال وضعوا أحاديث في مثالب الشيخين لعداوة خصومهم.

وقوله: نحو حديث السطل، خبط، فانه روته العامة، رواه أخطب خطباء خوارزم في (مناقبه) عن رجالهم عن أنس، ورواه ابن المغازلي في (مناقبه) وابن مندة الاصفهاني في كتابه، ورواه الكنجي الشافعي في (مناقبه) وقال بعده: «هذا حديث حسن عالٍ، وغالب رواته الفقهاء الثقات»، ورواه ابن سويدة التكريتي في كتاب (الإشراف على مناقب الأشراف)[1]، ولم يعلم رواية الشيعة له، ولا أنّهم استصحوها من رواية العامّة.

قوله: وحديث الرمانة، أيضاً خبط، فانما روته العامة عن أنس، ولم تروه الشيعة[2].

وأما قوله: وحديث غزوة البئر التي كان فيها الشياطين، فروته العامة والخاصة، وانما أنكره ابن أبي الحديد لكونه معتزلياً، وفي الإرشاد للمفيد بعد نقل الخبر، ونقله الخوئي أيضاً: المعتزلة لميلها الى مذاهب البراهمة تدفعه، ولعبدها عن معرفة الأخبار، وهي سالكة في ذلك طريق الزنادقة فيما طعنت به في القرآن، وما تضمنه من أخبار الجن، وايمانهم بالله ورسوله، وما قص الله

---

(١) رواه الخوارزمي في مناقبه: ٢١٥، وابن المغازلي في مناقبه: ٩٤ ح١٣٩ والكنجي في كفاية الطالب: ٢٨٩، وابن مندة في كتابه كما يظهر من اسناد ابن المغازلي والصدوق وابن سويدة في الأشراف كما نقل عن الكنجي في الكفاية : ٢٩٥ وروى الحديث من الشيعة الصدوق في أماليه: ١٨٧ ح٤، المجلس ٤٠، من طرق أهل السنة وبعض آخر بلا اسناد.

(٢) هذا الحديث رواه السروي في مناقبه ٢: ٢٣٠ و ٢٣١ عن أنس وابي الحمراء وجاء بطرق عديدة في كتب الشيعة عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام كما في الكافي ١: ٢٦٣ ح١ ـ ٣، وبصائر الدرجات: ٣١٢ و ٣١٣ ح١ ـ ٥ وغيرهما.

من نبئهم في القرآن في سورة الجن، وقولهم ﴿إنّا سمعنا قرآناً عجباً * يهدي الى الرشد فآمنا به﴾[١] ـ الى آخر ما تضمنه الخبر عنهم في هذه السورة. وإذا بطل اعتراض الزنادقة في ذلك بتجويز العقول وجود الجن، وامكان تكليفهم، وثبوت ذلك مع اعجاز القرآن، والاعجوبة الباهرة فيه، كان مثل ذلك ظهور بطلان طعون المعتزلة في الخبر الذي رويناه، لعدم استحالة مضمونه في العقول، وفي مجيئه من طريقين مختلفين، وبرواية فريقين متباينين برهان صحته.

وليس إنكار من عدل عن الانصاف في النظر من المعتزلة والمجبرة قدح فيما ذكرناه من وجوب العمل عليه، كما أنّه ليس في جحد الملاحدة وأصناف الزنادقة، واليهود والنصارى، والمجوس والصابئين لما جاء صحته من الأخبار بمعجزات النبي صلى الله عليه وآله كانشقاق القمر، وحنين الجذع، وتسبيح الحصى في كفه، وشكوى البعير، وكلام الذراع، ومجيء الشجر، وخروج الماء من بين أصابعه في الميضاة، واطعام الخلق الكثير من الطعام القليل، قدح في صحتها وصدق رواتها وثبوت الحجّة بها، بل الشبهة لهم في دفع ذلك وان ضعفت أقوى من شبهة منكري معجزات أمير المؤمنين عليه السلام وبراهينه، لما لا خفاء عليها وعلى أهل الاعتبار به مما لا حاجة بنا الى شرح وجوهه في هذا المكان، ولا أزال أجد الجاهل من الناصبة والمعاندة يظهر التعجب من الخبر بملاقاة أمير المؤمنين عليه السلام الجن، وكفّه شرّهم عن النبيّ صلى الله عليه وآله وأصحابه، ويتضاحك لذلك، وينسب الرواية الى الخرافات الباطلة، ويصنع مثل ذلك في الأخبار الواردة بسوى ذلك من معجزاته عليه السلام، ويقول انها من موضوعات الشيعة، وتخرص ممّن افترى

---

(١) الجن: ١ و ٢.

منهم للتكسب بذلك أو التعصب.

وهذا بعينه مقال الزنادقة كافة وأعداء الاسلام فيما نطق به القرآن من خبر الجن واسلامهم في قوله تعالىٰ: ﴿إنّا سمعنا قرآناً عجباً* يهدي الى الرشد﴾[١] وفيما ثبت الخبر به عن ابن مسعود في قصة ليلة الجن ومشاهدته لهم كالزط[٢]، وفي غير ذلك من معجزات النبيّ صلى الله عليه وآله، وأنهم يظهرون التعجب من جميع ذلك، ويتضاحكون عند سماع الخبر به والاحتجاج بصحته، ويستهزئون ويلغطون فيما يسرفون به من سبّ الاسلام وأهله، واستحماق معتقديه والناصرين له، ونسبتهم إيّاهم الى العجز والجهل ووضع الأباطيل، فلينظر القوم ما جنوه على الاسلام بعداوتهم لأمير المؤمنين عليه السلام، واعتمادهم في دفع فضائله وآياته على ما يضاهئون به أصناف الزنادقة والكفار مما يخرج عن طريق الحجاج الى أبواب الشغب والمسافهات[٣].

وأما قوله: وحديث غسل سلمان الفارسي، وطي الأرض، وحديث الجمجمة، ونحو ذلك، فالغسل والجمجمة لم يرويا في كتاب معتبر ولا في سند معتبر، حتى ان الكشي من علماء الشيعة مع شهرته عندهم برواية المراسيل عَنونَ سلمان الفارسي في كتابه ولم يذكر حديث الغسل[٤]، وأما طي الأرض فقد روته العامة، رواه ابن المغازلي في (مناقبه) والثعلبي في (تفسيره) عن أنس قال: أُهدي للنبي صلى الله عليه وآله بساط فقال لي: يا أنس ابسطه،

---

(١) الجن: ١ و ٢.

(٢) رواه الجاحظ في كتاب الفتيا عنه الفصول المختارة ٢: ١٦٤.

(٣) الإرشاد: ١٨٠ وشرح الخوئي ٦: ٣١٨، والنقل بتلخيص.

(٤) حديث غسل سلمان رواه الراوندي في الخرائج عنه البحار ٢٢: ٣٦٨ ح٧، والسروي في مناقبه ٢: ٣٠١ و شاذان بن جبرئيل في الفضائل: ٨٦، وحديث الجمجمة رواه السروي في مناقبه ٢: ٣٣٦، وصاحب عيون المعجزات كما في البحار ٤١: ٢١٥ وشاذان في الفضائل: ٧٠ و ٧٢.

فبسطته، ثم قال ادع العشرة فدعوتهم، فلما دخلوا عليه أمرهم بالجلوس على البساط، ثم دعا علياً، فناجاه طويلاً، ثم رجع، ثم قال: يا ريح احملينا، فاذا البساط يدفّ دفاً، ثم قال: ياريح ضعينا، ثم قال أتدرون في أي مكان أنتم؟ قلنا: لا. قال: هذا موضع الكهف والرقيم، قوموا فسلّموا على اخوانكم. قال أنس: فقمنا رجلاً رجلاً، فسلّمنا، فلم يردوا علينا. فقام علي عليه السلام، فقال: السلام عليكم يا معشر الصديقين والشهداء. فقالوا: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته. فقلت: ما بالهم ردوا عليك ولم يردوا علينا؟ فقال لهم: ما بالكم لا تردّون علىٰ اخواني؟ فقالوا: انّا معشر الصدّيقين والشهداء لا نكلّم بعد الموت إلّا نبياً أو وصيّاً ـ الخبر[1]. ولا نلتزم بصحته.

ويكفينا تواتر صدور المعجزات عنه عليه السلام كما عن النبي صلى الله عليه وآله، ومنها في اخباره عليه السلام بالغيوب التي رواها المخالف، ولا ننكر وضع جمع من الغلاة أحاديث له عليه السلام.

قال شيخنا محمد بن علي بن بابويه في (فقيهه): أن روايات كون الشهادة بالولاية جزء الاذان من وضع الغلاة[2].

وقال ابن شهر آشوب في (مناقبه): روت الغلاة انّه عليه السلام صعد الى السماء على فرس وينظر اليه أصحابه، وروت الغلاة في حصن ذات السلاسل انه عليه السلام مر في الهواء والترس تحت قدميه، ونزل على الحائط، وضرب السلاسل ضربة واحدة فقطعها وسقطت الغزائر وفتح الحصن[3]. ووضع الغلاة فيه ليس نقصاً فيه ولا في شيعته، كوضع الغلاة في عزير انّه ابن الله،

---

(١) أخرجه ابن المغازلي في مناقبه : ٢٣٢ ح ٢٨٠ والثعلبي في تفسيره عنه الطرائف ١: ٨٣ وأبو اسحاق القزويني في تفسيره عنه سعد السعود: ١١٢ والسروي بطرق في مناقبه ٢: ٣٣٧.

(٢) الفقيه ١: ١٨٨.

(٣) مناقب السروي ٢: ٢٩٩.

وفي المسيح انّه ابن الله.

ونحن نقلب عليه قوله: «ان أصل الأكاذيب كان من جهة الشيعة» ان الأصل فيها معاندوهم العامة تهجيناً لهم، فقد قال الباقر عليه السلام -فيما روي عنه- ان أعداءنا رووا عنّا ما لم نقله وما لم نفعله ليبغضونا الى الناس[1].

وفي (عيون ابن بابويه): ان إبراهيم بن أبي محمود قال للرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله ان عندنا أخباراً في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام وفضلكم أهل البيت، وهي من رواية مخالفيكم، ولا نعرف مثلها عندكم، أفندين بها؟ فقال: ان مخالفينا وضعوا أخباراً في فضائلنا، وجعلوها على ثلاثة أقسام: أحدها الغلو، وثانيها التقصير في أمرنا، وثالثها التصريح بمثالب أعدائنا، فإذا سمع الناس الغلو فينا كفّروا شيعتنا، ونسبوهم الى القول بربوبيتنا، وإذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينا، وإذا سمعوا مثالب أعدائنا بأسمائهم ثلبوا بأسمائنا[2].

وأما قوله: فلما رأت البكرية ما صنعت الشيعة وضعت لصاحبها أحاديث في مقابل هذه الأحاديث نحو «لو كنت متخذاً خليلاً» فانهم وضعوه في مقابلة حديث الاخاء، فالظاهر انّه لم يدرِ ما يقول. فهل حديث اخائه عليه السلام مما صنعته الشيعة، أو من الأخبار المتواترة التي صنفت فيه الكتب، وقد أخرجه أحمد ابن حنبل أحد أئمتهم الأربعة، والترمذي صاحب أحد صحاحهم الستة[3].

وقوله: ونحو سدّ الأبواب، فإنّه كان لعليّ عليه السلام، فقلبته البكرية الى أبي بكر، عجيب، فإنّه يثبت قول معاوية بوضع الفضائل للشيخين في مقابل كلّ

---

(١) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ١١: ٤٣.

(٢) عيون الأخبار ١: ٢٣١.

(٣) أخرجه أحمد في الفضائل كما في كفاية الطالب: ١٩٤، والترمذي في سننه ٥: ٦٣٦ ح ٣٧٢.

فضيلة له عليه السلام، لا قوله «لما رأت البكرية ما صنعت الشيعة»، وكان عليه أن يقول: فلما رأت البكرية ما صنع الله تعالى له أرادوا إطفاء نوره.

ثم ان الشيعة قالت سدّت الأبواب إلّا باب علي عليه السلام لكونه كنفس النبي صلى الله عليه وآله، وأما هم فلم خصوه بأبي بكر، فان كان هو الصدّيق فهو الفاروق، وكان أبو بكر في خلافته محتاجاً الى عمر، فطلب من اسامة أن يخلفه عنده وان كان النبي صلى الله عليه وآله عيّنه مثله في جيشه ولعن المتخلّف، ولم يكن عمر محتاجاً اليه، فاستقل بالأمور، فلم يستدع عمر كوة فلم يجب اليها، وفي بعض أسانيده التي رواها ابن سعد الناصبي: ان الناس لما قالوا: أغلق أبوابنا وترك باب خليله، قال النبي: اني أرى على باب أبي بكر نوراً، وأرى على أبوابكم ظلمة[1]. فلابد أن فاروقهم ممّن قال تعالىٰ: ﴿والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات أُولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾[2] فكيف صار فاروقاً وصار خليفة.

وقد يضعون في مقابل الشيعة ان يضموا الى فضائل أمير المؤمنين عليه السلام وشيعته فضائل مجاعل لأئمتهم، نظير ما في (الاستيعاب): عن أبي سعيد الخدري قال: قال النبي: ارحم أُمتي فيها أبو بكر، وأقواهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان، وأقضاهم علي بن أبي طالب، وأفرضهم زيد، وأقرؤهم لكتاب الله أُبي بن كعب، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح، وأبو هريرة وعاء للعلم، وعند سلمان علم لا يدرك، وما أظلت الخضراء ولا أقلّت الغبراء

---

(١) طبقات ابن سعد ٢: ق ٢ ٢٥.

(٢) البقرة: ٢٥٧.

من ذي لهجة أصدق من أبي ذر[١].

فهل كان من رحم أبي بكر أن يسلط خالد بن الوليد الذي كان صنعه صنع الجاهلية، كما ثبت من أيام النبي ﷺ على المسلمين، حتى يقتلهم بغير حق ويزني مع نسائهم ولا يؤاخذه، فقتل خالد غير مالك بن نويرة عبد العزىٰ بن أبي رهم النمري ولبيد بن جرير، مع أنّه كان معهما كتاب من أبي بكر باسلامهما. وفي (تاريخ الطبري): كان عمر يعتمد على خالد ـ أي: في جناياته وخياناته ـ بقتل عبد العزى ولبيد مضافاً الى قتل مالك بن نويرة، فيقول أبو بكر ـ أي: في الاعتذار لخالد ـ كذلك يلقىٰ من ساكن أهل الحرب في ديارهم[٢].

وهل كان من قوة عمر في الدين أن يمنع النبي ﷺ عن الوصية، وينسبه في استدعائه لما يكتب به وصية الى الهجر والهذيان، وان يحرق أهل بيت نبيه حتى فاطمة بضعته، لو لم يخرجوا للبيعة مع صاحبه.

وهل كان من حياء عثمان ان أهل مصر لما فزعوا اليه من ابن أبي سرح المنافق الذي أباح النبي ﷺ دمه، وكان قد ولّاه عليهم، أن يبدله بمحمد بن أبي بكر، أجابهم في الظاهر، وكتب اليه في السر أن يبقى على عمله، وان يقتل أولئك الجماعة، ويسمل أعينهم، ويقطع أيديهم وأرجلهم.

وإذا كان زيد أفرضهم فلِمَ مات أبو بكر وفي نفسه من ميراث الجد شيء، وقضى عمر في الجد مائة قضية مختلفة، ألم يرجعا اليه في ذلك حتى يخرجهما من الحيرة.

واذا كان أبي بن كعب أقرأهم لم حرق عثمان مصحفه.

وإذا كان معاذ أعلم بالحلال والحرام فلم حرّم عمر ما حلله الله،

(١) الاستيعاب ١: ٨.

(٢) تاريخ الطبري ٢: ٥٨١ سنة ١٢.

وأحلّ ما حرمه الله.

وأما أبو عبيدة فصدق في كونه أميناً، إلا انّه لعمر الله كان أمين شيخي الأُمة لا أمين الأمة.

وأما أبو هريرة فان كان وعاءً للعلم فلِمَ ضربه عمر بالدرة، ونسبه الى الوضع، ونسبته عائشة الى الكذب.

وهذا الضم أحد أنحاء تلبيساتهم في ترويج زيف نفودهم، والأصل فيه عمر في شوراه في حديثه ان النبيّ ﷺ مات وهو راضٍ عن هؤلاء الستة، وابن عمه سعيد بن زيد في حديثه العشرة المبشرة، كما ان أحد أنحائها وضعهم أحاديث غلو فيهم عليهم السلام حتى يجعلوا ذلك دليل بطلانهم كما عرفت.

ومما وضعوا في مقابل خبر رواه بعض الشيعة ـ ورواه أعثم الكوفي منهم ـ انّه ﷺ فوّض اليه عليه السلام طلاق نسائه لو خالفنه فطلّق عائشة[1] «ان النبي قال ان عائشة زوجتي في الدنيا والآخرة»[2].

ومما وضعوا في مقابل خبر ابتياع النبي ﷺ ناقة من اعرابي، ثم أنكر بعد، وعدم عرفان شيخيهما الحكم فيه[3] ما في (طبقات ابن سعد): ان النبي ﷺ ابتاع بعيراً من رجل الى أجل، فقال الرجل: ان جئت فلم أجدك؟ قال: فأتِ أبا بكر. قال: فان جئت فلم أجد أبا بكر؟ قال: فأتِ عمر. قال: فإن جئت فلم

---

(١) رواه أعثم الكوفي في الفتوح، ومن الشيعة الصفار في البصائر: ٣١٤ ح٩، والصدوق في كمال الدين ٢: ٤٥٩ والسروي في مناقبه ٢: ١٣٣ و ١٣٤.

(٢) أخرجه أبو نعيم في فضائل الصحابة عنه منتخب كنز العمال ٥: ١١٧، عن ابن عباس عن النبيّ ﷺ والحاكم في المستدرك ٤: ١٠ عن عائشة عن النبيّ ﷺ وروي أيضاً عن ضمرة بن حبيب و عيسى بن طلحة ومسلم البطين وأبي محمد مولى الغفاريين مرفوعاً وعن علي عليه السلام وعمّار موقوفاً.

(٣) رواه السروي في مناقبه ٢: ٣٥٧.

أجد عمر؟ قال: ان استطعت أن تموت إذا مات عمر فمت[١]. فما رووه يدل على طمس نور ذي نوريهم، وان من أدرك زمانه يجب أن يموت.

ومن العجيب أن صاحب (الاستيعاب) بدّل قول عثمان ـ لما قال ابن عوف لأهل الشورى: أيّكم يُخرج منها نفسه، ويتقلدها على أن يوليها أفضلكم، ولم يجبه أحد، فقال: انا انخلع منها ـ أنا أوّل من رضي، فإني سمعت النبي يقول «أنت أمين في الأرض، وأمين في السماء» كما جاء في (تاريخ الطبري)، فنسبه الى علي عليه السلام، فقال في كتابه: ان عبد الرحمن بن عوف قال لأصحاب الشورى: هل لي أن اختار لكم وانتفي منها. قال علي عليه السلام: أنا أوّل من رضي، فانّي سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: «أنت أمين في أهل السماء وأمين في أهل الأرض»[٢]. فهذه شدة صلابة الوجه في الوضع، فان محاجاته عليه السلام يوم الشورى مع ابن عوف وغيره ملأت ما بين السماء والأرض.

وفي تاريخ الطبري ان عثمان لما قال لابن عوف ما مر وقال القوم: رضينا وعلي ساكت، قال له ابن عوف: ما تقول أنت؟ قال: اعطني موثقاً لتؤثرن الحق، ولا تتبع الهوىٰ، ولا تخص ذا رحم، ولا تألو الامة ـ الى أن قال بعد بيعة ابن عوف لعثمان ـ قال علي لابن عوف: حبوته حبو دهر، ليس هذا أوّل يوم تظاهرتم فيه علينا، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون. والله ما وليت عثمان إلا ليرد الأمر اليك، والله كلّ يوم هو في شأن. فقال ابن عوف: يا علي لا تجعل على نفسك سبيلا ـ مهدداً له بضرب عنقه ان خالف كما أمر عمر[٣] ـ فهل قلّة حياء أكثر من هذا.

---

(١) طبقات ابن سعد ٢: ق٢ ٢٥٠.

(٢) الاستيعاب ٢: ٣٩٥ وتاريخ الطبري ٣: ٢٩٥ لسنة ٢٣.

(٣) تاريخ الطبري ٣: ٢٩٥ و ٢٩٧، سنة ٢٣.

ومن المضحك ان الإمامية لما رووا عن أسيد بن صفوان الصحابي حضور الخضر عليه‌السلام في وفاة أمير المؤمنين، وثنائه عليه بما في خبره، وقد رواه محمد بن يعقوب الكليني في باب مولده[1]، بدله صاحب (الاستيعاب) بثنائه على أبي بكر عن أسيد ذاك، فقال روى أسيد عن علي حديثاً حسناً في ثنائه على أبي بكر[2]، ولا يكاد تعجّبي ينقضي منه، فانه نهب الخبر في سنده ومتنه، سنده من الثلاثة الأخيرة، ومتنه بتمامه، إلّا انّه بدل «رجلاً غاب» المراد به الخضر عليه‌السلام.

ومن المضحك ما وضعوه على لسان الهواتف، ففي (طبقات ابن سعد): ان النبي وأبا بكر لما نزلا في هجرتهما خيمة أم معبد أصبح بمكة صوتٌ عالٍ بين السماء والأرض يسمعونه ولا يرون من يقول، وهو يقول:

جزى الله رب الناس خير جزائه ... رفيقين حلا خيمتي أُم معبد[3]

فلم يقنعوا بكونه صاحبه، بل جعلوه معادله كرفيقين من باقي الطبقات يسافران معاً.

ومن المضحك ما رواه ابن سعد أيضاً: ان النبي خرج ومعه أبو بكر، فعرض له سراقة بن جعشم، فساخت فرسه، فقال: يا هذان ادعوا لي الله ولكما الا أعود، فدعوا الله، فعاد، فساخت، فقال ادعوا الله لي ولكما ألا أعود، وعرض عليهما الزاد والحملان، فقال: اكفنا نفسك. فقال: قد كفيتكماها[4].

فجعلوه شريكاً للنبي صلى‌الله‌عليه‌وآله في المعجزة، فلم لا يقولون نشهد أن محمداً وأبا بكر رسول الله، فيبخسوه حقه، الا انّهم ليضعوا ما شاؤوا، ويجعلوه فوق

---

(١) الكافي ١: ٤٥٤ ح ٤.

(٢) الاستيعاب ١: ٦٩.

(٣) طبقات ابن سعد ٨: ٢١١.

(٤) طبقات ابن سعد ١: ق١ ١٥٧.

النبيّ صلى الله عليه وآله، فقالوا ان النبي ركب خلف أبي بكر، والناس في الطريق يعرفون أبا بكر لكونه شيخاً ولا يعرفون النبي لكونه شاباً، ويقولون له من هذا الغلام؟ فمع قطع النظر عن مقام النبوة جعلوا ابن ابي قحافة أعرف من ابن عبد المطلب، وكيف يعقل ألا يعرف من كان مضى من ادعائه النبوة ثلاث عشرة سنة، وكيف لم يستحيوا في كذبهم وهو صلى الله عليه وآله وقت هجرته كان ابن ثلاث وخمسين سنة، بعث وهو ابن اربعين، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة، ثم هاجر، يجعلونه هم شريك النبيّ صلى الله عليه وآله وفوقه، وان الله تعالى أخرجه من الايمان في صحابته الغار، فخص النبي بإنزال السكينة في آية الغار، مع انّه قال في نبيه وفي المؤمنين ﴿فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾[1] وفي المؤمنين: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم﴾[2] ﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين﴾[3] فقال في آية الغار: ﴿فأنزل الله سكينته عليه وأيّده بجنود لم تروها﴾[4].

بل أخرجه منه أيضاً في قصة حنين، فإن الرجل لما رأى كثرة جنود النبي صلى الله عليه وآله في حنين أعجبته كثرتهم فقال: لن نغلب اليوم من قلة، ثم انهزم فيمن انهزم، وفر فيمن فر، وانما ثبت أمير المؤمنين عليه السلام مع جمع، فأنزل تعالىٰ: ﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين* ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى

---

(١) الفتح : ٢٦.

(٢) الفتح : ١٨.

(٣) الفتح : ٤.

(٤) التوبة : ٤٠.

المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها﴾[١].

وأما قوله: ونحو «إئتوني بدواة وبياض اكتب فيه لأبي بكر كتاباً لا يختلف عليه اثنان، ثم قال يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر» فانهم وضعوه في مقابلة الحديث المروي عنه في مرضه «إئتوني بدواة وبياض اكتب لكم ما لا تضلون بعده، فاختلفوا عنده، وقال قوم لقد غلبه الوجع، حسبنا كتاب الله»، فكسابقه في الخلو عن الربط، فانّه ليس منقبة مجعولة لأبي بكر في مقابلة منقبة مجعولة له عليه السلام كما هو مدعاه، بل هي منقبة مجعولة لأبي بكر في مقابلة مثلبة محققة لعمر قد أطبق كتب صحاحهم وسيرهم وتواريخهم على نقلها، وكان ابن عباس يبكي بكاء الثكلى إذا ذكرها، وتجري دموعه على وجهه، ويقول الرزية كلّ الرزية ان حيل بين نبينا والوصية.

ومثله في الخلو عن الربط قوله: ونحو حديث «انا راضٍ عنك يا أبا بكر، فهل أنت عني راضٍ» جعلوا الله مشفقاً من أبي بكر ألا يرضى عنه، فيحصل الخلل في ألوهيته، ولا أقل إلا يعبده اتباعه.

وأما قوله: فلما رأت الشيعة ما قد وضعت البكرية أوسعوا في وضع الأحاديث، فكسابقه في الخلو عن المعنى، فلم يدرِ ما يقول، فالشيعة يخلون رواياتهم ويكفيهم كتاب فضائل أحمد بن حنبل أحد أئمتهم الأربعة، وتفسير الثعلبي امامهم في التفسير، ويكفيهم في وضع خصومهم كلام أئمة تاريخهم وسيرهم المدائني، والاسكافي، وغيرهما.

وأما قوله: فوضعوا حديث الطوق الحديد الذي زعموا انّه فتله في عنق خالد، وحديث اللوح الذي زعموا انّه كان في غدائر الحنفية أم محمد، فنسبتهما الى الشيعة غلط، فليسا في كتاب معروف ولا قال بهما معروف، فهل رأى

---

(١) روى هذا السبب في نزول الآية الواقدي في مغازيه ٣: ٨٩٠، والآيتان ٢٥ و ٢٦ من سورة التوبة.

شيئاً منهما في كتب المفيد أو المرتضى أو غيرهما من المعروفين.

وأما قوله: وحديث « لا يفعلن خالد ما أمر به» ، فقد روت ذلك العامة، ففي (مسترشد ابن رستم الطبري) روى صناديدهم سفيان بن عيينة، والحسن بن صالح بن حي، ووكيع بن الجراح، وعباد بن يعقوب الأسدي عن عمرو بن أبي المقدام عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: ان أبا بكر قال لخالد ابن الوليد: إذا انصرفت من الفجر فاضرب عنق علي، فصلّى، ثم ندم، فجلس في صلاته حتى كادت الشمس أن تطلع، ثم قال في صلاته: يا خالد لا تفعل ما أمرتك به - ثلاثاً - فالتفت علي، فإذا خالد مشتمل على السيف في جانبه، فقال: يا خالد اذن كنت فاعلاً. فقال: أي والله لولا انّه نهاني. فقال له: كذبت أنت أضيق حلقة است من ذلك، أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا ما سبق به القضاء لعلمت أي الفريقين شر مكاناً وأضعف جنداً. فقيل لسفيان وابن حي: ما تقولان في ما كان من الأول في ذلك؟ فقالا: كانت سبة لم تتم. ثم جعل سفيان هذا الفعل أصلاً وقال في الرجل: إذا أحدث قبل أن يسلم إذا فرغ من التشهد ان صلاته تامة. قال: فكره علي عليه السلام أن يقدم عليه حتى استثبت وأوجب الحجّة عليه، فقال: أبعد قول رسول الله «من كنت مولاه فعليّ مولاه»، وبعد قوله «أنت مني بمنزلة هارون من موسى»، وبعد كذا وكذا - وعدد خصالاً هذه سبيلها - قال: نعم، فقبض على صدره بيده، فجعل يرغو رغاء البعير، ونبغ بوله في المسجد، واجتمع الناس عليهما يمدونهما لتخليصه من يده، فراموا مراماً صعباً، فناداهم الأول لو تمالأ عليه أهل الأرض ما استنقذوه منه، ولكن ناشدوه بحق صاحب القبر، فلما ناشدوه خلّى عنه، وقال: لو عزمت على ما هممت به لشققتك شقّ الثوب - ورواه عن الحسن العرني بطريق آخر.

وفيه: روى العرني عن إسماعيل بن ابراهيم عن عمرو بن نصر قال:

سمعت خالد القسري يثلب علياً عليه السلام ويقول: والله لو كان في أبي تراب خير ما أمر أبو بكر الصديق بقتله. وروى مثله الفضل بن شاذان في (ايضاحه)[١].

ونقل نفسه في موضع آخر عن أستاده النقيب ـ وقال لم يكن إمامياً ـ قال: روي ان رجلاً جاء الى زفر بن الهذيل صاحب أبي حنيفة، فسأله عمّا يقول أبو حنيفة في جواز الخروج من الصلاة بأمر غير التسليم، نحو الكلام والفعل الكثير. فقال: انه جائز قال أبو بكر في تشهده ما قال. فقال الرجل: وما قال؟ قال: لا عليك، فأعاد عليه ثانية وثالثة، فقال: أخرجوه أخرجوه كنت أحدّث انّه من أصحاب أبي الخطاب[٢].

وما ينكر ابن أبي الحديد من أن يأمر أبو بكر بقتله عليه السلام خالداً، ثم يندم ويقول لا يفعلن خالد ما أمرته، وقد كتب معاوية الى محمد بن أبي بكر: ان الله لما اختار لنبيّه ما عنده كان أبوك وفاروقه أوّل من ابتزه حقّه وخالفه، وعلى ذلك اتفقا واتسقا، فهمّا به الهموم، وأرادا به العظيم ـ الخ[٣]. فما معنى «هما به الهموم، وأرادا به العظيم» غير ارادة قتله.

وأما قوله: وحديث الصحيفة التي علقت عام الفتح بالكعبة، فانما روت الشيعة انّها كتبت في الكعبة لا علّقت عليها، وكان ذلك من أسرارهم، فكيف كانوا يعلقونها، وكيف يمكنهم تعليقها، وكان في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلطانه، وما ينكر من كتابتها، ألم يأمر النبي بخروجهم في جيش اسامة، ولعن المتخلّف، وكرّر ذلك كلّما أفاق من مرضه، ولم يمتثلوا أمره، وكيف منعوه من الوصية حتى أخرجهم من عنده، وكيف تقدّموا للصلاة بالناس حتى اضطر

(١) المسترشد: ، والايضاح: ٨٠.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٣٠١.

(٣) رواه ابن مزاحم في وقعة صفين: ١٢٠، والمسعودي في المروج ٣: ١٢، والبلاذري في أنساب الأشراف ٢: ٣٩٦.

في شدّة مرضه أن يخرج جاراً رجليه معتمداً على نفرين حتى يؤخرهم، وكان اعتقاده انّهم خرجوا في الجيش.

وما ينكر من ذلك وقد قال عمر ـ كما في (تاريخ الطبري) ـ لابن عباس: أتدري ما منع قومكم منكم بعد محمّد؟ كرهوا أن يجمعوا الكم النبوة والخلافة، فتبجحوا على قومكم بجحاً بجحاً، فاختارت قريش لأنفسها، فأصابت ووفقت، فقال: لو أن قريشاً اختارت لأنفسها حيث اختار الله عزوجل لها لكان الصواب: بيدها، وأما قولك «انّهم كرهوا أن تكون لنا النبوّة والخلافة» فان الله تعالى وصف قوماً بالكراهية فقال ﴿ذلك بأنّهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم﴾[1]. فقال له عمر: بلغني انك تقول انما صرفوها عنّا حسداً وظلماً. فقال له ابن عباس: اما قولك «ظلماً» فقد تبيّن للجاهل والحليم، واما قولك «حسداً» فإن إبليس حسد آدم، فنحن ولده المحسودون. فقال له عمر: هيهات أبت والله قلوبكم يا بني هاشم إلا حسداً ما يحول وغشاً ما يزول. فقال له ابن عباس: مهلاً لا تنسب قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً بالحسد والغش، فان قلب رسول الله صلى الله عليه وآله من قلوب بني هاشم. فقال عمر: اليك عني يا ابن عباس. فقال: افعل ـ الخ[2].

فهل هناك أدلّة أوضح من هذه؟ ألم تكن مكالمات عمر هذه تظهر باطنهم وخافيهم وعداوتهم للنبيّ صلى الله عليه وآله فضلاً عن أهل بيته؟ ألم يكن مغزى قول عمر «مامنع قومكم منكم بعد محمد كرهوا ان يجمعوا لكم النبوة والخلافة» على عدم اعتقاده بالنبي صلى الله عليه وآله؟ ألم يكن مرمى كلامه «أبت قلوبكم يا بني هاشم إلا غشاً ما يزول، وحسداً ما يحول» أن النبي صلى الله عليه وآله كان كذلك كما

---

(١) محمد: ٩.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٢٨٩، سنة ٢٣.

أبداه ابن عباس؟ قال ذلك لأنّه رأى ان النبي تارة يؤمّر مولاه زيداً عليهم، وأُخرى مولاه أُسامة عليهم، ويأمرهم بالخروج من المدينة الى غير ذلك، وكانوا أيضاً قد طعنوا في النبي في حياته في تأمير موليبه عليهم حتى خطب فيهم وقال: طعنتم فيهما وهما أهل للامارة عليكم[١].

وأما قوله: وحديث الشيخ الذي صعد المنبر يوم بويع أبو بكر، فسبق الناس الى بيعته، فانما ورد في بعض كتب الشيعة وليس من أخبارهم المتواترة[٢]، ومع ذلك فأي استبعاد في صحته، ولم لا يفرح ابليس، ويكون الأول في البيعة، ويبكي شوقاً، مع ترتب تلك المفاسد على خلافته من سلطنة بني أُمية، وسلطنة يزيد، وقتل الحسين عليه السلام سيد شباب أهل الجنة وريحانة النبي، واسر بنات النبي، بل وقتل امير المؤمنين والحسن عليهما السلام، وقتل باقيهم واسرهم وحبسهم، ولعب بني أُمية بدين النبي كما اعترف به أبو سفيان أيام عثمان مخاطباً لحمزة لما ضرب قبره برجله.

وقد رووا عن ابن عمر انّه قال: ما أبغضت أحداً كبغضي سلمان يوم السقيفة لما قال: أصبتم وأخطأتم، أصبتم سنة الأُولين، وأخطأتم أهل بيت نبيكم، أما والله لو وضعتموها حيث وضعها الله لأُكلتم من فوق رؤوسكم، ومن تحت أرجلكم رغداً، أما والله حيث عدلتم بها عن آل بيت نبيكم ليطمعن فيه الطلقاء وأبناء الطلقاء، فقلت يريد شقّ عصا المسلمين، ووقوع الخلاف بينهم، ولا أحببت أحداً كحبي لسلمان يوم رأيت مروان بن الحكم على منبر النبي فقلت: رحم الله سلمان لقد طمع فيها الطلقاء وأبناء الطلقاء[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٢: ٣٠٣، ومسلم في صحيحه ٤: ١٨٨٤ ح٦٣ و ٦٤، والترمذي في سننه ٥: ٦٧٦ ح٣٨١٦.

(٢) هذا الحديث رواه الكليني في الكافي ٨: ٣٤٣ ح٥٤١ وسليم بن قيس في كتابه: ٨٠.

(٣) رواه الطوسي في تلخيص الشافي ٣: ٩٢.

وأما قوله: وأحاديث مكذوبة كثيرة تقتضي نفاق قوم من أكابر الصحابة والتابعين الأولين وكفرهم وعلى أدون الطبقات فسقهم، فإن أراد بأكابر الصحابة الأشراف ومن كان من قريش، ومن نال السلطنة والكبر الدنيوي، فأي استبعاد في فسقه ونفاقه، فالمترفون والكبراء الدنيوية في كلّ عصر كانوا أعداء الدين ومخالفي رسل الله تعالى، وان أراد من قطع على كبره وجلاله في الدين كحمزة، وجعفر الطيار، وسلمان، وأبي ذر، والمقداد، وعمار، وحذيفة، ونظرائهم، فمعاذ الله أن يطعن فيهم الشيعة.

وقد تواتر من طريقهم في أحاديث الذود عن الحوض أحداث جمع من صحابته بعده وارتدادهم في الدين[١].

وقال أبو المقدام للباقر عليه السلام: ان الناس يزعمون ان بيعة أبي بكر حيث اجتمع الناس عليها كانت رضىً لله، وما كان ليفتن أُمة محمّد صلى الله عليه وآله بعده. فقال له: أو ما يقرأون كتاب الله، أوليس الله يقول ﴿وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين﴾[٢] فقال له: انهم يفسرونه على وجه آخر. فقال عليه السلام: أوليس تعالى أخبر عن الذين من قبلهم انهم قد اختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات حيث يقول ﴿تلك الرسل ـ الى أن قال ـ ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد﴾[٣]، وفي هذا ما يستدل به على ان اصحاب محمّد قد اختلفوا من بعده،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٢: ٢٣٣ و ٢٥٦ و ٣: ١٢٧ و ١٦٠ و ٤: ١٣٣، ومسلم في صحيحه ٤: ٢١٩٤ ح٥٨ و جمع آخر.

(٢) آل عمران: ١٤٤ .

(٣) البقرة: ٢٥٣ .

فمنهم من آمن، ومنهم من كفر[١].

ولا ريب أن الصحابة الذين وقعوا في هول من نسبة الشيعة إليهم ما نسبوا، اختلفوا بعد النبي معه عليه السلام في أمر الخلافة بالضرورة، فإما أن يكون هو كفر وهم آمنوا، أو بالعكس والتعيين معه.

وقال البراء بن عازب ـ وقد رواه نفسه في موضع آخر ـ لم أزل لبني هاشم محباً، فلما قبض النبيّ صلى الله عليه وآله خفت أن تتمالأ قريش على اخراج هذا الأمر من بني هاشم، فأخذني ما يأخذ الواله العجول مع ما بي من الحزن لوفاة النبي، فجعلت أتردد وأرمق وجوه الناس، وقد خلا الهاشميون بالنبي لغسله وتحنيطه، وقد بلغني الذي كان من قول سعد بن عبادة ومن اتبعه من اصحابه، فلم أحفل بهم وعلمت انّهم لا يؤلون الى شيء، فجعلت أتردد بينهم وبين المسجد وأتفقد وجوه قريش، فاني لكذلك إذ فقدت أبا بكر وعمر، ثم لم ألبث حتى إذا أنا بأبي بكر وعمر وأبي عبيدة قد أقبلوا في أهل السقيفة، وهم محتجزون بالازر الصنعانية لا يمر بهم أحد إلا خبطوه، فإذا عرفوه مدوا يده على يد أبي بكر شاء أم أبى، فأنكرت عند ذلك عقلي جزعاً منه، فخرجت مسرعاً حتى أتيت المسجد، ثم أتيت بني هاشم والباب مغلق عليهم، فضربت الباب ضرباً عنيفاً وقلت: يا أهل البيت. فخرج إلى الفضل بن العباس. فقلت: قد بايع الناس أبا بكر. فقال العباس: قد تربت أيديكم منها الى آخر الدهر، أما اني قد حذرتكم. فمكثت أكابد ما في نفسي، فلما كان الليل خرجت الى المسجد، فلما صرت فيه تذكرت اني كنت اسمع همهمة رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرآن، فانبعثت من مكاني فخرجت نحو الفضاء، فوجدت نفراً يتناجون، فلما دنوت منهم سكتوا، فانصرفت عنهم فعرفوني وما عرفتهم، فدعوني فأتيتهم واذا

---

(١) أخرجه الكليني في الكافي ٨: ٢٧٠ ح٣٩٨.

المقداد وأبو ذر وسلمان وعمار وعبادة ابن الصامت وحذيفة والزبير، وحذيفة يقول «والله ليفعلن ما أخبرتكم به فوالله ما كذبت ولا كذبت»، واذا القوم يريدون أن يعقدوا شورى بين المهاجرين والأنصار، فقال حذيفة: انطلقوا بنا الى أُبي بن كعب فقد علم مثل ما علمت، فانطلقنا إليه وضربنا عليه بابه، فأتى حتى صار خلف الباب، ثم قال: من أنتم؟ فكلّمه المقداد، فقال: ما جاء بك؟ قال: افتح فان الأمر الذي جئنا فيه أعظم من أن يجري من وراء الباب. فقال؛ ما أنا بفاتح بابي وقد علمت ما جئتم له، كأنكم أردتم النظر في هذا العقد. قلنا: نعم. قال: أفيكم حذيفة؟ فقلنا: نعم. فقال: القول ما قال حذيفة، فأما أنا فلا أفتح بابي حتى يجري عليّ ما هو جارٍ عليه، وما يكون بعدها شرّ منها، والى الله تعالى المشتكى.

فرجعوا ثم دخل أُبي بيته وبلغ أبا بكر وعمر الخبر، فأرسلا الى أبي عبيدة والى المغيرة بن شعبة فسألاهما الرأي، فقال المغيرة: أرى أن تنطلقوا الى العباس، فتطمعوه في أن يكون له في هذا الأمر نصيب يكون له ولعقبه من بعده، فتقطعوه بذلك عن ابن أخيه علي بن أبي طالب، فان العباس لو صار معكم هان عليكم أمر علي وحده، فانطلقوا حتى دخلوا على العباس في الليلة الثانية من وفاة النبي ﷺ، فتكلّم أبو بكر فقال: ان الله ابتعث محمّداً نبياً حتى اختار له ما عنده، وترك للناس أمرهم ليختاروا لأنفسهم مصلحتهم متفقين لا مختلفين، فاختاروني عليهم والياً وما أخاف وهناً، غير اني لا أنفك من طاعن يبلغني فيقول بخلاف قول العامة، فيتخذكم لَجَأً، فتكونون حصنه المنيع ـ الى أن قال ـ وقد جئناك ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيباً يكون لك ولعقبك إذ كنت عمّ النبي، وان كان المسلمون قد رأوا مكانك من النبي ومكان أهلك، ثم عدلوا بهذا الأمر عنكم، وعلى رسلكم

بني هاشم، فان النبي منّا ومنكم.

فاعترض كلامه عمر فقال: أي والله وأخرى انا لم نأتكم حاجة اليكم ولكن كرهنا أن يكون الطعن فيما اجتمع عليه المسلمون منكم، فيتفاقم الخطب بكم وبهم، فانظروا لأنفسكم وللعامة. فتكلّم العباس فقال: فان كنت بالنبي طلبت هذا الأمر فحقنا أخذت، وان كنت بالمؤمنين طلبت فنحن منهم. الى أن قال: فان كان هذا الأمر يجب لك بالمؤمنين فما وجب إذ كنّا كارهين، وما أبعد قولك «طعنوا عليك» من قولك «مالوا إليك»، وأما ما بذلت لنا فإن يك حقك أعطيتناه، فأمسكه عليك فلسنا محتاجين إليك، وان كان حق المؤمنين، فليس لك ان تحكم في حقهم، وان كان حقنا فإنّا لا نرضى منك ببعضه دون بعض.

وأما قولك ان النبيّ ﷺ منّا ومنكم، فان النبي شجرة نحن أغصانها وأنتم جيرانها، فنحن أولى به منكم، وأما قولك انا نخاف ان يتفاقم الخطب بكم، فهذا الذي فعلتموه أوائل ذلك. والله المستعان[1].

وأما قوله: فقابلتهم البكرية بمطاعن كثيرة في علي وفي ولديه، ونسبوه تارة الى ضعف العقل، وتارة الى ضعف السياسة، وتارة الى حب الدنيا والحرص عليها، فكلام مختل، فلم ينسبه أحد الى ضعف العقل، وأما نسبته عليه السلام الى ضعف السياسة فان ذلك ليس مثلبة كما هو محل كلامه، بل من جلائل صفاته، ومصداق قوله تعالىٰ: ﴿يُجاهدون في سبيل الله ولا يخافون في الله لومة لائم﴾[2]، فأشار عليه المغيرة بإقرار معاوية على الشام، وتولية طلحة البصرة، والزبير الكوفة، حتى يستقر امره كما أشار على أبي بكر وعمر يجعل نصيب للعباس حتى يقويا به على ابطال امره عليه السلام

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢١٩.

(٢) المائدة: ٥٤.

وتضعيف جانبه، وان لم يقبل منهما العباس كما عرفت، فلم يقبل عليه السلام هذا الرأي من المغيرة وقال:«﴿وما كنت متخذ المضلين عضداً﴾».

وأما نسبته عليه السلام الى حب الدنيا والحرص عليها، فهو من فاروقهم لمّا عين ستة الشورىٰ، وذكر مثالب الباقين، جعل هذا مثلبة فيه[1]، فأخذوه عنه، فدفعوه بذلك عن حقّه واختاروا عثمان.

وأما قوله: ولقد كان في فضائل علي الثابتة الصحيحة وفضائل أبي بكر المحققة المعلومة ما يغني عن تكلف العصبية لهما، مما يضحك الثكلىٰ، فان المحقق من فضائل صدّيقهم ما استند إليه فاروقهم لإشادة ذكره، واستحقاقه للخلافة، من كونه صاحب الغار، وكون النبيّ صلى الله عليه وآله أمره في مرضه بالصلاة بالناس، مع انهما بالرذائل أقرب الى الفضائل، فأما مصاحبته الغار فالنبي صلى الله عليه وآله خرج وحده وتبعه الرجل، فظنّه النبيّ صلى الله عليه وآله من تعاقبه لأخذه، فأسرع في المشي حتى دُميت رجله، والصاحب في السفر يكون أنيساً، لا سيما للخائف الهارب، وكان سبباً لازدياد وحشته، لإظهاره الاضطراب والقلق، حتى قال صلى الله عليه وآله له: لا تخف ولا تحزن[2]، وقد عرفت انّه تعالى أخرجه من الايمان حيث خص انزال السكينة في الغار به دونه، وأما صلاته فلم تكن عن أمره، كما هو المستفاد من أخبارهم الصحيحة، وانما تضمن أمره اخبارهم المجعولة، كما لا يخفى على من تدبرها، وقد عزله بحضوره أخيراً، وإلا فأي معنىً في حضوره مع شدّة مرضه، هل أراد تعليمه الصلاة، أو أراد تعليمه إمامة الصلاة ﴿ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب

---

(١) رواه ابن قتيبة في الامامة والسياسة ١: ٢٥.

(٢) هذا مضمون الآية التوبة: ٤٠.

أو ألقى السمع وهو شهيد﴾[١].

فلو كان له فضل آخر من علم مع عدم عرفانه معنى الأب، وحكم ارث الجد، أو جهاد مع كونه من القاعدين في بعض الغزوات، والفارين في الأكثر، فليذكره حتى لا يجهل قدره، ولو كان قد قال لقد كان في مثالبه المحققة من عزله عن أداء سورة براءة، وفراره يوم خيبر كصاحبه، حتى قال النبي ﷺ في أمير المؤمنين عليه السلام معرضاً بهما قولاً يقتضي كونهما ممن لا يحب الله ورسوله، ولا يحبهما الله ورسوله، فضلاً عن فرارهما، وتخلفه عن جيش اسامة مع لعن النبي ﷺ المتخلف، الى غير ذلك ـ كفاية في عدم لياقته لما تصداه عند غير ذي مكابر لكان صواباً، واجتنب جزافاً.

وأما قوله: وفي فضائله عليه السلام ما يغني، فلم أدر ما أراد، هل في استحقاقه الخلافة بعد الثلاثة كما زعموا فغلط، فقد كانت فضائله فضائل تسببت زعم جمع علوه على النبوة، وادعوا له الألوهية، وكيف لا يكون كذلك وقد قال النبي ﷺ له: لولا أن تقول طوائف أمتي فيك ما قالت النصارى في عيسى لقلت فيك مقالاً لا تمر في مكان إلا أخذوا التراب من تحت قدميك[٢]. وكان فيه عليه السلام من الفضائل ما كان في الأنبياء كلّهم، كيف لا ونبينا أفضلهم، وقد جعله تعالى نفسه، وهل كان فيه غير فضيلة حتى تحتاج الشيعة الى الجعل له، وانما سعى فاروقهم لنحت نقص له ـ كما سعى في نحت فضل لصاحبه ـ فسمّى حسن خلقه عليه السلام دعابة، وبهته بخطبته بنت أبي جهل، فافترى شيئاً لو فرض واقعيته كان طعناً للنبي لا فيه.

---

(١) ق: ٣٧.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في علل الحديث ١: ٣١٣ وابن المغازلي في مناقبه ٢٣٧ ح٢٨٥، والخوارزمي في مناقبه ٢٢٠، والكليني في الكافي ٨: ٥٧ ح١٨ والصدوق في أماليه: ٨٦ ح١ المجلس ٢١.

وأما قوله: نسأله تعالى أن يجرينا على ما عودنا من حب الحقّ أين وجد فطريف، فلم نجد بداً من أن نقول كما علّمنا الله تعالى ﴿وإنَّا أوْ إيَّاكُم لعلى هدىً أو في ضلال مبين﴾[1]، أو كما قيل بالفارسية:

ما ز محبان علي وعمر هيچ نگوئيم زخير و زشر
حشر محبان علي با علي حشر محبان عمر با عمر

هذا، وفي (تاريخ خلفاء السيوطي): قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: لما ولي يزيد ـ أي: ابن عبد الملك ـ قال: سيروا بسيرة عمر بن عبد العزيز، فأتى بأربعين شيخاً، فشهدوا له ما على الخلفاء حساب ولا عذاب. وقال ابن الماجشون أقام يزيد أربعين يوماً يسير بسيرة عمر بن عبد العزيز، ثم عدل عن ذلك[2].

وفي (العقد): ان الوليد بن عبد الملك قال للزهري: يحدّثنا أهل الشام ان الله إذا استرعى عبداً رعيته كتب له الحسنات، ولم يكتب عليه السيئات. فقال الزهري: حدثنا كلّ نبي خليفة أكرم على الله أم خليفة؟ قال: بل خليفة نبي. قال: فان الله تعالى يقول لنبيه داود: ﴿يا داود انّا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب﴾[3] فهذا وعيد لنبي خليفة، فما ظنّك بخليفة غير نبي. فقال ان الناس ليغرونا عن ديننا.

«وجعلوهم حكّاماً على رقاب الناس» هكذا في (المصرية) والصواب: «وجعلوهم على رقاب الناس» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[4].

(١) سبأ: ٢٨.
(٢) تاريخ الخلفاء: ٢٤٦.
(٣) ص ٢٦.
(٤) في شرح ابن أبي الحديد ١١: ٣٨، وشرح ابن ميثم ٤: ٢٠ مثل المصرية.

«وأكلوا بهم الدنيا وانما الناس مع الملوك والدنيا إلا من عصم الله» لما نصب معاوية ابنه يزيد لولاية العهد أقعده في قبّة حمراء، فجعل الناس يسلّمون على معاوية، ثم يميلون الى يزيد، حتى جاء رجل، ففعل ذلك، ثم رجع الى معاوية وقال: اعلم انك لو لم تولّ هذا أمور المسلمين لأضعتها، والأحنف جالس، فقال له: ما بالك لا تقول؟ فقال: أخاف الله إن كذبت، وأخافكم ان صدقت. فقال: جزاك الله عن الطاعة خيراً، وأمر له بألوف، فلما خرج الأحنف لقيه الرجل بالباب، فقال للأحنف: اني لأعلم ان شرّ من خلق الله هذا وابنه، ولكنهم قد استوثقوا من هذه الأموال بالأبواب والأقفال، فلسنا نطمع في استخراجها إلا بما سمعت. فقال له الأحنف: يا هذا امسك، فان ذا الوجهين خليق ألا يكون عند الله وجيهاً.

وفي (الأغاني) في مطيع: ان المنصور كان يريد البيعة للمهدي، وكان ابنه جعفر يعترض عليه في ذلك، فأمر بإحضار الناس فحضروا، وقام الخطباء فتكلموا، وقال الشعراء فأكثروا، وفيهم مطيع بن أياس، فلما فرغ من كلامه في الخطباء وإنشاده في الشعراء قال للمنصور: حدثنا فلان عن فلان قال: المهدي منّا محمّد ابن عبدالله، وأمه من غيرنا، يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً، وهذا العباس بن محمد أخوك يشهد على ذلك. ثم أقبل على العباس فقال له: أنشدك الله هل سمعت هذا؟ فقال: نعم، مخافة من المنصور، فأمر الناس بالبيعة للمهدي، فلما انقضى المجلس قال العباس: أرأيتم هذا الزنديق إذ كذب على الله ورسوله حتى استشهدني على كذبه، فشهدت له خوفاً، وشهد كلّ من حضر بأني كاذب. قال: وبلغ الخبر جعفراً أخا المهدي وكان ماجناً فأخرج ايره، فقال: ان كان محمّداً أخي المهدي فهذا القائم من الآل.

هذا، وفي (تاريخ بغداد) في عبدالله بن محمد المعروف بابن ابي شيبة قال ابن عرفة: وفي سنة (٢٣٤) أشخص المتوكل الفقهاء والمحدثين ـ وكان

فيهم مصعب الزبيري، وإسحاق بن أبي إسرائيل، وإبراهيم بن عبدالله الهروي، وعبد الله وعثمان ابنا محمد بن أبي شيبة ـ فقسمت بينهم الجوائز، وأجريت عليهم الأرزاق، وأمرهم المتوكل أن يجلسوا وأن يحدثوا بالأحاديث في الرؤية ـ أي: رؤية الله.

هذا، ومن كذابيهم الخبيثين «السري عن شعيب عن سيف» يكثر عنهم الطبري في (تاريخه) لا سيما في حرب الجمل، وكذا في حصر عثمان وقتله، وفي قصة أبي ذر، ومن أكاذيبهم الواضحة أن أبا ذر خرج بنفسه الى الربذة، وان عثمان نهاه عن الخروج وقال له: ان هذا تعرّب بعد الهجرة، ومن أكاذيبهم الواضحة ان صاحبة كلاب الحوأب سلمى التي اعتقتها عائشة، قد رجعت الى قومها، لا عائشة، كما ذكره الطبري في ردة هوازن في سنة (١١)[1].

وفي (أدباء الحموي) ـ في إبراهيم الفزاري ـ ان هارون أمر بضرب عنق زنديق أخذه، فقال له: لِمَ تضرب عنقي؟ قال: لأن أريح الناس منك. فقال له: فأين أنت من ألف حديث وضعتها على النبي ما فيها حرف نطق به النبيّ صلى الله عليه وآله.

وفي (رجال الكشي): قال العبيدي: قال بعض أصحابنا ليونس بن عبد الرحمن: ما أشدّك في الحديث، وأكثر انكارك لما يرويه أصحابنا، فما الذي يحملك على رد الأحاديث. فقال: حدّثني هشام بن الحكم انّه سمع أبا عبدالله عليه السلام يقول: لا تقبلوا علينا حديثاً إلا ما وافق القرآن والسنة، أو تجدون معه شاهداً من أحاديثنا المتقدّمة، فان المغيرة بن سعيد لعنه الله دس في كتب أصحاب أبي أحاديث لم يحدّث بها أبي، فاتقوا الله ولا تقبلوا علينا ما خالف قول ربنا تعالىٰ وسنّة نبينا صلى الله عليه وآله، فإنّا إذا حدّثنا قلنا

(١) تاريخ الطبري ٢: ٤٩١ سنة ١١.

قال الله عزوجل، وقلنا قال رسول الله[1].

هذا، وفي (وزراء هلال الصابي): ان رجلاً من اليهود ادّعى ان معه كتاباً من النبي ﷺ، فأمره علي بن محمد بن الفرات بإخراج الكتاب، فلما قرأه قال: هذا مزور، لأن خيبر افتتحت بعد تاريخ كتابك بسبعة وستين يوماً، ولكنّا نحتمل عنك جزيتك إعظاماً لحق من لجأت بالاعتصام به. قال قريب بن قريب: فرجع الى كتب التاريخ، فوجد كما ذكره ابن الفرات.

هذا، وكما كان في المحدثين كذّابون، كذلك في اللغويين، كما قالوا في حق المبرد وأبي عمر الزاهد، وكذلك في (الأُدباء)، فقالوا ان حمّاد الراوية كان يفتعل القصائد على العرب.

وفي (العقد الفريد): يقال ان الشعر المنسوب الى ابن اخت تأبط شراً:

ان بالشعب الى جنب سلع ... لقتيلاً دمه ما يطلّ

لخلف الأحمر، وانما نحله إيّاه، فكان يقول الشعر ويحسن، وينحله الشعراء، وكذلك حمّاد الراوية يحقق الشعر القديم، ويقول ما من شاعر إلا وقد حققت في شعره أبياتاً، فجازت عنه إلا الأعشى أعشى بكر، فاني لم أزد في شعره غير بيت:

وأنكرتني وما كان الذي نكرت ... من الحوادث إلا الشيب والصلعا

وكذلك كان بعضهم يفتري في الكتب، وفي (التنبيه والاشراف للمسعودي): كان الجاحظ يؤلف الكتاب الكثير المعاني، الحسن النظم، فينسبه الى نفسه، فلا يرى الاسماع تصغي اليه، ثم يؤلف ما هو أنقص رتبة، وأقلّ فائدة، ثم ينحله ابن المقفع، أو سهل بن هارون، أو غيرهما ممن طارت

---

(١) اختيار معرفة الرجال: ٢٢٤: ٤٠١.

اسماؤهم في المصنفين، فيقبلون على كتبها ونسخها[1].

وكما كُذِبَ على النبي ﷺ كذب على علي عليه السلام، فروى مسلم أنّه عليه السلام سمع ابن عباس يلين في متعة النساء، فقال له: مهلاً ان النبي نهى عنها يوم خيبر وعن لحوم الحمر الانسية[2]. فانه عليه السلام انما كان يقول: لولا ما سبقني ابن الخطاب في تحريم المتعة ما زنى إلا شقي[3]، وحليتها من ضروريات مذهب أهل بيته.

«فهذا» أي: المنافق المظهر الايمان، المتصنع بالاسلام، غير المتأثم والمتحرج من الكذب متعمداً على النبي. «أحد الأربعة» من الآتين بالحديث.

«ورجل سمع من رسول الله شيئاً لم يحفظه على وجهه فوهم فيه» أي: اشتبه.

هذا، وعن حمقاء ابن الجوزي: سأل المأمون رجلاً عن قاضي بلدهم فقال: لا يفهم، وإذا فهم وهم. قال: ويحك كيف ذلك. قال: جاء رجل وادّعى على آخر بأربعة وعشرين درهماً، فاعترف الرجل بها، فقال له القاضي: اعطه ماله، فقال للقاضي: ان لي حماراً اشتغل عليه بأربعة دراهم كلّ يوم، فجعلت أُخبّئُ كلّ يوم درهمين، حتى جمعت مبلغ الدين في اثنى عشر يوماً، فذهبت الى هذا وبقيغائباً حتى اليوم، فإن رأيت أن تمسكه حتى اجمع له أربعة وعشرين درهماً فأعطيها. فقال: ذلك لك، ثم حبس صاحب الحق حتى اعطاه ماله، فضحك المأمون وعزله.

«ولم يتعمد كذباً فهو في يديه» معتقداً صحته (ويرويه) هكذا في (المصرية) والصواب: (يرويه) كما في (ابن أبي الحديد

---

(١) التنبيه والاشراف: ٦٦.

(٢) صحيح مسلم ٢: ١٠٢٨ ح٣١ و ٣٢.

(٣) أخرجه ابو يعلى في مسنده وأبو داود في ناسخه وابن جرير عنهم منتخب كنز العمال ٦: ٤٠٥.

وابن ميثم والخطية)[١].

«ويعمل به ويقول: أنا سمعته من رسول الله، فلو علم المسلمون انّه وهم فيه لم يقبلوا منه، ولو علم هو انّه كذلك لرفضه» أي: تركه.

روى ابن سعد في (طبقاته) عن بكر المزني قال: سمعت أنساً يحدث قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يلبي بالحجّ والعمرة معاً جميعاً، فحدثت بذلك ابن عمر، فقال: لبى بالحجّ وحده، فلقيت أنساً، فحدثته يقول ابن عمر، فقال أنس: ما يعدوننا إلا كالصبيان، سمعت النبي يقول: لبيك عمرة وحجّاً معاً[٢].

وفي (تاريخ الطبري) عن ابن عمر قال: اعتمر النبي صلى الله عليه وآله ثلاث عُمَر، فبلغ عائشة فقالت: لقد علم انّه اعتمر أربع عُمَر منها عمرته التي قرن معها الحجّة.

وفي خبر آخر عنه: اعتمر النبي صلى الله عليه وآله أربع عُمَر أحداهن في رجب، فقالت عائشة: ما اعتمر في رجب[٣].

وفي (سنن أبي داود) عن سعيد بن جبير: قلت لابن عباس: عجبت لاختلاف أصحاب النبي صلى الله عليه وآله في اهلاله حين أوجب. فقال: اني لأعلم الناس بذلك، انها انما كانت منه صلى الله عليه وآله حجّة واحدة، فمن هناك اختلفوا، خرج حاجّاً، فلما صلّى في مسجده بذي الحليفة ركعتيه أوجب في مجلسه، فأهلّ بالحجّ حين فرغ من ركعتيه، فسمع ذلك منه أقوام، فحفظته عنه، ثم ركب، فلما استقلت به ناقته أهلّ وأدرك ذلك منه أقوام، وذلك ان الناس كانوا يأتون ارسالاً، فسمعوه حين استقلت به ناقته يهل، فقالوا: انما استهل صلى الله عليه وآله حين

---

(١) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١١: ٣٩، وشرح ابن ميثم ٤: ٢٠ مثل المصرية.

(٢) طبقات ابن سعد ٢: ق١ ١٢٥.

(٣) تاريخ الطبري ٢: ٤١٠، سنة ١٠.

استقلت به ناقته، ثم مضى، فلما علا على شرف البيداء أهلّ وأدرك ذلك منه أقوام، فقالوا انما أهلّ حين علا على شرف البيداء، وايم الله لقد أوجب في مصلاه، وأهلّ حين استقلت به ناقته، وأهلّ حين علا على شرف البيداء[١].

وفيه: بعد روايته عن حفص عن همام عن قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي صلى الله عليه وآله «كلّ غلام رهينة بعقيقته تذبح عنه يوم السابع ويحلق رأسه ويدمى» فكان قتادة إذا سئل عن الدم كيف يصنع به، قال: إذا ذبحت العقيقة أخذت منها صوفة، واستقبلت به أوداجها، ثم توضع على يافوخ الصبي، حتى يسيل على رأسه مثل الخيط، ثم يغسل رأسه بعد ويحلق «ويدمىٰ»، وهم من همام، وانما قالوا «يسمىٰ»، فقال همام «يدمىٰ»، قال سلام بن أبي مطيع عن قتادة: «ويسمىٰ»، وقال اياس بن دغفل واشعث عن الحسن: «ويسمّىٰ» ورواه أشعث عن الحسن عن النبي «ويسمىٰ»[٢].

قلت: ومن الغريب أنّه نقل تفسيراً لوهمه.

وروى (الكافي) عن زرارة: كنت عند الباقر عليه السلام وعنده أنصاري، فمرت به جنازة، فقام الأنصاري ولم يقم هو عليه السلام، فقال له: ما أقامك؟ قال: رأيت الحسين يفعل ذلك. فقال: والله ما فعله الحسين، ولا قام لها أحد منّا أهل البيت. فقال الأنصاري: شككتني قد كنت أظن اني رأيت[٣].

هذا، وفي أخبار (حكماء القفطي): قيل من جملة سعادة حنين العبادي صحبته حبيش بن الحسن له. كان حبيش من الناقلين من اليوناني والسرياني الى العربي، وأكثر ما نقله حبيش نسب الى حنين، كثيراً ما يرى

---

(١) سنن ابي داود ٢: ١٥٠ ح ١٧٧٠.

(٢) سنن ابي داود ٣: ١٠٦ ح ٢٨٣٧.

(٣) الكافي ٣: ١٩١ ح ١.

الجهال شيئاً من الكتب القديمة مترجماً بنقل حبيش، فيظن الغر منهم ان الناسخ أخطأ في الاسم، ويغلب علىٰ ظنّه أنه حنين وقد صحف، فيكشطه ويجعله لحنين.

وقال ابن أبي الحديد: قال أصحابنا في الخبر الذي رواه عبد الله بن عمر «ان الميت ليعذب ببكاء أهله» ان ابن عباس لما روى له هذا الخبر قال: ذهل ابن عمر، انما مر النبيّ ﷺ على قبر يهودي، فقال: ان أهله ليبكون عليه وانه ليعذب.

وقالوا أيضاً: ان عائشة أنكرت ذلك وقالت: ذهل ابن عمر كما ذهل في خبر قليب بدر، انما قال النبي انهم ليبكون عليه وانّه ليعذب بجرمه.

قالوا: وموضع غلطه في خبر القليب انّه روى ان النبي ﷺ وقف على قليب بدر، فقال «هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقّاً». ثم قال: انهم يسمعون، فأنكرت عائشة ذلك وقالت: انما قال انهم يعلمون ان الذي كنت أقول لهم هو الحق، واستشهدت بقوله تعالىٰ ﴿انك لا تسمع الموتىٰ﴾[1].

قلت: ما ذكرته عائشة من غلط ابن عمر في خبر القليب غلط، فهو خبر صحيح روته الخاصة أيضاً، واستشهادها بقوله تعالىٰ: ﴿انك لا تسمع الموتى﴾ كتفسيرها أيضاً غلط، لأن المراد بالآية انّك لا تسمع أحياءاً قلوبهم ميتة، فهو نظير قوله تعالى الآخر له ﷺ : ﴿انك لا تهدي من أحببت﴾[2] وقوله تعالىٰ: ﴿وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع إلا من يؤمن بآياتنا﴾[3] ولو كان المراد الأموات لما كان للكلام معنى، لأنّه لا وجه

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١١ : ٤٧ . والآية ٨٠ من سورة النمل.

(٢) القصص: ٥٦ .

(٣) النمل: ٨١ .

لتخصيصه بذلك، فكلّ الناس لا يسمعون الموتى. نعم تخطئتها له في خبر تعذيب الميت ببكاء أهله صحيحة، إلا أن الأصل في وهمه أبوه عمر، فرووا أن عمر سمع صوت نائحة، فضربها حتى سقط خمارها، وقال: انها تؤذي أمواتكم في قبورهم وأحياءكم في دورهم[١].

وروى (العيون) انه قيل للرضا عليه السلام: ان الناس يروون ان النبيّ صلى الله عليه وآله قال: ان الله خلق آدم على صورته. فقال: قاتلهم الله، لقد حذفوا أوّل الحديث. ان النبي مر برجلين يتسابان، فقال أحدهما لصاحبه: قبّح الله وجهك ووجه من يشبهك، فقال النبي له: لا تقلّ هذا للرجل، فان الله تعالى خلق آدم على صورته[٢].

«ورجل ثالث سمع من رسول الله شيئاً يأمر به ثم انّه» هكذا في (المصرية) أخذاً من (ابن أبي الحديد) وليس (انّه) في (ابن ميثم)[٣].

«نهى عنه وهو لا يعلم أو سمعه ينهى عن شيء ثم أمر به وهو لا يعلم، فحفظ المنسوخ ولم يحفظ الناسخ، فلو علم انّه منسوخ لرفضه، ولو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنّه منسوخ لرفضوه» وقد عرفت أن رواية الكافي زادت في الخبر «فان أمر النبي مثل القرآن ناسخ ومنسوخ»[٤].

«وآخر رابع لم يكذب على الله ولا على رسوله مبغض للكذب خوفاً من الله» هكذا في (المصرية) ولكن في (ابن أبي الحديد وابن ميثم) بدل (من الله) «لله»[٥].

«وتعظيماً لرسول الله ولم يهم» أي: لم يحصل له وهم، مضارع وهم

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات ٣: ق١ ١٤٨ .

(٢) عيون الاخبار للصدوق ١: ٩٨ ح١٢ .

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٣٩، وشرح ابن ميثم ٤: ٢٠.

(٤) الكافي ١: ٦٣ .

(٥) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١١: ٣٩، وشرح ابن ميثم ٤: ٢٠ مثل المصرية.

بالفتح الاشتباه في غير الحساب، وفيه يقال وهم بالكسر يوهم، كما أنّه فيه يقال غلت وفي غيره غلط.

«بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به على سمعه» هكذا في (المصرية وابن أبي الحديد) وفي (ابن ميثم) (على ما سمعه)[1].

«لم يزد فيه ولم ينقص منه، فحفظ الناسخ فعمل به وحفظ المنسوخ فجنب عنه، وعرف الخاص والعام فوضع كلّ شيء موضعه، وعرف المتشابه ومحكمه».

والمتصفون بهذه الصفات في الاتيان بالحديث كما ينبغي هم شيعته الخواص من سلمان وأبي ذر ومقداد، فان السائل قال له عليه السلام سمع منهم أحاديث، وهو عليه السلام يصدقها، وفي أيدي الناس أحاديث على خلافها، ومقام الثلاثة وجلالهم عند الكلّ معلوم، وهم الذين أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله بحبهم كامامهم.

ففي (الاستيعاب) من حديث ابن بريدة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وآله: أمرني ربي بحبّ أربعة، وأخبرني انّه يحبهم: علي، وأبو ذر، والمقداد، وسلمان[2].

ومما يشهد أنّهم كانوا يضعون كلّ شيء موضعه ما رواه (الاستيعاب) عن أبي جحيفة: ان سلمان جاء يزور أبا الدرداء، فرأى ام الدرداء مبتذلة. فقال: ما شأنك؟ قالت: ان أخاك ليس له حاجة في شيء من الدنيا. فلما جاء أبو الدرداء رحب بسلمان وقرب له طعاماً، فقال له سلمان: أطعم. قال: اني صائم. قال: أقسمت عليك الا ما طعمت، اني لست بآكل حتى تطعم وبات سلمان عنده، فلما كان الليل قام أبو الدرداء، فحبسه سلمان وقال له: ان لربك عليك حقاً، وان لأهلك عليك حقاً، وان لجسدك عليك حقاً، فأعط لكلّ ذي حقّ حقه. فلما كان

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الاستيعاب ٢: ٥٩.

وجه الصبح قال: قم الآن، فقاما، فتوضّآ، ثم خرجا الى الصلاة، فلما صلّى النبي قام إليه أبو الدرداء وأخبره بما قال سلمان، فقال النبي مثل ما قال سلمان.

وفي رواية شاذان عن علي عليه السلام: سلمان الفارسي مثل لقمان الحكيم، علم العلم الأول والآخر، بحر لا ينزف، وهو منّا أهل البيت[١].

ومن متشابه حديث النبي صلى الله عليه وآله قوله: «اختلاف أُمتي رحمة»، وقوله: «مثل أصحابي فيكم كمثل النجوم» ـ الخبر، وقوله: «ان الله ليبغض البيت اللحم» ـ الخبر.

فقال عبد المؤمن الأنصاري للصادق عليه السلام: ان العامة روت ان النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «اختلاف أُمتي رحمة»، فقال: صدقوا. فقال عبد المؤمن: ان كان اختلافهم رحمة فاجتماعهم عذاب. فقال عليه السلام: ليس حيث تذهب وذهبوا، انما أراد النبي قوله تعالىٰ: ﴿فلولا نفر من كلّ فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولِيُنذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلّهم يحذرون﴾[٢]، أمرهم تعالى أن ينفروا الى رسوله ويختلفوا اليه ويتعلموا، ثم يرجعوا الى قومهم فيعلموهم، انما أراد اختلافهم من البلدان لا اختلافهم في دين الله، انما الدين واحد[٣].

وروي عنه عليه السلام أيضاً: ان النبي صلى الله عليه وآله وان قال: «مثل أصحابي فيكم كمثل النجوم، بأيّها أخذ اهتدىٰ، وبأي أقاويل أصحابي أخذتم اهتديتم» إلا انّه فسّر أصحابه بأهل بيته، فقيل له: يا رسول الله من أصحابك؟ قال: أهل بيتي[٤].

فلو لم يفسر كلامه صلى الله عليه وآله في الخبرين بما فسّره عليه السلام لكان مضمونهما

(١) الاستيعاب ٢: ٥٩ و ٦٠.

(٢) التوبة: ١٢٢.

(٣) أخرجه الصدوق في معاني الأخبار: ١٥٧ ح١.

(٤) أخرجه الصدوق في معاني الأخبار: ١٥٦ ح١.

خلاف مقتضى العقول، لا يمكن أن يتفوّه به ذو شعور، فكيف مثل الرسول، فالاختلاف في الدين له من المفاسد ما لا تحصىٰ، وأُمته صلى الله عليه وآله بعده اختلفوا أشدّ الاختلاف، ووقع بينهم التباغض والتعاند، حتى سلوا السيوف، وسفك بعضهم دم بعض، فمن أصحابه أمير المؤمنين عليه السلام، ومن أصحابه طلحة والزبير، فاختلفوا يوم الجمل، فلو لم يكن المراد من أصحابه أهل بيته الذين هم أصحابه في الحقيقة ومن كلّ جهةٍ، لكان من لحق به مهتدياً، ومن لحق بهما كان مهتدياً، ومن قتل أمير المؤمنين في تلك الحرب لو كان ممكناً له مهتدياً كان إذ كان أخذ بقول طلحة والزبير، الا ان جمعاً منهم ذهبوا الى هذا الرأي، وان قتلى الفريقين في الجنّة، أف لهذا الدين المتناقض.

ومن رأس أصحابه عندهم صدّيقهم وفاروقهم، واختلفا في سيفهم، فالصدّيق جعله سيف الله، والفاروق سيف الشيطان، فلم تركوا قول الفاروق مع كونه في ذلك على الحقّ، واتبعوا قول الصدّيق مع كون قوله عن هوى نفسه، ولِمَ لَمْ يجمعوا بينهما بمقتضى خبرهم؟!

وأما أهل بيته وهم أصحابه الذين كانوا من جنسه ومن طينته، فكانوا يقولون ان ما قاله أولنا يقوله آخرنا، حتى قالوا يجوز لكم أن تنسبوا ما قاله آخرنا الى أولنا، لأن قولنا واحد، وقولنا قول الله وقول رسوله، وهم نجوم الأرض، فبقول أيّهم أخذوا اهتدوا كما يهتدون بنجوم السماء.

وروي انّه قيل للصادق عليه السلام أيضاً: بلغنا أن النبيّ صلى الله عليه وآله قال «ان الله تعالى ليبغض البيت اللحم واللحم السمين»، فقال عليه السلام: عنى النبي «بالبيت اللحم» البيت الذي يؤكل فيه لحوم الناس بالغيبة، وانا لنأكل اللحم ونحبّه[1].

وعنى صلى الله عليه وآله باللحم السمين المتبختر المختال في مشيته.

---

(١) أخرجه الصدوق في معاني الأخبار: ٣٨٨ ح ٢٤ والنقل بتصرف يسير.

ومن متشابهه قوله صلى الله عليه وآله: «السعيد من سعد في بطن أُمه والشقي من شقي في بطن أُمه»، فسأل ابن أبي عمير الكاظم عليه السلام عن معناه، فقال معناه ان السعيد من علمه الله وهو في بطن أُمه انّه سيعمل أعمال السعداء، والشقي من علّمه الله وهو في بطن امه انّه سيعمل أعمال الأشقياء[1].

ومنه قوله صلى الله عليه وآله: «اعملوا فكلّ ميسّر لما خلق له» سأله عليه السلام أيضاً ابن ابي عمير عن معناه، فقال: ان الله عزوجل خلق الجن والانس ليعبدوه، ولم يخلقهم ليعصوه، كما قال ﴿وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون﴾[2] فيسر كلا لما خلق له، فالويل لمن استحب العمى على الهدىٰ[3].

وكيف لا يكون المعنى ما قاله عليه السلام والأصل فيه قوله تعالىٰ: ﴿هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ انتم أجنّة في بطون امهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقىٰ﴾[4].

هذا، وممن كان حديثه صحيحاً ثمانية عشر نفراً من أصحاب الباقر الى الرضا عليه السلام، فقال الكشي: أجمعت العصابة على تصديق هؤلاء الأولين من أصحاب أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام وانقادوا لهم بالفقه، فقالوا أفقه الأولين ستة: زرارة، ومعروف بن خربوذ، وبريد، وأبو بصير الأسدي، والفضيل بن يسار، ومحمد بن مسلم الطائفي، وأفقههم زرارة[5].

وقال أيضاً: أجمعت العصابة على تصحيح ما يصح من هؤلاء وتصديقهم لما يقولون، وأقرّوا لهم بالفقه من دون أُولئك، وهم ستة: جميل بن

---

(١) أخرجه الصدوق في التوحيد: ٣٥٦ ح٣.

(٢) الذاريات: ٥٦.

(٣) أخرجه الصدوق في التوحيد: ٣٥٦ ح٣.

(٤) النجم: ٣٢.

(٥) اختيار معرفة الرجال: ٢٣٨.

دراج، وعبد الله بن مسكان، وعبد الله بن بكير، وحمّاد بن عثمان، وحمّاد بن عيسى، وابان بن عثمان ـ الخ[١]. إلا ان الظاهر كون «ابن بكير» في نسخة الكشي مصحف «ابن سنان».

وقال أيضاً: أجمع أصحابنا على تصحيح ما يصحّ من هؤلاء وتصديقهم، وأقروا لهم بالفقه والعلم، وهم ستة اخر: يونس بن عبد الرحمن، وصفوان بن يحيى، ومحمد بن أبي عمير، وعبد الله بن المغيرة، والحسن بن محبوب، وأحمد ابن محمد بن أبي نصر ـ الخ[٢]. ولا سيما الثالث.

وقال له ابو الفضل بن شاذان: لقيت مشايخ العامة فكيف لم تسمع منهم؟ قال: قد سمعت منهم غير أني رأيت كثيراً من أصحابنا قد سمعوا علم العامة وعلم الخاصة، فاختلط عليهم حتى كانوا يروون حديث العامة عن الخاصة، وحديث الخاصة عن العامة، فكرهت أن يختلط علي فتركت ذلك وأقبلت على هذا[٣].

«وقد كان يكون من رسول الله الكلام له وجهان فكلام خاص» سئل الصادق عليه السلام كما روى (المعاني) ـ عن الوباء تكون في ناحية المصر، فيحول الرجل الى ناحية أُخرىٰ، أو يكون في مصر فيخرج منه الى غيره، فقال عليه السلام: لا بأس، انّما نهى النبيّ صلى الله عليه وآله عن ذلك لمكان ربيئة كانت بحيال العدو، فوقع فيهم الوباء، فهربوا منه، فقال النبي: الفارُّ منه كالفارِّ من الزحف، كراهة أن يخلو مراكزهم[٤].

---

(١) اختيار معرفة الرجال: ٣٧٥.

(٢) اختيار معرفة الرجال: ٥٥٦.

(٣) اختيار معرفة الرجال: ٥٩٠ ح١١٠٥.

(٤) جاء قريب منه في معاني الأخبار: ٢٥٤ ح١، عن الكاظم عليه السلام لكن رواه بهذا اللفظ عن الصادق عليه السلام الكليني في الكافي ج٨: ١٠٨ ح٨٥.

وفي (النهج): سئل عليه السلام عن قول النبيّ صلى الله عليه وآله غيروا الشيب، ولا تشبهوا باليهود. فقال: انما قال ذلك والدين قلّ، فأما الآن وقد اتسع نطاقه، وضرب بجرانه، فامرؤ وما اختار[1].

وكذلك أمر النبيّ صلى الله عليه وآله بالهرولة في الحديبية، وانما كان لأجل أن يرى كفار قريش منهم قوة، وأما رواية العامة انها وان كان الأصل فيها ذلك إلا انها صارت سنّة فمن مجعولاتهم، فزعمه فاروقهم، ففي سنن ابي داود عنه قال: فيم الرملان والكشف عن المناكب، وقد أطأ الله الاسلام ونفى الكفر وأهله، مع ذلك لا ندع شيئاً كنّا نفعله على عهد النبي[2].

وقد حقق ذلك ابن عباس، ففي (سنن ابي داود) أيضاً عن أبي الطفيل قلت لابن عباس: يزعم قومك ان النبي صلى الله عليه وآله قد رمل بالبيت وان ذلك سنّة. قال: صدقوا وكذَبوا. قلت: وما صدقوا وكذبوا؟ قال: صدقوا قد رمل النبي، وكذبوا ليس بسنّة، ان قريشاً قالت زمن الحديبية دعوا محمداً وأصحابه حتى يموتوا موت النغف، فلما صالحوه على أن يجيئوا من العام المقبل، فيقيموا بمكة ثلاثة أيام، فقدم صلى الله عليه وآله والمشركون من قبل قعيقعان، فقال لأصحابه «ارملوا بالبيت ثلاثاً وليس بسنة»[3].

ومثله السعي راكباً، ففي خبره أيضاً قلت له: يزعم قومك أنه صلى الله عليه وآله طاف بين الصفا والمروة على بعير وان ذلك سنة. فقال: صدقوا وكذبوا. صدقوا قد طاف بين الصفا والمروة على بعير، وكذبوا ليس بسنة، كان الناس لا يدفعون عن النبي ولا يصرفون عنه، فطاف على بعير ليسمعوا كلامه

---

(١) نهج البلاغة ٤: ٥ حكمة ١٦.

(٢) سنن أبي داود ٢: ١٧٨ ح١٨٨٧.

(٣) سنن أبي داود ٢: ١٧٧ ح ١٨٨٥.

ولا يروا مكانه ولا تناله أيديهم[١].

(بيان) النغف: دود يكون في أنوف الابل والشاة وفي النواة.

وروىٰ الصدوق: ان رجلاً قال للصادق عليه السلام: بلغنا أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «أيما رجل ترك دينارين فهما كي بين عينيه». فقال عليه السلام: أولئك قوم كانوا أضيافاً على النبي، فإذا أمسى قال لأصحابه: يا فلان اذهب فعش هذا، فإذا أصبح قال: يا فلان اذهب فغد هذا، فلم يكونوا يخافون أن يصبحوا بغير غداء ولا عشاء، فجمع رجل منهم دينارين، فقال النبي فيه هذه المقالة، وللرجل أن يأخذ ما يكفيه ويكفي عياله من السنة الى السنة[٢].

وروىٰ (سنن أبي داود): أن رجلاً سأل النبيّ صلى الله عليه وآله عن المباشرة للصائم، فرخص له، وأتاه آخر فنهاه، فاذاً الذي رخص له شيخ، والذي نهاه شاب[٣].

وفي الفقيه عن خالد بياع القلانس قلت للصادق عليه السلام: رجل أتى أهله وعليه طواف النساء. قال: عليه بدنة، ثم جاءه آخر، فسأله، فقال: عليه بقرة، ثم جاءه آخر، فسأله، فقال: عليه شاة. فقلت له بعدما قاموا: كيف قلت: عليه بدنة؟ قال: أنت موسر عليك بدنة، وعلى الوسط بقرة، وعلى الفقير شاة[٤].

وفي (التهذيب) عنه عليه السلام ذكر أبو الخطاب فلعنه ثم قال: انه لم يكن يحفظ شيئاً، حدثته أن النبي صلى الله عليه وآله غابت له الشمس في مكان كذا وكذا، وصلّى المغرب بالشجرة، وبينهما ستة أميال، فأخبرته بذلك

---

(١) المصدر السابق.

(٢) أخرجه الصدوق في معاني الأخبار: ١٥٢ ح١.

(٣) سنن ابي داود ٢: ٣١٢ ح٢٣٨٧.

(٤) الفقيه ٢: ٢٣١ ح٧٥.

في السفر، فوضعه في الحضر[١].

وروى الصدوق؛ ان رجلاً سأل الصادق عليه السلام عمّا يحلّ من مال الابن. فقال: قوته بغير سرف. فقال الرجل: فقول النبي: «انما أنت ومالُك لأبيك» كيف؟ فقال عليه السلام: جاء رجل بأبيه الى النبي صلى الله عليه وآله وقال: ان أبي هذا قد ظلمني ميراثي من أُمي. فأخبره الأب أنّه قد أنفقه عليه وعلى نفسه. فقال له: أنت ومالك لأبيك، ولم يكن عند الرجل شيء، أو كان النبي يحبس الأب بالابن[٢].

وقال الباقر عليه السلام: انما نهى النبي صلى الله عليه وآله عن أكل لحوم الحمر من أجل ظهورها مخافة أن يفنوها، وليست الحمير بحرام، قال تعالىٰ: ﴿قل لا أجد في ما أوحي إلي محرماً على طاعم يطعمه﴾[٣] ـ الآية[٤].

«وكلام عام فيسمعه من لا يعرف ما عنى الله سبحانه» كلمة «سبحانه» أخذتها (المصرية) عن (ابن أبي الحديد)، وليست في (ابن ميثم)[٥].

«به ولا ما عنى رسول الله» هكذا في (المصرية) وفيها سقط، والأصل «به رسول الله» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٦].

«فيحمله السامع ويوجهه على غير معرفةٍ بمعناه وما قصد به وما خرج من أجله» في (المروج): روىٰ أبو مسعود البدري: ان النبي صلى الله عليه وآله قال: «لا يبقى علىٰ وجه الأرض بعد مائة أحد إلّا مات»، واستفاضت روايته، فجزع الأكثر، فأفضى ذلك الى علي عليه السلام، فقال: صدق أبو مسعود فيما قاله وذهب عنه

---

(١) التهذيب ٢: ٢٥٨ ح٦٥.

(٢) أخرجه الصدوق في الفقيه ٣: ١٠٩ ح٢.

(٣) الأنعام: ١٤٥.

(٤) أخرجه الصدوق في علل الشرائع ٢: ٥٦٣ ح٢.

(٥) توجد الكلمة في شرح ابن أبي الحديد ١١: ٣٩ وشرح ابن ميثم ٤: ٢١.

(٦) كذا في شرح ابن ميثم ٤: ٢١، لكن في شرح ابن أبي الحديد ١١: ٣٩ مثل المصرية.

المراد بذلك، وانما مراد النبي صلى الله عليه وآله انّه لا يبقى على وجه الأرض أحد بعد رأس مائة ممن رأى النبي صلى الله عليه وآله إلّا مات[1].

وصدق عليه السلام، فكان آخر من مات ممن رأى النبي صلى الله عليه وآله أبا الطفيل الكناني مات سنة مائة، وكان يقول ما بقي على وجه الأرض عين تطرف ممن رأى النبي صلى الله عليه وآله غيري.

وفي خبر آخر أنّه عليه السلام قال له لما روي ذلك: «أخطأت استك الحفرة، وغلطت في أوّل ظنّك، انما عنى من حضره يومئذ، وهل الرخاء إلا بعد المائة[2].

قلت: والظاهر انّه عليه السلام أشار في قوله «وهل الرخاء إلا بعد المائة» الى تزلزل أمر بني أُمية الذين كان الناس منهم في غاية الشدّة، فبعد سنة مائة قام مبلغوا العباسيين ودعاتهم.

وروى (الكافي): أن الناس كانوا اذا مرت عليهم جنازة يقومون، سمعوا ان النبيّ صلى الله عليه وآله مرت عليه جنازة فقام، وكان الحسين عليه السلام يوماً جالساً، فمرت جنازة، فقام الناس ولم يقم عليه السلام، وقال: انما مرت جنازة يهودي على النبي صلى الله عليه وآله، فقام لأنّه كره أن يعلو رأسه جنازة يهودي[3].

وروت العامة أن النبي صلى الله عليه وآله مر على شاة مهزولة ميتة، فقال: «ما كان على أهلها إذ لم ينتفعوا بلحمها أن ينتفعوا باهابها»، فقالوا لروايتهم بطهارة اهاب الشاة الميتة، فقال الصادق عليه السلام: تلك الشاة المهزولة الميتة كانت شاة سودة بنت زمعة زوجته، فقال ما قال، ومراده بكلامه أنّهم لِمَ لَمْ يذكوها حتى

---

(١) رواه أحمد بطريقين في مسنده ١: ٩٣ وجمع آخر ولكن لم اظفر عليه في مروج الذهب.

(٢) رواه الاسكافي في النقض عنه شرح ابن أبي الحديد ٤: ٧٦ و أحمد في مسنده١: ١٤٠، والحاكم في المستدرك ٤: ٤٩٨.

(٣) الكافي ٣: ١٩٢ ح ٢.

ينتفعوا بأهابها اذ كان لحمها لا ينتفع به لهزالها، وليس مراده صلى الله عليه وآله ما توهموا(١).

وروى (سنن أبي داود) عن أبي بكرة: ان النبي صلى الله عليه وآله قال: لا يقولن أحدكم اني صمت رمضان كلّه، قمته كلّه. وقال: لا أدري أكره التزكية، أو قال لابد من نومة أو رقدة(٢).

وأقول: لم يرد صلى الله عليه وآله واحداً مما قال، وانما أراد لا تقتصروا على قول «رمضان» بل قولوا «شهر رمضان»، لأن رمضان اسم من أسماء الله تعالى كما نبّه على ذلك أهل بيته عليهم السلام(٣).

وروى (سنن أبي داود) عن غالب بن أبجر قال: أصابتنا سنة، فلم يكن في مالي شيء أطعم أهلي، وقد كان النبي صلى الله عليه وآله حرم لحوم الحُمُر الأهلية، فأتيت النبي وقلت له ذلك، فقال: اطعم أهلك من سمين حمرك، انما حرمتها من أجل جوال القرية ـ يعني الجلّالة(٤).

وروى (سنن أبي داود) في باب الصلاة بجمع عن عمر: كان أهل الجاهلية لا يفيضون حتى يروا الشمس على ثبير، فخالفهم النبي، فدفع قبل طلوع الشمس(٥).

قلت: سمع أن النبي صلى الله عليه وآله خالف أهل الجاهلية في الافاضة ولم يعرف مراده صلى الله عليه وآله. روى الصدوق والشيخ عن معاوية بن عمار عن الصادق عليه السلام

---

(١) رواه الكليني في الكافي٦: ٢٥٩ ح٧، والطوسي في التهذيب ٩: ٧٩ ح٧٠.

(٢) سنن أبي داود ٢: ٣١٩ ح٢٤١٥.

(٣) روى هذا الكليني في الكافي ٤: ٦٩ ح٢، والصدوق في الفقيه ٢: ١١٢ ح١١، ومعاني الأخبار: ٣١٥ ح١ عن الباقر عليه السلام ورواه الصدوق في فضائل الأشهر الثلاثة: ٩٨ ح٨٤ عن الرضا عليه السلام.

(٤) سنن أبي داود ٣: ٣٥٦ ح٣٨٠٩.

(٥) سنن أبي داود ٢: ١٩٤ ح١٩٣٨.

قال: كان أهل الجاهلية يقولونَ اشرق ثبير كيما نغير، وانما أفاض النبي صلى الله عليه وآله خلاف أهل الجاهلية، كانوا يفيضون بايجاف الخيل وايضاع الابل، فأفاض النبي صلى الله عليه وآله خلاف ذلك بالسكينة والوقار والدعة[1].

وانما في بعض الأخبار أفضلية الافاضة قبل الطلوع بقليل إذا لم يجز وادي محسر، وان لم يعمل به إلا بعض اصحابنا وقد اجمعوا على الجواز بعده[2].

فإن قيل: أي ربط لنقل فعل النبي صلى الله عليه وآله مع قول أهل الجاهلية؟ قلت: انما ربطه انهم قالوا «كيما نغير» أي: نسرع في السير بالايجاف والايضاع، فخالفهم النبي في ذلك لا في انتظار اشراق ثبير بالشمس كما توهمه عمر.

وعنون (ميزان الذهبي) لسعدة بن اليسع وقال: روى عن جعفر عن أبيه ان النبي صلى الله عليه وآله كسا علياً عليه السلام بردة يقال لها «السحاب»، فأقبل وهي عليه، فقال النبي: هذا علي قد أقبل في السحاب. قال جعفر: فحرفها هؤلاء وقالوا علي في السحاب.

وقيل للصادق عليه السلام: ان العامة رووا ان النبي صلى الله عليه وآله قال: ان العرش اهتز لموت سعد بن معاذ. فقال عليه السلام: أرادَ النبيّ صلى الله عليه وآله بالعرش السرير الذي كان عليه[3].

وقيل للصادق عليه السلام: ان العامة رووا ان النبي صلى الله عليه وآله قال: «حدِّث عن بني اسرائيل ولا حرج». قال عليه السلام: نعم. قيل فنتحدث بما نسمع ولا حرج علينا؟ فقال: لا كيف وقد قالوا: «كفى بالمرء كذباً أن يحدِّث بكل ما سمع»، وانما مراد

(١) أخرجه الصدوق في العلل ١: ٤٤٤ ح١، والطوسي في التهذيب ٥: ١٩٢ ح ١٤.

(٢) راجع وسائل الشيعة ١٠: ٤٧ ـ ٥٢ الأبواب ١٥ ـ ١٧، والمختلف: ٣٠٠.

(٣) أخرجه الصدوق في معاني الأخبار: ٣٨٨ ح٢٥.

النبي أن ما حكى القرآن انّه كان في بني إسرائيل فحدِّث انه كان في هذه الأُمة ولا حرج[١].

قلت: وصدق عليه السلام، ففي الأخبار المستفيضة ان بني اسرائيل لو كانوا دخلوا جحر ضب لدخلته هذه الأُمة[٢]، وبنو اسرائيل افتتنوا بعد غيبة موسى، وعبدوا العجل، وأرادوا قتل خليفته هارون، فلابد بمقتضى تلك الأخبار المتواترة وذاك الخبر وقوع مثله في هذه الأمة بعده، والى ذلك أشار أمير المؤمنين عليه السلام لما جاؤوا به لبيعة أبي بكر وهددوه بالقتل، فلاذ عليه السلام بقبر النبي صلى الله عليه وآله وقال: يا ابن أمَّ ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني، كما روى ذلك ابن قتيبة في خلفائه[٣].

ونظيره ما رواه (الكافي) عن محمد بن مارد قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: حديث روي لنا انك قلت: «اذا عرفت فاعمل ما شئت». فقال: قد قلت ذلك. قلت: وان زنوا، أو سرقوا، أو شربوا الخمر. فقال لي: انا لله وإنّا إليه راجعون، والله ما أنصفونا أن نكون أخذنا بالعمل، ووضع عنهم. انما قلت اذا عرفت فاعمل ماشئت من قليل الخير أو كثيره، فإنّه يقبل منك[٤].

وقال عباد بن صهيب للصادق عليه السلام: أنتم أفضل أم أبو ذر وقد قال النبي فيه «ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر»؟ فقال عليه السلام: ان أبا ذر كان في قوم من الصحابة، فتذاكروا فضائل الأمة، فقال أبو ذر: أفضلهم علي بن أبي طالب صدّيقهم، وفاروقهم، وهو قسيم الجنة

---

(١) أخرجه الصدوق في معاني الأخبار: ١٥٨ ح١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٤: ٢٦٤، ومسلم في صحيحه ٤: ٢٠٥٤ ح٦، وابن ماجة في سننه ٢: ١٣٢٣ ح٣٩٩٤ وغيرهم.

(٣) الامامة والسياسة ١: ١٣.

(٤) الكافي ٢: ٤٦٤ ح٥.

والنار، وحجة الله على الأمة، فما بقي أحد منهم إلا أعرض عنه بوجهه، وأنكر على أبي ذر قوله وكذّبه، فذهب أبو امامة الباهلي من بينهم الى النبي صلى الله عليه وآله، فأخبره بقول أبي ذر، واعراضهم عنه، وتكذيبهم له، فقال النبي: ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء ـ يعني منكم يا ابا امامة ـ على ذي لهجة أصدق من أبي ذر.

وقال عليه السلام لعباد: نحن أهل البيت لا يقاس بنا أحد، كما ان شهر رمضان لا يقاس به شهر، وان كان من الأربعة الحرم ـ أي: شهر غيره ـ فان فيه ليلة العمل فيها أفضل من ألف شهر[1].

قلت: وصدق عليه السلام، الخبر لا يستفاد منه أفضلية أبي ذر من أهل بيته عليهم السلام، حيث انّه صلى الله عليه وآله قال بالإضافة الى خصمائه من الصحابة، وانما يستفاد منه حقيقة أمر خلفائهم، فلما قال أبو ذر لعثمان ـ وهو ابن عفان بن أبي العاص ـ اني سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: «اذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله دولاً، وعباده خولاً، ودينه دغلاً» وكذّبه عثمان، صدقه أمير المؤمنين عليه السلام بالحديث المتفق عليه من النبي فيه: «ما أظلت الخضراء» ـ الخبر[2].

وروى سنن ابي داود عن أبي مرة مولى أُم هاني انّه دخل مع عبدالله بن عمرو بن العاص على أبيه، فقرب اليهما طعاماً، فقال: اني صائم. فقال: كل فهذه الأيام التي كان النبي صلى الله عليه وآله يأمرنا بافطارها، وينهانا عن صيامها، قال مالك: وهي أيام التشريق[3]. قلت: انما نهى صلى الله عليه وآله عن صيام تلك الأيام لمن كان

---

(١) أخرجه الصدوق في علل الشرائع ١: ١٧٧ ح ٢، والنقل بتصرف في العبارة.

(٢) الحديثان مشهوران والقصة رواها الواقدي كما في شرح ابن أبي الحديد ٨: ٢٥٨.

(٣) سنن أبي داود ٢: ٣٢٠ ح٢٤١٨.

بمنى، لا لمن كان في سائر الأمصار.

وقال ابراهيم بن هاشم القمي: قالت امرأة لأبي عبدالله عليه السلام : اني كنت أقعد في نفاسي عشرين يوماً حتى أفتوني بثمانية عشر. فقال عليه السلام لم أفتوك بثمانية عشر يوماً؟ فقال رجل: للحديث الذي روى ان النبي صلى الله عليه وآله قال لأسماء بنت عميس حين نفست بمحمد بن أبي بكر ذلك. فقال: ان أسماء سألت النبي صلى الله عليه وآله وقد أتى بها ثمانية عشر يوماً، ولو سألته قبل ذلك لأمرها أن تغتسل، وتفعل ما تفعله المستحاضة[١].

قلت: ومراده عليه السلام بعد العشرة.

وقد لا يتدبر السامع في السؤال فلا يفهم الجواب. روى الشيخ عن أبي بصير أن رجلاً سأل الصادق عليه السلام عن التكبير على الجنائز، فقال: خمس تكبيرات، ثم دخل آخر، فسأله عن الصلاة على الجنائز، فقال: أربع صلوات، فقال الأوّل له عليه السلام : سألتك فقلت خمساً، وسألك هذا فقلت أربعاً. فقال عليه السلام : انّك سألتني عن التكبير، وسألني هذا عن الصلاة[٢].

ومراده عليه السلام بالصلاة الدعاء، فبين الخمس تكبيرات أربعة أدعية.

ونظير توجيه السامع كلام النبي صلى الله عليه وآله على غير معرفة بمعناه، وما قصد به، وما خرج من أهله، توجيه السامع كلام الامام كذلك، فروى الشيخ عن الصفار عن العبيدي عن عثمان بن عيسى عن سماعة عن الصادق عليه السلام قلت له: رجل قطع بعض لسان انسان، فأفصح ببعض، ولم يفصح ببعض. قال: يقرأ المعجم، فما أفصح به طرح من الدية، وما لم يفصح به لزم الدية. قلت: كيف هو؟ قال: على حساب الجمل ألف ديته واحد، والباء اثنان، والجيم ثلاثة،

---

(١) رواه الشيخ الحر في وسائل الشيعة ٢: ٦١٤ ح١١، والمسؤول عنه الباقر عليه السلام .

(٢) أخرجه الطوسي في التهذيب ٣: ٣١٨ ح١٢، والاستبصار ١: ٤٧٦ ح١١.

والدال أربعة، والهاء خمسة، والواو ستة، والزاي سبعة، والحاء ثمانية، والطاء تسعة، والياء عشرة، والكاف عشرون، واللام ثلاثون، والميم أربعون، والنون خمسون، والسين ستون، والعين سبعون، والفاء ثمانون، والصاد تسعون، والقاف مائة، والراء مائتان، والشين ثلاثمائة، والتاء أربعمائة ـ وكلّ حرف تزيد بعد هذا من «الف ب ت ث» زدت له مائة درهم.

ثم قال: ما تضمن الخبر من الحساب يشبه ان يكون من كلام بعض الرواة من حيث سمعوا انّه قال «يفرق ذلك على حروف الجمل» ظنوا انّه على ما يتعارفه الحسّاب من ذلك، ولم يكن القصد ذلك، وانما كان القصد أن يقسم على الحروف كلها أجزاء متساوية، ويجعل لكلّ حرف جزء من جملتها[١].

ونظيره قول الصادق عليه السلام: «الام والبنت سواء»، ومراده انّه اذا ملك امرأة وبنتها، فله وطي أيهما شاء، فتحرم الأُخرىٰ.

والشاهد على ان مراده عليه السلام ذلك ان أحمد بن محمد بن عيسى رواه في نوادره في باب الجمع بين الام والبنت في الملك، وتوهم الشيخ أو مشايخ قبله غير ذلك، فرواه الشيخ وقال: يعني اذا تزوج المرأة، ثم طلقها قبل أن يدخل بها، فانه ان شاء تزوج امها، وان شاء ابنتها، وهو شاذ ـ الخ[٢].

وعلى ما عرفت فليس بشاذ.

وروى الكشي عن الرضا عليه السلام قيل له: ان ابن بكير روى ان الصادق عليه السلام سئل أيام خروج محمد بن عبدالله عن الخروج، فقال: اسكنوا ما سكنت السماء والأرض. فقال: ابن بكير اذا كان هكذا فما من خروج وما من قائم. فقال عليه السلام:

---

(١) أخرجه الطوسي في التهذيب ١٠: ٢٦٣ ح٧٦، والاستبصار ٤: ٢٩٣ ح٦.

(٢) الحديث أخرجه أحمد بن محمد بن عيسى في النوادر: ٩٩ و ١٠٠ ح ٢٣٩ و ٢٤١ في باب «الرجل تموت امرأته أو يطلقها قبل أن يدخل بها فيتزوج امها أو ابنتها» وما ذكره الشارح في نقد الحديث مقتبس من كلام الشيخ الحر في الوسائل ١٤: ٣٥٦.

انما قال الصادق اسكنوا ما سكنت السماء من النداء، والأرض في الخسف بالجيش، وليس على ما تأوله ابن بكير[١].

وفي الكافي في باب صومه ﷺ بعد روايته عن سماعة وعن الحلبي عن الصادق عليه السلام انّه ﷺ صام شعبان، فأما الذي جاء في صوم شعبان انه سئل عليه السلام عنه فقال: ما صامه النبي ولا أحد من آبائي. قال ذلك لأن قوماً قالوا ان صيامه فرض مثل شهر رمضان وان الكفارة في افطاره كالكفارة في افطار شهر رمضان، أي: ما صاموه فرضاً تكذيباً لهم[٢].

هذا، وقد يحمل فعله ﷺ على غير مراده، ففي سنن أبي داود مسنداً عن عائشة قالت: ما سبح النبي سبحة الضحى قط، واني لأسبِّحها، وان كان النبي ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم[٣].

فان ما قالته مغالطة، فانه ﷺ لا يداوم على المسنونات لئلا يظن كونها فرائض، واما عدم فعله ﷺ لصلاة مخصوصة أبداً، كما أقرت به، فدليل على عدم مشروعيتها، لا عدم وجوبها.٢

«وليس كلّ أصحاب رسول الله من» هكذا في (المصرية) وكلمة «من» زائدة، فليست في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٤].

«كان يسأله ويستفهمه حتى ان كانوا ليحبون ان يجيء الاعرابي والطارئ» هكذا في (المصرية) والصواب: «أو الطارئ» كما في (ابن أبي الحديد وابن

---

(١) رواه عن طريق الكشي أبو علي الطوسي في أماليه ٢: ٢٦ جزء ١٤ ورواه أيضاً الصدوق في معاني الأخبار: ٢٦٦ ح١.

(٢) الكافي ٤: ٩٠ و ٩١.

(٣) سنن أبي داود ٢: ٢٨ ح ١٢٩٣.

(٤) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١١: ٣٩ لكن في شرح ابن ميثم ٤: ٢١ مثل المصرية.

ميثم والخطية)[١]. وفي (القاموس): «طرا طرواً»: اتى من مكان بعيد[٢]، وفي الجمهرة: «طرأت على القوم» إذا قدمت عليهم أو نزلت بهم وهم لا يعلمون فانا طارئ.

«فيسأله حتى يسمعوا» رووا ان عمر خطب الناس فقال: اني لَعلِّي أنهاكم عن أشياء تصلح لكم، وآمركم بأشياء لا تصلح لكم، وان من آخر القرآن نزولاً آية الربا، وانه قد مات النبي ﷺ ولم يبيّنها لنا[٣].

قلت: فإذا كان اعترف بأن النبي ﷺ لم يبين له آية الربا، ولا يدري الصلاح والفساد فيما يأمر ويزجر، فلِمَ منع النبي ﷺ عن الوصيّة وقال يكفينا كتاب الله، وقد اعترف أيضاً بعدم تبين ما قاله تعالى في القرآن انّه بينه من قوله في آخر سورة النساء: ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ـ الى ـ يبيّن الله لكم أن تضلوا والله بكلّ شيء عليم﴾[٤].

بل لم يعرف لفظ القرآن فضلاً عن معناه، فروى الثعلبي في تفسيره في قوله تعالىٰ: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان﴾[٥] يروى ان عمر بن الخطاب قرأ «والأنصارُ» برفع الراء، وقرأ «الذين» بغير واو، فقال له أُبي بن كعب انما هو «والأنصارِ والذين» بالواو ـ فعاودوه مراراً، فقال أُبي: والله لقد قرأتها على النبي «والذين اتبعوهم باحسان»، وانك يومئذ تبيع القرص ببقيع الغرقد. فقال: صدقت حفظتم

(١) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١١ : ٣٩، وشرح ابن ميثم ٤: ٢١ مثل المصرية.

(٢) القاموس المحيط ٤: ٣٥٦، مادة (طرا).

(٣) أخرجه ابن ماجة في سننه ٢: ٧٦٤ ح٢٢٧٦، وأحمد في مسنده ١: ٣٦ و ٤٩.

(٤) النساء : ١٧٦ .

(٥) التوبة : ١٠٠ .

ونسينا، وتفرغتم وشغلنا، وشهدتم وغبنا. ثم قال عمر لأُبي: أفيهم الأنصار؟ قال: نعم ولم يستأمر الخطاب ولا ابنه. فقال عمر: كنت أظن انا قد رفعنا درجة لا يبلغها أحد بعدنا[١].

وكيف قال «يكفينا كتابُ الله والرجل يهجر»، وكان كثيراً ما يسأل باقي الصحابة عمّا قال النبي صلى الله عليه وآله، ففي الجمع بين الصحيحين قال أبو أوفى: سألني عمر بن الخطاب عمّا قرأ به النبي صلى الله عليه وآله يوم العيد، فقلت: ﴿اقتربت الساعة﴾، و ﴿ق والقرآن المجيد﴾[٢].

وفي (تاريخ بغداد): سأل عمر الناس بمنى عن الدية، فقال الضحاك بن سفيان: كتب الي النبي صلى الله عليه وآله أن أورث امرأة أشيم الضبابي من دية زوجها[٣].

وفي (الجمع بين الصحيحين) في مسند أبي سعيد الخدري ان أبا موسى استأذن عليه عمر ـ ثلاثاً ـ فلم يأذن له، فقال له عمر: فما حملك على ما صنعت؟ قال: كنّا نؤمر بهذا. قال: لتقيمن على هذا بينة أو لأفعلن. فشهد له أبو سعيد الخدري بذلك عن النبي صلى الله عليه وآله، فقال عمر: خفي هذا عليّ من أمر النبي، ألهاني عنه الصفق بالأسواق[٤].

ورووا ان عمر خرج الى الشام حتى اذا كان ببعض الطريق لقيه امراء الأجناد، فأخبروه ان الوباء قد وقع بالشام، فقال لابن عباس: ادعُ لي

---

(١) رواه عن الثعلبي ابن طاووس في عين العبرة: ١٧ وعن جمع آخر السيوطي في الدر المنثور ٣: ٢٦٩.

(٢) نقله عن الجمع بين الصحيحين ابن طاووس في الطرائف ٢: ٤٧٥، والحديث أخرجه مسلم في صحيحه ٢: ٦٠٧ ح١٤ و ١٥ والمسؤول عنه أبو واقد الليثي ويعني بالسورتين القمر و ق.

(٣)

(٤) نقله عن الجمع بين الصحيحين ابن طاووس في الطرائف ٢: ٤٧٦، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه ٤: ٨٨، ومنسلم في صحيحه ٣: ١٦٩٤ و ١٦٩٥ ح٣٣ ـ ٣٥، عن أبي سعيد لكن لفظ ابن طاووس الى حديث عبيد بن عمير عن أبي موسى الذي أخرجه مسلم في صحيحه ٣: ١٦٦٥ ح٣٦ أقرب من حديث ابي سعيد.

المهاجرين، فدعاهم، فسألهم، فاختلفوا، فجاء عبد الرحمن بن عوف، فقال: اني سمعت من النبي ﷺ اذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فراراً منه[١].

«وكان لا يمر بي من ذلك شيء إلا سألت عنه وحفظته» قال الشاعر:

أتاك المرجفون برجم غيب	وجئتك بعد بالأمر المبين
صحيح ما أقول بفضل خبر	ولا أقضي بمشتبه الظنون
فمن يك قد أتاك بزور قول	فإني قد أتيتك باليقين

وكيف لا وقد قال تعالىٰ فيه: ﴿وتعيها اذن واعية﴾[٢] وقال النبي: أنا مدينة العلم وعلي بابها[٣]، وان عنده علم ظاهر القرآن وباطنه[٤]، ولما قال عليه السلام أعلم كلّ آية نزلت في قريش، قيل له: فما آيتك؟ قال: قوله تعالىٰ: ﴿أفمن كان على بيّنة من ربه ويتلوه شاهد منه﴾[٥] فالنبي على بينّة وأنا شاهد منه[٦].

وقال ابن أبي الحديد: كان عليه السلام مخصوصاً من دون الصحابة بخلوات كان يخلو بها مع النبي ﷺ لا يطلّع الناس على ما يدور بينهما، وكان كثير السؤال للنبي ﷺ عن معاني القرآن ومعاني كلامه، وإذا لم يسأل ابتدأه النبي بالتعليم والتثقيف، ولم يكن أحد من أصحاب النبي كذلك، بل كانوا أقساماً،

---

(١) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ١٢: ٧٧.

(٢) الحاقة: ١٢ .

(٣) أخرجه جمع منهم الحاكم في المستدرك ٣: ١٢٦ و ١٢٧ و الكلابي في مسنده كما في منتخبه: ٤٢٦ ح ٢.

(٤) رواه الكنجي في كفاية الطالب: ٢٩٢ عن ابن مسعود موقوفاً .

(٥) هود: ١٧.

(٦) رواه ابن المغازلي في مناقبه : ٢٧٠ ح٣١٨، وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبو نعيم في المعرفة عنهم الدر المنثور ٣: ٣٢٤.

منهم من يهابه أن يسأله، وهم الذين كانوا يحبون ان يجيء الاعرابي أو الطارئ، فيسأله وهم يسمعون، ومنهم من كان بليداً بعيد الفهم قليل الهمّة في النظر والبحث، ومنهم من كان مشغولاً عن طلب العلم والمعاني بعبادة أو دنيا، ومنهم المقلّد الذي يرى أن فرضه السكوت وترك السؤال، ومنهم المبغض الشانئ الذي ليس للدين عنده من الموقع ما يضيع وقته بالسؤال عن دقائقه وغوامضه، وانضاف الى الأمر الخاص بعليّ عليه السلام ذكاؤه وفطنته، وطهارة طينته واشراق نفسه وضوؤها، واذا كان المحل قابلاً متهيئاً، وكان الفاعل مؤثراً موجوداً، والموانع مرتفعة حصل الأثر على أتم ما يمكن، فلذلك كان علي ـ كما قال الحسن البصري ـ ربانيّ هذه الأمة وذا فضلها، ولذا تسميه الفلاسفة امام الأئمة وحكيم العرب[1].

قلت: ومن الخلوات التي قال خلوته صلى الله عليه وآله معه عليه السلام يوم الطائف، فأغضب الرجلين وغيرهما من نظرائهما. روى الترمذي مسنداً عن جابر قال: دعا النبي صلى الله عليه وآله علياً يوم الطائف فانتجاه طويلاً، فقال الناس: لقد طال نجواه مع ابن عمه، فبلغ ذلك النبي فقال: ما انتجيته ولكن الله انتجاه. قال الترمذي: معناه ان الله أمرني أن أنتجي معه[2].

وكان هذا حال النبي صلى الله عليه وآله معه عليه السلام الى حين وفاته. روى أحمد ابن حنبل مسنداً عن ام سلمة قالت: والذي يحلف به ان كان علي ابن ابي طالب عليه السلام لأقرب الناس عهداً بالرسول صلى الله عليه وآله، مرض النبي مرض موته، فلما كان اليوم الذي قبض فيه دعا علياً، فناجاه طويلاً وسارّه كثيراً ثم قبض[3].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٤٨.

(٢) سنن الترمذي ٥: ٦٣٩ ح٣٧٢٦.

(٣) مسند أحمد ٦: ٣٠٠ والنقل بتصرف في اللفظ.

ثم انه لم يذكر ان ائمته من أي قسمٍ من الصحابة، فان أولهم آسى حين احتضاره كما في الخلفاء على امور، منها انه ليت سأل النبي عن ميراث بنت الأخ والعمة، فإن في نفسه من ذاك شيئاً[١]، ولم يكونوا ممن يهابوا النبي ﷺ ان يسألوه، فلما توفي عبد الله بن أُبي وسأل ابنهُ النبيَّ أن يصلّي عليه، فتقدّم للصلاة، جاء الثاني، فجذبه من خلفه وقال له ـ كما رووا ـ ألم ينهك الله أن تصلّي على المنافقين؟ فقال النبي له: اني خيّرت فاخترت[٢].

ومن المضحك انهم قالوا ان عمر قال للنبي: ألم ينهك الله عن الصلاة على المنافقين، ثم قالوا: أنزل الله تعالى تصديقاً لعمر ﴿ولا تصلِّ على أحد منهم﴾[٣].

ولم يكونوا من قسم المقلدة الذين يرون فرضهم السكوت وترك السؤال، فاعترض الثاني على النبي ﷺ في قبوله صلح الحديبية، مع تصريح النبي ﷺ بأنه صلاح رآه الله تعالى بكونه دنية في الدين[٤].

وكيف كانوا من ذاك القسم وكانوا يجتهدون في مقابل الله تعالى، فقال الثاني: متعتان كانتا على عهد رسول الله، وأنا أنهى عنهما، وأُعاقب عليهما[٥].

فبقي ان يكونوا داخلين في الأقسام الباقية، اما من البليدين فقال تعالى: ﴿وفاكهة وأبا* متاعاً لكم ولأنعامكم﴾[٦] فلم يفهم الأول المراد من الابّ، مع

---

(١) رواه ابن قتيبة في الامامة والسياسة ١: ١٨، والطبري في تاريخه ٢: ٦١٩، سنة ١٣، والجوهري في السقيفة : ٣٩ وغيرهم.

(٢) رواه مسلم في صحيحه.٤: ٢١٤١ ح٣ و ٤.

(٣) التوبة : ٨٤.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ٢: ٢٠٥، ومسلم في صحيحه ٣: ١٤١١ ح٩٤.

(٥) رواه ابو صالح كاتب الليث والطحاوي عنهما منتخب كنز العمال٦: ٤٠٤ وغيرهما.

(٦) عبس: ٣٢.

قوله تعالى بأنّه متاع لأنعامهم[١]، ولما شكت امرأة زوجها الى الثاني لم يفهم مرادها، حتى دله كعب بن سور القاضي[٢]، وأعطى الهرمزان الأمان، ولم يشعر حتى ذكر ذلك له أنس وغيره[٣]، وأما من المشغولين بطلب الدنيا فمرةً أنه قال لأُبي «تفرغتم وشغلنا»[٤]، وقال لأبي سعيد الخدري «خفي هذا علي من أمر النبي ألهاني عنه الصفق بالأسواق»[٥]، الا انهم لم يكونوا من المبغضين بالوصف الذي ذكر من عدم حضورهم لصرف وقتهم بسؤال الدين، لأنّهم كانوا من الأول ممّن يحب الرئاسة على المسلمين.

هذا، والسؤال واجب. وفي بديع ابن المعتز عنه عليه السلام : «العلم قفل مفتاحه السؤال» «فهذه» الأُمور التي ذكرت «وجوه ما عليه الناس في اختلافهم» في أحاديثهم «وعللهم» أي: عيوبهم «في رواياتهم» من كذب بعضهم متعمداً، ووهم بعضهم لا قصداً، وعدم فهم بعضهم المراد بلادة.

هذا، وأما اختلاف أحاديث الشيعة فيزاد فيها على العلل الثلاث التقية، فروى العيون عن الرضا عليه السلام - في خبر - أنا لم نرخص فيما لم يرخص فيه رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا نأمر بخلاف ما أمر به رسول الله، إلّا لعلّة خوف ضرورة - الخبر[٦].

---

(١) رواه ابو عبيد في فضائله وعبد بن حميد في مسنده عنهما الدر المنثور ٦: ٣١٧، والجاحظ في كتاب الفتيا والثعلبي في تفسيره عنهما مناقب السروي ٢: ٣٥٧.

(٢) رواه ابن عبد البر في الاستيعاب ٣: ٣٠٣ و ٣٠٥ وابن أبي شيبة في المصنف والزبير بن بكار في المؤفقيات وابن دريد في الأخبار المنشورة عنهم الاصابة ٣: ٣١٥.

(٣) رواه الطبري في تاريخه ٣: ١٨٣، سنة ١٧، والبلاذري في فتوح البلدان : ٣٧٤، والثقفي وابن أبي شيبة وعلي بن حجر عنهم الاصابة ٣: ٦١٨.

(٤) رواه ابن طاووس في عين العبرة : ١٧، عن الثعلبي والسيوطي في الدر المنثور ٣: ٢٦٩ عن جمع .

(٥) رواه مسلم في صحيحه ٣: ١٦٩٥ ح٣٦.

(٦) عيون الأخبار الصدوق ٢: ١٩ ح٤٥.

ولذا قالوا في الجمع بين الحديثين المختلفين بالأخذ بالحديث المخالف للعامة، وروى العلل عن الصادق عليه السلام قال: أتدري لم أمرتم بالأخذ بخلاف ما تقوله العامة؟ ان علياً عليه السلام لم يكن يدين الله بدين إلا خالف عليه الأمة الى غيره إرادة لإبطال أمره، وكانوا يسألونه عن الشيء الذي لا يعلمونه، فإذا أفتاهم جعلوا له ضداً من عندهم ليلتبسوا على الناس[1].

ومن علل الحديث ان لا ينقل صدر الحديث أو ذيله الدالّان على المراد، فيحمل على غير ما اريد به، فالكلام لا يصحّ الاستناد اليه إلا بعد تمامه، فلو لم يراعَ ذلك يكون نظير ما قالوا ان المخبل السعدي والزبرقان بن بدر توافقا للمهاجاة، واجتمع الناس عليهما، فابتدأ المخبل، فقال:

نبئت ان الزبرقان يسبني سفهاً ويكره ذو الخرير خصالي

الى أن أراد انشاده:

وأبوك بدر كان مشترط الخصى وأبي الجواد ربيعة بن قبال

فلما بلغ الى قوله «وأبي» انقطع عليه كلامه اما بشرق أو انقطاع نفس، فما علم الناس ما يريد أن يقوله بعد قوله «وأبي»، فسبقه الزبرقان قبل أن يتم ويبين، فقال: صدقت وما في ذاك ان كان شيخانا قد اشتركا في صنعه، فغلبه الزبرقان، وضحكوا من قوله، وتفرقوا وانقطع بالمخبل قوله، فترى جعل «وأبي» لعدم تمام الكلام عطفاً على «وأبوك»، فيكون الخبر «كان مشترط الخصى» لهما مع انّه كلام مستأنف.

---

(١) علل الشرائع ٢: ٥٣١ ح١.

٣
الخطبة (١٧)

ومن كلام له عليه السلام في صفة من يتصدّى للحكم بين الأمة وليس لذلك بأهلٍ:

إنّ أَبْغَضَ ٱلْخَلَائِقِ إِلَى ٱللهِ رَجُلَانِ: رَجُلٌ وَكَلَهُ ٱللهُ إِلَى نَفْسِهِ، فَهُوَ جَائِرٌ عَنْ قَصْدِ ٱلسَّبِيلِ، مَشْغُوفٌ بكَلَامِ بِدْعَةٍ وَدُعَاءِ ضَلَالَةٍ، فَهُوَ فِتْنَةٌ لِمَنِ ٱفْتَتَنَ بِهِ، ضَالٌّ عَنْ هَدْيِ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ، مُضِلٌّ لِمَنِ ٱقْتَدَى بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ، حَمَّالٌ خَطَايَا غيرِهِ رَهْنٌ بخَطِيئَتِهِ، وَرَجُلٌ قَمَشَ جَهْلًا، مُوضِعٌ فِي جُهَّالِ ٱلْأُمَّةِ عَادٍ فِي أَغْبَاشِ ٱلْفِتْنَةِ عَمٍ بِمَا فِي عَقْدِ ٱلْهُدْنَةِ، قَدْ سَمَّاهُ أَشْبَاهُ النَّاسِ عَالِماً وَلَيْسَ بِهِ، بكَّرَ فاسْتَكْثَرَ مِنْ جَمْعٍ؛ مَا قَلَّ مِنْهُ خَيرٌ مِمَّا كَثُرَ، حَتَّى إِذَا ارْتَوَى مِنْ آجِنٍ وَاكْتَنَزَ مِنْ غَيرِ طَائِلٍ، جلَسَ بَينَ النَّاسِ قَاضِياً ضَامِناً لِتَخْلِيصِ ما ٱلْتَبَسَ عَلَى غَيْرِهِ، فَإِنْ نَزَلَتْ بِهِ إِحْدَى ٱلْمُبْهَمَاتِ هَيَّأَ لَهَا حَشْوًا رَثّاً مِنْ رَأْيِهِ، ثُمَّ قَطَعَ بِهِ، فَهُوَ مِنْ لَبْسِ ٱلشُّبُهَاتِ فِي مِثْلِ نَسجِ ٱلْعَنْكَبُوتِ: لَا يَدْرِي أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ، فَإِنْ أَصَابَ خَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَخْطَأَ، وَإِنْ أَخْطَأَ رَجَا أَنْ يكُونَ قَدْ أَصَابَ.

جَاهِلٌ خَبَّاطُ جَهَالَاتٍ، عَاشٍ رَكَّابُ عَشَوَاتٍ، لَمْ يَعَضَّ عَلَى العِلْمِ بِضِرْسٍ قاطِعٍ. يُذْرِي الرِّوَايَاتِ إِذْرَاءَ الرِّيحِ الهَشِيم لامَلِيءٌ وٱللهِ بإِصْدَارِ مَا ورَدَ عَلَيْهِ، ولا هُوَ أَهْلٌ لِمَا فُوِّضَ إِلَيْهِ، لا يَحْسِبُ العِلْمَ فِي شَيْءٍ مِمَّا أَنْكَرَهُ، ولا يَرَى أَنَّ مِنْ وَرَاءِ مَا بَلَغَ مَذْهَباً لغَيْرِهِ، وإِنْ أَظْلَمَ أَمْرٌ ٱكْتَتَمَ بِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ جَهْلِ نَفْسِهِ، تَصْرُخُ مِنْ جَوْرِ قَضَائِهِ ٱلدِّمَاءُ، وتَعَجُّ مِنْهُ ٱلْمَوَارِيثُ.

إلى ٱللهِ أشْكُو منْ مَعْشَرٍ يَعِيشُونَ جُهَّالًا، وَيَمُوتُونَ ضُلَّالًا، لَيْسَ فِيهِمْ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنَ الكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلَاوتِهِ، ولا سِلْعَةٌ أَنْفَقُ بَيْعاً ولاَ أَغْلَى ثَمَناً مِنَ الكِتَابِ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، ولا عِنْدَهُمْ أَنْكَرُ مِنَ المَعْرُوفِ، ولا أَعْرَفُ مِنَ المُنْكَرِ!

أقول: قال ابن قتيبة في (عيون أخباره): حدّثني علي بن محمد، عن إسماعيل بن إسحاق الأنصاري عن عبدالله بن لهيعة عن عبدالله بن هبيرة عن علي عليه السلام قال: ذمتي رهينة وأنا به زعيم لمن صرحت له العبر، لا يهلك على التقوى زرع قوم ولا يظمأ على التقوى سنخ أصل، ألا وان أبغض خلق الله الى الله: رجل قمش جهلاً غاراً بأغباش الفتنة عمياء بما في عقد الهدنة، سمّاه أشباهه من الناس عالماً ولم يعن في العلم يوماً سالماً، بكّر فاستكثر ما قلّ منه فهو خير مما كثر، حتى اذا ارتوى من آجن واكتنز من غير طائل قعد بين الناس قاضياً لتخليص ما التبس على غيره، ان نزلت به احدى المبهمات هيأ حشواً رثاً من رأيه، فهو من قطع الشبهات في مثل غزل العنكبوت، لا يعلم اذا أخطأ لأنّه لا يعلم ءأخطأ أم أصاب، خباط عشوات، ركاب جهالات، لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا يعض في العلم بضرس قاطع يذرو الرواية ذرو الريح الهشيم، تبكي منه الدماء وتصرخ منه المواريث ويستحل بقضائه الفرج الحرام، لا مليءٌ والله بأصدار ما ورد عليه ولا أهل لما قُرِّظ به.

وقال ابن أبي الحديد نقله ابن قتيبة في (غريبه)[1].

ورواه باب البدع والرأي من كتاب العقل والجهل من الكافي مسنداً ومرفوعاً ومرسلاً هكذا.

محمد بن يحيى عن بعض أصحابه ـ وعلي بن إبراهيم عن هارون بن

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٨٥.

مسلم عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبدالله عليه السلام، وعلي بن ابراهيم عن أبيه عن ابن محبوب رفعه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ان من أبغض الخلائق الى الله تعالى لرجلين: رجل وكله الله الى نفسه، فهو جائر عن قصد السبيل، مشغوف بكلام بدعة، قد لهج بالصوم والصلاة، فهو فتنة لمن افتتن به، ضالٌ عن هدى من كان قبله، مضل لمن اقتدى به في حياته وبعد موته، حمّال خطايا غيره رهن بخطيئته، ورجل قمش جهلاً في جهال الناس، عان بأغباش الفتنة، قد سمّاه أشباه الناس عالماً، ولم يغن فيه يوماً سالماً، بكّر فاستكثر ما قل منه خير مما كثر، حتى اذا ارتوى من آجن واكتنز من غير طائل جلس بين الناس قاضياً ضامناً لتخليص ما التبس على غيره، وان خالف قاضياً سبقه لم يأمن من ان ينقض حكمه من يأتي بعده كفعله بمن كان قبله، وان نزلت به احدى المبهمات المعضلات هيأ لها حشواً من رأيه ثم قطع به، فهو من لبس الشبهات في مثل غزل العنكبوت، لا يدري أصاب أم أخطأ، لا يحسب العلم في شيء مما أنكر ولا يرى أن وراء ما بلغ فيه مذهباً، ان قاس شيئاً بشيء لم يكذّب نظره، وان أظلم عليه امر اكتتم به لما يعلم من جهل نفسه لكيلا يقال له لا يعلم ثم جسر فقضى، فهو مفتاح عشوات ركاب شبهات خباط جهالات لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا يعض في العلم بضرس قاطع فيغنم، يذري الروايات ذرو الريح الهشيم، تبكي منه المواريث وتصرخ منه الدماء، يستحل بقضائه الفرج الحرام ويحرم بقضائه الفرج الحلال، لا مليء باصدار ما ورد عليه ولا هو أهل لما منه فرط من ادعائه علم الحق[1].

وفي (ارشاد المفيد): ومن كلامه عليه السلام في أهل البدع ومن قال في الدين برأيه وخالف طريق أهل الحق فيمقاله ما رواه ثقات أهل النقل عند العامة

---

(١) الكافي ١: ٥٤ ح٦.

والخاصة في كلام افتتاحه: الحمد لله والصلاة على نبيه، أما بعد فذمتي بما أقول رهينة وأنا به زعيم، انه لا يهيج على التقوى زرع قوم ولا يظمأ عنه سنخ أصل، وان الخير كلّه فيمن عرف قدره وكفى بالمرء جهلاً ألا يعرف قدره، وأن أبغض الخلائق الى الله تعالى رجل وكله الله الى نفسه جائر عن قصد السبيل مشغوف بكلام بدعة، قد لهج فيها بالصوم والصلاة، فهو فتنة لمن افتتن به ضال عن يدي من كان قبله مضل لمن اقتدى به حمال خطايا غيره رهن بخطيئته، قد قمش جهلاً في جهال عشرة غار بأغباش الفتنة عمي عن الهدىٰ، قد سماه أشباه الناس عالماً، ولم يغن فيه يوماً سالماً، بكر فاستكثر مما قلّ منه خير مما كثر، حتى اذا ارتوى من آجن، واستكثر من غير طائل، جلس للناس قاضياً ضامناً لتخليص ما التبس على غيره، ان خالف من سبقه لم يأمن نقض حكمه من يأتي بعده كفعله بمن كان قبله، وان نزلت به احدى المبهمات هيأ لها حشواً من رأيه، ثم قطع عليه، فهو من لبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت لا يدري أصاب أم أخطأ، ولا يرى ان من وراء ما بلغ مذهباً، ان قاس شيئاً بشيء لم يكذّب رأيه، وان أظلم عليه أمر اكتتم به لما يعلم من نفسه من الجهل والنقص والضرورة كيلا يقال انّه لا يعلم ثم أقدم بغير علم، فهو خائض عشوات ركاب شبهات خباط جهالات، لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم، ولا يعض في العلم بضرس قاطع فيغنم. يذري الروايات ذرو الريح الهشيم، تبكي منه المواريث، وتصرخ منه الدماء، ويستحل بقضائه الفرج الحرام، ويحرم به الحلال، لا يسلم باصدار ما عليه ورد، ولا يندم على ما منه فرط.

أيّها الناس عليكم بالطاعة والمعرفة بمن لا تعذرون بجهالته، فان العلم الذي هبط به آدم وجميع ما فضلت به النبيّون الى نبيكم خاتم النبيين في عترة نبيكم ـ الى أن قال ـ أما بلغكم ما قال فيهم نبيكم صلى الله عليه وآله في حجّة الوداع: «اني

تارك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وانهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما» ألا ان هذا عذب فرات فاشربوه، وهذا ملح اجاج فاجتنبوه[١].

ورواه (أمالي الشيخ) عن المفيد عن المراغي عن أحمد بن الصلت عن حاجب ابن الوليد عن الوصاف بن صالح عن أبي إسحاق عن خالد بن طليق عن علي عليه السلام قال: ذمتي بما أقول رهينة ـ الى أن قال ـ غير مليء والله بإصدار ما ورد عليه، ولا نادم على ما فرط منه، وأولئك الذين حلت عليهم النياحة وهم أحياء. فقام رجل فقال له عليه السلام: فمن نسأل بعدك، وعلى ما نعتمد؟ فقال: استفتحوا بكتاب الله، فانّه امام مشفق، وهادٍ مرشد، وواعظ ناصح، ودليل يؤدي الى جنة الله عزوجل. ورواه الاحتجاج مع زيادة الارشاد[٢].

وفي (تاريخ أحمد بن أبي يعقوب البغدادي): وقضى علي عليه السلام على رجل بقضية، فقال: قضيت عليّ بقضية هلك فيها مالي، وضاع فيها عيالي. فغضب حتى استبان الغضب في وجهه ثم قال: يا قنبر ناد في الناس الصلاة جامعة، فاجتمع الناس ورقى المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فذمتي رهينة، وأنا به زعيم، بجميع من صرحت له العبر أن لا يهيج على التقوى زرع قوم، ولا يظمأ على التقوى سنخ أصل، وان الخير كلّه فيمن عرف قدره، وكفى بالمرء جهلاً ألا يعرف قدره، ان من أبغض خلق الله الى الله ـ الى ان قال ـ ويستحل بقضائه الفرج الحرام، ويحرم بمرضاته الفرج الحلال، فأين يتاه بكم، بل أين تذهبون عن أهل بيت نبيكم؟ انّا من سنخ اصلاب السفينة، وكما نجا في هاتيك من نجا ينجو في هذه من ينجو. أنا رهين بذلك، وويل لمن

(١) الارشاد: ١٢٣، والنقل باختلاف في اللفظ.

(٢) أمالي ابي علي الطوسي ١: ٢٤٠ جزء ٩، والاحتجاج ١: ٢٦٢.

تخلف عنهم، اني فيكم كالكهف لأهل الكهف، واني فيكم باب حطة، من دخل منه نجا، ومن تخلف عنه هلك، حجّة من ذي الحجّة، في حجّة الوداع: اني قد تركت بين أظهركم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله وعترتي أهل بيتي[١].

ثم ان رواياتهم من ابن قتيبة والكليني والطبرسي و(الإرشاد والأمالي) واليعقوبي على اختلافهم في الزيادة والنقصان خالية من ذيل العنوان من قوله «الى الله أشكو» الى آخر العنوان، وانما روى الروضة جزء خطبته عليه السلام في ذي قار منه قوله: ثم انّه سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس في ذلك الزمان شيء أخفى من الحق، ولا أظهر من الباطل، ولا أكثر من الكذب على الله ورسوله صلى الله عليه وآله، وليس عند أهل ذلك الزمان سلعة أبور من الكتاب إذا تلي حق تلاوته، ولا سلعة أنفق بيعاً، ولا أغلى ثمناً من الكتاب إذا حرّف عن مواضعه، وليس في العباد ولا في البلاد شيء هو أنكر من المعروف، ولا أعرف من المنكر، وليس فيها فاحشة أنكر ولا عقوبة أنكى من الهدى عند الضلال في ذلك الزمان، فقد نبذ الكتاب حملته، وتناساه حفظته ـ الخبر[٢].

قول المصنّف: (ومن كلام له عليه السلام في صفة من يتصدى للحكم بين الأمة وليس لذلك بأهل) هكذا في (المصرية وابن أبي الحديد)، وفي نسخة (ابن ميثم): «ومن كلام له في صفة من يتصدى من الأمة للحكم وليس لذلك بأهل»[٣].

وكيف كان فقال بعضهم في عدم أهلية بعض المتصدين للأمور:

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢١١.

(٢) الكافي ٨: ٣٨٧ ح٥٨٦.

(٣) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٨٣، وشرح ابن ميثم ١: ٣١٠ مثل المصرية.

فديوان الضياع بفتح ضاد وديوان الجراح بغير جيم
اذا ولى ابن عيسىٰ وابن موسىٰ فما أمر الأنام بمستقيم

قوله عليه السلام «ان أبغض الخلائق الى الله رجلان» لكثرة مفاسدهما في الاجتماع «رجل وكله الله الى نفسه» لعدم لياقته لأن يكلأه، قال تعالى في ضربه مثلاً ما بعوضة فما فوقها: ﴿يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يضل به إلا الفاسقين* الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض﴾(١).

«فهو» لكلته الى نفسه «جائر عن قصد السبيل» أي: مائلٌ عنه، والأصل فيه قوله تعالىٰ: ﴿وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر﴾(٢).

«مشغوف» يجوز بالعين والغين يقال شعفه الحب، أي: احرق قلبه، ويقال شغفه الحب، أي: بلغ شغاف قلبه، أي: غلافه، وقرئ بهما قوله تعالىٰ: ﴿قد شغفها حبّاً﴾(٣).

«بكلام بدعة ودعاء ضلالة» في (الكافي) عن النبي صلى الله عليه وآله: ابى الله لصاحب البدعة بالتوبة. قيل: وكيف؟ قال: انه قد أشرب قلبه حبها(٤).

«فهو فتنة لمن افتتن به» في (الكافي) عنهم عليهم السلام: من أتى ذا بدعة فعظمه، فانما يسعى في هدم الاسلام(٥).

---

(١) البقرة: ٢٦ و ٢٧.

(٢) النحل: ٩.

(٣) يوسف: ٣٠؛ لفظ المصحف ومشهور القراءات بالغين المعجمة وروي عن الأئمة علي والسجاد والباقر والصادق عليهم السلام وعن يحيى بن يعمر وابن محيصن وفي رواية عن الحسن وقتادة ومجاهد القراءة بالعين المهملة راجع مجمع البيان ٥: ٢٢٨.

(٤) الكافي ١: ٥٤ ح ٤.

(٥) الكافي ١: ٥٨ ح ١٩.

«ضالٌ عن هدىً من كان قبله» في (الكافي) عنه عليه السلام: ما ابتدع أحد بدعة الا ترك بها سنّة[١].

«مضلٌ لمن اقتدىٰ به في حياته وبعد وفاته» في (الكافي) عن الباقر عليه السلام: من أفتىٰ الناس برأيه فقد دان الله بما لا يعلم، ومن دان الله بما لا يعلم فقد ضادَّ الله حيث أحل وحرم في ما لا يعلم[٢].

«حمالٌ خطايا غيره» ممن اقتدى به فله مثل أوزار أعمالهم.

وفي خبر: ان مبتدعاً أراد التوبة، فقال له رسول زمانه: لا تقبل توبتك حتى تحيى من مات عاملاً ببدعتك[٣].

«رهنٌ بخطيئته» في (الكافي) عنه عليه السلام: من نصب نفسه للقياس لم يزل دهره في التباس، ومن دان الله بالرأي لم يزل دهره في ارتماس[٤].

«ورجل» هو الثاني من رجلين هما أبغض الخلائق الى الخالق «قمش» أي: جمع من هنا وهناك «جهلاً» وان سمّاه علماً. قال مسعر بن كدام التابعي «من أبغضني جعله الله محدّثاً».

وقال ابن سلك الفالي:

تصدر للتدريس كلّ مهوس	بليد يسمى بالفقيه المدرس
فحق لأهل العلم ان يتمثلوا	ببيت قديم شاع في كلّ مجلس
لقد هزلت حتى بدا من هزالها	كلاها وحتى سامها كل مفلس

«موضع» من أوضع أي: مسرع «في جهال الأمة» لتعلم الأباطيل «عاد» هكذا في (المصرية)، والصواب: ما في (الخطية) «غاد»، وقال (ابن ميثم) وروى

---

(١) الكافي ١: ٥٨ ح١٩.

(٢) الكافي ١: ٥٧ ح١٧.

(٣) رواه في ضمن حديث البرقي في المحاسن: ٢٠٧ ح٧٠ والصدوق في عقاب الأعمال: ٣٠٦ ح١.

(٤) الكافي ١: ٥٧ ح١٧.

(غار) و(غاد)[١] من غدا يغدو أي: متعجل. قال امرؤ القيس:

وقد اغتدى والطير في وكناتها بمنجرد قيد الاوابد هيكل[٢]

«في أغباش» جمع الغبش: ظلمة آخر الليل «الفتنة» أي: ما يوجب ضلال الناس «عم بما في عقد الهدنة» الفقرة ليست في رواية الخاصة، وانما هي في رواية ابن قتيبة في كتابيه، ورواه الجزري في (النهاية) «عمياناً في غيب الهدنة» وقال أي لا يعرفون ما في الفتنة من الشر، ولا ما في السكون من الخير[٣]، ولابد انه جعلها متصلة بالفقرة التي قبلها، فأشار الى معناهما.

وعن الزمخشري: ما لعلماء السوء جمعوا عزائم الشرع ودوّنوها، ثم رخصوا فيها لامراء السوء وهوّنوها، انما حفظوا وعلقوا وصفقوا وحلقوا ليقمروا المال، وييسروا ويفقروا الأيتام وييسروا، أكمام واسعة فيها أصلال لاسعة، وأقلام كأنها أزلام، وفتوى يعمل بها الجاهل فيتوى.

«قد سمّاه أشباه الناس» في الصورة الذين هم كالبهائم في الحقيقة «عالماً وليس به» فكيف يكون من قمش جهلاً عالماً.

قال الصاحب في قابوس: «تسمى شمس المعالي وهو كسوفها».

«بكّر» أي: أصبح «فاستكثر من جمع ما قلّ» بالضم والرفع، أي: قليل، ولا يحتاج الى تكلفات ابن أبي الحديد وابن ميثم[٤] «منه خير مما كثر».

قد مر في العنوان السابق عند قوله عليه السلام «يكذب على رسول الله متعمداً» ان جمعاً من طالبي حديث العامة من أهل البصرة الذين كانوا يأخذون عن كلّ أحد، ورووا عن الصادق عليه السلام ولا يعرفونه، فقال عليه السلام لبعضهم: حدّثني

---

(١) شرح ابن ميثم ١: ٣١٥.

(٢) أورده في ديوان امرؤ القيس: ١٩.

(٣) النهاية ٥: ٢٥٢، مادة (هدن).

(٤) شرح ابن أبي لاحديد ١: ٢٨٧ وشرح ابن ميثم ١: ٣١٥.

ببعض ما سمعت من غيري. فقال: حدثني سفيان عن محمد ابن علي أن من لم يمسح على خفيه فهو صاحب بدعة، ومن لم يشرب النبيذ فهو مبتدع، ومن لم يأكل الجريث وطعام أهل الذمة وذبائحهم فهو ضالّ، مسح على الخف، وشرب النبيذ عمر، وأحل الذبائح علي. وعن محمد بن المنكدر: ان علياً قال: من فضّلني على أبي بكر وعمر جلدته حد المفتري، وان جعفراً قال: حب أبي بكر وعمر ايمان، وان علياً ود أنه بنخيلات ينبع يأكل من حشفهن، ولم يشهد يوم الجمل ولا النهروان، وانه لما قتل أهل صفين بكىٰ عليهم، وقال جمع الله بيني وبينهم في الجنة، وانّه عليه السلام قال له: لو قال لك جعفر الذي تروي عنه ان هذه الاحاديث كذب ولم أحدث أنا بها هل كنت تصدقه؟ قال: لا لأنّه شهد على قوله رجال لو شَهِدَ أحدهم على عنق رجل لجاز قوله[١].

«حتى اذا ارتوى من» ماء «آجن» أي: المتغير الطعم واللون «واكتنز» أي: امتلأ «من غير طول»[٢] بالفتح أي: فائدة.

نقل ابن قتيبة في (مختلفه): طعن متكلميهم في أهل حديثهم انهم مع افترائهم على الله تعالى في أحاديث التشبيه ـ كحديث عرق الخيل ـ قالوا حديثه انّه تعالى لما أراد أن يخلق نفسه خلق الخيل، فأجراها حتى عرقت، فخلق نفسه من ذاك العرق ـ وزغب الصدر ونور الذراعين ـ قالوا: حديثه انه تعالى خلق الملائكة من شعر ذراعيه أو نورهما ـ وعيادة الملائكة، وقفص الذهب على جمل أورق عشية عرفة، والشاب القطط، ودونه فراش الذهب، وكشف الساق يوم القيامة اذا كادوا يباطشونه، وخلق آدم على صورته، ووضع يده بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين ثندوتي، وقلب المؤمن بين

---

(١) رواه الكشي في معرفة الرجال اختياره: ٣٩٣ ح٧٤١ والنقل بتلخيص.

(٢) مرّ في صدر هذا العنوان بلفظ «طائل».

اصبعين من أصابع الله تعالى.

ومع روايتهم كلّ سخافة تبعث على الاسلام الطاعنين، وتضحك منه الملحدين، وتزهد من الدخول فيه المريدين، وتزيد في شكوك المرتابين، كروايتهم في عجيزة الحوراء انها ميل في ميل، وفيمن قرأ سورة كذا، كذا وكذا، ومن فعل كذا وكذا أسكن من الجنة سبعين ألف قصر، في كلّ قصر سبعون ألف مقصورة، في كلّ مقصورة سبعون ألف مهاد، على كلّ مهاد سبعون ألف كذا، وكروايتهم في الفارة انها يهودية، وانها لا تشرب ألبان الابل كما ان اليهود لا تشربها، وفي الغراب انّه فاسق، وفي السنور انها عطسة الأسد، وفي الخنزير انّه عطسة الفيل، وفي الاربيانة انها كانت خياطة تسرق الخيوط فمسخت، وان الضب كان يهودياً عاقاً فمسخ، وان سهيلاً كان عشاراً باليمن، وان الزُهرة كانت بغياً عرجت الى السماء باسم الله الأكبر فمسخها الله شهاباً، وان الوزغة كانت تنفخ النار على ابراهيم، وان العظاية تمج الماء عليه، وان الغول كانت تأتي مشربة أبي أيوب كلّ ليلة، وان عمر صارع الجني فصرعه، وان الأرض على ظهر حوت، وان أهل الجنة يأكلون من كبده أول ما يدخلون، وان ذئباً دخل الجنة لأنّه أكل عشاراً، واذا وقع الذباب في الاناء فامقلوه، فإن في أحد جناحيه سمّاً وفي الآخر شفاءً، وانّه يقدم السم ويؤخر الشفاء، وان الابل خلقت من الشيطان، مع أشياء كثيرة يطول ذكرها.

ومن عجيب شأنهم انهم ينسبون الشيخ الى الكذب، ولا يكتبون عنه ما يوافقه عليه المحدّثون بقدح يحيى بن معين وعلي بن المديني وأشباههما، ويحتجون بحديث ابي هريرة فيما لا يوافقه عليه أحد من الصحابة، وقد أكذبه عمر وعثمان وعائشة، ويحتجون بقول فاطمة بنت قيس وقد أكذبها عمر وعائشة، وقالوا: لا ندع كتاب ربنا وسنّة نبينا لقول امرأة، ويبهرجون الرجل

بالقدر، فلا يحملون عنه كغيلان وعمرو بن عبيد ومعبد الجهني وعمرو بن فائد، ويحملون عن أمثالهم من أهل مقالتهم كقتادة وابن أبي عروبة وابن أبي نجيح ومحمد بن المنكدر وابن أبي ذئب، ويقدحون في الشيخ يسوي بين علي وعثمان أو يقدم علياً عليه، ويروون عن ابي الطفيل وجابر الجعفي وكلاهما يقول بالرجعة وهم مع هذا أجهل الناس بما يحملون، وأبخس الناس حظاً فيما يطلبون، وقالوا في ذلك:

زوامل للأشعار لا علم عندهم ... بجيدها إلا كعلم الأباعر

لعمرك ما يدري البعير اذا غدا ... بأحماله أرواح، مافي الغرائر

قد قنعوا من العلم برسمه، ومن الحديث باسمه، ورضوا بأن يقولوا فلان عارف بالطرق وراوية للحديث، وزهدوا في أن يقال عالم بما كتب أو عامل بما عمل، قالوا: وما ظنكم برجل منهم يحمل عنه العلم وتضرب اليه أعناق الطي خمسين سنة أو نحوها سئل في ملإٍ من الناس عن فأرة وقعت في بئر فقال «البئر جبار»، وآخر سئل عن قوله تعالى: ﴿ريح فيها صِرٌّ﴾[1] فقال: هو هذا الصرصر، يعني صراصر الليل، وآخر حدّثهم عن سبعة وسبعين ويريد شعبة وسفيان، وآخر روى لهم: «يستر المصلى مثل أجرة الرجل» يريد مثل آخرة الرجل، وسئل آخر متى يرتفع هذا الأجل؟ فقال: الى قمرين - يريد شهري هلال، وقال آخر: «يدخل يده في فيه، فيقضمها قضم الفجل» يريد قضم الفحل، وكلما كان المحدث أموق كان عندهم أنفق، واذا كان كثير اللحن والتصحيف كانوا به أوثق ـ الخ.

«جلس بين الناس قاضياً» قال عليه السلام لشريح: قد جلست مجلساً ما جلسه

---

(١) آل عمران: ١١٧.

الا نبي أو وصي نبي أو شقي[١].

ومر الباقر عليه السلام على محمد بن مسلم عند قاضي المدينة فقال له: وما يؤمنك أن تنزل اللعنة عليه، فتعمّك معه[٢].

وعن الصادق عليه السلام: ان النواويس شكت الى الله تعالى شدّة حرّها، فقال لها اسكني، فان موضع القضاة أشدّ حراً منك[٣].

«ضامناً لتخليص ما التبس» أي: اشتبه «على غيره» قال ابو محمد الواسطي في بعضهم: وما ذلك التيه والصلف، إلا لأنّه كلّما جر جريراً اعتقد انّه قد جر جريراً، وكلّما ركب الكميت ظن انّه قد ارتكب الكميت، وزعم انّه قد بلد لبيداً، وعبد عبيداً.

«فان نزلت به احدى المبهمات هيأ لها حشواً رثاً» أي: رذلاً بالياً «من رأيه ثم قطع به» أي: يصير عنده أمراً مقطوعاً به «فهو من لبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت».

وفي رواية (الاحتجاج): فهو من رأيه في مثل نسج غزل العنكبوت الذي إذا مرت به النار لم يعلم بها[٤].

«لا يدري أصاب أم أخطأ، فان» هكذا في (المصرية) والصواب: (ان) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٥] «اصاب خاف أن يكون قد أخطأ وان أخطأ رجا أن يكون قد أصاب» وذلك لعدم حصول علم له ويقين، بل حدس وتخمين.

قال ابن مناذر في خالد الخزاعي قاضي المهدي:

---

(١) أخرجه الكليني في الكافي ٧: ٤٠٦ ح ٢، والصدوق في الفقيه ٣: ٤ ح ٢، والطوسي في التهذيب ٦: ٢١٧ ح ١.

(٢) أخرجه الصدوق في الفقيه ٣: ٤ ح ١، والكليني في الكافي ٧: ٤١٠ ح ١، والطوسي في التهذيب: ٦: ٢٢٠ ح ١٢.

(٣) أخرجه الصدوق في الفقيه ٣: ٤ ح ٣.

(٤) الاحتجاج ١: ٢٦٢.

(٥) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٨٣، وشرح ابن ميثم ١: ٣١٠ مثل المصرية.

أصم أعمى عن سبيل الهدى قد ضرب الجهل عليه بالحجاب
يا عجباً من خالد كيف لا يخطئ فينا مرة بالصواب.

وقال أبو الأسود ـ كما في (الأغاني) ـ في جد عبيد الله بن الحسن قاضي البصرة، الحصين بن أبي الحر العنبري:

يصيب وما يدري ويخطي وما درى وكيف يكون النوك الا كذلكا

فتقدم رجل مع خصم له الى عبيدالله القاضي، فخلط الرجل في قوله، فتمثل عبيد الله بقول أبي الأسود في جده، فقال له الرجل: ان أحقّ الناس بستر هذا الشعر لأنت، وقد علمت فيمن قيل، فتبسم عبيدالله، وغرم له ما كان خصمه يطالب به.

«جاهل خبّاط» من «خبط البعير» ضرب الأرض بيده لضعف بصرها، أو من «خبط الرجل» إذا طرح نفسه حيث كان لينام، أو من «خبطت الشجرة» إذا ضربتها بالعصا ليسقط ورقها.

«جهالات»، مضاف اليه لخباط «عاش» في (الصحاح): العشوة ان تركب امراً على غير بيان، يقال «اوطأتني عُشوة وعِشوة» أي: أمراً ملتبساً، وذلك اذا اخبرته بما أوقعته به في حيرة أو بلية «ركاب عشوات» أي: حيرات وظلمات.

في (مختلف ابن قتيبة) قال يحيى بن مخنف: جاء رجل من أهل المشرق الى أبي حنيفة بكتاب وهو بمكة، فعرضه عليه وقد جمعه مما سمعه منه، فرجع عن ذلك أبو حنيفة، فوضع الرجل التراب على رأسه ثم قال: يا معاشر الناس أتيت هذا الرجل عام أول فأفتاني هذا الكتاب، فهرقت به الدماء وأبحت به الفروج، ثم رجع عنه الآن. فقال أبو حنيفة: هذا رأي رأيته، وقد رجعت عنه. فقال له الرجل: فتؤمنني ألا ترى من قابل شيئاً آخر. قال: لا أدري كيف يكون. قال الرجل: لكني أدري أن من أخذ عنك فهو ضالٌّ.

وقال الجاحظ: قال النظام: رويتم عن إسماعيل عن الشعبي ان قوماً سألوا زيد بن ثابت عن شيء فكتبوه، فقال: وما يدريكم لعلّي قد أخطأت وانما اجتهدت لكم رأيي.

وعن المغيرة عن ابراهيم: ان عمر قضىٰ بقضاء، فقال له رجل: أصبت والله. فقال: وما يدريك أني أصبت، والله ما يدري عمر أصاب أم أخطأ.

وعن عمرو عن طاووس ان ابن عمر سئل عن شيء فقال: لا أدري، فان شئت أخبرتك بالظن.

قال النظام: فقد أقرّ القوم على أنفسهم أنّهم بالظن كانوا يريقون الدماء، وبالظن يبيحون الفروج، وبالظن يحكمون بالأموال، وبالظن يوجبون العبادات، وقد نهى تعالى ان يحكموا بالظن ويشهدوا، فقال ﴿الا من شهد بالحق وهم يعلمون﴾[1]، فأمر بالعلم واليقين، وخالف القوم، فعملوا بالظن، وعلموا ان الناس منقادون لهم، وانهم ما قالوا من شيءٍ حتم لا مردّ له. واذا كان هذا المذهب موجوداً في الأكابر والأصاغر من السلف، فما ظنّك بالتابعين، ثم ما ظنّك بالفرق التي تليهم، واذا كان هذا ما أقروا به على أنفسهم، فما لم يقروا به ـ ورأوا ستره ـ أكثر[2].

«لم يعضّ على العلم بضرس قاطع» كما قال بعضهم في وصف بعض: كان يغلط في علمه من وجوه أربعة: يسمع غير ما يقال له، ويحفظ غير ما يسمع، ويكتب غير ما يحفظ، ويحدث بغير ما يكتب.

هذا ولليزيدي في الكسائي واصحابه:

فهم من النحو ولو عمروا أعمار عاد في أبي جاد

---

(١) الزخرف: ٨٦.

(٢) رواه عنه الشريف المرتضى في الفصول المختارة ٢: ١٦٤ و ١٦٥.

وأنشد أبو دلامة يوماً السفاح والناس يستحسنونه، فقال له: والله ما يدرون ما أقول، وانما يستحسنونه باحسانك، ثم أنشد:

أنعت مهراً كاملاً في خلقه   مركباً عجانه في ظهره

فاستحسنوه، فقال له:ألم أقل لك انّهم لا يحسنون شيئاً، كيف يكون عجانه في ظهره؟ وقال البحتري:

جزل الرقاعة فدم يدعى أدباً   وليس يفرق بين التين والطين

وقال بعضهم : رأيت ابن الجصاص يقبل المصحف ويبكي، فقلت له: ما يبكيك؟ فقال: أكلت اليوم مخيضاً وبصلاً مع النساء، ثم نظرت في المصحف فرأيته فيه: «ويسألونك عن المخيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المخيض»[1]، فتعجبت من قدرة الله كيف بيّن كلّ شيء في القرآن حتى المخيض وأكله مع النساء.

وعن ابن الراوندي: مررت بشيخ وبيده مصحف، وهو يقرأ «ولله ميزاب السماوات والأرض»[2]، فقلت: ما ميزابهما؟ قال: هذا المطر. قلت: انما هو «ميراث السموات والأرض».قال: أنا من أربعين سنة أقرؤها هكذا.

هذا، وفي العقد قال مساور العزاف في أهل القياس:

وكنّا من الدين قبل اليوم في سعة   حتى بلينا بأصحاب المقاييس

قاموا من السوق إذ قامت مكاسبهم   فاستعملوا الرأي بعد الجهد والبؤس

فلقيه أبو حنيفة وقال له: هجوتنا نحن نرضيك، فبعث اليه بدراهم، فكف عنه وقال:

إذا ما الناس يوماً قايسونا   بمسألة من الفتيا ظريفة

---

(١) البقرة: ٢٢٢، والأصل فيه «المحيض» بالحاء المهملة.

(٢) آل عمران: ١٨٠ والحديد: ١٠، والأصل فيهما «ميراث».

أتيناهم بمقياس صحيح بديع من طراز أبي حنيفة
اذا سمع الفقيه بها دعاها وأثبتها بحبر في صحيفة

«يذري» من «أذريت الشيء» إذا ألقيته كالقائك الحب للزرع «الروايات اذراء الريح الهشيم» أي: النبات اليابس المتكسر.

في الكشي: ان سلمان كان يقول للناس: هربتم من القرآن الى الأحاديث، وجدتم كتاباً دقيقاً حوسبتم فيه على النقير والقمطير، والفتيل وحبة خردل، فضاق عليكم ذلك، وهربتم الى الأحاديث التي اتسعت عليكم[1].

هذا، وقال ابن أبي الحديد: قوله «يذروا الروايات» هكذا أكثر النسخ، وأكثر الروايات «يذري» من أذرى، وقد أوضحه قوله «اذراء الريح»، والاجود الرواية الأخرىٰ «يذرو الروايات ذرو الريح»، كما نقله غريب حديث ابن قتيبة، قال تعالى: ﴿فأصبح هشيماً تذروه الرياح﴾[2].

قلت: مثل ما نقله عن (غريب ابن قتيبة عيون ابن قتيبة)، ثم ما نقله عن (النهج) «يذرو الروايات اذراء الريح» ليس كما قال، فنقل ابن ميثم عنه «يذري الروايات اذراء الريح» ونسخته بخط المصنف[3].

كما ان ما قاله من أن «يذري» من أذرى ليس بمتعين، انما يكون من أذرى اذا كان بضم الياء، وأما اذا كان بفتحها فمن «ذرا». قال الجوهري: «ذرت الريح التراب تذروه وتذريه ذرواً وذرياً أي: سفته». قلت: وذرواً أحسن، قال تعالى: ﴿والذاريات ذرواً﴾[4] والمراد بها الرياح.

وبالجملة (النهج) «تذري اذراء» وكتابا ابن قتيبة «تذرو ذرواً»

---

(١) اختيار معرفة الرجال: ١٨ ح٤٢.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٨٥. والآية ٤٥ من سورة الكهف.

(٣) شرح ابن ميثم ١: ٣١٧.

(٤) الذاريات: ١.

و(الكافي) و(الإرشاد) «يذري ذرواً» كما مر[1].

«لامليء والله بإصدار ما ورد عليه».

قال الشاعر:

هـو لمـن يأتـيه جـهلاً بـه   مثل سراب البيد للصّادي

في (تاريخ بغداد): قدم الى أبي يوسف مسلم قتل ذمياً، فأمر به ان يقاد به، ووعدهم ليوم، وأمر بالقاتل فحبس، فلما كـان فـي اليـوم الذي وعـدهم، حضر أولياء الذمي وجيء بالمسلم القاتل، فلما هـمّ أبـو يـوسف أن يـقول: اقيدّوه، رأى رقعة قد سقطت، فتناولها صاحب الرقاع وحبسها، فقال: ما هذه التي حبستها، فدفعها إليه، فإذا فيها أبيات شعر قالها ابو المضرجي:

يـــا قـــاتل المســـلم بـــالكافر   جـــرت ومـــا العـــادل كـــالجائر

يـــا مـــن بـــبغداد وأطـــرافـــها   مـــن فـــقهاء النـــاس أو شـــاعر

جـار عـلى الديـن أبـو يـوسف   إذ يـــقتل المســـلم بـــالكافر

فاسترجعوا وابكوا على ديـنكم   واصـــطبروا فـــالأجر للـــصابر

فأمر بالقمطر، فشد وركب الى الرشيد، فحدثه بالقصة واقرأه الرقعة، فقال له الرشيد: اذهب فاحتل، فلما عاد ابو يـوسف الى داره، وجـاءه أوليـاء الذمي يطالبونه بالقود، قال لهم: ايتوني بشاهدين عدلين ان صـاحبكم كـان يؤدي الجزية.

وفيه: قال سليمان بن فليح: حضرت مجلس هارون الرشيد ومعه أبو يوسف، فذكر سباق الخيل، فقال ابو يوسف: سابق النبي صلى الله عليه وآله من الغاية الى بنية الوداع. فقلت للرشيد: انه صحف، انما هو «من الغـابة الى ثـنية الوداع»، وهو في غير هذا أشدّ تصحيفاً.

---

(۱) شرح ابن أبي الحديد ۱: ۲۸٥، نقلاً عن غريب ابن قتيبة والكافي ۱: ٥٥ والإرشاد: ۱۲٤.

وفيه قال سعيد بن منصور: قال رجل لأبي يوسف: رجلٌ صلّى مع الامام في مسجد عرفة ثم وقف حتى دفع بدفع الامام ماله؟ قال: لا بأس به. فقال له: سبحان الله، قد قال ابن عباس: من أفاض من عرفة فلا حجّ له، مسجد عرفة في بطن عرنة. فقال: أنتم أعلم بالأحكام، ونحن أعلم بالفقه. فقال: اذا لم تعرف الأصل كيف تكون فقيهاً.

وفيه: قال يحيى القطان: قال جار له: حدّثنا أبو يوسف عن أبي حنيفة عن جواب التيمي، فقال: مرجئ عن مرجئ عن مرجئ.

وفيه: قال عبدالله بن إدريس: كان أبوحنيفة ضالاً مضلاً، وأبو يوسف فاسق من الفاسقين.

وفيه: قال ابو صخرة الرياشي في يحيى بن أكثم:

لا أفلحت أُمة وحق لها ... بطول مكس وطول تعاس
ترضى بيحيى ان يكون سائسها ... وليس يحيى لها بسواس
قاضٍ يرى الحدَّ في الزناء ولا يرى ... على من يلوط من بأس

قلت: لو كان قال:

قاضٍ يرى الحدَّ في النكاح ولا ... يرى على من يلوط من بأس

كان أتم معنى وأكمل وصفاً له، فكان المأمون أراد أن ينادي في الناس بإباحة المتعة حسبما دل عليها الكتاب والسنة، فخوفه يحيى بالعامة، وان عمر جعلها زناً، وجعل الرجم فيها.

وكان يستدل لعمله الذي كان مكباً عليه بقوله تعالىٰ: ﴿أو يزوجهم ذكراناً واناثاً﴾[1].

هذا، وفي أخبار حكماء القفطي في زكريا الطيفوري قال: كان يوسف

---

(١) الشورى: ٥٠.

لقوة الكيميائي يدخل على المأمون كثيراً ويعمل بين يديه، فقال له المأمون يوماً: ويحك يا يوسف ليس في الكيمياء شيء؟ فقال: بلى الصيدلاني لا يطلب منه شيء من الأشياء كان عنده أو لم يكن، إلا أخبر بأنّه عنده، ودفع الى طالبه شيئاً مما عنده، وقال هذا الذي طلبت، فان رأى الخليفة أن يضع اسماً لا يعرف، ويوجّه الى جماعة من الصيادلة في طلبه فليفعل، فقال المأمون: قد وضعت الاسم وهو شفطيا وشفطيا ضيعة من الضياع قرب بغداد ـ فسير المأمون جماعة الى الصيادلة يسألهم عن شفطيا، فكل ذكر انّه عنده، وأخذ الثمن ودفع شيئاً من حانوته، فصاروا الى المأمون بأشياء مختلفة، فمنهم من أتى بقطعة حجر، ومنهم من أتى بقطعة وتد، ومنهم من أتى ببعض البزور[1].

«ولا هو أهل لما فوّض اليه» هكذا في (المصرية)، وهذه الجملة ليست في (ابن ميثم والخطية)، وأما وجودها في نسخة (ابن أبي الحديد) فالظاهر كونها من زيادات المحشين حيث قال في شرح «لامليء باصدار ما ورد عليه»: وفي كتاب ابن قتيبة تتمة هذا الكلام «ولا أهل لما قرظ به» قال: أي: ليس بمستحق للمدح الذي مدح به، والذي رواه عن التتمة هو الصحيح الجيد، لأنّه يستقبح في العربية ان تقول «لأزيد قائم» حتى تقول «ولا عمرو» أو «ولا قاعد»[2].

قلت: الأمر كما قال من تكرار «لا»، فيجب تكراره اذا دخلت على الأسمية واهملت، كقوله تعالى: ﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار﴾[3] الا ان قوله حتى يقول «ولا عمرو» أو «ولا قاعد» غلط، فبعد «لأزيد قائم» يتعيّن أن يقول «ولا عمرو» أو «ولا عمرو قاعد»، وانما يصح «ولا قاعد»

---

(١) اخبار الحكماء.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٨٥، وشرح ابن ميثم ١: ٣١٧.

(٣) يس: ٤٠.

اذا قيل «زيد لا قائم» نحو: ﴿انها بقرة لا فارض ولا بكر﴾[١].

وكيف كان فالتكرار واجب، والنهج خال منه، وقد نقل التكرار غير ابن قتيبة الكليني والمفيد على اختلافهما في لفظ الفقرتين كما مر.

كما أن ما نقله عن ابن قتيبة من قراءته «قرظ» بالقاف والظاء المعجمة، وتفسيره بالمدح غلط، وانما هو «فرط» بالفاء والطاء المهملة، يقال «فرطتهم» أي: سبقتهم الى الماء، والفرط بفتحتين الذي يتقدم الواردة، فيهيّىء لهم الأرسان والدلاء، ويمدر الحياض، ويستقي لهم، حيث قال عليه السلام «لاملىء باصدار ما ورد عليه» قال بمناسبته «ولا أهل لما فرط به» بقاعدة البلاغة، والجمع بين الورد والفرط في كلام العرب كثير، قال القطامي:

فاستعجلونا وكانوا من صحابتنا كما تقدم فرّاط لورّاد

وقال الراجز:

ومنهل وردته التقاطا لم ار اذ وردته فرّاطا[٢]

ومن كلامهم «وردت قبل فراط القطا» أي: متقدمات القطا الى الورد، وحينئذ فالمعنى «ولا هو أهل لما تقدم به، كالفرط الذي يتقدم القوم».

وأيضاً لم يكن قبل الفقرات أن أحداً مدحه حتى يقال «ولا هو أهل لما قرظ به»، وانما ذكر قبله أوصافه الرذيلة «لا يحسب العلم في شيء مما أنكره» في (مختلف ابن قتيبة): كان الأوزاعي يقول: انا لا ننقم على أبي حنيفة الرأي، واننا كلّنا نرى، ولكنّا ننقم عليه أنّه يجيء بالحديث عن النبي صلى الله عليه وآله فيخالفه الى غيره.

وفيه: وقال حماد بن زيد: شهدت أبا حنيفة وقد سئل عن محرم لم يجد

---

(١) البقرة: ٦٨.

(٢) أورده لسان العرب ٧: ٣٦٦ و ٣٦٧، مادة (فرط).

ازاراً، فلبس سراويل، فقال عليه الفدية، فقلت: سبحان الله، حدثنا عمرو بن دينار عن جابر بن يزيد عن ابن عباس قال: سمعت النبي ﷺ في المحرم اذا لم يجد أزاراً لبس سراويل، واذا لم يجد نعلين لبس خفين. فقال: دعنا من حديث النبي، حدثنا حمّاد بن أبي مسلم عن ابراهيم النخعي قال: عليه الكفارة.

وروىٰ علي بن عاصم انّه حكي لأبي حنيفة قضية عن ابن مسعود، فقال: هذا قضاء الشيطان.

«ولا يرى أن من وراء ما بلغ مذهباً لغيره» في (مختلف ابن قتيبة): روى أبو عاصم عن أبي عوانة قال: كنت عند أبي حنيفة، فسئل عن رجل سرق تمراً. فقال: عليه القطع. فقلت: حدّثنا يحيى بن سعيد عن محمد بن يحيى عن رافع ابن خديج قال: قال النبي ﷺ: لا قطع في ممر ولا كثر. قال: ما بلغني هذا، ولو بلغني ما أفتيت بخلافه. قلت: فرد الرجل الذي أفتيته. فقال: دعه انما جرت به البغال الشهب.

«وان أظلم أمر» هكذا في (المصرية) والصواب: «وان أظلم عليه أمر» «اكتتم به لما يعلم من جهل نفسه».

في (تاريخ بغداد): سئل قيس بن الربيع عن أبي حنيفة، فقال: انا أعلم الناس به، كان أعلم الناس بما لم يكن، وأجهلهم بما كان.

«تصرخ من جور قضائه الدماء وتعج» أي: تصيح «منه المواريث» قد عرفت ان ابن قتيبة والكليني والمفيد زادوا في رواياتهم «ويستحلّ بقضائه الفرجَ الحرام»[1].

في (خلاف الشيخ): روى ابن المبارك عن أبي حنيفة ان امرأة شكت إليه زوجها، وآثرت فراقه، فقال لها: ارتدّي، فيزول النكاح.

---

(١) عيون الاخبار : ، والكافي ١: ٥٦، والارشاد: ١٢٤.

وفيه قال علي بن عاصم: قال أبو حنيفة لزوج امرأة ـ في قصة معروفة ـ قبّل أُمها بشهوة، فان نكاح زوجتك ينفسخ.

وفيه قال محمد بن الحسن: لو أن رجلاً حضر عند الحاكم، فادّعى «ان فلانة زوجتي» وهو يعلم انّه كاذب، وشهد له بذلك شاهدان زوراً، فحكم الحاكم له بها، حلّت له ظاهراً وباطناً[1].

وكذلك على قولهم ان رجلاً تزوج بامرأة جميلة، فرغب فيها أجنبي قبل دخول زوجها بها، فأتى هذا الأجنبي الحاكم، فادعى انها زوجته، وان زوجها طلقها قبل الدخول بها، وشهد له بذلك شاهدان زوراً، وحكم الحاكم بذلك، نفذ حكمه، وحرمت على الأول ظاهراً وباطناً، وحلت للمحتال ظاهراً وباطناً.

وفي (تاريخ بغداد): جاء إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة الى أبي بكر بن عياش، فضرب ابن عياش يده على ركبتي إسماعيل وقال له: كم من فرج حرام قد أباحه جدك.

وفيه عن خالد بن يزيد بن أبي مالك: أحل أبو حنيفة الزنا، وأهدر الدماء، أما الدماء فقال لو ان رجلاً ضرب رجلاً بحجر عظيم فقتله، كان على العاقلة دية. وتكلّم ـ ولم يحسن النحو ـ فقال: لو ضربه بأبا قبيس كان على العاقلة ـ الخ.

ولما مدح مساور أبا حنيفة بما مر في شرح «لم يعض على العلم» أجابه بعضهم فقال:

اذا ذو الرأي خاصم في قياس ... وجاء ببدعة هنة سخيفة
اتيناهم بقول الله فيها ... وآثار مبرزة شريفة
فكم من فرج محصنة عفيف ... أحل حرامه بأبي حنيفة

---

(١) الخلاف ٣: ٣٩ و ٤٠.

أحل أبو حنيفة بنت صلب ... تكون من الزنا عرساً صحيحة

هذا، وفي (تاريخ بغداد): لما عزل إسماعيل بن حمّاد عن البصرة، شيّعوه فقالوا: عففت عن أموالنا وعن دمائنا. فقال لهم: وعن أبنائكم ـ يعرض بيحيى ابن أكثم في اللواط.

وقال البحتري في ابن أبي الشوارب القاضي ـ وسمّاه ابن أبي الشوارب والسبال:

نصرت الأوصياء على اليتامى ... وقدمت النساء على الرجال

وأحرزت الوقوف فصرت أولى ... بهن من الكلالة والموالي

«الى الله أشكو من معشر يعيشون جهّالاً ويموتون ضلالاً» ورد ابن أبي ليلى على الصادق عليه السلام، فقال له: أنت قاضي المسلمين؟ قال: نعم. قال: تأخذ مال هذا فتعطيه هذا، وتفرّق بين المرء وزوجه، لا تخاف في ذلك أحداً؟ قال: نعم. قال: فبأي شيء تقضي؟ قال: بما بلغني عن النبي، وعلي، وأبي بكر، وعمر. قال: فبلغك عن النبي صلى الله عليه وآله ان علياً أقضاكم. قال: نعم. قال: فكيف تقضي بغير قضاء علي، فما تقول اذا أخذ النبي صلى الله عليه وآله بيدك فأوقفك بين يدي ربك فقال: يا رب ان هذا قضى بغير ما قضيت ـ فاصفرّ وجهه[1].

ولما ورد غيلان بن جامع المحاربي قاضي ابن هبيرة على الصادق عليه السلام قال عليه السلام له: ما أظن ابن هبيرة وضع على قضائه إلا فقيهاً. قال: أجل. قال: تجمع بين المرء وزوجه، وتفرّق بينهما، وتقتل، وتضرب الحدود، وتحكم في أموال اليتامى. قال: نعم. قال: وبقضاء من تقضي؟ قال: بقضاء عمر، وابن مسعود، وابن عباس، وأقضي بشيء من قضاء علي. قال عليه السلام: ألستم تزعمون يا أهل العراق وتروون ان النبي صلى الله عليه وآله قال: «علي أقضاكم»؟

---

(١) أخرجه الكليني في الكافي ٧: ٤٠٨ ح٥، والطوسي في التهذيب ٦: ٢٢٠ ح١٣.

قال: نعم. قال: فكيف تقول اذا جمع الله الأولين والآخرين في صعيدٍ، ثم وجدك قد خالفت قضاء النبي ﷺ وعلي عليه السلام، فجعل غيلان ينتحب، فقال عليه السلام له: أيّها الرجل أقصد لشأنك[1].

وفي (يتيمة الثعالبي): ان عمرو بن العاص غير الخاتم من يمينه الى شماله، فاقتدى العامة به الى يومنا هذا.

وقال السلامي: ان النبي ﷺ والخلفاء كانوا يتختمون في أيمانهم، فنقلها معاوية الى اليسار، وأخذ الناس بذلك. قال الثعالبي:

سنَّ التختمَ في اليمين محمدٌ ... للقائلين بدعوة الاخلاص

فسعى ابن هند في إزالة رسمه ... وأعانه في ذلك ابن العاص[2]

«ليس فيهم سلعة» أي: متاع «أبور» أي: أكسد «من الكتاب اذا تلي حق تلاوته».

في (الحلية) في أبي سالم الدباغ قال: رأيت النبي ﷺ في المنام، فقلت: اقرأ عليك يا رسول الله؟ فقال: نعم، فاستفتحت واستعذت، وقرأت عليه فاتحة الكتاب، وعشرين آية من أول سورة البقرة، فلم يردَّ علي شيئاً، فقلت: يا رسول الله لم تردّ عليّ شيئاً أحبّ أن تأخذ عليّ كما أنزل. فقال: لو أخذت عليك كما أنزل رجمك الناس بالحجارة.

«ولا سلعة أنفق بيعاً» أي: أروج «ولا أغلى ثمناً من الكتاب اذا حرّف عن موضعه» هكذا في (المصرية) والصواب: (مواضعه) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[3].

---

(١) أخرجه الكليني في الكافي ٧: ٤٢٩ ح١٣.

(٢) نقله عنه الشارح في كتاب الأوائل: ٤، أيضاً لكن لم أظفر به في يتيمة الدهر.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٨٤، وشرح ابن ميثم ١: ٣١١.

وفي (العقد): ان عائشة لما كتبت الى زيد بن صوحان «ثبّط الناس عن علي»، كتب اليها انك امرت بأمر وأمرنا بغيره، أُمرتِ ان تقري في بيتك، وامرنا ان نقاتل الناس حتى لا تكون فتنة، فتركت ما أمرت به، وكتبت تنهانا عمّا أمرنا به.

وفي (تاريخ الطبري): أقبل زيد ومعه كتاب من عائشة اليه خاصة، وكتاب منها الى أهل الكوفة عامة تثبطهم عن نصرة علي عليه السلام، وتأمرهم بلزوم الأرض. فقال: أيها الناس انظروا الى هذه أُمرت أن تقرّ في بيتها، وأمرنا نحن أن نقاتل حتى لا تكون فتنة، فأمرتنا بما أمرت به، وركبت ما أمرنا به. فقام اليه شبث بن ربعي فقال له: وما أنت وذاك أيها العماني، سرقت أمس بجلولاء، فقطعك الله وتسب ام المؤمنين[1].

انظروا الى أن أُمهم أمرت بالمنكر، ونهت عن المعروف، وحرّفت الكتاب، وابنها شبث الجافي الجلف وقاتل الحسين عليه السلام أنكر على زيد إنكاره عليها مخالفة كتاب الله، وكان زيد قطع يده في سبيل الله تعالى، فسمّى الخبيث قطع يده في سبيل الله سرقة، وكان النبي صلى الله عليه وآله قد أخبر زيداً بأن يده تقطع في سبيل الله، ثم يتبع الله آخر جسده بأوله[2]، وصار كما قال، فاستشهد في الجمل، وقال قبل قتله: ما أراني إلا مقتولاً رأيت يدي نزلت من السماء وهي تستشيلني ـ اف لهم ولدينهم.

وفي (تاريخ بغداد) عن الشافعي: نظرت في كتب لأصحاب أبي حنيفة، فإذا فيها مائة وثلاثون ورقة، فعددت منها ثمانين ورقة خلاف الكتاب والسنة.

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٤٩٨، سنة ٣٦.

(٢) أخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب ١: ٥٦٠، وأبو يعلى وابن مندة عنهما الاصابة ١: ٥٨٢ و ٥٨٣ وابن عدي الخطيب وابن عساكر عنهم منتخب كنز العمال ٥: ١٨٧، واسد الغابة ٢: ٢٣٤.

وفي (الاستيعاب) عن الحسن: كتب زياد الى الحكم بن عمرو الغفاري وهو على خراسان ان معاوية كتب الي ان تصطفي له البيضاء والصفراء، فلا تقسم بين الناس ذهباً ولا فضة، فكتب اليه الحكم: اني وجدت كتاب الله قبل كتاب معاوية. ثم قال للناس: أغدوا على مالكم، فقسمه بينهم، ثم قال: اللهم ان كان لي عندك خير فاقبضني اليك ـ فمات بخراسان بمرو[١].

وفي (عيون ابن قتيبة) عن سديف مولى اللهبيين انه كان يقول: اللهم اشتريت المعازف والملاهي بسهم الايتام والأرملة، وحكم في أبشار المسلمين أهل الذمة، وتولى القيام بامورهم فاسق كلّ محله. اللهم وقد استحصد زرع الباطل، وبلغ نهايته، واجتمع طريده، اللهم فأتح لهم من الحق يداً حاصدة تبدد شمله، وتفرّق أمره.

وذكر رجل قوماً فقال: يصومون عن المعروف ويفطرون على الفحشاء.

وسأل الحلبي الصادق عليه السلام عن الحجّ فقال له: تمتع. ثم قال له: إنّا اذا وقفنا بين يدي ربنا قلنا يا رب أخذنا بكتابك وسنّة نبيك، وقال الناس رأينا رأينا[٢].

كانوا كما قيل في البرمكيين، وكما قيل في بشر بن الوليد قاضي المأمون:

اذا ذكر الشرك في مجلس ... أنارت وجوه بني برمك
وان تليت عندهم آية ... اتوا بالأحاديث عن مزدك
ينفي شهادة من يدين بما ... به نطق الكتاب وجاءت الآثار

(١) الاستيعاب ١: ٣١٥.

(٢) أخرجه الطوسي في التهذيب ٥: ٢٦ ح٥، والاستبصار ٢: ١٥٠ ح٢.

هذا، وعن عوانة: خطبنا عتبة بن النهاس العجلي، فقال: ما أحسن ما قال تعالىٰ في كتابه:

ليس حي على المنون بباق غير وجه المسبح الخلاق

فقمت اليه فقلت: أيها الرجل ان الله عزوجل لم يقل هذا، انما قاله عدي ابن زيد، فنزل عن المنبر.

وعنه اتي عتبة بامرأة من الخوارج، فقال: يا عدوّة الله ما خروجك على الخليفة، ألم تسمعي قول الله:

كتب القتل والقتال علينا وعلى المحصنات جر الذيول

فحركت رأسها وقالت: يا عدو الله، حملني على الخروج جهلكم بكتاب الله عزوجل.

«ولا عندهم أنكر من المعروف ولا أعرف من المنكر» في الخبر عن النبي صلى الله عليه وآله: يأتي بعدي زمان لا يأمرون بالمعروف، ولا ينهون عن المنكر، فعجبوا، فقال: يأتي زمان يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف، فعجبوا أكثر، فقال: يأتي زمان يصير المعروف عندهم منكراً، والمنكر معروفاً[1].

وفي الحلية في أحمد بن حنبل عن أنس بن مالك: ما أعرف اليوم شيئاً مما كنّا عليه على عهد النبي صلى الله عليه وآله، قيل: فأين الصلاة؟ قال: أو لم تضعوا في الصلاة ما قد علمتم.

هذا، ويأتي في فصل القرآن قوله عليه السلام: وليس عند أهل ذلك الزمان سلعة أبور من الكتاب اذا تلي حق تلاوته، ولا أنفق اذا حرّف عن مواضعه، ولا في البلاد شيء أنكر من المعروف، ولا أعرف من المنكر[2].

---

(١) أخرجه الكليني في الكافي ٥: ٥٩ ح ١٤، والطوسي في التهذيب ٦: ١٧٧ ح ٨، والحميري في قرب الاسناد ٢٦.

(٢) يأتي في العنوان ١٢ من الفصل الحادي والأربعين.

٤
الخطبة (٨٥)

بَعْدَ ذكر العالم العارف:

وَآخَرُ قَدْ تَسَمَّى عَالِماً وَلَيْسَ بِهِ، فَاقْتَبَسَ جَهَائِلَ مِنْ جُهَّالٍ وَأَضَالِيلَ مِنْ ضُلَّالٍ، وَنَصَبَ لِلنَّاسِ شَرَكاً مِنْ حَبَائِلِ غُرُورٍ وَقَوْلِ زُورٍ، قَدْ حَمَلَ ٱلْكِتَابَ عَلَى آرَائِهِ وَعَطَفَ ٱلْحَقَّ عَلَى أَهْوَائِهِ، يُؤَمِّنُ مِنَ ٱلْعَظَائِمِ وَيُهَوِّنُ كَبِيرَ ٱلْجَرَائِمِ، يَقُولُ أَقِفُ عِنْدَ ٱلشُّبُهَاتِ، وَفِيهَا وَقَعَ، وَأَعْتَزِلُ ٱلْبِدَعَ، وَبَيْنَهَا ٱضْطَجَعَ. فَالصُورَةُ صُورَةُ إِنْسَانٍ، وَٱلْقَلْبُ قَلْبُ حَيَوَانٍ، لَايَعْرِفُ بَابَ ٱلْهُدَى فَيَتَّبِعَهُ وَلَا بَابَ ٱلْعَمَى فَيَصُدَّ عَنْهُ. فَذَلِكَ مَيِّتُ ٱلْأَحْيَاءِ.

«وآخر» غير عبد أعانه الله على نفسه مع سائر محامده «قد تسمى عالماً وليس به» هو نظير قوله عليه السلام في سابقه «قد سماه أشباه الناس عالماً وليس به».

فممن تسمى عالماً وليس به من أئمتهم الأربعة مالك بن أنس الذي كان مغنياً من تلامذة طويس المغني ـ كما في (الأغاني) ـ وكان قبيح الوجه، فأشارت أُمه اليه بطلب الفقه فصار امام ضلال، كان يقول ـ كما في العقد ـ والله ما اقتتل علي وعثمان وطلحة والزبير إلا على الثريد الأعفر.

ومنهم سفيان الثوري، كان في شرطة هشام بن عبد الملك، وشهد قتل زيد بن علي، وكان من الكذّابين في الحديث.

ومنهم مسروق بن الأجدع، أوصى أن يدفن في مقابر اليهود ليخرج من قبره، وليس هناك من يؤمن بالله ورسوله غيره.

«فاقتبس» أي: اكتسب «جهائل» جمع الجهالة «من جهال وأضاليل من ضلال».

في (المسترشد): روى أبو أيوب الشاذكوني قال: حدّثنا معاذ بن أعضف سمعت شعبة يقول: قد أخذت من أربعمائة شيخ، ثلاثمائة وثمانية وتسعون مدلسون، إلا رجلين أبو عون وعمرو بن مرة.

وفي (تاريخ بغداد) عن أبي بكر بن أبي داود: جميع ما روى أبو حنيفة من الحديث مائة وخمسون حديثاً، أخطأ في نصفها.

وفيه عن النضر بن شميل: في كتاب (حيل أبي حنيفة) كذا كذا مسألة كلّها كفر، وقال عبدالله بن المبارك : من نظر في كتاب حيله أحل ما حرم، وحرّم ما أحل. وقيل له: ما وضع كتاب الحيل إلا شيطان؟ فقال: بل كان الذي وضعه أشرّ من الشيطان، وكان حمّاد بن سلمة يكنّيه أبا جيفة.

«ونصب للناس شركاً» هكذا في (المصرية)، والصواب: «أشراكاً» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[1]، والاشراك: جمع الشرك بفتحتين حبالة الصائد.

«من حبائل» جمع حبالة، وفي (ابن ميثم والخطية) (من حبال)[2] «غرور وقول زور» أي: الكذب والباطل.

قال الصادق عليه السلام قال النبي صلى الله عليه وآله: من عمل بالمقاييس فقد هلك وأهلك، ومن أفتى الناس وهو لا يعلم الناسخ من المنسوخ، والمحكم من المتشابه فقد هلك وأهلك.

قال ابن شبرمة: ما ذكرت هذا الحديث من جعفر بن محمد الا

---

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٦: ٣٧٢، لكن في شرح ابن ميثم ٢: ٢٩٧ مثل المصرية.

(٢) شرح ابن ميثم ٢: ٢٩٧.

كاد أن يتصدع له قلبي[١].

«قد حمل الكتاب على آرائه وعطف الحق على أهوائه» في (تاريخ بغداد): قال شريك: كفر أبو حنيفة بآيتين من كتاب الله، قال تعالىٰ: ﴿ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾[٢] و﴿ليزدادوا ايماناً مع ايمانهم﴾[٣]، وزعم أبوحنيفة ان الايمان لا يزيد ولا ينقص، وزعم ان الصلاة ليست من دين الله.

قلت: بل بثلاثة آيات، فلما سألوا النبي صلى الله عليه وآله بعد تحويل القبلة عن صلواتهم الاولى نزل ﴿وما كان الله ليضيع ايمانكم﴾[٤].

وفيه: قيل لأبي حنيفة: ما تقول في رجل قتل أباه، ونكح امه، وشرب الخمر، في رأس أبيه؟ فقال: مؤمن.

وفيه: سئل ابو حنيفة عن رجل لزم غريماً له، فحلف له بالطلاق ان يعطيه حقّه غداً، الا ان يحول بينه وبينه قضاء الله، فلما كان من الغد جلس على الزنا، وشرب الخمر. قال: لم يحنث.

«يؤمّن من العظائم ويهون كبير الجرائم» في (تاريخ بغداد) عن مالك بن أنس: كانت فتنة أبي حنيفة أضرّ على هذه الأمة من فتنة ابليس في الوجهين جميعاً، في الأرجاء، وما وضع من نقض السنن.

وفي (الكافي) عن الباقر عليه السلام: اتقوا المحقرات من الذنوب، فان لها طالباً، يقول أحدكم: أُذنب واستغفر، ان الله تعالى يقول: ﴿ونكتب ما قدموا وآثارهم وكلّ شيء أحصيناه في امام مبين﴾[٥] وقال تعالىٰ: ﴿انها ان تك مثقال حبة

---

(١) أخرجه الكليني في الكافي ١: ٤٣ ح٩.

(٢) البينة : ٥ .

(٣) الفتح : ٤ .

(٤) البقرة : ١٤٣ .

(٥) يس: ١٢ .

من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله ان الله لطيف خبير﴾[١].

«يقول أقف عند الشبهات وفيها وقع» ﴿ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني الا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين﴾[٢].

«واعتزل» هكذا في (المصرية)، والصواب: «ويقول اعتزل» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٣] «البدع وبينها اضطجع» بعد كون أقواله وأعماله بدعاً غير السنن، وبتسميته بدعة السنن لا تنقلب عن حقيقتها.

«فالصورة صورة انسان والقلب قلب حيوان» ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾[٤] ﴿أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا﴾[٥] ﴿بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون﴾[٦].

«لا يعرف باب الهدى فيتبعه» والاتباع فرع العرفان «ولا باب العمى فيصدّ عنه» فكانوا لا يفرّقون بين أهل بيت النبي ﷺ الذين قال فيهم: «مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها هلك»[٧]، وقال فيهم: «اني

---

(١) الكافي ٢: ٢٧٠ ح ١٠ . والآية ١٦ من سورة لقمان.

(٢) التوبة : ٤٩ .

(٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٦: ٣٧٢، لكن في شرح ابن ميثم ٢: ٢٩٧ مثل المصرية.

(٤) الاعراف : ١٧٩ .

(٥) الفرقان: ٤٤ .

(٦) المؤمنون: ٦٣ .

(٧) هذا حديث السفينة له طرق كثيرة منها ما أخرجه الحاكم في المستدرك ٣: ١٥٠، والخطيب في تاريخ بغداد ١٢: ٩١، وابو نعيم في حلية الأولياء ٤: ٣٠٦، وصاحب صحيفة الرضا عليه السلام فيه : ٥٧ و ٧٦.

تارك فيكم الثقلين، ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً، كتاب الله، وأهل بيتي»[١] وبين مخالفيهم، فتركوا أهل بيته واتبعوا أعداءه، كما أن من لم يعرف الطريق يدع الصراط ويسلك التيه.

«فذلك ميت الأحياء» وقد قال تعالىٰ لنبيه: ﴿انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين* وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون﴾[٢] ﴿وما أنت بمسمع من في القبور﴾[٣].

٥
الحكمة (١٨٣)

وقال عليه السلام:

مَا اخْتَلَفَتْ دَعْوَتَانِ إِلَّا كَانَتْ إِحْدَاهُمَا ضَلَالَةً.

أقول: فان غير ذلك غير معقول، لاستحالة اجتماع الضدين والنقيضين في العقول.

ومن الغريب ان العامّة لم تقنع بقولهم بذلك، بل نسبته الى الله تعالى والرسول، فمنهم عبيد الله بن الحسن المتكلّم، وكان ولي قضاء البصرة.

قال ابن قتيبة في (مختلفه): كان عبيد الله يقول: ان القرآن يدل على الاختلاف، فالقول بالقدر صحيح وله أصل في الكتاب، والقول بالاجبار صحيح وله أصل في الكتاب، ومن قال بهذا فهو مصيب، ومن قال بهذا فهو

---

(١) هذا حديث الثقلين له طرق كثيرة منها ما أخرجه مسلم في صحيحه ٤: ١٨٧٣ و ١٨٧٤ ح٣٦ و ٣٧، والترمذي في سننه ٥: ٦٦٢ و ٦٦٣ ح٣٧٨٦ و ٣٧٨٨، والحاكم في المستدرك ٣: ١٤٨، وصاحب صحيفة الرضا عليه السلام فيه: ٥٧ ح٧٦.

(٢) النمل: ٨١.

(٣) فاطر: ٢٢.

مصيب، لأن الآية الواحدة ربما دلّت على وجهين مختلفين، واحتملت معنيين متضادين.

وسئل يوماً عن أهل القدر وأهل الإجبار، فقال: كلٌّ مصيب، هؤلاء قوم قد عظموا الله، وهؤلاء قوم قد نزّهوا الله.

وفيه: قال عبيدالله: كلّ من سمّى الزاني مؤمناً فقد أصاب، ومن سمّاه كافراً فقد أصاب، ومن قال هو كافر وليس بمشرك فقد أصاب، ومن قال هو كافر مشرك فقد أصاب، لأن القرآن قد دلّ على كلّ هذه المعاني.

وفيه: قال عبيد الله:القول بالقرعة وخلافه كلّ منهما صواب، والقول بالسعاية وخلافه كلّ منهما صواب، وكذلك قتل المؤمن بالكافر والا يقتل مؤمن بكافر، بأيهما أخذ الفقيه فهو مصيب. ولو قال قائل: ان القاتل في النار كان مصيباً، ولو قال: هو في الجنة كان مصيباً، ولو وقف فيه وأرجأ أمره كان مصيباً، إذ كان انما يريد بقوله ان الله تعالى تعبّده بذلك، وليس عليه علم الغيب.

وكان يقول في قتال علي لطلحة والزبير وقتالهما له: ان ذلك كلّه طاعة لله.

قال ابن قتيبة: وفي هذا القول من التناقض والخلل ما ترى.

قلت: وكيف افترىٰ على القرآن بما نسب اليه من الجمع بين المتضاد، وأي باطل أبطل منه وقد قال تعالىٰ: ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾[1]، وكيف نسب الاختلاف الى القرآن وامتيازه من الكتب لكونه كتاب الله تعالى بعدم وقوع اختلاف فيه أصلاً، ﴿ولو كان من عند

---

(١) فصلت : ٤٢.

غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾[١].

وأما ما توهمه فانما هو لأن القرآن فيه ﴿آيات محكمات هن أُم الكتاب وأُخر متشابهات﴾[٢]، وهو لزيغ قلبه اتبع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة، وابتغاء تأويله، كما أنه لزيغه ترك الراسخين في العلم، واتبع الثابتين في الجهل.

ومن الغريب ان شيخ تاريخهم الطبري يأتي في كتابه كثيراً من هذا المتضادّ من روايات سيف الخبيثة، فروى عنه أن بعد الجمل قالت عائشة وعلي كلّ منهما: وددت اني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة، وكان قولهما واحداً[٣].

وروى: عنه أنّه قال بعد الجمل: كلّما نعي الى عائشة من كان معها ومن كان عليها قالت يرحمه الله، فقال لها رجل من أصحابها: كيف ذلك؟ قالت: كذلك قال النبي فلان في الجنة وفلان في الجنة. وقال علي أيضاً يومئذ: اني لأرجو ألا يكون أحد من هؤلاء نقي قلبه إلا أدخله الله الجنّة، وان علياً صلّى على قتلى الكوفة وعلى قتلى البصرة، وصلّى على قريش من هؤلاء وهؤلاء.

وان رجلاً من أصحاب علي قال لعائشة : جزيت عنّا أُمنا عقوقاً، وآخر منهم قال لها: يا أُمنا توبي فقد خطئت. فقال علي للقعقاع بن عمرو: اضرب أعناقهما.

ثم قال: لانهكنهما عقوبة فضربهما مائة مائة مجردين[٤].

أف منهم ومن هذه الأكاذيب الأعاجيب، ومن هذه التناقضات والتهافتات.

---

(١) النساء : ٨٢.

(٢) آل عمران: ٧.

(٣) تاريخ الطبري ٣: ٥٤١ سنة ٣٦.

(٤) تاريخ الطبري ٣: ٥٤٢ سنة ٣٦.

وأغرب من ذلك أن أبا المعالي الجويني منهم ـ وكان بالتكنية بأم السفالى أولى منه بأبي المعالي ـ أنكر المتواترات والبديهيات، وقال ما كان بينهم اختلاف رأساً، وقال ما كان القوم إلا كبني أُم واحدة، ولم يتكدر باطن أحد منهم على صاحبه قط، ولا وقع بينهم اختلاف ونزاع[1].

ثم ليس تكميلهم للدين بزعمهم نقصه منحصراً بإمام فروع بعضهم، بل كان كذلك أئمة أصول كلّهم وفروع كلّهم، فقال فاروقهم: «متعتان كانتا على عهد رسول الله، وأنا أنهىٰ عنهما، وأُعاقب عليهما»[2].

٦
الخطبة (١٨)

ومن كلام له عليه السلام في ذم اختلاف العلماء في الفُتيا:

تَرِدُ عَلَى أَحَدِهِمُ القَضِيَّةُ فِي حُكْمٍ مِنَ ٱلأَحكَامِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِرَأْيِهِ ثُمَّ تَرِدُ تِلْكَ القَضِيَّةُ بِعَيْنِهَا عَلَى غَيْرِهِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِخِلَافِهِ، ثُمَّ يَجْتَمِعُ القُضَاةُ بِذَلِكَ عِنْدَ الإمَامِ الَّذِي ٱسْتَقْضَاهُمْ، فَيُصَوِّبُ آرَاءَهُمْ جَمِيعاً ـ وَإِلَٰهُهُمْ وَاحِدٌ! وَنَبِيُّهُمْ وَاحِدٌ! وَكِتَابُهُمْ وَاحِدٌ! أَفَأَمَرَهُمُ ٱللهُ ـ تَعَالَى ـ بِالاخْتِلَافِ فأَطَاعُوهُ! أَمْ نَهَاهُمْ عَنْهُ فَعَصَوْهُ أَمْ أَنْزَلَ ٱللهُ دِيناً نَاقِصاً فَاسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَى إِتْمَامِهِ ـ أَمْ كَانُوا شُرَكَاءَه، فَلَهُمْ أَنْ يَقُولُوا وَعَلَيْهِ أَنْ يَرْضَى، أَمْ أَنْزَلَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ دِيناً تامًّا فَقَصَّرَ الرَّسُولُ عَنْ تَبْلِيغِهِ وَأَدَائِهِ، وَٱللهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ ﴿ما فَرَّطْنا فِي ٱلكِتابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ وَقَالَ وفِيهِ تِبْيان لكُلِّ شَيْءٍ، وَذَكَرَ أَنَّ الكِتابَ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضاً وَأَنَّهُ لَا اخْتِلَافَ فِيهِ فَقالَ سُبْحَانَهُ ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ

---

(١) نقل كلامه ابن أبي الحديد في شرحه ٢٠: ١٢.

(٢) أخرجه ابو صالح كاتب الليث والطحاوي عنهما منتخب كنز العمال ٦: ٤٠٤.

ٱللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ ٱخْتِلَافاً كَثِيراً﴾ ، وَإِنَّ ٱلْقُرْآنَ ظَاهِرُهُ أَنِيقٌ وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ وَلَا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِهِ .

قول المصنّف: «ومن كلام له عليه السلام في ذم اختلاف العلماء في الفتيا» تعبيره عنهم بالعلماء غير حسن، فان العلم لا اختلاف فيه حتى يصدق اختلاف العلماء، وكان عليه أن يقول «اختلاف الناس» أو يقول «اختلافهم» مثله عليه السلام، فانه قال «ترد على أحدهم القضية» ـ الخ ولم يقل «على أحد العلماء»، ولو كان قد قال: «في ذم اختلاف علمائهم» لا «العلماء» مطلقاً لم يكن أبعد كثيراً.

وكيف كان ففي (تاريخ بغداد): حجّ الأعمش من الكوفة، ومالك بن أنس من المدينة، وعثمان البتي من البصرة، فجلسوا في المسجد الحرام يفتون ويخالف بعضهم بعضاً، فقال رجل للأعمش: اتخالف أهل المدينة؟ فقال: قديماً اختلفنا وإيّاهم، فرضينا بعلمائنا ورضوا بعلمائهم.

قوله عليه السلام (ترد على أحدهم القضية في حكم من الأحكام فيحكم فيها برأيه، ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلافه) هكذا في (المصرية) والصواب: «بخلاف قوله»، كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[1].

روى ابن الشيخ في (أماليه) عن عبد الوارث بن سعيد قال: قدمت مكة، فوجدت فيها أبا حنيفة، وابن أبي ليلى، وابن شبرمة، فسألت أبا حنيفة، فقلت: ما تقول في رجل باع بيعاً، وشرط شرطاً؟ قال: البيع باطل، والشرط باطل، ثم أتيت ابن أبي ليلى، فسألته، فقال: البيع جائز، والشرط باطل، ثم أتيت ابن شبرمة، فسألته، فقال: البيع جائز، والشرط جائز. فقلت: سبحان الله، ثلاثة من

---

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٨٨، لكن في شرح ابن ميثم ١: ٣٢٠ مثل المصرية.

فقهاء أهل العراق اختلفتم عليّ في مسألة واحدة، فأتيت أبا حنيفة، فأخبرته فقال: ما أدري ما قالا، حدثني عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان النبيّ ﷺ نهى عن بيع وشرط، البيع باطل، والشرط باطل. ثم اتيت ابن أبي ليلى، فأخبرته، فقال: ما أدري ما قالا، حدثني هشام عن عروة عن عائشة قالت: أمرني النبي ﷺ ان اشتري بريرة، فأعتقها، البيع جائز، والشرط باطل. ثم أتيت ابن شبرمة، فأخبرته، فقال: ما أدري ما قالا، حدثني مسعر بن كدام عن محارب بن دثار عن جابر بن عبدالله قال: بعث النبي ناقة شرط لي حلابها، البيع جائز، والشرط جائز[1].

قلت: والكل اخطأوا، والصواب: ما قاله أهل بيت النبي عليه السلام الذين هم أدرى بما في البيت من التفصيل في الشرط، من جواز الشرط الا ما أحل حراماً، أو حرم حلالاً، المعتَق للمعتِق، وشرطه للبائع من المعتق من المستثنى، كما في خبر ابن أبي ليلى، وكان في النسخة نقص ليس الخبر تمامه، وشرط الحلاب من المستثنى منه، كما في خبر ابن شبرمة، وخبر أبي حنيفة مجمل لا يحل العمل به، ويحمل على المفصل.

«ثم يجتمع القضاة بذلك عند الامام الذي استقضاهم فيصوب آراءهم جميعاً»

وهو أمر منكر مخالف لفطر البشر.

ومن كتاب طويل كتبه ابن المقفع للمنصور ـ وقد نقله في اختيار المنظوم والمنثور ـ ومما ينظر الخليفة فيه من أمر هذين المصرين، وغيرهما من الامصار والنواحي اختلاف هذه الاحكام المتناقضة التي قد بلغ اختلافها أمراً عظيماً في الدماء والفروج والاموال، فيستحل الدم والفرج بالحيرة، وهما يحرَّمان بالكوفة، ويكون مثل ذلك الاختلاف في جوف الكوفة، فيستحل في

(١) امالي ابن على الطوسي ٢: ٤، جزء ١٤.

ناحية منها ما يحرم في ناحية أخرى، غير انه على كثرة ألوانه نافذ على المسلمين في دمائهم وحرمهم، يقضي به قضاة جائز أمرهم وحكمهم، مع أنه ليس ممن ينظر في ذلك من أهل العراق وأهل الحجاز فريق الا قد لجَّ بهم العجب بما في أيديهم، والاستخفاف بمن سواهم، فأقحمهم ذلك في الامور التي يتبيغ بها من سمعها من ذوي الالباب، أما من يدعي لزوم السنّة منهم فيجعل ما ليس له سنّة سنّة حتى يبلغ ذلك به الى أن يسفك به الدم بغير بينة ولا حجة على الأمر الذي يزعم انه سنّة، وإذا سئل عن ذلك لم يستطع أن يقول أُهرق فيه دم على عهد النبي صلى الله عليه وآله أو أئمة الهدى من بعده، وإذا قيل له أي دم سفك على هذه السنّة التي تزعمون؟ قالوا: فعل ذلك عبدالملك بن مروان، او أمير من بعض أولئك الامراء، وانما يأخذ بالرأي، فيبلغ به الاعتزام على رأيه أن يقول في الامر الجسيم من أمر المسلمين قولاً لا يوافقه عليه أحد من المسلمين، ثم لا يستوحش لانفراده بذلك، وامضائه الحكم عليه، وهو مقرٌّ أنّه رأي منه لا يحتج بكتاب ولا سنّة، فلو رأى الخليفة أن يأمر بهذه القضية، والسنن المختلفة، فترفع إليه في كتاب، ويرفع معها ما يحتج به كل قوم من سنّة أو قياس، ثم نظر الخليفة في ذلك، وأمضى في كل قضية رأيه الذي يلهمه الله، ويعزم له عليه، وينهى عن القضاء بخلافه، وكتب بذلك كتاباً جامعاً عزماً لرجونا الله أن يجعل أمر هذه الاحكام المختلطة الصواب بالخطأ حكماً واحداً صواباً ـ الخ.

الا أن الأصل في اختلاف القضاة اختلاف الإمام الذي استقضاهم في آرائه، فما دام لم يكن له علم لابد له أن يصوّب آراءهم صواباً كانت ام خطأ.

ففي (الاستيعاب) ـ في عبدالرحمن بن سهل الأنصاري ـ جاءت جدتان الى أبي‌بكر، فأعطى أُم الأم السدس دون أُم الاب، فقال له عبدالرحمن: أعطيت التي

لو ماتت لم يرثها، وتركت التي لو ماتت ورثها، فجعله أبو بكر بينهما[١].

وروى ابن سعد في (طبقاته) عن إسماعيل الأسدي عن أيوب عن محمد قال: سألت عبيدة عن شيء من ميراث الجد، فقال: ما تريد إليه، لقد حفظت فيه مائة قضية عن عمر. قلت: كلها عن عمر؟ قال: كلها عن عمر[٢].

وفي (مروج المسعودي) ـ في دخول رجلين من الخوارج على عمر بن عبدالعزيز ـ فقال أحدهما له: رأيناك خالفت اعمال أهل بيتك، وسميتها المظالم، وسلكت غير سبيلهم، فان زعمت انك على هدىً وهم على ضلال فالعنهم، وتبرأ منهم، فهذا الذي يجمع بيننا وبينك أو يفرق. فقال لهما: ارأيتما أبابكر وعمر، أليسا من اسلافكم، ومن تتولونهما، وتشهدون لهما بالنجاة؟ قالا: بلى. قال: فهل علمتم ان ابابكر حين قبض النبي صلى الله عليه وآله وارتدت العرب قاتلهم، فسفك الدماء، وأخذ الاموال، وسبى الذراري؟ قالا: نعم. قال: فهل علمتم أن عمر حين قام بعد أبي‌بكر رد تلك السبايا الى أصحابها؟ قالا: نعم. قال: فهل برىء عمر من أبي‌بكر؟ قالا: لا ـ الخ[٣].

قلت: ان الخوارج حيث كانوا طالبين للحق ـ واخطأوه ـ كانوا قد يتكلمون بمقتضى أدلة العقول، والفطرة التي فطر الناس عليها من عدم امكان كون الحق في جهتين، وعدم امكان كون عمر بن عبدالعزيز وباقي بني امية على الحق، مع اختلافه معهم في العمل، كعدم امكان كون عبدالملك في اليوم الآخر من خلافة ابن الزبير عدو الله ملعوناً، وفي غده الذي تسلط على العراق وبايعه أهلها ولياً لله وخليفة له واجب الاطاعة، وانه لا حكم الا لله في اختيار

---

(١) الاستيعاب ٢: ٤٢٠.

(٢) الطبقات ج ٢ ق ٢: ١٠٠.

(٣) مروج الذهب ٣: ١٩١.

الخليفة دون الناس ـفي قصة حرب الخوارج مع المهلب من قبل ابن الزبير أولا ـ الا أنه لما كان أساسهم على أحقّيّة خلافة الشيخين كانوا يلزمونهم بعدم الضرر بذلك استناداً الى فعلهما وخلافتهما، مع أن جميع هذه الاختلافات في أصول الدين وفروعه متفرعة من ذاك الاصل، وكل مفسدة حصلت من سفك الدماء، ونهب الاموال، وهتك الاعراض والنواميس مبتن على ذاك الاساس، فالرجلان وان قبلا عدم ضرر اختلاف الرجلين، الا أن العقل السليم والفطرة المستقيمة لا يقبلان ذلك، ولو نازعونا في ذلك لحاكمهم اليهما العقل والفطرة.

«**والههم واحد ونبيهم واحد وكتابهم واحد**» فكيف يحكم كل قاض برأي، وكيف يصوّب امامهم جميع آرائهم.

روى (الكافي) عن القمي عن ابيه عن ابن أبي عمير عن عمر بن اذينة عن الفضيل بن يسار قلت لابي عبدالله عليه السلام: ان الناس يقولون ان القرآن نزل على سبعة أحرف. فقال: كذب أعداء الله، ولكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد[1].

«**افأمرهم الله تعالى**» هكذا في (المصرية) والصواب: «سبحانه» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[2]، ولان الأمر بالاختلاف نقص من الآمر، فالمناسب تنزيهه تعالى عنه.

«**بالاختلاف فأطاعوه أم نهاهم عنه فعصوه**» وليس الاول، فلابد من الثاني. وكيف لا وقد ذم الاختلاف، فقال: ﴿ولكن اختلفوا فمنهم من آمن

(١) الكافي ٢: ٦٣٠، ح ١٣.

(٢) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٨٨ وشرح ابن ميثم ١: ٢٢٠ مثل المصرية.

ومنهم من كفر﴾[١] ﴿ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب﴾[٢].

«أم أنزل الله ديناً ناقصاً، فاستعان بهم على اتمامه» وقد قال تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً﴾[٣].

لكن روى الخطيب عن يوسف بن اسباط قال: قال أبوحنيفة: لو أدركني النبي وأدركته لاخذ بكثير من قولي.

وعن أبي إسحاق الفزاري: سألت اباحنيفة عن مسألة فأجاب فيها، فقلت له: ان هذا يروي فيه عن النبي ﷺ كذا وكذا. فقال: حك هذا بذنب خنزير.

وعن بشر بن مفضل: قلت لابي حنيفة ان النبي ﷺ قال: البيعان بالخيار ما لم يفترقا. فقال: هذا رجز.

وعن يحيىٰ بن آدم: ذكر لأبي حنيفة ان النبي ﷺ قال: الوضوء نصف الايمان. فقال: لتتوضأ مرتين حتى تستكمل الايمان.

قال يحيىٰ: ومعنى الحديث انه تعالى سمّى الصلاة ايماناً في قوله ﴿وما كان الله ليضيع ايمانكم﴾[٤] ولا تقبل صلاة الا بطهور.

وعن الفضل بن موسى السيناني قال أبوحنيفة: من أصحابي من يبول قلتين، يردّ على النبي ﷺ قوله: إذا كان الماء قلتين لم ينجس.

وعن يوسف بن أسباط: ردّ أبوحنيفة على النبي ﷺ أربعمائة حديث او أكثر، قيل له: مثل ما؟ قال النبي: للفرس سهمان، وللرجل سهم، وقال

---

(١) البقرة: ٢٥٣.

(٢) آل عمران: ١٩.

(٣) المائدة: ٣.

(٤) البقرة: ١٤٣.

أبوحنيفة: انا لا اجعل سهم بهيمة اكثر من سهم مؤمن. واشعر النبي البدن، وقال أبوحنيفة: الاشعار مثلة، وقال: البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، وقال أبوحنيفة: إذا وجب البيع فلا خيار، وكان النبي يقرع بين نسائه إذا أراد أن يخرج في سفر، وقال أبوحنيفة: القرعة قمار[1].

«أم كانوا شركاءه» هكذا في (المصرية) والصواب: «شركاء له»، كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[2].

«فلهم أن يقولوا وعليه ان يرضى» وقد قال تعالى: ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون﴾[3].

«أم انزل الله سبحانه» هكذا في (المصرية) وليست الكلمة في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[4] «ديناً تاماً فقصر الرسول عن تبليغه وأدائه» ولا يمكن ذلك في حقّه «والله سبحانه يقول ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾» والآية ٣٨ من الأنعام.

«وقال فيه» هكذا في (المصرية) والصواب: «وفيه»، كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[5] مع زيادة كلمة (وقال) «تبيان لكل» وهكذا في (المصرية) والصواب: (كل) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[6] «شيء» قال تعالى: ﴿ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدىً ورحمةً وبشرىً للمسلمين﴾[7].

---

(١)

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٨٨ لكن في شرح ابن ميثم ١: ٣٢٠ مثل المصرية.

(٣) القصص: ٦٨.

(٤) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٨٨ وشرح ابن ميثم ١: ٣٢٠ مثل المصرية.

(٥) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٨٨ لكن في شرح ابن ميثم ١: ٣٢٠ مثل المصرية.

(٦) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٨٨ لكن في شرح ابن ميثم ١: ٣٢٠ مثل المصرية.

(٧) النحل: ٨٩.

فقوله عليه السلام: «فيه تبيان كل شيء» اشارة الى الآية، لا انه آية كما جعله (المصرية)، والأصل في الوهم (ابن أبي الحديد) كما يأتي كلامه.

قال الباقر عليه السلام: إذا حدثتكم بشيء فاسألوني انه أين من كتاب الله تعالى. ثم قال في حديثه: ان الله تعالى نهى عن القيل والقال، وافساد المال، وكثرة السؤال. فقيل له: يا ابن رسول الله أين هذا من كتاب الله تعالى؟ قال: قوله عزوجل: ﴿لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس﴾[1]، وقال: ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً﴾[2]، وقال تعالى: ﴿لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم﴾[3].

«وذكر» الله تعالى «ان الكتاب» أي: القرآن «يصدِّق بعضه بعضاً وانه لا اختلاف فيه» بخلاف باقي الكتب «فقال سبحانه ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾» والآية ٨٢ من النساء وقبله ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾.

هذا وقال ابن أبي الحديد في شرح كلامه عليه السلام من قوله «والههم واحد ـ الى ـ لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً»: وتلخيص الاحتجاج من خمسة أوجه:

الأوّل ـ انه لمّا كان الاله واحداً، والرسول واحداً، والكتاب واحداً، وجب أن يكون الحكم في الواقعة واحداً، كالملك الذي يرسل الى رعيته رسولا بكتاب يأمرهم فيه بأوامر يقتضيها ملكه وامرته، ولا يجوز أن تتناقض، والا لنسب الى السفه والجهل.

الثاني ـ لا يخلو الاختلاف الذي ذهب إليه المجتهدون اما أن يكون

---

(١) النساء: ١١٤.

(٢) النساء: ٥.

(٣) أخرجه الكليني في الكافي ١: ٦٠، ح ٥. والآية ١٠١ من سورة المائدة.

مأموراً به أو منهياً عنه، والاول باطل، لانه ليس في الكتاب والسنة ما يمكن الخصم أن يتعلق به في كونه مأموراً به، والثاني حق ويلزم منه تحريم الاختلاف.

الثالث ـ اما أن يكون دين الاسلام ناقصاً أو تاماً، فان كان الاول وكان الله قد استعان بالمكلفين على اتمام شريعة ناقصة أرسل بها رسوله فهو كفر، وان كان الثاني فاما أن يكون الرسول قد قصّر في التبليغ أن يكون قد أبلغه على كماله، فان كان الاول فهو كفر، وان كان الثاني فقد بطل الاجتهاد، لان الاجتهاد انما هو فيما لم يتبين، وما بيّن فلا مجال للاجتهاد فيه.

الرابع ـ الاستدلال بقوله تعالى: ﴿ما فرّطنا في الكتاب من شيء﴾[١] وقوله: «فيه تبيان كل شيء» وقوله سبحانه: ﴿ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾[٢].

الخامس ـ قوله تعالى: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾[٣]، فجعل الاختلاف دليلا على أنه ليس من عند الله، لكنه من عنده تعالى بالادلة القاطعة على صحة النبوة، فوجب ألا يكون فيه اختلاف.

قال ابن أبي الحديد ـ بعد ما مر ـ: واعلم أن هذه الوجوه هي التي تتعلق بها الامامية، ونفاة القياس والاجتهاد في الشرعيات، وقد تكلم عنها أصحابنا في كتبهم، وقالوا انه عليه‌السلام كان يقيس ويجتهد، وادعوا اجماع الصحابة على صحة الاجتهاد والقياس، ودفعوا صحّة هذا الكلام المنسوب في هذا الكتاب إليه عليه‌السلام، وقالوا انه من رواية الامامية، وهو معارض بما ترويه الزيدية عنه

(١) الانعام: ٣٨.

(٢) الانعام: ٥٩.

(٣) النساء: ٨٢.

وعن أبنائه عليهم السلام في صحة القياس والاجتهاد، ومخالطة الزيدية لأئمة أهل البيت كمخالطة الامامية لهم، ومعرفتهم بأقوالهم وأحوالهم ومذاهبهم كمعرفة الامامية، لا فرق بين الفئتين في ذلك، والزيدية قاطبتها، جاروديتها، وصالحيتها تقول بالقياس والاجتهاد، وينقلون في ذلك نصوصاً عن أهل البيت، وإذا تعارضت الروايتان تساقطتا ـ الخ[1].

قلت: أما ما قاله من دفع أصحابه أن تكون هذه الجمل من كلامه عليه السلام وانه من رواية الامامية فهب انه كلام أعرابي أو رجل من الامامية، أليس دليلا عقلياً وبرهاناً قطعياً لا يحتاج قائله الى العصمة، وكون مطلق كلامه الحجة، فهي نظير قوله تعالى: ﴿لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا﴾[2].

وأما ما ذكره من أن اصحابه ادعوا اجماع الصحابة على صحة الاجتهاد والقياس، فهو نظير ادعائهم اجماع الأمة على بيعة أبي بكر ببيعة عمر وأبي عبيدة المتواطئين معه، وقد قال النظام: نحن لا نزعم ان أصحاب النبي صلى الله عليه وآله أطبقوا على الرأي، ولما كان فيهم عمر وعثمان، ومعهم سلطان الرعية والرهبة، شاع لهم ذلك في الدنيا، وانقادت لهم العوامّ، وجاز للباقين السكوت على التقية، وانهم قد علموا أنه غير مقبول منهم ولا مسموع منهم[3].

وأما ما ذكره من أن الزيدية رووا عنهم عليهم السلام صحة القياس والاجتهاد، والزيدية كالامامية كانوا مخالطين لهم، فكلام باطل، فالزيدية كالعامة أعداء الائمة عليهم السلام، والامامية كانوا يتقون منهم كما كانوا يتقون من العامة، وهذا أمر واضح لا مرية فيه لمن له اطلاع عن الفريقين، قال الصادق عليه السلام كما في

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٩٠.

(٢) الانبياء: ٢٢.

(٣) نقله عنه الشريف المرتضى في الفصول المختارة ٣: ١٨٩.

خبر عمر بن يزيد: الزيدية هم النصاب، وقال عليه السلام: لا تصدق عليهم بشيء، ولا تسقهم من الماء ان استطعت[١].

وقال أبوبصير: ذكر أبو عبدالله عليه السلام كثير النوا، وسالم بن أبي حفصة، وابا الجارود ـ وهم من رؤساء الزيدية ـ فقال: هم كذّابون مكذّبون، كفار عليهم لعنة الله، يأتونا فيخبرون انهم يصدقونا وليس كذلك، ويسمعون حديثنا ويكذبون به[٢].

وفي (رجال الكشي): ان الصادق عليه السلام قال لأبي الجارود بمنى في فسطاطه ـ رافعاً صوته ـ كان أبي والله امام أهل الأرض حيث مات لا يجهله إلّا ضالٌّ، وقال له في العام المقبل مثل ذلك، فقيل له بعد ذلك بالكوفة: أما سمعت ما قال لك أبو عبدالله مرتين؟ فقال: انما يعني أباه علياً[٣].

وفيه: قيل للصادق عليه السلام: ان سالم بن أبي حفصة يروي عنك انك تتكلم على سبعين وجهاً لك عن كلها المخرج. فقال: ما يريد سالم مني، يريد أن أجيء بالملائكة فما جاء بها النبيون، ولقد قال إبراهيم ﴿اني سقيم﴾[٤] وما كان سقيماً وما كذب، وقال: ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾[٥] وما فعله الكبير وما كذب، ولقد قال يوسف: ﴿انكم لسارقون﴾[٦] وما كانوا سارقين وما كذب[٧] ـ الى غير ذلك من الاخبار.

---

(١) اختيار معرفة الرجال ٢٢٨: ٤٠٩.

(٢) اختيار معرفة الرجال ٢٣٠: ٤١٦.

(٣) اختيار معرفة الرجال ٢٣٠: ٤١٧.

(٤) الصافات: ٨٩.

(٥) الانبياء: ٦٣.

(٦) يوسف: ٧٠.

(٧) اختيار معرفة الرجال ٢٣٤: ٤٢٥.

وكيف شرّك الزيدية مع الامامية مع اختلاف مبناهما، فالامامية انما قالوا بنفي القياس والاجتهاد لوجود امام معصوم في كل عصر يعلم جميع الاحكام مثل النبي صلى الله عليه وآله بالالهام من الله تعالى، والزيدية غير قائلين بذلك، فلابد أن يقولوا بها كالعامة.

ولم يكن النقل عنه عليه السلام بالقول بالقياس والاجتهاد منحصراً بالزيدية، فقد قال بنسبتهما إليه النظام على ما حكى عنه تلميذه الجاحظ، فقال: اختلف قول علي في أُمهات الأولاد، فقال بشيء، ثم رجع عنه، وقد حكي عن عبيدة السلماني انه قال: سألت علياً عن بيع أُمّهات الأولاد، فقال: كان رأيي ورأي عمر الا يبعن، وانا الآن أرى أن يبعن. فقلت: رأيك مع رأي عمر أحب الينا من رأيك وحدك.

وقضى فى الجد بقضايا مختلفة، وندم أيضاً على احراق المرتد بعد الذي كان بلغه من فتيا ابن عباس، وودى رجلا جلده في الخمر ثمانين فمات، وقال انما وديته لان هذا شيء جعلناه بيننا، ورأى الرجم على مولاة حاطب فلما سمع قول عثمان تابعه، ونازعه زيد بن ثابت في المكاتب فأفحمه، وقال في امر الحكمين:

لقد عثرت عثرة لا انجبر سوف اكيس بعدها واستمر

واجمع الرأي الشتيت المنتشر[1]

وننقل في الجواب كلام شيخنا محمد بن محمد بن النعمان المفيد، ففيه مقنع وكفاية في الباب، قال ـ بعد خبر بيع أمهات الاولاد ـ هذا خبر قد أطبق الفقهاء ونقاد الآثار على بطلانه، ومن صححه منهم فلم يثق بهذه الحكاية من عنده وقال تخرصها ليتجمل بالكذب فيما ادعاه، لان امير المؤمنين عليه السلام كان

(١) نقله عنه الشريف المرتضى في الفصول المختارة ٢: ١٦٧ ـ ١٧١.

أعظم في نفوس المهاجرين والانصار من أن يقدموا عليه في حكمٍ حكمَ به هذا الاقدام، فكيف بعبيدة مع صغر سنّه في الحال وضعة قدره، ولم يكن عبيدة ولا أضرابه من الذين يتجاسرون على الإمام عليه السلام بهذا المقال، ولو كان عبيدة صادقاً لما أخل ذلك بما قلنا من عصمته عليه السلام من قبل انه كان رأيه في أيام عمر الا يخالفه في الفتيا خوفاً من انتشار الكلمة ووقوع الفساد، وذلك هو الذي توجبه الحكمة في تدبير الدين واستصلاح الأنام، فلما أفضى الأمر إليه زال ما كان يخافه فيما سلف من اظهار الخلاف، فحكم بما لم يزل يعتقده، كما كان رأي النبي صلى الله عليه وآله في عام الحديبية امضاء أحكام الكفار والكفّ عن حربهم، ثم زالت العلة الموجبة لذلك عام الفتح، فرأى حربهم وخلاف ما كان رآه قبل.

فأما اعتراض عبيدة في قوله بالردّ، فهو نظير ردّ الخوارج عليه في التحكيم، وحرب طلحة والزبير ومعاوية اهل الشام له عليه السلام، ولم يخل ذلك بكمال عصمته عليه السلام، كما لم يقدح خلاف المشركين للنبي صلى الله عليه وآله وردّهم عليه وحربهم له في نبوّته وعصمته. ومن اعتمد على ما اعتمد عليه الجاحظ واستاده واشياعهما في هذا الباب فقد وضح جهله وبان عجزه[1].

وقال -وفي الجواب عن قوله بقضائه في الجد مختلفاً- بأنه تخرص منه لاخفاء به، فلا يحفظ عنه عليه السلام في الجد الا قول واحد، ولم يختلف من أهل النقل عنه في ذلك اثنان، ومن اعتمد على البهت هان امره[2]. قلت: لعله غلط فيما سمعه من عمر فنسبه إليه عليه السلام.

وقال في الجواب عن خبر الاحراق بأنه من أطرف شيء سمع وأعجبه، وذلك أن ابن عباس أحد تلامذته والآخذين العلم منه، وهو الذي كان يقول:

(١) الفصول المختارة ٢: ١٦٨.

(٢) الفصول المختارة ٢: ١٦٩.

يجلس أمير المؤمنين عليه السلام بيننا كأحدنا يداعبنا ويبسطنا، والله ما ملأت طرفي قط منه هيبة له، فكيف يجوز من مثل ما وصفناه التقدم عليه عليه السلام في الفتيا، واظهار الخلاف عليه في الدين، لا سيما في الحال التي هو مظهر له فيها الاتباع والتعظيم والتبجيل.

وقال: وكيف يكون ما حكاه إبراهيم النظام من ندمه عليه السلام على احراق المرتدّ حقاً، وقد احرق في آخر زمانه الأحد عشر الذين ادعوا الربوبية فيه، افتراه ندم على ندمه الأول، كلا ولكن الناصبة تتعلق بالهباء المنثور[1].

قلت: انما ندم أبو بكر على احراقه الفجاة السلمي، وتمنى وقت موته ترك ذلك[2]، فنسب فعله إليه عليه السلام كما نسب اختلاف آراء عمر في الجد إليه عليه السلام بدون موافقة موافق أو مخالف له.

وقال في خبر وديه من مات في الحد بأنه شيء لم يسمع به الامن هذه الجهة، ولا رواه أحد من أهل الآثار، فكيف وهو عليه السلام كان يقول «من ضربناه حداً في حق من حقوق الله، فمات، فلا دية له علينا، ومن ضربناه حدّاً في حق من حقوق المخلوقين، فمات، فديته علينا» ولا خلاف أن حد الخمر من حقوق الله تعالى خاصة، ولكني أظن ان النظام أراد أن يدخل حد القذف، فغلط بحد الخمر لاتفاقهما في العدد[3].

قلت: انما روت الخاصة والعامة وقوع مثل ذلك عن عمر، ولفظ العامة فيه هكذا: استدعى عمر امرأة ليسألها عن امر ـ وكانت حاملا ـ فلشدة هيبته ألقت ما في بطنها، فأجهضت به جنيناً ميتاً، فاستفتى أكابر الصحابة في ذلك،

---

(١) الفصول المختارة ٢: ١٦٩.

(٢) رواه الطبري في تاريخه ٢: ٦١٨، سنة ١٣ والمسعودي في المروج ٢: ٣٠١ والجوهري في السقيفة: ٤٠.

(٣) الفصول المختارة ٢: ١٦٩.

فقالوا: لا شيء عليك، انما انت مؤدب. فقال له علي عليه السلام: ان كانوا راقبوك فقد غشّوك، وان كان هذا جهد رأيهم فقد اخطأوا، عليك غرة -يعني عتق رقبة- فرجع عمر والصحابة الى قوله[1]. وكأن النظام التزم ان يشركه عليه السلام في عيوبهم.

وقال في قوله تابع عثمان وأفحمه زيد في المكاتب، هذا كذب ظاهر، لان الاتفاق حاصل على أنه عليه السلام كان أعلم القوم، وانهم كانوا يرجعون إليه، ولا يرجع الى احد منهم، وكيف يكون ما رواه حقاً، والخبر المستفيض عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال: «علي اقضاكم»، وليس يصح أن يكون اقضى الأُمة من أفحمه زيد بن ثابت في المكاتب، فان كان قد أفحمه على ما قال النظام، فقد أكذب النبي في قوله، وليس المكاتب من الفرائض في شيء، فيتعلق بالخبر الذي يروونه «زيد أفرضكم»، مع أن الاجماع موجود على مذهبه عليه السلام في الرجم والمكاتب خلاف قول عثمان وزيد، وهذا دليل على بطلان ما ادعاه[2].

وقال في الجواب عن شعر الحكمين: انه لا ينضاف إليه بالضرورة، لأنّا نعلم بالضرورة انه عليه السلام كان يظهر التدين بصوابه في التحكيم، وتضليل من خطأه في ذلك، حتى قتل اربعة آلاف على تخطئتهم له في التحكيم، فكيف يسوغ من عاقل أن يضرب الرقاب على قول قيل فيه، وهو يشهد به على نفسه، هذا ما لا يتوهمه الا مؤف العقل غير معدود في جملة المكلفين، وكيف يصح ذلك مع أن الخوارج انما ساموه ان يعترف لهم بالخطأ فيما صنعه في باب الحكمين ليرجعوا الى ولايته، فردّ عليهم ذلك، ووجّه بابن عباس لمناظرتهم فيه، ولو كان قد قال هذا الشعر كما حكاه إبراهيم لكان الغاية في بغية القوم

---

(١) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ١: ١٧٤ والمفيد في الارشاد: ١٠٩.

(٢) الفصول المختارة ٢: ١٧٢.

منه، ولرضوا به، ولدخلوا في ولايته، اذ صريحه شهادة منه على نفسه بالخطأ، والندم على صنعه.

قال: والذي يدل على بطلان جميع ما حكاه هذا الرجل عنه أنه لو كان له اصل لكان أوكد الحجج لاعدائه من الخوارج وغيرهم، ممن رأىٰ حربه بالبصرة أو صفين، ومن قعد عن نصرته، ولشيعة عثمان خاصةً، حتى كانوا يحتجّون به عليه في المقامات، ويشنعون به على رؤوس الجماعات، وقد احطنا علماً باحتجاج جميع من خالفه، أو قعد عنه أو نازعه وحاربه، فلم نجد فيه أنهم قالوا له: تناقضت أحكامك، واختلفت آراؤك، ولا فضل لك في العلم، لان زيداً نازعك فأفحمك، وعثمان خالفك فأسكتك، وتحكم بشيء ثم تندم عليه، وتخطئ في أمر وتعترف بخطئِك فيه، ثم تقيم عليه، بل وجدنا جماعة من ذكرنا معترفين بفضله عليه السلام في العلم والشجاعة والحكم والقرابة بالنبي والزهد، وانما كان بعضهم يتعلق عليه بايوائه قتلة عثمان ـ وهم أهل البصرة والشام ـ وبعضهم بتحكيم الرجال ـ وهم اهل النهروان ـ وبعضهم بقتال أهل القبلة ـ وهم المعتزلة للقتال ـ وقد اجتهدت بنو امية السفيانية والمروانية في نحت مثالب له عليه السلام، فلم يحفظ عن أحد منهم في سلطانه سقط له في العلم، ولا تجهيل في الاحكام، واكثر ما كانوا يخبطون به في ذلك، ويشبهون على الاغفال خذلانه لعثمان، ونصرته لقتلته، والاستبداد بالامر دون الرجال، وما أشبه ذلك، ولو كان شيء مما حكاه إبراهيم عنه عليه السلام محفوظاً لنشره من ذكرناه، وفي عدول الكافة عنه سيما الخوارج ـ وقد جرت بينه وبينهم المناظرات ـ دليل على وقاحة إبراهيم وبهته وعناده ـ الخ[1].

قلت: ولا سيما الراوي عن الجاحظ، ولعله هو الاصل في الافتراء، فان

(١) الفصول المختارة ٢: ١٧١.

مثله منه كثير، كما لا يخفى على من راجع كتابيه المروانية والعثمانية، وقد نقضهما وبيّن كثيراً من افتراءاته جمع من علمائهم ومنهم الاسكافي، وقد صرح المسعودي بأن الجاحظ كان يصنف الكتب فاذا لم يـر اقبالا عليها ينسبها الى ابن المقفع وسهل خازن كتب حكمة المأمون لاشتهارهما في التصنيف[١].

ثم كيف ينسب ابن أبي الحديد الى اهل البيت عليهم السلام القول بالرأي وقد سئل الباقر عليه السلام عن الحديث يرسله ولا يسنده، فقال: إذا حدّثت الحديث ولم اسنده، فسندي فيه «أبي عن جدي عن أبيه عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله عن جبرئيل عن الله عزوجل»[٢].

وقال سالم بن أبي حفصة ـ وكان من الزيدية البترية ـ لما هلك أبو جعفر محمد بن علي قلت لأصحابي: انتظروني حتى أدخل على أبي عبدالله جعفر ابن محمد، فأعزيه بأبيه، فدخلت عليه، فعزيته به: ثم قلت: انّا لله وانّا إليه راجعون، ذهب والله من كان يقول «قال رسول الله»، فلا يسأل عمن بينه وبينه، لا والله لا يرى مثله، فسكت أبو عبدالله ساعة، ثم قال: قال الله تعالى: «ان من عبادي من يتصدق بشق تمرة، فأربيها له كما يربي أحدكم فلوه حتى أجعلها له مثل جبل أحد»، فخرجت الى اصحابي، فقلت لهم: ما رأيت أعظم من هذا: كنا نستعظم قول أبي جعفر «قال رسول الله» بلا واسطة، فقال أبو عبدالله «قال الله» بلا واسطة[٣].

وبالجملة الوجوه الخمسة في كلامه عليه السلام لعدم جواز الاختلاف في

---

(١) التنبيه والاشراف: ٦٦.

(٢) رواه المفيد في اماليه: ٤٢، ح ١٠، مجلس ٥.

(٣) رواه المفيد في اماليه: ٣٥٤، ح ٧، مجلس ٤٢ وأبوعلي الطوسي في اماليه ١: ١٢٥، جزء ٥.

الدين براهين عقلية تبطل كل نحلة وملة من الفرق الاسلامية الا الامامية.

«وان القرآن ظاهره أنيق» أي: حسن معجب «وباطنه عميق» قال الباقر عليه السلام: ما يستطيع أحد يدعي انه عنده جميع القران كله ظاهره وباطنه غير الاوصياء[١].

وعنه عليه السلام: ظهر القرآن الذين نزل القرآن فيهم، وبطنه الذين عملوا بمثل اعمالهم[٢]. وفي معنى الظهر والبطن، والتنزيل والتأويل كان النبي صلى الله عليه وآله في غزواته يقاتل على ظاهر القرآن وتنزيله، وكان اميرالمؤمنين عليه السلام يقاتل في حروبه الجمل وصفين والنهروان على باطن القران وتأويله.

وفي (صفين نصر) ـ في حديث قتل عمار ـ وقال عمار حين نظر الى راية عمرو بن العاص: والله ان هذه الراية قاتلتها ثلاث عَرَكات، وما هذه بأرشدهن، ثم قال:

نحن ضربناكم على تنزيله   فاليوم نضربكم على تأويله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله   ويذهل الخليل عن خليله
أو يرجع الحق الى سبيله

ثم استسقى ـ وقد اشتد ظمأه ـ فاتته امرأة طويلة اليدين بضياح من لبن، فقال حين شرب:

الجنة تحت الاسنة   اليوم القى الاحبه
محمداً وحزبه[٣]

«لا تفنى عجائبه» هكذا في (المصرية) وفيها سقط، ففي (ابن أبي الحديد

(١) اخرجه الكليني في الكافي ١: ٢٢٨، ح ٢.

(٢) اخرجه الصدوق في معاني الاخبار: ٢٥٩، ح ١.

(٣) وقعة صفين: ٣٤٠ و٣٤١.

وابن ميثم والخطية)[١] «لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه».

وفي (الكافي) عن ابن السكيت قال للهادي عليه السلام: لم بعث الله موسى بالعصا وآلةِ السحر، وعيسى بآلة الطب، ومحمّداً بالكلام والخطب؟ فقال عليه السلام له: كان الغالب على أهل عصر موسى السحر، فأتاهم من عند الله بما لم يكن في وسعهم، وكان عيسى في وقت قد ظهرت فيه الزمانات، واحتاج الناس الى الطب، فأتاهم من عند الله بما لم يكن عندهم مثله من احياء الموتى، وابراء الاكمه والابرص، وكان الغالب على عصر محمد الخطب والكلام الفصيح والشعر، فأتاهم من عند الله من مواعظه وحكمه ما ابطل به قولهم، وأثبت به الحجّة عليهم. فقال ابن السكّيت: تالله ما رأيت مثلك قط، فما الحجة على الخلق اليوم؟ فقال عليه السلام: العقل يعرف به الصادق على الله فتصدقه، والكاذب على الله فتكذبه. فقال ابن السكيت: هذا والله هو الجواب[٢].

وفي (العيون): سأل رجل ابا عبدالله عليه السلام: ما بال القرآن لا يزداد عند النشر والدرس الا غضاضة؟ فقال: ان الله تعالى لم ينزله لزمان دون زمان، ولا لناس من دون ناس، فهو في كل زمان جديد، وعند كل قوم غض الى يوم القيامة[٣].

«ولا تكشف الظلمات الا به» روى (الكافي): أن النبي صلى الله عليه وآله قال في خطبته بمنى أو مكة: ما جاءكم عني يوافق القرآن فأنا قلته، وما جاءكم عني لا يوافق القرآن فلم أقله. وان الصادق عليه السلام قال: كل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف[٤].

---

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٨٨، لكن في شرح ابن ميثم ١: ٢٢٠ مثل المصرية.

(٢) الكافي ١: ٢٤، ح ٢٠.

(٣) عيون الاخبار للصدوق ٢: ٨٥، ح ٣٢.

(٤) الكافي ١: ٦٩، ح ٣ ـ ٥.

٧
الحكمة (٢٠٥)

وَقَالَ عليه السلام:

كُلُّ وِعَاءٍ يَضِيقُ بِمَا جُعِلَ فِيهِ إِلَّا وِعَاءُ الْعِلْمِ فَإِنَّهُ يَتَّسِعُ.

أقول: ونظيره قوله عليه السلام أيضاً - كما رواه أبو هلال العسكري في (صناعته) - كل شيء يعز إذا نزر ما خلا العلم فانه يعز إذا غزر.

في (المروج): ان الاسكندر لما قتل فوراً من ملوك الهند، وانقاد إليه جميعهم، بلغه أن في أقاصي أرضهم ملكاً ذا حكمة وسياسة يقال له كند - الى أن قال - فكتب كند الى الاسكندر: ان عنده فيلسوفاً يخبره بمراده قبل أن يسأله لحدة مزاجه، وحسن قريحته، واعتدال بنيته، واتساعه في علمه، وان الاسكندر أراد اختبار الفيلسوف، فدعا بقدح، فملأه سمناً، وأدهقه، ولم يجعل للزيادة عليه سبيلاً، ودفعه الى رسولٍ له، وقال له: امضِ به الى الفيلسوف، ولا تخبره بشيء، فلما رود الرسول بالقدح قال الفيلسوف بصحة فهمه: لامرٍ ما بعث هذا الملك بهذا السمن الي، وأجال فكره، ثم دعا بنحو ألف ابرة، فغرز أطرافها في السمن، وانفذها الى الاسكندر - الى أن قال بعد ذكر التلاقي بينهما - قال الاسكندر للفيلسوف: ما بالك حين أنفذت اليك قدحاً مملوءاً سمناً غرزت فيه ابراً ورددته الي؟ فقال الفيلسوف: علمت أيها الملك انك تقول ان قلبي قد امتلأ علماً كامتلاء هذا الاناء من السمن، فليس لاحد من الحكماء فيه مستزاد، فأخبرت الملك ان علمي يستزيد في علمه ويدخل فيه دخول هذه الابر في هذا الاناء[1].

هذا، وشبه علم عند عالم سوء بمتاع جيد في وعاء سوء، ففي كتاب زيد

---

(١) مروج الذهب ١: ٣٢٤ - ٣٢٩ والنقل بتلخيص.

الزراد عن أبي جعفر عليه السلام قال: ان لنا أوعية نملؤها علماً وحكماً وليست لها بأهل، وما نملؤها إلا لتنقل الى شيعتنا، فانظروا الى ما في الأوعية، فخذوها، ثم صفّوها من الكدر تأخذونها بيضاء نقية صافية، واياكم والأوعية، فانها وعاء سوء فتنكبوها.

وعن أبي عبدالله عليه السلام: ذهب العلم وبقي غبرات العلم في أوعية سوء، فاحذروا باطنها فان في باطنها الهلاك، وعليكم بظاهرها فان في ظاهرها النجاة[1].

٨
الحكمة (٣٣٨)

وَقَالَ عليه السلام:

الْعِلْمُ عِلْمَانِ: مَطْبُوعٌ وَمَسْمُوعٌ، وَلَا يَنْفَعُ المَسْمُوعُ إذَا لَمْ يَكُنِ المَطْبُوعُ.

أقول: وعن النبي صلى الله عليه وآله تقسيمه من حيث آخر، ففي كنز الكراجكي قال النبي: العلم علمان، علم في القلب، فذلك العلم النافع، وعلم في اللسان، فذلك حجّة على العباد[2]، كما أنّ عنه عليه السلام: تقسيم العقل كالعلم، ففي مطالب سؤول ابن طلحة الشافعي قال علي عليه السلام: العقل عقلان، عقل الطبع، وعقل التجربة، وكلاهما يؤدي الى المنفعة[3].

وكيف كان فالمراد بالعلم المطبوع في العنوان العقل، وبالعلم المسموع ظاهره، ومعلوم أنّه ما دام لم يكن للانسان عقل لم ينفعه ما اكتسبه من العلم.

---

(١) أصل زيد الزراد: ٤.

(٢) كنز الفوائد: ٢٣٩.

(٣) مطالب السؤول: ٤٩.

قالوا: أراد رجل أن يتعلم من الخليل علم العروض، واشتغل عليه مدة، فأعياه، فقال له: كيف تقطع بيت عمرو بن معد يكرب:

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه الى ما تستطيع

فترك الحضور، فعجب الخليل من فهمه مراده.

وقيل لحكيم: متى يكون الأدب شرّاً من عدمه. قال: إذا كثر الأدب، ونقصت القريحة.

٩
الحكمة (٩٢)

وَقَال عليه السلام:

اَوْضَعُ الْعِلمِ مَا وُقِفَ عَلَى اللِّسَانِ، وَأَرْفَعُهُ مَا ظَهَرَ فِي الْجَوَارِحِ وَالأَرْكَانِ.

أقول: هكذا في (المصرية) في العدد، وهو محرف عن موضعه، ففي (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية) هذا قبل حكمة (٩١) «ان هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان».

وكيف كان فهذا نظير ما مر عن النبي صلى الله عليه وآله: العلم علمان، علم في القلب، فذلك العلم النافع، وعلم في اللسان، فذلك حجة على العباد[1].

أما علم وقف على اللسان، فكونه أوضع علم لأن صاحبه كالكلاب والقردة، والحمير والبعير، قال تعالى: ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين* ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب

(١) كنز الفوائد: ٢٣٩.

ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث﴾[١].

وفي الخبر عن الصادق عليه السلام: كان لموسى جليس قد وعى علماً كثيراً، فاستأذنه لزيارة أقاربه، فقال عليه السلام: ان الله قد حملك علماً فلا تضيعه. فقال: لا يكون إلا خيراً، ومضى، فطالت غيبته، فسأل موسى عنه، فلم يخبره عنه أحد، فسأل جبرئيل عنه، فقال له: هوذا على الباب قد مسخ قرداً في عنقه سلسلة، ففزع موسى وقال: يا ربّ صاحبي وجليسي، فأوحى إليه لو دعوت حتى تنقطع ترقوتاك ما استجيب لك فيه، اني حمّلته علماً، فضيعه وركن الى غيره[٢].

وقال تعالى: ﴿مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً بئس مثل القوم الذين كذّبوا بآيات الله﴾[٣] أي: كذبوه عملاً، وان صدقوه لساناً، وقال الشاعر:

زوامل للأشعار لا علم عندهم ... بجيدها إلا كعلم الأباعر

لعمرك ما يدري البعير إذا غدا ... بأوساقه أو راح ما في الغرائر

وكيف لا يكون ذاك العلم أوضع علم، وصاحبه اسوأ حالاً من الجاهل، وعن الصادق عليه السلام: يغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد[٤]. وعن الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فكبكبوا فيها هم والغاوون﴾[٥] هم قوم وصفوا عدلاً بألسنتهم، ثم خالفوه الى غيره[٦].

---

(١) الاعراف: ١٧٥ و ١٧٦.

(٢) رواه الشهيد الثاني في منية المريد عنه البحار ٢: ٤٠ ح ٧٠.

(٣) الجمعة: ٥.

(٤) أخرجه الكليني في الكافي ١: ٤٧ ح١، والقمي في تفسيره ٢: ١٤٦.

(٥) الشعراء: ٩٤.

(٦) أخرجه الكليني في الكافي ١: ٤٧ ح ٤، والأهوازي في الزهد: ٦٨ ح ١٨١.

وفي الخبر: ان أهل النار ليتأذون من ريح العالم التارك لعلمه(١).

وقال عيسى عليه السلام: ويل لعلماء السوء، كيف تلظى عليهم النار(٢).

وأما كون علم ظهر في الجوارح والأركان أرفع علم فلأنه الذي قال تعالى في صاحبه: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾(٣) وقال الصادق عليه السلام فيه: ان العلماء ورثة الأنبياء، وذلك ان الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وانما ورثوا أحاديث، فمن أخذ منها أخذ بحظ وافر(٤).

وقال النبي صلى الله عليه وآله في صاحب ذلك العلم: اللّهم ارحم خلفائي، اللّهم ارحم خلفائي، اللّهم ارحم خلفائي. قيل: ومن هم؟ قال: الذين يتعلمون حديثي وسنتي، ثم يعلّمونها أُمتي(٥).

وقال الصادق عليه السلام: من تعلم العلم، وعمل به، وعلّم لله، دعي في ملكوت السماوات عظيماً، فقيل: تعلم لله، وعمل لله، وعلّم لله(٦).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: يا طالب العلم، ان العلم ذو فضائل كثيرة، فرأسه التواضع، وعينه البراءة من الحسد، واذنه الفهم، ولسانه الصدق، وحفظه الفحص، وقلبه حسن النية، وعقله معرفة الأشياء والأُمور، ويده الرحمة، ورجله زيارة العلماء، وهمّته السلامة، وحكمته الورع، ومستقره

---

(١) أخرجه الكليني في الكافي ١: ٤٤ ح١.

(٢) أخرجه الكليني في الكافي ١: ٤٧ ح٢.

(٣) المجادلة ١١.

(٤) أخرجه الكليني في الكافي١ : ٣٢ ح٢، والصفار في البصائر: ٣٠ و ٣١ ح١ و ٣.

(٥) أخرجه الصدوق في معاني الأخبار: ٣٧٤ ح١، والفقيه ٤: ٣٠٢ ح٩٥، وأماليه : ١٥٢ ح٤، مجلس ٣٤، وعيون الأخبار ٢: ٣٦ ح٩٤، والخطيب في شرح أصحاب الحديث : ٣٠ ح٥٨، والطبراني في المعجم الأوسط والرامهرمزي في المحدث الفاضل وابن النجار في تأريخه، عنهم كنز العمال ١٠: ٢٢٩ ح٢٩٢٠٨.

(٦) أخرجه الكليني في الكافي ١: ٣٥ ح٩، والقمي في تفسيره ٢: ١٤٦.

النجاة، وقائده العافية، ومركبه الوفاء، وسلاحه لين الكلمة، وسيفه الرضا، وقوسه المداراة، وجيشه محاورة العلماء، وماله الأدب، وذخيرته اجتناب الذنوب، وزاده الموادعة، ودليله الهدى، ورفيقه محبة الأخيار[١].

١٠
الحكمة (٣٦٦)

وَقَالَ عليه السلام:

اَلْعِلْمُ مَقْرُونٌ بِالْعَمَلِ: فَمَنْ عَلِمَ عَمِلَ، وَالْعِلْمُ يَهْتِفُ بِالْعَمَلِ فَإِنْ أَجَابَهُ وَإِلَّا ارْتَحَلَ عَنْهُ.

أقول: نسبه باب استعمال (علم الكافي) الى الصادق عليه السلام، رواه عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن محمد بن سنان عن إسماعيل بن جابر عنه عليه السلام، وزاد بعد «فمن علم عمل» «ومن عمل علم»[٢]، وكيف كان فالزيادة ساقطة من النهج لاقتضاء الكلام لها.

«العلم مقرون بالعمل فمن علم عمل» روى (الخصال): ان رجلاً جاء الى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: ما حق العلم؟ قال: الانصات له. قال: ثم مه؟ قال: الاستماع له. قال: ثم مه؟ قال: الحفظ له. قال: ثم مه؟ قال: العمل به. قال: ثم مه؟ قال: نشره[٣].

وروى (العيون) عنه عليه السلام: الدنيا كلّها جهل إلا مواضع العلم، والعلم كلّه حجة إلاّ ما عمل به، والعمل كلّه رياء إلّا ما كان مخلصاً، والاخلاص على خطر حتى ينظر العبد بما يختم له[٤].

وروى (كنز الكراجكي) عن النبي صلى الله عليه وآله: من ازداد في العلم رشداً، فلم

---

(١) أخرجه الكليني في الكافي ١: ٤٨ ح٢، وابن شعبة في تحف العقول: ٢٠٠.

(٢) الكافي ١: ٤٤ ح٢.

(٣) الخصال ١: ٢٨٧ ح٤٣، والكافي ١: ٤٨ ح٤.

(٤) عيون الأخبار للصدوق ١: ٢١٩ ح٢٥.

يزدد في الدنيا زهداً، لم يزدد من الله إلّا بعداً[١].

وروى (المنية) عن النبي صلى الله عليه وآله: العلم الذي لا يعمل به كالكنز الذي لا ينفق منه، أتعب صاحبه نفسه في جمعه، ولم يصل الى نفعه[٢].

«والعلم يهتف» أي: يصيح **«بالعمل فان أجابه وإلا ارتحل عنه»** في (تفسير القمي والكافي): ان رجلاً جاء الى علي بن الحسين عليه السلام، فسأله عن مسائل، ثم عاد ليسأل عن مثلها، فقال عليه السلام: مكتوب في الانجيل لا تطلبوا علم ما لا تعلمون، وما عملتم بما علمتم، فان العلم إذا لم يعمل به لم يزدد من الله إلا بعداً[٣].

١١
الحكمة (٩٨)

وَقَال عليه السلام:

اعْقِلُوا الْخَبَرَ إِذَا سَمِعْتُمُوهُ عَقْلَ رِعَايَةٍ لَا عَقْلَ رِوَايَةٍ، فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ، وَرُعَاتَهُ قَلِيلٌ.

«اعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعاية» ويعبر عنه بالدراية **«لا عقل رواية»**.

وفي (كنز الكراجكي) عنه عليه السلام: عليكم بالدرايات لا بالروايات، همّة السفهاء الرواية، وهمّة العلماء الدراية[٤].

«فان رواة العلم كثير ورعاته قليل» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: رواة الكتاب كثير، ورعاته قليل، وكم من مستنصح للحديث مستغش للكتاب، فالعلماء يحزنهم ترك الرعاية، والجهّال يحزنهم حفظ الرواية، فراع يرعى

---

(١) كنز الفوائد: ٢٣٩.

(٢) لم يوجد في منية المريد بل رواه ابن فهد في عدة الداعي عنه البحار ٢: ٣٧ ح٥٥.

(٣) تفسير القمي عنه البحار ٢: ٢٨ ح٦، والكافي ١: ٤٤ ح٤.

(٤) كنز الفوائد: ١٩٤.

حياته، وراع يرعى هلكته، فعند ذلك اختلف الراعيان، وتغاير الفريقان[1].

وأكثر رواة العامة كما قال عليه السلام غير أهل دراية، روى الكشي عن ميمون بن عبدالله قال: أتى قوم أبا عبدالله عليه السلام يسألونه الحديث ـ وكانوا لا يبالون ممن أخذوا ـ فقال لرجل منهم: هل سمعت من غيري؟ قال: نعم. قال: فحدثني ببعض. فقال: حدثني سفيان الثوري عن جعفر بن محمد قال: النبيذ كلّه حلال إلا الخمر ـ الى أن قال ـ فقال عليه السلام له: هذا الذي تحدث عنه وتذكر اسمه جعفر بن محمد هل تعرفه؟ قال: لا. قال: هل سمعت منه شيئاً قط؟ قال: لا. قال: فهذه الأحاديث عندك حق؟ قال: نعم أحاديث أهل مصرنا منذ دهر لا يمترون فيها. فقال عليه السلام له: لو رأيت هذا الرجل الذي تحدّث عنه فقال لك هذه الأحاديث التي ترويها عني كذب لا أعرفها ولم أحدث بها، هل كنت تصدقه؟ قال: لا. قال: ولِمَ؟قال: لأنّه شهد على قوله رجال لو شهد أحدهم على عنق رجل لجاز قوله ـ الخبر[2].

هذا، وفي الكافي عنه عليه السلام قال: إذا حدثتم بحديث فاسندوه الى الذي حدثكم، فان كان حقاً فلكم وان كان كذباً فعليه[3].

١٢
الحكمة (٣٧٢)

وَقالَ عليه السلام لجابر بن عبدالله الأنصاريّ:

يا جابِرُ، قِوَامُ الدِّينِ والدُّنْيا بِأَرْبَعَةٍ: عَالِمٍ مسْتَعْمِلُ عِلْمَهُ، وَجَاهِلٍ لا يَسْتَنْكِفُ أَنْ يَتَعَلَّمَ، وَجَوَادٍ لَا يَبْخَلُ بمَعْرُوفِهِ، وَفَقِيرٍ لَا يَبِيعُ آخِرَتَهُ

---

(١) الكافي ١: ٤٩ ح ٦.

(٢) اختيار معرفة الرجال: ٣٩٣ ح ٧٤١.

(٣) الكافي ١: ٥٢ ح ٧.

بِدُنْيَاهُ. فَإِذَا ضَيَّعَ العَالِمُ عِلْمَهُ اسْتَنْكَفَ الْجَاهِلُ أَنْ يَسْتَعَلَّمَ وَإِذَا بَخِلَ الغَنيُّ بِمَعْروفِه بَاعَ الفَقِير آخِرَتَهُ بِدُنْياهُ. يا جابِرُ منْ كَثُرَتْ نِعمُ اللهِ عَلَيْهِ كَثُرَتْ حَوَائِجُ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَمَنْ قَامَ لِلهِ فِيهَا بما يَجب فيها عرَّضها لِلدَوَام والبقاء، ومن لم يقم فيها بما يجِبُ عرَّضها للزَوَال والفناء.

أقول: رواه ابن بابويه في (توحيده) مسنداً عن الأصبغ مع اختلاف وزيادة ونقصان هكذا: قال لما جلس علي عليه السلام في الخلافة وبايعه الناس خرج الى المسجد متعمماً بعمامة النبي ـ الى أن قال ـ ثم قال: سلوني قبل أن تفقدوني، فقام إليه رجل من أقصى المسجد متوكئاً على عصاه فلم يزل يتخطى الناس حتى دنا منه، فقال له عليه السلام: دلّني على عمل إذا عملته نجاني الله من النار. قال له: اسمع يا هذا ثم افهم ثم استيقن قامت الدنيا بثلاثة: بعالم ناطق مستعمل لعلمه، وبغني لا يبخل بماله على أهل دين الله، وبفقير صابر، فإذا كتم العالم علمه، وبخل الغني، ولم يصبر الفقير، فعندها الويل والثبور، وعندها يعرف العارفون بالله ان الدار قد رجعت الى بدئها ـ أي: الكفر بعد الايمان ـ أيها السائل فلا تغترّن بكثرة المساجد وجماعة أقوام أجسادهم مجتمعة وقلوبهم شتى، ايها الناس انما الدنيا ثلاثة، زاهد وراغب وصابر، فأما الزاهد فلا يفرح بشيء من الدنيا أتاه ولا يحزن على شيء منها فاته، وأما الصابر فيتمناها بقلبه، فان أدرك منها شيئاً صرف عنها نفسه لما يعلم من سوء عاقبتها، واما الراغب فلا يبالي من حل أصابها أم من حرام. فقال له عليه السلام: فما علامة المؤمن في ذلك الزمان. قال: ينظر الى ما أوجب الله عليه من حق فيتولاه وينظر الى ما خالفه فيتبرء منه وان كان حميماً قريباً. قال: صدقت والله يا أمير المؤمنين. ثم غاب الرجل فلم نره، فطلبه الناس فلم يجدوه،

فتبسم عليه السلام وقال: مالكم هذا أخي الخضر[١].

ورواه في (خصاله) في الصحيح عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين: قوام الدنيا بأربعة: بعالمٍ ناطق مستعمل له، وبغنيٍ لا يبخل بفضله على أهل دين الله، وبفقيرٍ لا يبيع آخرته بدنياه، وبجاهلٍ لا يتكبر عن طلب العلم. فإذا كتم العالم علمه، وبخل الغني بماله، وباع الفقير آخرته بدنياه، واستكبر الجاهل عن طلب العلم، رجعت الدنيا الى ورائها القهقرى، فلايغرنّكم كثرة المساجد، وأجساد قوم مختلفة قلوبهم. قيل له: كيف العيش في ذلك الزمان؟ فقال: خالطوهم بالبرانية ـ يعني في الظاهر ـ وخالفوهم في الباطن، وللمرء ما اكتسب، وهو مع من أحب، وانتظروا مع ذلك الفرج من الله عزوجل[٢].

قول المصنف (وقال عليه السلام لجابر بن عبدالله الأنصاري) أقول: قد عرفت من خبر التوحيد انّه عليه السلام قال ذلك للخضر، وأما خبر الخصال فساكت عن المسؤول له، فلابد أن المصنف وقف عليه في خبر آخر.

وكيف كان ففي ذيل الطبري: شهد جابر العقبة في السبعين من الأنصار الذين بايعوا النبي عندها، وكان أصغرهم يومئذ، وأراد شهود بدر، فخلفه أبوه على اخواته وكن تسعاً، وخلفه أيضاً حين خرج الى أُحد، وشهد جابر باقي المشاهد.

وروي عنه ان النبي صلى الله عليه وآله غزا سبعاً وعشرين غزوة، وغزوت معه ست عشرة غزوة، ولم أقدر أن أغزو حتى قتل أبي بأُحد، فكان أوّل غزوة غزوتها معه حمراء الأسد.

---

(١) التوحيد: ٣٠٦.

(٢) الخصال ١: ١٩٧ ح٥.

مات جابر سنة (٧٤) وهو ابن (٩٤)، وكان قد ذهب بصره[١]. وفي تاريخه: ولى عبد الملك سنة (٧٤) الحجاج المدينة، فاستخف بأصحاب النبي، وختم في أعناقهم، ورُئي جابر مختوماً في يده[٢].

قوله عليه السلام «يا جابر قوام الدين والدنيا» هكذا في (المصرية) أخذاً من (ابن أبي الحديد)، والصواب: ما في (ابن ميثم): (يا جابر قوام الدنيا)[٣] «بأربعة عالم مستعمل» هكذا في (المصرية)، والصواب: (يستعمل) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٤] (علمه) في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: من تعلم العلم، وعمل به، وعلّم لله، دُعي في ملكوت السماوات عظيماً، فقيل: تعلّم لله، وعَمِل لله، وعلّم لله[٥].

«وجاهل لا يستنكف ان يتعلم» في (الكافي) عن السجاد عليه السلام: أوحى الله تعالى الى دانيال ان أمقت عبيدي اليّ الجاهل المستخف بحق أهل العلم، التارك للإقتداء بهم، وأن أحب عبيدي إليّ التقي الطالب للثواب الجزيل، اللازم للعلماء، القابل عن الحكماء[٦].

«وجوادٌ لا يبخل» الصواب: ما في روايتي الصدوق «وغني لايبخل»[٧] فالغني قد يبخل، وقد لا يبخل، واما الجواد فلا يمكن بخله.

«بمعروفه» قد عرفت ان رواية (التوحيد) «بماله»، ورواية (الخصال)

---

(١) منتخب ذيل المذيل: ٢٩.

(٢) تاريخ الطبري ٥: ٣٥، سنة ٧٤.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٣٠٣، وشرح ابن ميثم ٥: ٤٢٦.

(٤) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٣٠٣، لكن في شرح ابن ميثم ١: ٤٢٦ مثل المصرية.

(٥) الكافي ١: ٣٥ ح٦.

(٦) الكافي ١: ٣٥ ح٥.

(٧) التوحيد: ٣٠٦، والخصال ١: ١٩٧.

«بفضله»[١]، أي: بفضل ماله، وهما أحسن.

في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: ان من بقاء المسلمين وبقاء الاسلام ان تصير الأموال عند من يعرف فيها الحق، ويصنع فيها المعروف، وان من فناء الاسلام وفناء المسلمين أن تصير الأموال في أيدي من لا يعرف فيها الحق، ولا يصنع فيها المعروف.

وعن أبي جعفر عليه السلام ان الله تعالى جعل للمعروف أهلاً من خلقه حبب اليهم فعاله، ووجّه لطلاّب المعروف الطلب اليهم، ويسّر لهم قضاءه كما يسّر الغيب للأرض المجدبة ليحييها ويحيي به أهلها، وان الله تعالى جعل للمعروف أعداءاً من خلقه بغّض إليهم المعروف، وبغّض اليهم فعاله، وحظر على طلاّب المعروف الطلب اليهم، وحظر عليهم قضاءه كما حظر الغيث على الأرض المجدبة ليهلكها ويهلك أهلها[٢].

«وفقير لا يبيع آخرته بدنياه» في (الكافي) عن النبي صلى الله عليه وآله قال تعالىٰ: ان من أغبط أوليائي عندي رجلاً خفيف الحال، ذا حظ من صلاة، أحسن عبادة ربه بالغيب، وكان غامضاً في الناس جعل رزقه كفافاً، فصبر عليه وعجلت منيته، فقلّ تراثه وقلّ بواكيه.

وعن الصادق عليه السلام: جاء رجل موسر نقي الثوب الى النبي، فجلس، فجاء رجل معسر درن الثوب، فجلس الى جنب النبي بجنب الموسر، فقبض الموسر ثيابه من تحت فخذيه، فقال له النبي: أخفت أن يمسك من فقره شيء؟ قال: لا. قال: فخفت أن يصيبه من غناك شيء؟ قال: لا. قال: فخفت أن يوسخ ثيابك؟ قال: لا. قال: فما حملك على ما صنعت؟ فقال: ان لي قريناً يزين

(١) المصدر السابق.

(٢) الكافي ٤: ٢٥ ح١ و ٢.

لي كلّ قبيح، ويقبّح لي كلّ حسن، وقد جعلت له نصف مالي. فقال النبي للمعسر: أتقبل؟ قال: لا. قال الرجل: ولِمَ؟ قال: أخاف أن يدخلني ما دخلك[١].

«فاذا ضيّع العالم علمه استنكف الجاهل أن يتعلم» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: ان العالم إذا لم يعمل بعلمه زلّت موعظته عن القلوب كما يزل المطر عن الصفا.

وعنه عليه السلام: قصم ظهري رجلان: عالم متهتّك، وجاهل متنسك، هذا ينفّر الناس بتهتكه، وهذا يضلّ الناس بتنسكه.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: ان أهل النار ليتأذون من ريح العالم التارك لعلمه.

وقال عيسىٰ بن مريم عليه السلام: ويل لعلماء السوء كيف تلظىٰ عليهم النار.

وعنهم عليهم السلام: يغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد[٢].

«وإذا بخل الغني بمعروفه باع الفقير آخرته بدنياه» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: يأتي على الناس زمان من سأل الناس عاش، ومن سكت مات[٣].

«يا جابر من كثرت نعم الله عليه كثرت حوائج الناس إليه» لامتحان شكره «فمن قام لله فيها بما يجب فيها» هكذا في (المصرية)، ولكن في (ابن أبي الحديد): (فمن قام بما يجب لله فيها)، وفي (ابن ميثم) وكذا (الخطية) (فان أقام بما يجب

---

(١) الكافي ٢: ١٤٠ ح١ و: ٢٦٢ ح١١.

(٢) الكافي ١: ٤٤ ح١ و ٣، لكن الحديث الثاني لم يوجد فيه بل رواه الشهيد الثاني في منية المريد: ٧٤، والصدوق في الخصال ١: ٦٩ ح١٠٣.

(٣) الكافي ٤: ٤٦ ح١.

لله فيها)[١] «عرّضها للدوام والبقاء» هكذا في (المصرية)، والصواب: (عرض نعمة الله لدوامها) كما في (ابن أبي الحديد) وكذا (ابن ميثم)[٢].

«ومن لم يقم فيها بما يجب عرَّضها للزوال والفساد» هكذا في (المصرية)، والصواب: (ومن ضيَّع ما يجب لله فيها عرَّض نعمته لزوالها) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٣]، ولكن في نسخة الثاني (وان ضيع).

وكيف كان ففي (الكافي) عن أبي جعفر عليه السلام: ان الشمس لتطلع ومعها أربعة أملاك: ملك ينادي ياصاحب الخير أتمّ وأبشر، وملك ينادي يا صاحب الشر انزع واقصر، وملك ينادي اعط منفقاً خلفاً وآت ممسكاً تلفاً، وملك ينضحها بالماء ولولا ذلك اشتعلت الأرض.

وعن الرضا عليه السلام: ان النعم كالابل المعتقلة في عطفها على القوم ما أحسنوا جوارها، فإذا أساؤوا معاملتها نفرت عنهم.

وعن الصادق عليه السلام: من عظمت عليه النعمة اشتدت مؤنة الناس عليه، فان هو قام بمؤنتهم اجتلب زيادة النعمة عليه من الله، وان لم يفعل فقد عرض النعمة لزوالها[٤].

١٣
الحكمة (٤٥٧)

وَقالَ عليه السلام:

مَنْهُومان لا يَشْبَعانِ: طالِبُ عِلْمٍ، وطالِبُ دُنْيا.

أقول: روى الكافي عن سليم بن قيس عنه عليه السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٣٠٣، لكن في شرح ابن ميثم ٥: ٤٢٦ مثل المصرية.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٣٠٣، لكن في شرح ابن ميثم ٥: ٤٢٧ مثل المصرية.

(٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٣٠٣، لكن في شرح ابن ميثم ٥: ٤٢٧ مثل المصرية.

(٤) الكافي ٤: ٤٢ ح١ و: ٣٨ ح١ و: ٣٧ ح١.

منهومان لا يشبعان طالب دنيا وطالب علم، فمن اقتصر من الدنيا على ما أحل الله له سلم، ومن تناولها من غير حِلّها هلك، الا ان يتوب ويراجع، ومن أخذ العلم من أهله وعمل به نجا، ومن أراد به الدنيا فهي حظّه[1].

«منهومان» أي: مولعان «لا يشبعان» وفي الخبر: أربعة لا يشبعن من أربعة: الأرض من المطر، والعين من النظر، والأُنثىٰ من الذكر، والعالم من العلم[2].

«طالب علم» روى الخطيب عن عبد الرحمن بن يوسف بن خراش انّه شرب بوله في طلب الحديث خمس مرات، قال: أحسبه فعل ذلك في السفر عند عدم الماء.

وعن محمد بن جعفر بن رميس القصري قال: بعت صف الحدادين ببغداد بثلاثة آلاف دينار، فأنفقتها كلّها على الحديث.

وفي (عيون القتيبي): قيل لبزرجمهر: بِمَ أدركت ما أدركت من العلم؟ قال: ببكورٍ كبكورِ الغراب، وحرصٍ كحرصِ الخنزير، وصبرٍ كصبرِ الحمار.

وحكي عن أبي ريحان البيروني: ان بعض العلماء دخل عليه وهو يجود بنفسه، فقال له في تلك الحال: كيف قلت لي يوماً حساب الجدات؟ فقال: أفي هذه الحال. فقال: أودِّع الدنيا وأنا عالم بها خير من أن اخليها وأنا جاهل بها، فذكرها له وخرج، فسمع الصراخ عليه.

وقال أبو الجوائز:

رويت وما رويت من الرواية وكيف وما انتهيت الى نهاية
وللأعمال غايات تناهى وان طالت وما للعلم غاية

---

(١) الكافي ١: ٤٦ ح١.

(٢) أخرجه الصدوق في الخصال ١: ٢٢١ ح٤٧ و ٤٨.

وقال ابن أبي الحديد: مات الجاحظ والكتاب على صدره، وكان أبو علي في النزع وهو يملي على ابنه أبي هاشم مسائل في علم الكلام، وكان القاضي أحمد بن أبي دؤاد يأخذ الكتاب في خفه وهو راكب، فإذا جلس في دار الخليفة اشتغل بالنظر فيه الى ان يجلس الخليفة، وما فارق الكتاب قط إلا في الخلاء.

وأعرف انا في زماننا من مكث نحو خمس سنين لا ينام إلا وقت السحر صيفاً وشتاءاً مكباً على كتاب، وكانت وسادته التي ينام عليها الكتاب[١].

«وطالب دنيا» في (الكافي) عن أبي جعفر عليه السلام: مثل الحريص على الدنيا مثل دودة القز، كلّما ازدادت من القز على نفسها لفاً كان أبعد لها من الخروج حتى تموت غماً[٢].

وعن أبي عبدالله عليه السلام: مر عيسى على قرية قد مات أهلها وطيرها ودوابها، فقال: أما إنهم لم يموتوا إلا بسخط، ولو ماتوا متفرقين لتدافنوا. فقال الحواريون: يا روح الله ادع الله أن يحييهم لنا فيخبرونا ما كانت أعمالهم فنجتنبها. فدعا عيسىٰ ربه، فنودي من الجو نادهم، فقام عيسى بالليل على شرف من الأرض، فقال: يا أهل هذه القرية، فأجابه منهم مجيب: لبيك يا روح الله. فقال: ويحكم ما كانت أعمالكم؟ قال: عبادة الطاغوت، وحب الدنيا مع خوفٍ قليل، وأملٍ بعيد، وغفلةٍ في لهو. فقال: كيف كان حبكم للدنيا؟ قال: كحب الصبي لأُمه، إذا أقبلت علينا فرحنا، وإذا أدبرت عنّا حزنا ـ الخبر[٣].

وقال ابن أبي الحديد: كان في القرآن آية أنزلت ثم رفعت: لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثاً، ولا يملأ عين ابن آدم إلّا

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ١٧٤ .

(٢) الكافي ٢: ١٣٤ ح ٢٠ .

(٣) الكافي ٢: ٣١٨ ح ١١ .

التراب، ويتوب الله على من تاب[١].

١٤
الحكمة (٤٧٨)

وقالَ عليه السلام :

مَا أَخَذَ اللهُ عَلَى أهْلِ الجَهْلِ أنْ يَتَعَلَّمُوا حَتَّى أخَذَ عَلَى أهْلِ الْـعِلْم أنْ يُعَلِّمُوا.

أقول: في (تفسير الطبرسي) عن الثعلبي باسناده عن الحسن بن عمارة قال: أتيت الزهري بعد أن ترك الحديث، فقلت: أرأيت أن تحدثني. فقال: أما علمت اني تركت الحديث. فقلت: اما ان تحدثني واما أن أُحدثك. فقال: حدثني. فقلت: حدّثني الحكم بن عيينة عن نجم الجزار قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: ما أخذ الله على أهل الجهل ان يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا ـ فحدثني بأربعين حديثاً[٢].

وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام في كتاب عليّ عليه السلام: ان الله تعالىٰ لم يأخذ على الجهّال عهداً بطلب العلم حتى أخذ على العلماء عهداً ببذل العلم للجهّال، لأن العلم كان قبل الجهل[٣].

وفي (المروج): دخل أبو حازم الأعرج على سليمان بن عبد الملك، فقال له سليمان: عظني وأوجز. فقال له: نزه ربك، وعظمه ان يراك حيث ما نهاك، أو يفقدك حيث أمرك به. فبكى سليمان، فقال له بعض جلسائه: أسرفت عليه. فقال له أبو حازم: اسكت، فان الله تعالى أخذ الميثاق على

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ١٧٤.

(٢) مجمع البيان ٢: ٥٥٢.

(٣) الكافي ١: ٤١ ح١.

العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه[1].

ومراده عليه السلام بالأخذ على العالم التعليم قبل الأخذ على الجاهل التعلم فيما إذا كان الجاهل قابلاً وأهلاً لا مطلقاً، فروى (الكافي) ان رجلاً قال لأبي جعفر عليه السلام ان الحسن البصري يزعم ان الذين يكتمون العلم يؤذي ريح بطونهم أهل النار. فقال عليه السلام: فهلك اذن مؤمن آل فرعون، ما زال العلم مكتوماً منذ بعث الله تعالى نوحاً، فليذهب الحسن يميناً وشمالاً، فوالله ما يوجد العلم إلا هاهنا.

وروي ان عيسى عليه السلام قام خطيباً في بني اسرائيل فقال: لا تحدثوا بالحكمة الجهّال فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم[2].

هذا، وفي (أذكياء ابن الجوزي) عن الحميدي قال: كنّا عند سفيان بن عيينة، فحدثنا بحديث زمزم انّه لما شرب له، فقام رجل من المجلس، ثم عاد فقال لسفيان: أليس الحديث الذي حدثتنا أن زمزم لما شرب له بصحيح؟ قال: بلى. فقال: اني قد شربت الآن دلواً من زمزم على أن تحدثني بمائة حديث. فقال له سفيان: أقعد فحدثه بمائة حديث.

وعن ابن أبي ذر قال: كان إذا ورد الحاج إذا ورد جلس سفيان بن عيينة بباب بني هاشم على موضع عال ليرى الناس، فجاء رجل من أصحاب الحديث، فقعد بين يديه، فقال له: حدثني، فحدثه أحاديث، فقال: زدني، فزاده، فقال: زدني، فزاده، فقال: زدني، فدفع في صدره، فوقع الى الوادي، فتفاشى ذلك، فاجتمع الحاج وقالوا: سفيان بن عيينة قتل رجلاً من الحاج، فلما كثر ذلك أشفق سفيان، فنزل الى الرجل، فوضع رأسه في حجره وقال له: مالك أيّ

(١) مروج الذهب ٣: ١٧٧.

(٢) الكافي ١: ٥١ ح١٥ : ٤٢ ح٤.

شيء أصابك، فلم يزل يركض رجليه ويزبد من فيه ـ وكثر الضجيج: «سفيان بن عيينة قتل رجلاً»، فقال له: قم ويلك أما ترى الناس يقولون، فقال له ـ وهو يخفي صوته ـ لا والله لا أقوم حتى تحدثني مائة حديث عن الزهري وعمرو بن دينار، ففعل فقام.

١٥
الحكمة (٤)

وَقَال عليه السلام:

نعم القرينُ الرِّضىٰ، والعِلْمُ وِرَاثـةٌ كَـرِيمَةٌ، وَالآدَابُ حُـللٌ مُـجَدَّدَةٌ، والْفِكْرُ مِرْآةٌ صافِيَةٌ.

أقول: جعل العنوان الرابع على ما في (المصرية)، ولكن في (ابن ميثم والخطية) جعل من الثاني الى السادس الخمسة واحداً[١]، واما ابن أبي الحديد فلم يعلم الأصل فيه، حيث انّه قد يقطع العنوان الواحد المقطوع، إلا انّه جعل هنا أوّل العنوان «والعلم وراثة كريمة»، وجعل «نعم القرين الرضى» جزء السابق[٢]، ويمكن تأييده بأن (أمالي المفيد) رواه عنه عليه السلام هكذا: «العلم وراثة كريمة، والآداب حلل حسان، والفكر مرآة صافية، والاعتبار منذر ناصح، وكفى بك أدباً لنفسك تركك ما كرهته من غيرك»[٣].

«نعم القرين الرضى» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: ان أعلم الناس بالله أرضاهم بقضاء الله.

وقيل له عليه السلام: بأي شيء يعلم المؤمن؟ قال: بالتسليم لله، والرضى فيما

---

(١) شرح ابن ميثم ٥: ٢٣٨.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٩٠ و ٩٣.

(٣) أمالي المفيد: ٣٣٦ ح٧، مجلس ٣٩.

ورد عليه من سرور أو سخط.

وعنه عليه السلام: لم يكن النبي صلى الله عليه وآله يقول لشيء قد مضىٰ لو كان غيره.

وأوحى الله تعالى الى موسىٰ: ما خلقت خلقاً أحب إليّ من عبدي المؤمن، واني ابتليه لما هو خير له، واعافيه لما هو خير له، وأزوي عنه ما هو شر له، لما هو خير له، وأنا أعلم بما يصلح عليه عبدي، فليصبر علىٰ بلائي، وليشكر نعمائي، وليرضىٰ بقضائي، اكتبه في الصدّيقين عندي، إذا عمل برضائي وأطاع أمري[1].

وقال ابن أبي الحديد: كان يقال: من سخط القضاء طاح، ومن رضىٰ به استراح، وكان يقال: عليك بالرضا، ولو قلبت علىٰ جمر الغضى، وعن النبي صلى الله عليه وآله قال تعالىٰ: من لم يرض بقضائي فليتخذ رباً سوائي[2].

«والعلم وراثة كريمة» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: فضل العالم علىٰ العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر، وان العلماء ورثة الأنبياء؛ انّ الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ولكن ورثوا العلم، فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر[3].

وفي (المعجم) في حديث سعيد بن العاص قال النبي صلى الله عليه وآله: ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن.

ويكفي العلم وراثة كريمة قوله تعالىٰ: ﴿شهد الله انّه لا اله إلّا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط﴾[4] فقرن صاحب العلم بذاته تعالىٰ وبملائكته.

---

(١) الكافي ٢: ٦٠ ـ ٦٣ ح ٢ و ٧ و ١٢ و ١٣.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٩٢.

(٣) الكافي ١: ٣٤ ح ١.

(٤) آل عمران: ١٨.

وفي (طرائف المقدسي) قال علي عليه السلام: كفى بالعلم شرفاً أنّه يدعيه من لا يحسنه، ويفرح إذا نسب إليه.

ويقال: العلماء في الأرض كالنجوم في السماء، ولولا العلم لكان الناس كالبهائم.

وقال بعض الحكماء: العلم حياة القلوب ومصباح الأبصار.

وفي (تاريخ بغداد): جلس ابن معروف يوماً للحكم في جامع الرصافة، فاستدعى أصحاب القصص إليه، فتتبعها ووقّع على أكثرها، ثم نظر في بعضها، فإذا فيها ذكرٌ له بالقبيح ووضاعته وسقوط أصله، فقلب الرقعة وكتب على ظهرها:

العالم العاقل ابن نفسه ... أغناه جنس علمه عن جنسه

كن ابن من شئت وكن كيساً ... فانما المرء بفضل كيسه

كم بين من تكرمه لغيره ... وبين من تكرمه لنفسه

من انما حياته لغيره ... فيومه أولى به من أمسه

وعن أبي الأسود:

العلم زين وتشريف لصاحبه ... فاطلب هديت فنون العلم والأدبا

كم سيد بطل آباؤه نجب ... كانوا فأضحى بعدهم ذنبا

ومقرف خامل الآباء ذي أدب ... نال المعالي بالآداب والرتبا

ولآخر:

يعد رفيع القوم من كان عالماً ... وان لم يكن في قومه بحسيب

وان حل ارضاعاً عاش فيها بعلمه ... وما عالم في بلدة بغريب

ولابن جني:

فان أصبح بلا نسب ... فعلمي في الورى نسبي

وفي (المروج): سئل انوشيروان ما أعظم الكنوز قدراً، وأنفعها عند الاحتياج اليها؟ فقال: معروف أودعته الأحرار، وعلم تورثه الأعقاب.

وقيل له: من أطول الناس عمراً؟ فقال: من كثر علمه فتأدب به من بعده[1].

«والآداب حلل مجددة» قال عليه السلام أوّلاً: «العلم وراثة كريمة»، وثانياً: «والآداب حلل مجددة»، وبين العلم والأدب عموم وخصوص.

وفي (المعجم) قالوا: الفرق بين الأديب والعالم ان الأديب من يأخذ من كلّ شيء أحسنه فيؤلفه، والعالم من يقصد بفن من العلم فيتعلمه، ولذا قال علي عليه السلام: «العلم أكثر من أن يحصى، فخذوا من كلّ شيء أحسنه»، وقال عبدالله بن المبارك: تعلموا العلم شهراً والأدب شهرين.

وفي تاريخ بغداد في أبي تمام عنه:

أو يفترق نسب يؤلف بيننا ... أدب أقمناه مقام الوالد

وروى الزبير بن بكار عن النضر بن شميل قال: دخلت على المأمون بمرو وعليَّ أطمار، فقال: يا نضر تدخل عليّ في مثل هذه الثياب، قلت: ان حر مرو شديد لا يدفع إلا بمثل هذه الأخلاق. قال: بل أنت رجل متقشف. ثم تجارينا الحديث، فأجرى ذكر النساء، فقال: حدثني هشيم عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وآله قال «إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سداد ـ وفتح السين ـ من عوز» فقلت: صدقوك، وحدثني عوف الاعرأبي عن الحسن عن علي عليه السلام عن النبي «إذا تزوج المرأة لدينها وجمالها كان فيه سداد ـ وكسرت السين ـ من عوز»، وكان المأمون متكئاً، فاستوى جالساً وقال: سداد لحن عندك؟ قلت: نعم هاهنا. قال: أو تلحنني؟

(١) مروج الذهب ١: ٢٩٦.

قلت: انما لحن هشيم، وتبعت لفظه. فقال: ما الفرق بينهما؟ قلت: السداد ـ أي: بالفتح ـ القصد في الدين والطريقة والأمر، والسداد ـ أي: بالكسر ـ البلغة، وكلّ ما سددت به شيئاً فهو سداد، قال العرجي:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

فأطرق ملياً، ثم قال: قبح الله من لا أدب له، ثم أخذ قرطاساً، وأنا لا أدري ما يكتب، وكتب فيه شيئاً، ثم قال: كيف تقول إذا أمرت من يترب الكتاب. قلت: أتربه. قال: فهو ماذا؟ قلت: فهو مترب. قال: فمن الطين؟ قلت: طنه. قال: فهو ماذا؟ قلت: فهو مطين. قال: هذه أحسن من الاولى. ثم قال: يا غلام أتربه وطنه وابلغ معه الى الفضل بن سهل، فلما قرأ الفضل الكتاب قال: امر لك بخمسين ألف درهم، فما كان السبب، فأخبرته فقال: لحنته؟ قلت: كلا، انما لحن هشيم ـ وكان لحاناً ـ فتبع لفظه، فأمر لي الفضل بثلاثين ألف درهم، فأخذت ثمانين ألف درهم بحرف أستفيد مني[1].

وفي (المعجم) عن الشعبي قال: حلى الرجال العربية وحلى النساء الشحم[2].

وقال الأصمعي: كنت عند الرشيد إذ دخل رجل ومعه جارية للبيع، فتأملها، ثم قال له: خذ جاريتك، فلولا كلف في وجهها، وخنس في أنفها لاشتريتها. فانطلق بها، فلما بلغت الستر قالت لهارون: أرددني اليك أنشدك بيتين حضراني، فردها، فأنشأت تقول:

ما سَلِمَ الظبي على حسنه كلا ولا البدر الذي يوصف

---

(١) رواه الزبير بن بكار في الموفقيات، ورواه أيضاً النووي في تهذيب الأسماء ٢: ١٢٧، وابن الانباري في نزهة الاولياء: ٥٧، والشيرازي في الألقاب عنه الجامع الصغير ١: ٢٣.

(٢)

الظـبي فـيه خـنس بـيّن والبـدر فـيه كـلف يـعرف

فأعجبته بلاغتها، فاشتراها وقرّب منزلتها، وكانت أحظى جواريه.

وفيه: قيل لما عرضت الخيزران على المهدي قال: والله يا جـارية، انك لعلى غاية المنى، غير انك حمشة الساقين. فقالت: انك أحوج ما تكون اليهما لا تراهما. فقال: اشتروها، فحظيت عنده، فأولدها موسى وهارون.

وفي (المعجم): قال إبراهيم الصابي: كنت في مجلس الوزير المهلبي في بعض أيام الحداثة جالساً في مجلس أنسه، وبين يديه أبو الفضل بن الحسين، وأبو أحمد بن عبد الرحمن، وأبو علي الأنباري، وأبو الفرج بـن أبـي هشـام، وغيرهم من كتّابه، وقد أخذ الشراب منهم، وزاد بـهم عـلى حـد النشـوة، إذ حضر رسول معز الدولة يذكر أن معه أمراً مهمّاً، فقال الوزير فليدخل، فدخل وقال: الأمير يقول تكتب عني الساعة الى محمد بن اليـاس صـاحب كـرمان تخطب فيه ابنته لبختيار. فقال الوزير: هذا كتاب يحتاج فيه الى تثبت، وما في الكتّاب مع السكر من فيه فضل، ثم التفت الى أبي علي الأنباري وقال له: تتمكن من كتابته؟ قال: اما الليلة فلا، ورآني الوزير مصغياً فقال: تكتبه يا إبراهـيم؟ قلت: نعم. قال: افعل فقمت الى صفة يشاهدني فيها، واستدعيت دواتي، وكتبت كتاباً اقتضبته بغير روية، ولا نسخة، والوزيـر والحـاضرون يـلاحظونني، ويعجبون من اقدامي، ثم اقتضابي واطالتي، فلما فرغت مـنه وحـملته إليـه، وقف عليه ووجهه متهلل، ثم قال للجماعة: هذا كتاب حسن دال على الكفاية المبرزة، ولو كتبه صاحياً مروياً لكان عجباً، فكيف إذ يكتبه منتشياً مقتضياً، قم يا أبا إسحاق واجلس حيث أجلستك الكـفاية ـ أومأ الى جـانب ابـنه أبـي الغنائم.

وفي (الأغاني) عن أبي هفان: كان العتابي ذات يوم جالساً يـنظر فـي

كتاب، فمر به بعض جيرانه فقال: أيش ينفع العلم والأدب من لا مال له. فقال العتابي:

يا قاتل الله أقواماً إذا نقموا ... ذا اللب ينظر في الأدب والحكم

قالوا وليس بهم إلا نفاسته ... أنافع ذا من الاقتار والعدم

وليس يدرون ان الحظ ما حرموا ... لحاهم الله من علم ومن فهم

وقال ابن أبي الحديد: روى الهيثم عن سعيد الجدلي قال: لما قدم عبد الملك الكوفة بعد قتل مصعب، دعا الناس يحرّضهم على فرائضهم، فحضرنا بين يديه فقال: من القوم؟ قلنا: جديلة. فقال: جديلة عدوان؟ قلنا: نعم، فانشد:

عذير الحي من عدوا ... ن كانوا حية الأرض

بغى بعضهم بعضاً ... فلم يرعوا على بعض

ومنهم كانت السادا ... ت والموفون بالقرض

ومنهم حكم يقضي ... فلا ينقض ما يقضي

ومنهم من يجيز النا ... س بالسنة والفرض

ثم أقبل على رجل منّا وسيم جسيم قد مناه أمامنا، فقال: أيّكم يقول هذا الشعر؟ قال: لا أدري. فقلت أنا من خلفه: يقول ذو الأصبع ـ فتركني وأقبل على ذلك الرجل الجسيم، فقال: ما كان اسم ذي الأصبع. قال: لا أدري. فقلت من خلفه اسمه حرثان ـ فتركني وأقبل عليه، فقال له: ولم سمّي ذا الأصبع؟ قال: لا أدري، فقلت أنا من خلفه نهشته حية في أصبعه ـ فأقبل عليه وتركني، فقال: من أيّكم كان ذو الأصبع؟ قال: لا أدري، فقلت أنا من خلفه من بني ناج الذين قيل فيهم:

فأما بنو ناج فلا تذكرنهم ... ولا تتبعن عيناك من كان هالكا

فأقبل على الجسيم فقال: كم عطاؤك؟ قال: سبعمائة درهم. ثم أقبل عليّ

وقال: كم عطاؤك؟ قلت: اربعمائة. فقال؛ يا أبا الزعيزعة، حط من عطاء هذا ثلاثمائة، وزدها في عطاء هذا، فرحت وعطائي سبعمائة وعطاؤه اربعمائة.

وأنشد منشد بحضرة الواثق:

أظلوم ان مصابكم رجلاً اهدى السلام تحية ظلم

فقال «رجل» هو خبر «إنّ» ووافقه على ذلك قوم وخالفه قوم، فقال الواثق من بقي من علماء النحويين؟ قالوا: المازني، فأمر باشخاصه، فلما دخل عليه قال: ممن الرجل؟ قال: من مازن. قال: مازن ربيعة أو قيس أو اليمن؟ قال: بل ربيعة. قال: با اسمك ـ يريد ما اسمك، لأن مازن ربيعة يبدلون الميم باء والباء ميماً، فقال مكر ـ أي: بكر ـ فضحك الواثق وقال: اجلس، فسأله عن البيت فأنشده منصوباً، فقال: أين خبر «إنّ»؟ فقال «ظلم». قال: كيف؟ قال: ألا ترى ان لم يجعل «ظلم» الخبر يكون الكلام معدوم الفائدة. فقال: قبّح الله من لا أدب له. ثم قال: ألك ولد؟ قال: بنية. قال: فما قلت حين ودعتها؟ قال: ما قالت بنت الاعشى حيث يقول:

تقول ابنتي حين جدَّ الرحيلُ أرانا سواء ومن قديتم

ابانا فلا رمت مَن عندنا فانا بخير إذا لم ترم

أبانا إذا أضمرتك البلا د نجفى وتقطع منّا الرحم

قال: فما قلت لها؟ قال: أنشدتها بيت جرير:

ثقي بالله ليس له شريك ومن عند الخليفة بالنجاح

فقال: ثق بالنجاح، ثم أمر له بألف دينار وكسوة، ورده الى البصرة[1].

«والفكر مرآة صافية» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: نبه بالتفكر قلبك، وجاف عن الليل جنبك، واتق الله ربك.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٩٤ ـ ٩٦.

وعنه عليه السلام: سئل عمّا يروي الناس «ان تفكر ساعة خير من قيام ليلة» كيف يتفكر؟ فقال: يمر بالخربة أو بالدار فقال: أين ساكنوك، أين بانوك، مالك لا تتكلمين.

وعن الرضا عليه السلام: ليس العبادة كثرة الصلاة والصوم، انما العبادة التفكر في أمر الله تعالى[1].

وقال ابن أبي الحديد: كان يقال؛ الفكرة الصحيحة اسطرلاب روحاني.

وقال أوس بن حجر:

ان الذي جمع السماحة والنـ ... جـد والحزم والنهي جمعا
الا لمعي الذي يـظن بك الـ ... ظن كأن قد رأى وقد سمعا[2]

١٦
الحكمة (٨١)

وَقَال عليه السلام:

قِيمَةُ كُلِّ آمْرِئٍ مَا يُحْسِنُهُ.

قَالَ الرَّضيّ: وَهي ٱلْكَلِمَةُ الَّتي لا تُصَابُ لها قيمةٌ، وَلَا تُوزَنُ بِهَا حِكْمَةٌ، وَلَا تُقْرَنُ إِلَيْها كَلِمَةٌ.

أقول: رواه (العيون والخصال والمعاني وأمالي الشيخين والكافي)، ورواه أبو هلال العسكري في (صناعتيه)، ورواه الجاحظ في (بيانه)، ورواه الحموي في (معجمه)، ورواه ابن عبد ربه في (عقده)، ورواه الخطيب في أحمد بن محمد ابن جناح، ورواه (تذكرة سبط ابن الجوزي)، ورواه (الشعراء)[3].

---

(١) الكافي ٢: ٥٤ و ٥٥ ح١ و ٢ و ٤.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٩٤.

(٣) رواه الصدوق في عيون الأخبار ٢: ٥٣ ح٢٠٤، وابن قتيبة في الشعر والشعراء: ، ويأتي تخريج الباقي في مواضعه.

روى (الكافي) في نوادر كتاب عقله مسنداً عن ابن عائشة البصري رفعه ان علياً عليه السلام قال في بعض خطبه: ايها الناس، اعلموا انّه ليس بعاقل من انزعج من قول الزور فيه، ولا بحكيم من رضى بثناء الجاهل عليه، الناس ابناء ما يحسنون، وقدر كلّ امرئ ما يحسن، فتكلموا في العلم تبين أقداركم[1].

وروى عنه عليه السلام قال: أقل الناس قيمة أقلّهم علماً، اذ قيمة كلّ امرئ ما يحسنه، وكفى بالعلم شرفاً انّه يدعيه من لا يحسنه ويفرح إذا نسب إليه، وكفى بالجهل ضعة، انّه يتبرأ منه من هو فيه، ويغضب إذا نسب إليه[2].

وروى (المعاني): ان الباقر عليه السلام قال للصادق: اعرف منازل الشيعة على قدر روايتهم ومعرفتهم، فان المعرفة هي الدراية للرواية، وبالدرايات للروايات يعلو المؤمن الى أقصى درجات الايمان، اني نظرت في كتاب لعليّ عليه السلام فوجدت فيه «ان قيمة كلّ امرئ وقدره معرفته» ان الله تعالى يحاسب الناس على قدر ما آتاهم من العقول في دار الدنيا[3].

وفي معجم الحموي قال علي عليه السلام: «قيمة كل انسان ما يحسن»، فنظمه شاعر وقال:

لايكون الفصيح مثل العيي لا ولا ذو الذكاء مثل الغبي

قيمة المرء قدر ما يحسن المرء قضاء من الامام علي[4]

وقال العسكري في (صناعتيه): وجد ابن طباطبا قول علي عليه السلام: «قيمة كلّ امرئ ما يحسنه»، فقال:

فيا لائمي دعني اغالي بقيمتي فقيمة كلّ امرئ ما يحسنه

---

(١) الكافي ١: ٥٠ ح١٤.

(٢) رواه ابن طلحة في مطالب السؤول: ٤٩.

(٣) أخرجه الصدوق في معاني الأخبار: ١ ح٢.

(٤) معجم الادباء ١: ٦٦.

وقال السبط في (تذكرته): ومن كلام علي عليه السلام فيما رواه السدي عنه: «قيمة كل امرئ ما يحسنه»، ومن هاهنا أخذ القائل:

قال علي بن أبي طالب وهو الامام العالم المتقن

كلّ امرئ قيمته عندنا وعند أهل الفضل ما يحسن[١]

وتأتي روايات الباقين.

قول المصنّف: (وقال عليه السلام) قاله على ما قال ابن عبد ربه لصعصعة، ففي (عقده): كتب صعصعة بن صوحان إليه عليه السلام يسأله في شيء، فوقع في كتابه «قيمة كلّ امرئ ما يحسنه».

قوله عليه السلام «قيمة كل امرئٍ ما يحسنه» في (المعجم): قال سعيد بن سلم: دخلت على الرشيد فبهرني هيبةً وجمالاً، فلما لحن خف في عيني.

وقال الواقدي: صلّى رجل من آل الزبير خلف المنصور وقرأ ﴿ألهاكم التكاثر﴾[٢] فلحن في موضعين، فلما سلم التفت الزبيري الى رجل كان الى جانبه فقال: ما كان أهون هذا القرشي على أهله.

وقال أبو عمرو الشيباني: تكلّم المنصور في مجلس فيه اعرأبي فلحن، فصر الاعرأبي أذنيه، فلحن مرة أخرى أعظم من الأولى، فقال الاعرأبي: أفٍ لهذا ما هذا، ثم تكلّم فلحن في الثالثة، فقال الاعرأبي: اشهد لقد وليت هذا الأمر بقضاء وقدر.

(قال الرضي) من الغريب ان بيان الرضي ليس في (ابن ميثم)[٣] رأساً. ولعله سقط من النسخة. وكيف كان فقوله «قال الرضي» ليس

(١) تذكرة الخواص: ١٥٤.

(٢) التكاثر: ١.

(٣) شرح ابن ميثم ٥: ٢٨١.

كلام المصنف لخلو الخطية عنه.

(وهي) هكذا في (المصرية)، والصواب: «هذه» كما في (ابن أبي الحديد والخطية)[١] (الكلمة التي لا تصاب لها قيمة) ويكفيها قيمة انّه صدقها الله تعالىٰ.

روى الشيخ في (أماليه) مسنداً عن عبد العظيم الحسني عن أبي جعفر الثاني عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قلت أربعاً أنزل تعالى تصديقي في كتابه لها قلت: «المرء مخبوء تحت لسانه فاذا تكلّم ظهر»، فأنزل تعالىٰ: ﴿ولتعرفنهم في لحن القول﴾[٢]، وقلت: «من جهل شيئاً عاداه»، فأنزل تعالىٰ ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه﴾[٣]،وقلت: «قيمة كل امرئٍ ما يحسن»، فأنزل تعالىٰ في قصة طالوت: ﴿ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم﴾[٤]، وقلت : «القتل يقل القتل»، فأنزل تعالىٰ: ﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب﴾[٥].

(ولا توزن بها حكمة) روى (الخصال) مسنداً عن الشعبي قال: تكلم علي عليه السلام بتسع كلمات ارتجلهن ارتجالاً فقأن عيون البلاغة، وأيتمن جواهر الحكمة، وقطعن جميع الأنام عن اللحاق بواحدة منهن، ثلاث منها في المناجاة، وثلاث منها في الحكمة، وثلاث منها في الأدب، فأما اللاتي في المناجاة فقال: «الهي كفى لي عزاً أن أكون لك عبداً، وكفى بي فخراً أن تكون لي رباً، أنت كما أحب، فاجعلني كما تحب»، واما اللاتي في الحكمة فقال: «قيمة

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٢٣٠.

(٢) محمد : ٣٠.

(٣) يونس : ٣٩.

(٤) البقرة : ٢٤٧.

(٥) أمالي أبي علي الطوسي ٢: ١٠٨، جزء ١٧. والآية ١٧٩ من سورة البقرة.

كلّ امرئ ما يحسنه، وما هلك امرؤ عرف قدره، والمرء مخبوء تحت لسانه»، واما اللاتي في الأدب فقال: «امنن على من شئت تكن أميره، واحتج الى من شئت تكن أسيره، واستغن عمن شئت تكن نظيره»[١].

«ولا تقرن اليها كلمة» روى المفيد في (أماليه): ان الخليل بن أحمد قال: أحث كلمة على طلب العلم قول علي عليه السلام: «قدر كلّ امرئٍ ما يحسن»[٢].

وروى الخطيب أن الجاحظ قال: لا أعلم في كلام الناس كلمة أحكم من هذه الكلمة، أي «قيمة كلّ امرئٍ ما يحسن»[٣].

وفي (بيان الجاحظ): قال علي بن أبي طالب عليه السلام «قيمة كلّ امرئٍ ما يحسن»، فلو لم تقف من هذا الكتاب إلا على هذه الكلمة لوجدناها كافية شافية، ومجزية مغنية، بل لوجدناها فاضلة على الكفاية، وغير مقصرة عن الغاية، وأحسن الكلام ما كان يغنيك قليله عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه، وكأن الله تعالى قد ألبسه من الجلالة، وغشاه من نور الحكمة، على حسب نيّة صاحبه، وتقوى قائله، فإذا كان المعنى شريفاً، واللفظ بليغاً، وكان صحيح الطبع بعيداً من الاستكراه، ومنزهاً عن الاخلال مصوناً عن التكلف، صنع في القلب صنيع الغيث في التربة الكريمة، ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة، ونفذت من قائلها على هذه الصفة أصحبها الله من التوفيق، ومنحها من التأييد ما لا يمتنع من تعظيمها به صدور الجبابرة، ولا يذهل عن فهمها عقول الجهلة[٤].

وفيه أيضاً: أجمعوا على أنهم لم يجدوا كلمة أقل حرفاً، ولا أكثر ريعاً، ولا أعم نفعاً، ولا أحث على بيان، ولا أدعى إلى تبيين، ولا أهجر لمن ترك

---

(١) الخصال ٢: ٤٢٠ ح ١٤.

(٢) رواه أبو علي الطوسي في أماليه ٢: ١٠٨، جزء ١٧ عن طريق المفيد لكن لم يوجد في أماليه.

(٣) تاريخ بغداد ٥: ٣٥.

(٤) البيان والتبيين ١: ١٠٦.

التفهم وقصر في الافهام من قول علي عليه السلام: «قيمة كلّ امرئٍ ما يحسنه»[١].

١٧
الحكمة (٨٢)

وَقَال عليه السلام:

أَوصِيكُمْ بِخَمْسٍ لَوْ ضَرَبْتُمْ إِلَيْها آبَاطَ الإِبلِ لَكَانَتْ لِـذلِكَ أَهْـلاً: لَا يَرْجُوَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَّا رَبَّهُ، ولَا يَخَافَنَّ إِلاَّ ذَنْبَهُ، ولَا يَسْتَحِيَنَّ أَحَدٌ إِذَا سُئِلَ عَمَّا لا يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ: لَا أعلَمُ، ولا يَسْتَحِيَنَّ أَحَدٌ إِذا لَمْ يَعْلَمِ الشَّيْء أَنْ يَتَعَلَّمَهُ، وعليكُم بالصَّبْرِ، فإنَّ الصَّبْرَ مِنَ الإيمانِ كالرَّأسِ مِنَ الجَسَدِ، ولا خَيْرَ في جَسَدٍ لا رَأسَ مَعَهُ ولا في إيمانٍ لا صَبْرَ مَعَهُ.

أقول: رواه ابن قتيبة في (عيونه) مسنداً هكذا قال: روى أبو خالد بن الأحمر عن عمرو بن قيس عن أبي إسحاق قال: قال علي عليه السلام: كلمات لو رحلتم المطي فيهن لا تصيبوهن قبل أن تدركوا مثلهن: لا يرجون عبد إلا ربه، ولا يخافن إلا ذنبه، ولا يستحيي من لا يعلم أن يتعلم، ولا يستحيي إذا سئل عمّا لا يعلم أن يقول الله أعلم ـ الخ.

ورواه الجاحظ مرفوعاً في (بيانه) مع أدنى اختلاف[٢].

ورواه (الخصال) مسنداً عن الرضا عن آبائه عليهم السلام قال علي عليه السلام: خمس لو رحلتم فيهن ما قدرتم على مثلهن: لا يخاف عبد إلا ذنبه، ولا يرجو إلا ربه، ولا يستحيي الجاهل إذا سئل عمّا لا يعلم أن يتعلّم، والصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا ايمان لمن لا صبر له[٣].

---

(١) نقله الشارح عن البيان والتبيين هنا وفي غير هذا الموضع لكن لم يوجد هذا في نسختنا من البيان.

(٢) البيان والتبيين ٢: ٧٩.

(٣) الخصال ١: ٣١٥ ح ٩٥.

وروي عن الشعبي قال: قال علي عليه السلام: خذوا عني كلمات لو ركبتم المطي فانضيتموها لم تصيبوا مثلهن: ألا لا يرجو أحد إلا ربه، ولا يخافن إلا ذنبه، ولا يستحيي إذا لم يعلم أن يتعلم، ولا يستحيي إذا سئل عمّا لا يعلم أن يقول الله أعلم، واعلموا ان الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا خير في جسد لا رأس له[1].

«**أوصيكم بخمس**» خصال «**لو ضربتم إليها**» أي: الى تحصيلها «**آباط الابل**» قال الجوهري: الابط ما تحت الجناح يذكر ويؤنث، والجمع آباط.

وضرب آباط الابل كناية عن غاية الاسراع، كما ان الضرب على الآذان كما في قوله تعالى: ﴿فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً﴾[2] كناية عن الانامة، كما ان ضرب المسكنة على انسان كما في قوله تعالى: ﴿وضربت عليهم الذلة والمسكنة﴾[3] كناية عن الزام المذلة.

«**لكانت لذلك أهلاً**» في (تاريخ بغداد): قال عبد الرحمن بن يوسف بن خراش: شربت بولي في الحديث خمس مرات، أحسب ان ابن خراش فعل ذلك في السفر اضطراراً عند عدم وجود الماء.

«**لا يرجونّ أحدٌ منكم إلا ربَّه ولا يخافن إلّا ذنبه**» عدم رجاء غير الرب، وعدم خوف غير الذنب اثنتان من الخمس القيمة.

وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام قال: كان في وصايا لقمان الأعاجيب، وكان أعجب ما فيها أن قال لابنه: خف الله خيفةً لو جئته ببرّ الثقلين لعذبك، وارجُ الله رجاءً لو جئته بذنوب الثقلين لرحمك.

---

(١) الخصال ١: ٣١٥ح٩٦.

(٢) الكهف : ١١ .

(٣) البقرة: ٦١ .

وكان أبي عليه السلام يقول: ليس من عبد مؤمن إلا وفي قلبه نوران: نور خيفة، ونور رجاء، لو وزنا لم يزد أحدهما على الآخر[١].

هذا، وفي (المناقب): سأل رسول ملك الروم أبا بكر عن رجل لا يرجو الجنة، ولا يخاف النار، ولا يخاف الله، ويحب الفتنة، ويبغض الحق، ويشهد بما لا يرىٰ. فلم يجبه أبو بكر، وقال له عمر: ازددت كفراً الى كفرك، فأخبر بذلك علي عليه السلام فقال: هذا رجل من أولياء الله، لا يرجو الجنة، ولا يخاف النار، ولكن يخاف الله ويرجوه، ولا يخاف الله من ظلمه، وانما يخاف الله من عدله، ويحب المال والولد وهما فتنة، ويبغض الموت وهو حق، ويشهد بالجنة والنار وهو لم يرهما ـ الخبر[٢].

«ولا يستحين أحد إذا سئل عمّا لا يعلم ان يقول لا أعلم» قد عرفت أن (عيون القتيبي) و(خصال الصدوق) في أحد طريقيه رواه «ولا يستحيي إذا سئل عمّا لا يعلم ان يقول الله أعلم»[٣] والأصح رواية المصنف «ان يقول لا أعلم»، ففي الكافي عن الصادق عليه السلام: للعالم إذا سئل عن شيء وهو لا يعلمه أن يقول: الله أعلم، وليس لغير العالم أن يقول ذلك.

وعنه عليه السلام: إذا سئل الرجل منكم عمّا لا يعلم فليقل: لا أدري، ولا يقل: الله أعلم، فيوقع في قلب صاحبه شكاً، وإذا قال المسؤول: لا أدري فلا يتهمه السائل[٤].

وكيف كان فهذا هو الثالثة من الخمس، وفي (الكافي) عن أبي جعفر عليه السلام: من أفتى الناس بغير علم ولا هدى لعنته ملائكة الرحمة، وملائكة

---

(١) الكافي ٢: ٦٧ ح١.

(٢) مناقب السروي ٢: ٣٥٨.

(٣) عيون ابن قتيبة : ، والخصال ١: ٣١٥.

(٤) الكافي ١: ٤٢ ح٥ و ٦.

العذاب، ولحقه وزر من عمل بفتياه.

وعن ابن شبرمة: ما ذكرت حديثاً سمعته من جعفر بن محمد عليه السلام إلا كاد أن يتصدع له قلبي، فقال حدثني أبي عن جدي عن النبي صلى الله عليه وآله ـ وأقسم بالله ما كذب أبوه على جده ولا جده على النبي صلى الله عليه وآله ـ قال: من عمل بالمقاييس فقد هلك وأهلك، ومن أفتى الناس بغير علم وهو لا يعلم الناسخ من المنسوخ، والمحكم من المتشابه، فقد هلك وأهلك[1].

هذا، وفي (الأغاني) قال محمد بن حبيب: سألت ابن الاعرابي عن ثمان عشرة مسألة كلّها من غريب شعر الطرماح، فلم يعرف منها واحدة يقول في جميعها لا أدري لا أدري.

وفي (المعجم): زعموا ان المبرد ورد الدينور زائراً لعيسى بن ماهان، فأول ما دخل عليه وقضى سلامه قال له عيسى: أيها الشيخ، ما «الشاة المجثمة» التي نهى النبي صلى الله عليه وآله عن أكل لحمها؟ فقال: هي الشاة القليلة اللبن مثل اللجبة، فقال: هل من شاهد؟ قال قول الراجز:

لم يبق من آل الحميد نسمه إلا عنيز لجبة مجثمه

فاذا بالحاجب يستأذن لأبي حنيفة الدينوري، فلما دخل قال له: أيها الشيخ ما «الشاة المجثمة» التي نهينا عن أكلها؟ فقال: هي التي جثمت على ركبها، وذبحت من خلف قفاها. فقال له: كيف تقول وهذا شيخ العراق ـ يعني المبرد ـ يقول هي مثل اللجبة القليلة اللبن ـ وأنشده البيتين ـ فقال الدينوري: ايمان البيعة تلزمني ان كان هذا التفسير سمعه هذا الشيخ أو قرأه وان كان البيتان إلا لساعتهما هذه. فقال المبرد: صدق الدينوري، فانني أنفت أن أرد عليك من العراق وذكري ما قد شاع، فأوّل ما تسألني عنه لا أعرف،

---

(١) الكافي ١: ٤٢ و ٤٣ ح٣ و ٩.

فاستحسن منه الإقرار وترك البهت.

«ولا يستحين أحد إذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه» هذا هو الرابعة من الخصال الخمس القيمة.

عن أبي جعفر عليه السلام: العلم خزائن ومفاتيحها السؤال، فأسالوا فانّه يوجر في العلم أربعة: السائل، والمتكلم، والمستمع، والمحب لهم[١].

وعن أبي عبدالله عليه السلام: لوددت أن أصحابي ضربت رؤوسهم بالسياط حتى يتفقهوا[٢].

وعن النبي صلى الله عليه وآله: اف لكل مسلم لا يفرغ نفسه في كل جمعة لأمر دينه فيتعاهده ويسأل عن دينه[٣].

هذا، وفي (تاريخ الطبري): دخل على المنصور رجل، فازدراه واقتحمته عينه، فجعل لا يسأله عن شيء إلا وجد عنده منه علماً، فقال له: انّى لك هذا؟ قال: لم أبخل بعلم علمته، ولم استحي من علم أتعلمه. قال: فمن هناك[٤].

«وعليكم بالصبر فان الصبر من الايمان كالرأس من الجسد ولا خير» هكذا في (المصرية)، والصواب: (لا خير) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٥] (في جسد لا رأس معه ولا في ايمان لا صبر معه).

وفي الخبر: دخل عليه السلام المسجد، فاذا هو برجل على بابه كئيب حزين، فقال عليه السلام له: مالك؟ قال: أصبت بأبي وأخي. فقال له: عليك بتقوى الله الذي تقدم عليه غداً، والصبر في الأمور، فانه بمنزلة الرأس من الجسد، فاذا فارق الرأس

---

(١) أخرجه الصدوق في الخصال ١: ٢٤٤ ح١٠١ وصاحب صحيفة الرضا عليه السلام فيه: ٤٢ ح١١.

(٢) أخرجه الكليني في الكافي ١: ٣١ ح٨.

(٣) أخرجه الكليني في الكافي ١: ٤٠ ح٥.

(٤) تاريخ الطبري ٦: ٣٣٠، سنة ١٥٨.

(٥) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٢٣٢، وشرح ابن ميثم ٥: ٢٨٢ مثل المصرية.

الجسد فسد الجسد، وإذا فارق الصبر الأمور فسدت الأمور[١].

ولكون الصبر بتلك المنزلة من الايمان قال تعالىٰ لنبيه صلى الله عليه وآله: ﴿واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً﴾[٢]، وقال له: ﴿ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنّه وليٌّ حميمٌ* وما يُلَقّاها إلّا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾[٣]، وقال له: ﴿قد نعلم انّه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذّبونك ولكنَّ الظالمينَ بآياتِ الله يجحدون* ولقد كذّبتْ رسلٌ من قبلك فصبروا على ما كُذِّبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا﴾[٤]، وقال له: ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل﴾[٥].

وقال الصادق عليه السلام لحفص بن غياث ـ بعد ذكر الآيات المتقدمة في أمر الله تعالى نبيه بالصبر ـ ثم بشّره في عترته، فقال: ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾[٦]. فعند ذلك قال النبي: الصبر من الايمان كالرأس من الجسد، فأنزل تعالىٰ: ﴿وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون﴾[٧]. فقال النبي صلى الله عليه وآله: انّه بشرى وانتقام، فأباح الله تعالى له قتال المشركين، فقتلهم على أيدي نبيّه وأحبائه، وجعل له ثواب صبره مع ما ادخر له في الآخرة، فمن صبر، واحتسب، لم يخرج من الدنيا حتى يقرّ الله عينه في

---

(١) رواه الكليني في الكافي ٢: ٩٠ ح٩.

(٢) المزمل: ١٠.

(٣) فصلت: ٣٤ و ٣٥.

(٤) الأنعام: ٣٣ و ٣٤.

(٥) الاحقاف: ٣٥.

(٦) السجدة: ٣٤.

(٧) الاعراف: ١٣٧.

أعدائه مع ما يدخر له في الآخرة[١].

١٨
الحكمة (٢٧٤)

وَقال عليه السلام:

لا تَجْعَلُوا عِلْمَكُمْ جَهْلاً، ويَقينُكُمْ شَكّاً. إذَا عَلِمْتُمْ فاعْمَلُوا، وإذَا تَيَقَّنْتُمْ فأقْدِمُوا.

أقول: روى ابن عساكر في (ترجمته عليه السلام): ان عمر قال له: عظني. فقال له: لا تجعل يقينك شكّاً، ولا علمك جهلاً، ولا ظنّك حقّاً، واعلم أنّه ليس لك من الدنيا إلا ما أعطيت فأمضيت ـ الخ[٢].

قوله عليه السلام «لا تجعلوا علمكم جهلاً» ولا تكونوا كعالم قتله جهله، ومعه علمه لا ينفعه «ويقينكم شكّاً».

رووا ان الربيع بن زياد قدم على عمر بخمسمائة ألف من البحرين، فاستشار الصحابة فاشير عليه بنصب الديوان فنصبه وقسّم المال بين الناس، ففضلت عنده فضلة، فقال لهم: ما ترون في ذلك؟ فقالوا: انّا شغلناك بولاية أُمورنا عن تجارتك وضيعتك فهو لك. فالتفت الى علي عليه السلام فقال له: ما تقول أنت؟ قال: قد أشاروا عليك. قال: فقل أنت. فقال له: لم تجعل يقينك ظناً. فلم يفهم عمر قوله، فقال له: لتخرجن مما قلت. قال: أجل والله لأخرجن منه، أتذكر حين بعثك النبي صلى الله عليه وآله، فأتيت العباس، فمنعك صدقته، فكان بينكما شيء، فجئتما الي وقلتما انطلق معنا الى النبي، فجئنا إليه، فوجدناه خاثراً فرجعنا، ثم غدونا عليه فوجدناه طيب النفس، فأخبرته أنت بالذي صنع

(١) رواه الكليني في الكافي ٢: ٨٨ ح٣.

(٢) ترجمة علي عليه السلام ٣: ٢٦٠ ح١٢٨٠.

العباس فقال لك: يا عمر أما علمت أن عم الرجل صنو أبيه، فذكرنا له ما رأينا من خثوره في اليوم الأول وطيب نفسه في اليوم الثاني، فقال: انكم أتيتموني في اليوم الأول وقد بقي عندي من مال الصدقة ديناران، فكان ما رأيتم من خثوري لذلك، واتيتموني في اليوم الثاني وقد وجهتهما، فذاك الذي رأيتم من طيب نفسي. اشير عليك ألا تأخذ من هذا الفضل شيئاً وان تفضّه على فقراء المسلمين.

فقال له عمر: صدقت والله لأشكرن لك الأُولى والأخيرة[1].

ورواه أبو نعيم في (حليته) في عنوان سعيد بن فيروز ـ وزاد: فقال له علي عليه السلام: انك تؤخر الشكر وتعجل العقوبة.

قلت: أشار عليه السلام الى قول عمر بمقتضى حوزته الخشناء له «لتخرجن مما قلت».

هذا، وقال إبراهيم الصولي في قينة كان يهواها ـ كما في (معجم الحموي) ـ:

وعلمتني كيف الهوى وجهلته وعلمكم صبري على ظلمكم ظلمي
وأعلم مالي عندكم فيردني هواي الى جهلي فارجع عن علمي

«إذا علمتم فاعملوا» ولا يكن علمكم مع الجهل سواء فتكونون جعلتم علمكم جهلاً بعد العمل.

وفي (كنز الكراجكي) عنه عليه السلام: تعلموا العلم، وتعلموا للعمل السكينة والحلم، ولا تكونوا جبابرة العلماء، فلا يقوم علمكم بجهلكم[2].

وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام: لا تكونوا علماء جبارين،

---

(١) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ١٢: ٩٩.

(٢) كنز الفوائد: ٢٤٠.

فيذهب باطلكم بحقكم.

وفي (ذيل الطبري) عن زياد بن لبيد قال: ذكر النبي صلى الله عليه وآله شيئاً وقال «وذاك عند أوان ذهاب العلم»، قلنا له: وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه ابناءنا وأبناءهم الى يوم القيامة؟ قال صلى الله عليه وآله: ثكلتك أُمك يا زياد ان كنت لأراك أفضل رجل بالمدينة، أوليس هذه اليهود والنصارى يقرأُون التوراة والانجيل ولا يعلمون بشيء مما فيهما[1].

«وإذا تيقنتم فأقدموا» في (أمالي المفيد) عنه عليه السلام: لا ترتابوا فتشكوا، ولا تشكوا فتكفروا، ولا ترخصوا لأنفسكم فتدهنوا، ولا تدهنوا في الحق فتخسروا[2].

وحيث ان لازم اليقين الاقدام ولازم الشك الاحجام، فاذا أحجم مع اليقين ولم يقدم فكأنه جعل يقينه شكاً.

هذا، ومن قواعد الفقه في الطهارة والحدث، والطاهر والنجس عدم نقض اليقين بالشك بل بيقين مثله، ويعبر عنه بالاستصحاب، لكن المتيقن منه الموضوعات دون الأحكام.

١٩
الحكمة (٢٨٤)

وَقَال عليه السلام:

قَطَعَ الْعِلْمُ عذرَ الْمُتَعَلِّلِينَ.

أقول: يعني قطع العلم الذي آتاه الله الناس بتوسط عقولهم التي هي رسل باطنة يميزون بها الحق من الباطل، والعلم الذي بيّنه في شرائعه على لسان

---

(١) منتخب ذيل الهذيل: ٧١.

(٢) أمالي المفيد: ٢٠٦ ح٣٨، مجلس ٢٣.

رسله الظاهرة في حلاله وحرامه، وطرق طاعاته ومخالفاته، عذر المتعللين والمعتذرين عن عدم العمل بأنا كنّا عن هذا غافلين.

قال الكاظم عليه السلام لهشام بن الحكم: يا هشام ان لله على الناس حجتين: حجّة ظاهرة وحجّة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والائمة، وأما الباطنة فالعقول[1].

وسأل ابن السكيت الهادي عليه السلام عن علّة بعث موسى بالعصا واليد البيضاء وآلة السحر، وبعث عيسى بآلة الطب، وبعث محمّد بالكلام والخطب. فقال عليه السلام له: بعث كلّ واحد منهم على طبق ما كان الغالب في زمانه حتى يكون عجزهم عن مقاومته مع كمالهم في ذلك الأمر أتمّ في الحجّة عليهم. فقال له ابن السكيت: ما الحجة اليوم على الخلق؟ فقال عليه السلام: العقل يعرف به الصادق على الله فيصدقه، والكاذب على الله فيكذبه. فقال ابن السكيت: هذا والله هو الجواب[2].

وفي الخبر: يؤاخذ الله الناس الذين خالفوا أمره يوم القيامة عالمهم لِمَ لم يعمل، وجاهلهم لِمَ لم يتعلّم، بعد بيان الله تعالى له كيفية طاعته في كتبه، وعلى ألسنة رسله.

ويمكن أن يكون المراد بالعلم القرآن لكونه مقطوعاً، وبالمتعللين المتمسكين بالاخبار الواهية. روى الكشي عن الباقر عليه السلام قال: كان سلمان يقول للناس: هربتم من القرآن الى الأحاديث، وجدتم كتاباً دقيقاً حوسبتم فيه على النقير والقطمير، والفتيل وحبة خردل، فضاق عليكم ذلك، وهربتم الى

(١) أخرجه الكليني في الكافي ١: ١٦.

(٢) أخرجه الكليني في الكافي ١: ٢٤ ح ٢٠.

الأحاديث التي اتسعت عليكم[١].

قلت : وكانت لبني إسرائيل تعللات كذلك، فرد تعالى عليهم: ﴿وقالوا لن تمسَّنا النار إلّا أياماً معدودةً قل اتَّخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون﴾[٢].

هذا، وقال ابن أبي الحديد: معنى كلامه عليه السلام قطع العلم عذر الذين يعللون أنفسهم بالباطل، ويقولون: ان الرب كريم رحيم، فلا حاجة لنا الى اتعاب أنفسنا بالعبادة، كما قال الشاعر «قدمت على الكريم بغير زاد» ـ الخ[٣] وهو كما ترىٰ.

٢٠
الحكمة (٢٨٨)

وَقَال عليه السلام :

إذَا أَرْذَلَ ٱللّهُ عَبْداً حَظَرَ عَلَيْهِ الْعِلْمَ.

في (عيون ابن قتيبة): قال رجل لخالد بن صفوان: مالي إذا رأيتكم تتذاكرون الأخبار وتتدارسون الآثار وتتناشدون الأشعار وقع علي النوم. قال: لأنك حمار في مسلاخ انسان.

وفي (أُدباء الحموي): روى ان الخليل بن أحمد كان يقطّع بيتاً من الشعر، فدخل عليه ولده في تلك الحال، فخرج الى الناس وقال: ان أبي قد جن، فدخل الناس عليه وهو يقطّع البيت، فأخبروه بما قال ابنه، فقال لابنه:

لو كنت تعلم ما أقولُ عذرتني   أو كنت تعلم ما تقول عذلتكا

---

(١) اختيار معرفة الرجال : ١٨ ح ٤٢ .

(٢) البقرة : ٨٠.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ١٧٦ .

لكن جـهلتَ مـقالتي فـعذلتني وعـلمت انك جـاهل فـعذرتكا

وكما عاقب الله تعالى الرذال بحظر العلم عليهم ومنعه عنهم، كذلك عاقب العالم غير العامل بعلمه بسلب لذة مناجاته عنه، ففي الكافي عن الصادق عليه السلام: أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام لا تجعل بيني وبينك عالماً مفتوناً بالدنيا، فيصدك عن طريق محبتي، ان أدنى ما أنا صانع بهم ان أنزع حلاوة مناجاتي من قلوبهم(١).

٢١
الحكمة (٣٨٢)

وَقَال عليه السلام:

لَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ، بَلْ لَا تَقُلْ كُلَّ مَا تَعْلَمُ، فَإِنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَى جَوَارِحِك كُلِّها فَرَائِضَ يَحْتَجُّ بِهَا عَلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

«لا تقل ما لا تعلم» في (الكافي) عن أبي جعفر عليه السلام: ما علمتم فقولوا، وما لم تعلموا فقولوا: الله أعلم، ان الرجل لينتزع الآية من القرآن يخر فيها أبعد ما بين السماء والأرض(٢).

وقال ابن المقفع: فان استطعت ألا تخبَر بشيء إلّا وأنت به مصدق وألا يكون تصديقُك إلّا ببرهان فافعل.

«بل لا تقل كلّ ما تعلم» لأن كثيراً من الناس غير قابلين لفهم كثير من الحقائق.

وفي (عيون ابن قتيبة): قال سلمان: لو حدثت الناس بكل ما أعلم لقالوا رحم الله قاتل سلمان.

---

(١) الكافي ١: ٤٦ ح٤ والنقل بتقطيع.

(٢) الكافي ١: ٤٢ ح٤.

«فان الله فرض على جوارحك كلّها فرائض يحتجّ بها عليك يوم القيامة» قال تعالىٰ: ﴿ولا تقفُ ما ليس لكَ به علمٌ ان السمعَ والبصرَ والفؤاد كلّ أُولئك كان عنه مسئولا﴾[1].

وفي (الكافي) عن الباقر عليه السلام : حق الله على العباد أن يقولوا ما يعلمون، ويقفوا عند ما لا يعلمون.

وعن الصادق عليه السلام : ان الله تعالى خص عباده بآيتين من كتابه: الا يقولوا حتى يعلموا، ولا يردّوا ما لم يعلموا، قال تعالىٰ: ﴿ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق﴾[2] وقال: ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولمّا يأتهم تأويله﴾[3].

٢٢
الحكمة (٩٠)

وَقَال عليه السلام :

ٱلْفَقِيهُ كلُّ الفقيهِ مَنْ لَمْ يُقَنِّطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ ٱللهِ، وَلَمْ يُؤْيِسْهُمْ مِنْ رَوْحِ ٱللهِ، وَلَمْ يُؤَمِّنْهُمْ مِنْ مَكْرِ ٱللهِ.

أقول: رواه (الكافي والمعاني والتحف ومناقب ابن الجوزي وتذكرة سبطه) ورواية الأول هكذا: «ألا أخبركم بالفقيه حق الفقيه؟ من لم يقنّط الناس من رحمة الله، ولم يؤمنهم من عذاب الله، ولم يرخص لهم في معاصي الله، ولم يترك القرآن رغبة عنه الى غيره، ألا لا خير في علم ليس فيه تفهم، ألا لا خير في قراءة ليس فيها تدبر، ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفكر»، ومثله المعاني

(١) الاسراء: ٣٦.

(٢) الاعراف: ١٦٩.

(٣) الكافي ١: ٤٣ ح٧ و ٨. والآية ٣٩ من سورة يونس.

والتحف، لكن فيهما: «ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفقه» واسناد الاخيرين أبو نعيم باسناده عن عاصم بن ضمرة عنه عليه السلام[١].

«الفقيه كلّ الفقيه» بنصب كلّ على المصدرية، أي: فقيه كامل الفقه «من لم يقنّط الناس من رحمة الله» لأنه تعالى قال: ﴿لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً﴾[٢].

«ولم يؤيسهم من روح الله» فقد قال تعالىٰ: ﴿ولا تيأسوا من روح الله انّه لا ييأس من روح الله إلّا القوم الكافرون﴾[٣].

«ولم يؤمنهم من مكر الله» فقد قال تعالىٰ: ﴿فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾[٤] وقال لنبيّه: ﴿قلْ إنّي أخافُ ان عصيتُ ربّي عذاب يومٍ عظيم﴾[٥].

٢٣
الحكمة (١٧٢)

وَقَال عليه السلام:
النَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا.

أقول: كرره المصنف في ٤٣٨ غفلة. وكيف كان فمر في عنوان (١٦) رواية (أمالي الشيخ) عنه عليه السلام قال: قلت أربعاً أنزل الله تعالى تصديقي في

---

(١) رواه الكليني في الكافي ١: ٣٦ ح٣، والصدوق في معاني الأخبار: ٢٢٦ ح١، وابن شعبة في تحف العقول: ٢٠٤، وسبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص: ١٤٠، ونقله عن مناقب ابن الجوزي المجلسي في البحار ٧٨: ٧٤ ح٤٣، وكتاب مناقب ابن الجوزي الذي ينقل عنه المجلسي هو كتاب تذكرة الخواص لسبطه.

(٢) الزمر: ٥٣ .

(٣) يوسف: ٨٧ .

(٤) الأعراف: ٩٩ .

(٥) الأنعام: ١٥ .

كتابه -الى أن قال -وقلت «من جهل شيئاً عاداه»، فأنزل تعالىٰ: ﴿بل كذّبوا بما لم يحيطوا بعلمه﴾ [١].

هذا وفي (المناقب) -بعد ذكر قضاياه عليه السلام من زمن الثلاثة -قال أبو الحسن المرادي:

يا سائلي عن علي والاولىٰ عملوا　　به من السوء ما قالوا وما فعلوا
لم يعرفوه فعادوه لجهلهم　　والناس كلّهم أعداء ما جَهِلوا[٢]

وفي الجهشياري: قال يحيى البرمكي لابنه جعفر: يا بني انتق من كلّ علم شيئاً، فانه من جهل شيئاً عاداه، وأنا أكره أن تكون عدواً لشيء من الأدب.

٢٤
من الخطبة (١٥٢)

فَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ أَهْلَهُ وَلْيُحْضِرْ عَقْلَهُ وَلْيَكُنْ مِنْ أَبْنَاءَ الآخِرَةِ، فَإِنّهُ مِنْهَا قَدِمَ وَإِلَيْهَا يَنْقَلِبُ. فَالنَّاظِرُ بِالْقَلْبِ الْعَامِلُ بِالْبَصَرِ يَكُونُ مُبْتَدأُ عَمَلِهِ أَنْ يَعْلَمَ أَعَمَلُهُ عَلَيْهِ أَمْ لَهُ، فَإِنْ كَانَ لَهُ مَضَى فِيهِ وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ وَقَفَ عَنْهُ، فَإِنَّ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَالسَّائِرِ فِي غَيْرِ طَرِيقٍ، فَلاَ يَزِيدُهُ بُعده عَنِ الطَّرِيقِ إِلَّا بُعْداً مِنْ حَاجَتِهِ، وَالْعَامِلُ بِالْعِلْمِ كَسَّائِرٍ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ أَسائِرٌ هُوَ أَمْ رَاجِعٌ. وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ ظَاهِرٍ بَاطِناً عَلَى مِثَالِه، فَمَا طَابَ ظَاهِرُهُ طَابَ بَاطِنُهُ، وَما خَبُثَ ظَاهِرُهُ خَبُثَ بَاطِنُهُ، وَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ الصَّادِقُ صلى الله عليه وآله: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ وَيُبْغِضُ عَمَلَهُ، وَيُحِبُّ الْعَمَلَ وَيُبْغِضُ بَدَنَهُ، وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ نَبَاتاً وَكُلُّ نَبَاتٍ لَا غِنَى بِهِ عَنِ الْمَاءِ، وَالْمِيَاهُ مُخْتَلِفَةٌ، فَمَا طَابَ سَقْيُهُ طَابَ

(١) أمالي أبي علي الطوسي ٢: ١٠٨ جزء ١٧. والآية ٣٩ من سورة يونس.
(٢) مناقب السروي ٢: ٣٧٢.

غَرْسُهُ وَحَلَتْ ثَمَرَتُهُ، وَمَا خَبُثَ سَقْيُهُ خَبُثَ غَرْسُهُ وَأَمَرَّتْ ثَمَرَتُهُ.

«فليصدق رائد» الرائد: الذي يرسل في طلب الكلاء، وورد استعارة «الحمى رائد الموت» من راد الكلاء يروده «أهله» ومن أمثالهم «لا يكذب الرائد أهله»[1] «وليحضر عقله».

الأصل في العقل المنع، وسمي نهي الانسان عقلاً لمنعه عن الخطأ، وسميت الدية عقلاً لمنعها عن القصاص، وسمّي الحصن عقلاً ومعقلاً لمنعه المتحصن به، فقالوا:

ما ينفع التحصن بالعقول ... ما ينفع التمسك بالعقول

«وليكن من أبناء الآخرة» في الخبر: «إذا دعيت الى وليمة وجنازة أجب الجنازة، لأنها تذكرك الآخرة»[2].

«فانه منها قدم» قال ابن سينا في أبيات له في النفس:

هبطت اليك من المحلّ الأرفع ... ورقاء ذات تعززٍ وتمنّعِ

«واليها ينقلب» ﴿وانا الى ربنا لمنقلبون﴾[3].

«فالناظر بالقلب العامل بالبصر» أي: بالبصيرة «يكون مبتدأ عمله» أي: أوّله «ان يعلم أعمله عليه أم له» كما ان من يمشي في طريق يجب عليه قبل وضع قدمه أن يعلم اين يضعه لئلا يقع في مهواة أو يزل ويعثر.

قال ابن أبي الحديد: جملة «يكون مبتدأ عمله» مع خبره «بالبصر» المتقدم عليه خبر «الناظر»، و «أن يعلم» بدل من «بالبصر»، فيصير تقديم الكلام: فالناظر بقلبه العامل بجوارحه يكون مبتدأ عمله بالفكر والبصيرة بأن

---

(١) أورده الميداني في مجمع الأمثال ٢: ٢٣٣، والزمخشري في المستقصى ٢: ٢٧٤.

(٢) روى هذا المعنى عن النبي ﷺ الطوسي في التهذيب ١: ٤٦٢ ح١٥٥، والحميري في قرب الاسناد: ٤١ ومحمد بن الأشعث في الاشعثيات: ٢٠٠.

(٣) الزخرف: ١٤.

يعلم أعمله له أم عليه[١].

قلت: بل «بالبصر» متعلق «بالعامل» مثل «بالقلب» «بالناظر»، و «مبتدأ» منصوب خبر «يكون»، و «ان يعلم» في موضع الرفع اسمه، وتقدير الكلام: الذي ينظر بالقلب والذي يعمل بالبصيرة يكون علمه بكيفية عمله مبتدأ عمله.

«فان كان له مضى فيه وان كان عليه وقف عنه» كمن أراد أن يلحق بأهل الجمل، فرأى ان الأمر فيهم بيد عائشة، فتذكر قول النبي ﷺ: لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة، فرجع[٢].

«فان العامل بغير علم كسائر» هكذا في (المصرية)، والصواب: «كالسائر» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٣].

«في غير» هكذا في (المصرية)، والصواب: «على غير» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٤] و(الخطية) «طريق» هكذا في (المصرية وابن أبي الحديد) ولكن في (ابن ميثم)[٥] (الطريق).

وكيف كان ففي (الكافي) عن النبي ﷺ: من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح[٦].

«فلا يزيده بعده عن الطريق إلا بعداً من حاجته» أي: مقصده، قال تعالى: ﴿يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد﴾[٧].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٧٧ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٤: ٢٢٨، والترمذي في سننه ٤: ٥٢٧ ح ٢٢٦٢، والنسائي في سننه ٨: ٢٢٧، والرجل السائل أبو بكرة.

(٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٧٥، لكن في شرح ابن ميثم ٣: ٢٤٩ مثل المصرية.

(٤) المصدر السابق .

(٥) المصدر السابق.

(٦) الكافي ١: ٤٤ ح٣.

(٧) الحج : ١٢ .

﴿مثل الذين كفروا بربِّهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيءٍ ذلك هو الضلال البعيد﴾[١].

«والعامل بالعلم كسائر» هكذا في (المصرية)، والصواب: «كالسائر» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٢].

«على الطريق الواضح» وكمن يمشي بسراج «فلينظر ناظر أسائر هو أم راجع» قال تعالىٰ: ﴿اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً﴾[٣] ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً* الذين ضلَّ سعيُهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انّهم يُحسنون صُنعاً﴾[٤] ولنعم ما قيل بالفارسية:

ترسم نرسى بكعبه أى اعرابى

اين ره كه تو ميروى بتركستان است

«واعلم ان لكل ظاهر باطناً على مثاله، فما طاب ظاهره طاب باطنه وما خبث ظاهره خبث باطنه» قال ابن أبي الحديد: مأخوذ من قوله تعالىٰ: ﴿والبلدُ الطَّيِّب يخرج نباته باذن ربِّه والذي خبثَ لا يخرجُ إلا نكداً﴾[٥]، مثل ضربه تعالى لمن يؤثر فيه الوعظ ومن لا يؤثر فيه، ومراده عليه السلام ان لكلتي حالتي الانسان الظاهرة ميلة الى العقل، وميلة الى الهوى أمراً باطناً يناسبهما، فالمتبع لعقله يرزق السعادة، والمتبع لهواه يرزق الشقاوة[٦].

---

(١) إبراهيم: ١٨.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٧٦، لكن في شرح ابن ميثم ٣: ٢٤٩ مثل المصرية.

(٣) هذا خلط بين الآيتين الاعراف: ٣٠ والكهف: ١٠٤.

(٤) الكهف: ١٠٣ و ١٠٤.

(٥) الاعراف: ٥٨.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٧٨، والنقل بالمعنىٰ.

«وقد قال الرسول الصادق صلى الله عليه وآله: ان الله يحب العبد ويبغض عمله ويحب العمل ويبغض بدنه» وشخصه، قال ابن أبي الحديد: الخبر مذكور في كتب المحدثين[1]. قلت: وكأن في الكلام سقطاً.

«واعلم ان لكلّ عمل نباتاً» الظاهر ان الأصل «واعلم ان لكلّ غرس نباتاً»، وصحفه النساخ، وإلّا فلا مناسبة لاثبات نبات للعمل.

«وكلّ نبات لا غنى به عن الماء» ولو كان ماءً منقوعاً في الأرض «والمياه مختلفة فما طاب سقيه طاب غرسه وحلت» من الحلو «ثمرته» ومورد قوله تعالىٰ: ﴿وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضّل بعضها على بعض في الأكل انَّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾[2] السقي بماء واحد، وموضوع كلامه السقي بمياه مختلفة فلا تخالف.

«وما خبث سقيه خبث غرسه» كخضراء الدمن التي حذّر منها ظاهراً وباطناً «وامرت ثمرته» أي: صارت مراً.

٢٥
الحكمة (٧٣)

وَقَال عليه السلام:

مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَاماً فَعَلَيْهِ أَنْ يَبْدَأَ بِتَعْلِيم نَفْسِهِ قَبْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِهِ. وَلْيَكُنْ تَأْدِيبُهُ بِسِيرَتِهِ قَبْلَ تَأْدِيبِهِ بِلِسانِهِ، وَمُعَلِّمُ نَفْسِهِ وَمُؤَدِّبُها أَحَقُّ بِالْإِجْلالِ مِنْ مُعَلِّمِ النّاسِ وَمُؤَدِّبِهِمْ.

هكذا في (المصرية)، والصواب: «فعليه ان يبدأ» كما في (ابن أبي الحديد

(١) شرح ابن أبي الحديد ٧: ١٧٩.

(٢) الرعد: ٤.

وابن ميثم والخطية)[١].

«بتعليم نفسه قبل تعليم غيره» بحملها على العمل، وفي الأمثال العربية «ان كنت ذا طب ـ بالحركات الثلاث ـ فطب لعينيك»[٢] وفي الفارسية «گراگر طبيب بودى سر خود دوا نمودى».

«وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه» ولذا قال شعيب عليه السلام لقومه: ﴿وما اريد أن اخالفكم الى ما أنهاكم عنه ان اريد إلّا الاصلاح ما استطعت﴾[٣].

وفي خطبة عمرو بن كلثوم: أما بعد فانه لا يخبر عن قصد المرء أصدق من تركه تزكية نفسه، ولا يعبر عنه في تزكية أصحابه أصدق من اعتماده إياهم برغبته وائتمانه إياهم على حرمته.

«ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالاجلال من معلم الناس ومؤدبهم» الذي لم يكن معلم نفسه ومؤدبها، لانه ممن يأمر الناس بالمعروف وينسى نفسه، وهو في غاية القبح.

هذا، ومر في فصل علمه قوله عليه السلام لكميل: «ان هذه القلوب أوعية ـ الى ـ والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة ـ الى ـ كذلك يموت العلم بموت حامليه»[٤].

---

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٢٢٠، لكن في شرح ابن ميثم ٥: ٢٧٥ مثل المصرية.

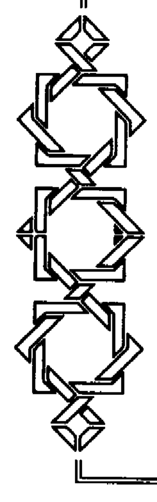
(٢) أورده لسان العرب ١: ٥٥٣، مادة (طب).

(٣) هود: ٨٨.

(٤) مر في عنوان ١ من الفصل العاشر.

الفصل التاسع عشر

فيما ارشد الثاني في مصالح الاسلام





١
الخطبة (١٤٤)

ومن كلام له عليه السلام لعمر بن الخطاب وقد استشاره في غزو الفرس بنفسه:

إِنَّ هَذَا ٱلْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ نَصْرُهُ وَلَا خُذْلَانُهُ بِكَثْرَةٍ وَلَا قِلَّةٍ. وَهُوَ دِينُ ٱللهِ ٱلَّذِي أَظْهَرَهُ، وَجُنْدُهُ ٱلَّذِي أَعَدَّهُ وَأَمَدَّهُ، حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَ وَطَلَعَ حَيْثُما طَلَعَ، وَنَحْنُ عَلَى مَوْعُودٍ مِن ٱللهِ وَٱللهُ مُنْجِزٌ وَعْدَهُ، وَنَاصِرٌ جُنْدَهُ. وَمَكَانُ ٱلْقَيِّمِ بِالْأَمْرِ مَكَانُ النِّظَامِ مِنَ ٱلْخَرَزِ يَجْمَعُهُ وَيَضُمُّهُ: فَإِن ٱنْقَطَعَ النِّظَامُ تَفَرَّقَ الخَرَزُ وَذَهَبَ، ثُمَّ لَمْ يَجْتَمِعْ بِحَذَافِيرِهِ أَبَداً. وَٱلْعَرَبُ ٱلْيَوْمَ، وَإِنْ كَانُوا، قَلِيلاً فَهُمْ كَثِيرُونَ بِالإِسْلَامِ، عزيزون بِالاجْتِمَاعِ! فَكُنْ قُطْباً، وَٱسْتَدِرِ ٱلرَّحَى بِالْعَرَبِ، وَأَصْلِهِمْ دُونكَ نَارَ ٱلْحَرْبِ، فَإِنَّكَ إِنْ شَخَصْتَ مِنْ هَذِهِ ٱلْأَرْضِ ٱنْتَقَضَتْ عَلَيْكَ ٱلْعَرَبُ مِنْ أَطْرَافِهَا وَأَقْطَارِهَا، حَتَّى يَكُونَ مَا تدَعُ وَرَاءَكَ مِنْ ٱلْعَوْرَاتِ أَهَمَّ إِلَيْكَ مِمَّا بَيْنَ

يَدَيْكَ. إِنَّ الأَعَاجِمَ إِنْ يَنْظُرُوا إِلَيْكَ غَداً يَقُولُوا: هَذَا أَصْلُ ٱلْـعَرَبِ، فإِذَا ٱقْطَعْتُمُوهُ ٱسْتَرَحْتُمْ. فَيَكُونُ ذَلِكَ أَشَدَّ لِكَـلَبِهِمْ عَـلَيكَ وَطَـمَعِهِمْ فيكَ.

فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ مَسِيرِ ٱلْقَوْمِ إِلَى قِتَالِ ٱلْمُسْلِمِينَ، فإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ هُوَ أَكْرَهُ لِمَسِيرِهِمْ مِنْكَ، وَهُوَ أَقْدَرُ عَلَى تَغْيِيرِ مَا يَكْرَهُ. وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ عَدَدِهِمْ فَإِنَّا لَمْ نكُنْ نُقَاتِلُ فِيمَا مَضَىٰ بِالْكَثْرَةِ، وَإِنَّمَا كُنَّا نُقَاتِلُ بِالنَّصْرِ وَٱلْمَعُونَةِ.

قال ابن أبي الحديد: اختلف الحال التي قال عليه السلام هذا الكلام لعمر، فقيل في غزاة القادسية ذهب إليه المدائني في فتوحه فقال: استشار عمر في أمر القادسية، فأشار عليه علي عليه السلام ان لا يخرج بنفسه، وقال «انك ان تخرج لا تكون للعجم همّة إلا استيصالك، لعلمهم انك قطب رحى العرب فلا تكون للإسلام بعدها دولة»، وأشار عليه غيره أن يخرج بنفسه فأخذ برأي علي عليه السلام.

وقيل في غزاة نهاوند ذهب إليه الطبري فقال: ان عمر لما أراد أن يغزو العجم وجيوش كسرىٰ وهي مجتمعة بنهاوند استشار أصحابه، فقام عثمان، فقال: أرى أن تكتب الى أهل الشام فيسيروا من شامهم، وتكتب الى أهل اليمن فيسيروا من يَمنهم، ثم تسير أنت بأهل هذين الحرمين الى مصرين البصرة والكوفة، فتلقى جمع المشركين بجمع المسلمين ـ الى أن قال ـ فقال علي بن أبي طالب: «أما بعد فان هذا الأمر لم يكن نصره بكثرة ولا قلّة، انما هو دين الله الذي أظهره وجنده الذي أعزّه وأمدّه بالملائكة حتى بلغ ما بلغ، فنحن على موعود من الله والله منجز وعده وناصر جنده، وان مكانك منهم مكان النظام من الخرز يجمعه ويمسكه، فان انحل تفرّق ما فيه وذهب ثم لم يجتمع

بحذافيره أبداً، والعرب اليوم وان كانوا قليلاً فانهم كثير عزيز بالاسلام، أقم مكانك واكتب الى أهل الكوفة فانهم أعلام العرب ورؤساؤهم، وليشخص منهم الثلثان وليقم الثلث، واكتب الى أهل البصرة أن يمدّوهم ببعض من عندهم، ولا تشخص الشام ولا اليمن فانك ان أشخصت أهل الشام من شامهم سارت الروم الى ذراريهم، وان أشخصت أهل اليمن من يمنهم سارت الحبشة الى ذراريهم، ومتى شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أقطارها وأطرافها حتى يكون ما تدع وراءك أهم اليك مما بين يديك من العورات والعيالات، إنّ الأعاجم إنْ ينظروا اليك غداً قالوا هذا أمير العرب وأصلهم، فكان ذلك أشد لكلبهم عليك. وأما ما ذكرت من مسير القوم فان الله هو أكره لمسيرهم منك وهو أقدر على تغيير ما يكره، وأما ما ذكرت من عددهم فانا لم نكن نقاتل في ما مضى بالكثرة وانما كنّا نقاتل بالصبر والنصر». قال عمر: أجل هذا الرأي وقد كنت أحب أن أتابع عليه[1].

قلت: بل لا خلاف ان هذا الكلام قال عليه السلام في نهاوند، وصرح به غير الطبري والمفيد في (إرشاده)، وأبو حنيفة الدينوري في (طواله)، وأعثم الكوفي في (تاريخه)، وأما المدائني فلم يقل انّه عليه السلام قال هذا الكلام في القادسية، وانما قال: أشار عليه السلام على عمر بعدم خروجه في القادسية، فعمر استشار المسلمين في كلّ منهما، وهو عليه السلام أشار عليه في كليهما، كما صرح به أعثم الكوفي، وزاد انّه أشار على عمر في القادسية بتولية سعد، وفي نهاوند بتولية النعمان[2].

وبالجملة العنوان كلامه عليه السلام في نهاوند ردّاً لرأي عثمان، ولم يقل أحد

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٩٦، وتاريخ الطبري ٣: ٢١٠ ـ ٢١٢، سنة ٢١.

(٢) الارشاد: ١١١.

في القادسية ان عثمان أو غيره أشار على أشخاص أهل الشام واليمن، أو البصرة والكوفة.

لكن الغريب ان البلاذري نقل انّه عليه السلام أشار في القادسية بالشخوص فأبى، كما نقل ان عمر طلب منه عليه السلام الشخوص فأبى، فقال: كتب المسلمون الى عمر يعلمونه كثرة من تجمع لهم من أهل فارس ويسألونه المدد، فأراد أن يغزو بنفسه وعسكر لذلك، فأشار عليه العباس وجماعة من مشايخ الصحابة بالمقام، وتوجيه الجيوش والبعوث، ففعل ذلك، وأشار عليه علي عليه السلام بالمسير، فقال له: اني قد عزمت على المقام، وعرض على علي الشخوص فأباه[1].

وكيف كان فقال الدينوري: كانت وقعة نهاوند في سنة (٢١)، وذلك أن العجم لما قتلوا بجلولاء، وهرب يزدجرد الملك فصار بقم، ووجه رسله في البلدان يستجيش، فغضب له أهل مملكته، فانحلت إليه الأعاجم من أقطار البلاد، فأتاه أهل قومس وطبرستان وجرجان ودنباوند والري واصبهان وهمذان والماهين، واجتمعت عنده جموع عظيمة، فولى أمرهم مردانشاه ابن هرمزد، وجههم الى نهاوند، وكتب عمار بذلك الى عمر ـ الى أن قال ـ ثم تكلم عثمان، فقال: اكتب الى أهل الشام فيسيروا من شامهم، والى أهل اليمن فيسيروا من يمنهم، والى أهل البصرة فيسيروا من بصرتهم، وسر أنت بأهل هذا الحرم حتى توافي الكوفة، وقد وافاك المسلمون من أقطار أرضهم وآفاق بلادهم، فانك إذا فعلت ذلك كنت أكثر منهم جمعاً وأعز نفراً. فقال المسلمون من كل ناحية: صدق عثمان. فقال عمر لعلي عليه السلام: ما تقول أنت يا أبا الحسن؟ فقال: انك ان أشخصت أهل الشام من شامهم سارت الروم الى ذراريهم، وان

---

(١) فتوح البلدان: ٢٥٥.

سيرت أهل اليمن من يمنهم خلفت الحبشة على أرضهم، وان شخصت أنت من هذا الحرم انتقضت عليك الأرض من أقطارها، حتى يكون ما تدع وراءك من العيالات أهم اليك مما قد أمك، وان العجم إذا رأوك عياناً قالوا: هذا ملك العرب كلّها، فكان أشدّ لقتالهم، وانا لم نقاتل الناس على عهد نبيّنا ﷺ ولا بعده بالكثرة، بل اكتب الى أهل الشام أن يقيم منهم بشامهم الثلثان ويشخص الثلث، وكذلك الى عمان، وكذلك سائر الأمصار والكور» فقال عمر: وهو الرأي كنت رأيته، ولكني أحببت ان تتابعوني عليه. فكتب بذلك الى الأمصار.

ثم قال: لأولين الحرب رجلاً يكون غداً لأسنةالقوم جرزاً، فولّى الأمر النعمان بن مقرن المزني ـ وكان من خيار الصحابة ـ وكان على خراج كسكر، فدعا عمر السائب بن الأقرع، فدفع إليه عهد النعمان بن مقرن وقال له: ان قتل النعمان فولّي الأمر حذيفة. وان قتل حذيفة فولّي الأمر جرير البجلي، وان قتل جرير فالأمير المغيرة، وان قتل المغيرة فالأمير الأشعث. وكتب الى النعمان: ان قبلك رجلين هما فارسا العرب عمرو بن معد يكرب وطليحة بن خويلد، فشاورهما في الحرب ولا تولهما شيئاً من الأمر.

ثم قال للسائب: ان أظفر الله المسلمين فتول أمر المغنم، ولا ترفع إلي باطلاً، وان يهلك ذلك الجيش فاذهب فلا أرينك.

فسار السائب حتى ورد الكوفة، ودفع الى النعمان عهده، ووافت الأمداد، وخلف أبو موسى بالبصرة ثلثي الناس، وسار بالثلث الآخر حتى وافى الكوفة، فتجهز الناس، وساروا الى نهاوند، فنزلوا بمكان يسمى الاسفيدهان ـ من مدينة نهاوند على ثلاثة فراسخ قرب قرية يقال لها قديس جان ـ وأقبلت الأعاجم يقودها مردانشاه بن هرمزد، حتى عسكروا قريباً من عسكر المسلمين، وخندقوا على أنفسهم، وأقام الفريقان بمكانيهما، فقال

النعمان لعمرو وطليحة: ما تريان، فان هؤلاء القوم قد أقاموا بمكانهم لا يخرجون منه، وامدادهم تترى عليهم كلّ يوم. فقال عمرو: الرأي ان تشيع ان عمر توفي ثم ترتحل بجميع من معك، فان القوم إذا بلغهم ذلك طلبونا، فتقف لهم عند ذلك. ففعل النعمان ذلك، وتباشرت الأعاجم، وخرجوا في آثار المسلمين، حتى إذا قاربوهم وقفوا لهم، ثم تزاحفوا فاقتتلوا، فلم يسمع إلا وقع الحديد على الحديد، وكثرت القتلى من الفريقين، وحال بينهما الليل، فانصرف كلّ فريق الى معسكره، وبات المسلمون ولهم أنين من الجراح، ثم أصبحوا وذلك يوم الأربعاء، فتزاحفوا واقتتلوا يومهم كلّه وصبر الفريقان، ثم كان ذلك دأبهم يوم الخميس، وتزاحفوا يوم الجمعة وتوافقوا، وركب النعمان برذوناً أشهب ولبس ثياباً بيضاً وسار بين الصفوف يذمر المسلمين ويحضهم، وجعل ينتظر الساعة التي كان النبي صلى الله عليه وآله يقاتل فيها ويستنزل النصر، وهي زوال النهار ومهب الرياح، وسار في الرايات يقول لهم اني هازّ لكم الراية ثلاثاً، فاذا هززتها أوّل مرة فليشد كلّ رجل منكم حزام فرسه، وليستلم شكته، فاذا هززتها الثانية فصوبوا رماحكم، وهزوا سيوفكم، فاذا هززتها الثالثة فكبروا واحملوا فاني حامل، فلما زالت الشمس بأدنى صلّوا ركعتين ركعتين ووقف ونظر الناس الى الراية، فلما هزها الثالثة كبروا وحملوا وانتقضت صفوف الأعاجم، وكان النعمان أول قتيل، فحمله أخوه سويد بن مقرن الى فسطاطه، فخلع ثيابه، فلبسها وتقلّد سيفه، وركب فرسه، فلم يشك أكثر الناس أنّه النعمان وثبتوا يقاتلون عدوهم، ثم أنزل الله نصره وانهزمت الأعاجم، فذهبت على وجوهها حتى صاروا الى قرية من نهاوند على فرسخين، فنزلوها لأن حصن نهاوند لم يسعهم، وأقبل حذيفة ـ وقد كان تولى الأمر بعد النعمان ـ حتى أناخ عليهم فحاصرهم بها، فخرجوا ذات يوم مستعدين للحرب، فقاتلهم

المسلمون، فانهزمت الأعاجم وانقطع عظيم من عظمائهم يسمى دينار، فحال المسلمون بينه وبين الدخول الى الحصن، واتبعه رجل من عبس يقال له سماك بن عبيد، فقتل قوماً كانوا معه واستسلم له الفارسي، فاستأسره سماك، فقال لسماك: انطلق بي الى أميركم، فاني صاحب هذه الكورة لأصالحه على هذه الأرض، وافتح له باب الحصن، فانطلق به الى حذيفة، فصالحه عليها وكتب له بذلك كتاباً، فأقبل دينار حتى وقف على باب حصن نهاوند ونادى: افتحوا باب الحصن وانزلوا فقد أمنكم الأمير وصالحني على أرضكم، فنزلوا إليه، فعند ذلك سميت (ماه دينار).

وأقبل رجل من أشراف تلك البلاد الى السائب بن الأقرع ـ وكان على المغانم ـ فقال له: أتصالحني على ضياعي وتؤمنني على أموالي حتى أدلكم على كنز لا يدرى ما قدره، فيكون خالصاً لأميركم الأعظم، لأنّه شيء لم يؤخذ في الغنيمة ـ وكان سبب هذا الكنز ان النخارجان الذي كان يوم القادسية أقبل بالمدد، فألفى العجم قد انهزموا، فوقف فقاتل حتى قتل ـ كان من عظماء الأعاجم وكان كريماً على كسرى ابرويز، وكانت له امرأة من أكثر النساء جمالاً، وكانت تختلف الى كسرى، فبلغ ذلك النخارجان، فرفضها فلم يقربها، وبلغ ذلك كسرى فقال يوماً للنخارجان ـ وقد دخل عليه مع العظماء والاشراف ـ بلغني ان لك عيناً عذبة الماء، وانك لا تشرب منها. فقال النخارجان: أيها الملك، بلغني ان الأسد ينتاب تلك العين، فاجتنبتها مخافة الأسد. فاستحلى كسرى جواب النخارجان وعجب من فطنته، فدخل دار نسائه ـ وكانت له ثلاثة آلاف امرأة لفراشه ـ فجمعهن وأخذ ما كان عليهم من حلي، فجمعه ودفعه الى امرأة النخارجان، ودعا بالصاغة فاتخذوا للنخارجان تاجاً من ذهب مكللاً بالجوهر الثمين، فتوجه به، فبقي ذلك التاج

وتلك الحلي عند ولد بني تلك المرأة، فلما وقعت الحروب بناحيتهم ساروا به الى قرية لابيهم سميت باسمه يقال لها الخوارجان وفيها بيت نار، فاقتلعوا الكانون ودفنوا الحلي تحته وأعادوا الكانون كهيئته، فقال له السائب: ان كنت صادقاً فأنت آمن على أموالك وضياعك وأهلك وولدك، فانطلق به حتى استخرجه في سفطين أحدهما التاج والآخر الحلي، فلما قسم السائب الغنائم بين من حضر القتال وفرغ، حمل السفطين في خرجين على ناقة وقدم بهما على عمر، فكان من أمرهما الخبر المشهور، اشتراهما عمرو بن الحارث بعطاء المقاتلة والذرية جميعاً، ثم حملهما الى الحيرة، فباعهما بفضل كثير واعتقد بذلك أموالاً بالعراق ـ وكان أول قرشي اعتقد بالعراق ـ فقال عروة بن زيد الخيل يذكر أيامهم:

ألا طرقت رحلي وقد نام صحبتي ... بأيوان سيرين المزخرف حلتي

ولو شهدت يومي جلولاء حربنا ... ويوم نهاوند المهول استهلت

اذن لرأت ضرب امرئ غير خامل ... مجيد بطعن الرمح أروع مصلت

وروى قريباً من ذلك من كلامه عليه السلام، وكون السبب تكاتب أهل همدان والري واصبهان وقومس ونهاوند، المفيد في (الإرشاد) في قضاياه عليه السلام في أيام عمر عن شبابة بن سوار عن أبي بكر الهذلي[1].

قول المصنف: (ومن كلام له عليه السلام لعمر بن الخطاب وقد استشاره في غزو الفرس بنفسه) هكذا في (المصرية)، والصواب: ما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم): ومن كلام له عليه السلام وقد استشاره عمر بن الخطاب في الشخوص لقتال الفرس بنفسه. لكن ليس في نسخة (ابن أبي الحديد): (ابن الخطاب)[2].

---

(١) الارشاد: ١١١.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٩: ٩٥، لكن في شرح ابن ميثم ٣: ١٩٤ مثل المصرية.

قوله عليه السلام: «ان هذا الأمر لم يكن نصره وخذلانه بكثرة ولا قلّة» هكذا في (المصرية) والصواب: «ولا بقلة» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[١].

وكيف كان فظن صاحب عمر ان نصر المسلمين انما كان بالكثرة، كما في يوم حنين قال تعالى: ﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين* ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾[٢].

قالوا: خرج النبي صلى الله عليه وآله متوجهاً الى حنين في عشرة آلاف من المسلمين، فظن أكثرهم انهم لن يغلبوا لما شاهدوه من جمعهم وكثرة عدتهم وسلاحهم، وأعجب أبا بكر الكثرة يومئذ فقال: لن نغلب اليوم من قلة. فلما التقوا لم يلبثوا حتى انهزموا، ولم يبق مع النبي صلى الله عليه وآله إلا تسعة من بني هاشم، وأيمن بن أُم أيمن[٣].

قال ابن قتيبة في (معارفه): كان الذين ثبتوا يوم حنين بعد هزيمة الناس علي والعباس، والفضل بن عباس، وأبو سفيان بن الحارث، وابنه، وربيعة بن الحارث، واسامة بن زيد، وأيمن بن أُم أيمن، وقتل يومئذ، قال العباس:

نصرنا رسول الله في الحرب سبعة — وقد فرَّ من قد فرّ منهم فأقشعوا
وثامننا لقي الحِمام بسيفه — بما مسه في الله لا يتوجع

ـ يعني أيمن.

«وهو دين الله الذي أظهره» ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقِّ

---

(١) راجع شرح ابن أبي الحديد ٩: ٩٥، وشرح ابن ميثم ٣: ١٩٤.

(٢) التوبة: ٢٥ و ٢٦.

(٣) روى هذا السبب في نزول الآية الواقدي في المغازي ٣: ٨٩٠.

ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون﴾[١].

«وجنده الذي أعده وأمده» ﴿وإذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين* ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون* اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بألف من الملائكة مردفين* وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله ان الله عزيز حكيم* اذ يغشيكم النعاس امنة منه وينزل عليكم من السماء ماءً ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام* اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفرّوا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كلّ بنان﴾[٢].

﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جائتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً﴾[٣].

﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين ـ الى ـ وأنزل جنوداً لم تروها وعذّب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين﴾[٤].

«حتى بلغ» الإسلام «ما بلغ وطلع حيثما» هكذا في (المصرية)، والصواب: «حيث» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٥] «طلع» ﴿انا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾[٦].

---

(١) التوبة : ٣٣ و الصف: ٩.

(٢) الانفال: ٧ ـ ١٢.

(٣) الاحزاب : ٩.

(٤) التوبة : ٢٥ و ٢٦.

(٥) لفظ شرح ابن أبي الحديد ٩: ٩٥، وشرح ابن ميثم ٣: ١٩٤ مثل المصرية.

(٦) الفتح : ١.

﴿إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً* فسبّح بحمد ربك واستغفره انّه كان تواباً﴾[1].

«ونحن على موعود من الله والله منجز وعده وناصر جنده» في (تاريخ الطبري) عن عمرو بن عوف المزني قال: خط النبي ﷺ الخندق عام الاحزاب من أجم الشيخين طرف بني حارثة حتى بلغ المذاد، ثم قطعه أربعين ذراعاً بين كلّ عشرة، فاحتق المهاجرون والأنصار في سلمان ـ وكان رجلاً قوياً ـ فقالت الأنصار سلمان منّا وقالت المهاجرون سلمان منّا، فقال النبي ﷺ سلمان منّا أهل البيت، فكنت أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن المازني وستة من الأنصار في أربعين ذراعاً، فحفرنا تحت ذناب حتى بلغنا الندى، فأخرج الله تعالى من بطن الخندق صخرة بيضاء مروة، فكسرت حديدنا وشقت علينا، فقلنا يا سلمان أرق الى النبي ﷺ، فأخبره خبر هذه الصخرة، فاما ان نعدل عنها فان المعدل قريب، واما أن يأمرنا فيها بأمره، فانا لا نحب أن نجاوز خطه، فرقى سلمان حتى أتى النبي ﷺ وهو ضارب عليه قبة تركية، فقال له: بأبينا أنت وأمنا خرجت صخرة بيضاء من الخندق مروة، فكسرت حديدنا وشقت حتى ما نحك فيها قليلاً ولا كثيراً، فمرنا فيها بأمرك، فهبط النبي ﷺ مع سلمان في الخندق ورقينا نحن التسعة على شقة الخندق، فأخذ النبي ﷺ المعول من سلمان، فضرب الصخرة ضربة صدعها وبرقت منها برقة أضاءت ما بين لابيتها ـ الى المدينة ـ حتى لكأن مصباحاً في جوف بيت مظلم، فكبّر النبي تكبير فتح وكبّر المسلمون، ثم ضربها النبي الثانية، فصدعها وبرق منها برقة أضاء ما بين لابيتها حتى لكأن مصباحاً في جوف بيت مظلم، فكبّر النبي تكبير فتح وكبر المسلمون، ثم ضربها النبي الثالثة،

---

(١) النصر: ١ ـ ٣.

فكسرها وبرق منها برقة اضاء ما بين لابيتها حتى لكأن مصباحاً في جوف بيت مظلم، فكبر النبي تكبير فتح وكبر المسلمون.

ثم أخذ بيده سلمان فرقاً، فقال سلمان له ﷺ: بأبي أنت وأُمي لقد رأيت شيئاً ما رأيته قط، فالتفت النبي الى القوم فقال: هل رأيتم ما يقول سلمان؟ فقالوا: نعم بأبي أنت وأمنا قد رأيناك تضرب، فيخرج برق كالموج، فرأيناك تكبر ونكبر ولا نرى شيئاً غير ذلك. قال: صدقتم ضربت ضربتي الاولى، فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب، فأخبرني جبرئيل ان أُمتي ظاهرة عليها، ثم ضربت ضربتي الثانية، فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور الحمر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب، فأخبرني جبرئيل ان أُمتي ظاهرة عليها، ثم ضربت ضربتي الثالثة، فبرق منها الذي رأيتم أضاءت له منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب، فأخبرني جبرئيل ان أُمتي ظاهرة عليها، فابشروا يبلغهم النصر، وابشروا يبلغهم النصر، وابشروا يبلغهم النصر.

فاستبشر المسلمون وقالوا: الحمد لله، موعد صادق بار، وعدنا النصر بعد الحصر، فطلعت الاحزاب، فقال المؤمنون: هذا ما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله، وما زادهم إلا ايماناً وتسليماً، وقال المنافقون: ألا تعجبون يحدثكم ويمنّيكم ويعدكم الباطل، يخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى، وانها تفتح لكم، وأنتم تحفرون الخندق ولا تستطيعون أن تبرزوا، فأنزل القرآن ﴿وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً﴾ (١).

«ومكان القيّم بالأمر مكان النظام» الخيط الذي ينظم به اللؤلؤ «من الخرز»

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ٢٣٥ سنة ٥. والآية ١٢ من سورة الأحزاب.

بالتحريك، وخرزات الملك جواهر تاجه.

«يجمعه ويضمه فاذا» هكذا في (المصرية)، والصواب: «فان» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم والخطية)[١] «انقطع النظام تفرق الخرز وذهب» هكذا في (المصرية)، والصواب: «تفرق وذهب» بدون «الخرز» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٢].

في (عيون القتيبي): مثل الاسلام والسلطان والناس مثل الفسطاط والعمود والأطناب والأوتاد، فالفسطاط الاسلام والعمود السلطان والاطناب والأوتاد الناس، لا يصلح بعضه إلا ببعض.

«ثم لم يجتمع بحذافيره» أي: بأسره وكماله ونواحيه «أبداً والعرب اليوم وان كانوا قليلاً» بالعدد «فهم كثيرون بالاسلام» قال تعالى: ﴿واذكروا اذْ كُنْتُم قليلاً فكثركم﴾[٣] وحد عليه السلام القليل كالآية، وقالوا: ويجوز فيه الجمع.

«عزيزون بالاجتماع» تحت لواء الاسلام، مثلوا الجمع المجتمع باخشاب مجتمعة لم يقدر أحد كسرها، والجمع المتفرق بأخشاب متفرقة يكسرها كلّ أحد.

«فكن قطباً واستدر الرحى بالعرب وأصلهم» قال الجوهري: صليت الرجل ناراً، إذا أدخلته النار، فان ألقيته فيها القاء كأنك تريد الإحراق قلت: أصليته.

«دونك نار الحرب فانك ان شخصت» أي: تحركت «من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها حتى يكون ما تدع وراءك من العورات» قال الجوهري: العور كل خلل يتخوّف منه في ثغر أو حرب.

---

(١) لفظ شرح ابن أبي الحديد ٩: ٩٥، وشرح ابن ميثم ٣: ١٩٤ مثل المصرية.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الاعراف: ٨٦.

«أهم اليك مما بين يديك» من الأعداء **«ان الأعاجم»** والمراد به هنا من لسانه غير عربي، قال تعالىٰ: ﴿ولو نزّلناه على بعض الأعجمين﴾[1].

«ان ينظروا اليك غداً يقولوا هذا أصل العرب، فاذا قطعتموه» هكذا في (المصرية) والصواب: «فاذا اقتطعتموه» كما في الثلاثة[2]، أي: قلعتموه **«استرحتم فيكون ذلك أشدّ لكلبهم»** بالتحريك أي: شدتهم **«وإذا هم «عليك وطمعهم فيك»**.

«فأما ما ذكرت من مسير القوم الى قتال المسلمين فان الله سبحانه هو اكره لمسيرهم منك وهو أقدر على تغيير ما يكره» ﴿يريدون ليُطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾[3] ﴿يريدون أن يُطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون﴾[4].

«وأما ما ذكرت من عددهم فانا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة وانما كنّا نقاتل بالنصر والمعونة» ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين﴾[5].

٢
الخطبة (١٣٢)

ومن كلام له عليه السلام وقد شاوره عمر في الخروج إلى غزو الروم بنفسه:

وَقَدْ تَوَكَّلَ ٱللهُ لِأَهْلِ هَذَا الدِّينِ بِإِعْزَازِ ٱلْحَوْزَةِ، وَسَتْرِ ٱلْعَوْرَةِ. وَٱلَّذِي

---

(١) الشعراء: ١٩٨.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٩: ٩٥، لكن في شرح ابن ميثم ٣: ١٩٤ مثل المصرية.

(٣) الصف: ٨.

(٤) التوبة: ٣٢.

(٥) البقرة: ٢٤٩.

نَصَرَهُمْ وهُمْ قَلِيلٌ لَا يَنْتَصِرُونَ، وَمَنَعَهُمْ وَهُمْ قَلِيلٌ لَا يَمْتَنِعُونَ، حَيٌّ لَا يَمُوتُ. إِنَّكَ مَتَى تَسِرْ إِلَى هَذَا ٱلْعَدُوِّ بِنَفْسِكَ فَتَلْقَهُمْ فَتُنْكَبْ لَا تَكُـنْ لِلْمُسْلِمِينَ كَانِفَةٌ دُونَ أَقْصَىٰ بِلَادِهِمْ. لَيْسَ بَعْدَكَ مَرْجِعٌ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ، فَابْعَثْ إِلَيْهِمْ رَجُلاً مِحْرَباً، وَٱحْفِزْ مَعَهُ أَهْلَ ٱلْبَلَاءِ وَالنَّصِيحَة، فَإِنْ أَظْهَرَ ٱللهُ فَذَاكَ مَا تُحِبُّ، وَإِنْ تَكُـنِ ٱلْأُخْـرَى كُـنْتَ رِدْءاً لِـلنَّاسِ وَمَـثَابَةً لِلْمُسْلِمِينَ.

قول المصنف (ومن كلام له عليه السلام وقد شاوره عمر في الخروج الى غزو الروم بنفسه) هكذا في (المصرية وابن ميثم)، ولكـن فـي (ابـن أبـي الحـديد والخطية) بدل «الى غزو الروم بنفسه» «الى الروم»[(١)].

وكيف كان قال ابن أبي الحديد: هذه الغزاة هي غزاة فلسطين التي فتح فيها بيت المقدس، وقد ذكرها الطبري في تاريخه، وقال: ان علياً عليه السلام وهو كان المستخلف على المدينة لما شخص عمر الى الشام، وان علياً قال له: لا تخرج بنفسك انك من تريد يكون عدواً كلباً. فقال عمر: أني أبادر بجهاد العدو موت العباس، انكم لو فقدتم العباس لانتقض بكم الشر كما ينتقض الحبل، فمات العباس لست سنين من امارة عثمان وانتقض بالناس الشر[(٢)].

قلت: ما نقله عـن الطـبري مـن رواياته عـن سـيف وروايـات سـيف موضوعة في كلها أو في جزئها لم يخل خبر منه من تحريف.

ثم أي وقت عرف عمر الملاحم حتى يخبر بها أمير المؤمنين عليه السلام، ولِم لم يتعلم من النبي صلى الله عليه وآله حكم الفرار من الطاعون حتى ذكره له عبد الرحمن ابن

(١) كذا في شرح ابن ميثم ٣: ١٦١، لكن لفظ شرح ابن أبي الحديد ٨: ٢٩٦ «الى غزو الروم» بلا «نفسه».

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٨: ٢٩٨، وتاريخ الطبري ٣: ١٠٤ سنة ١٥.

عوف كما رواه الطبري[1]، ولِمَ لم يتعلم منه حكم الحبشة، ففي أغاني أبي الفرج قال أبو عمرو الشيباني: كان عمر بعث علقمة بن محرز الكناني الى الحبشة وكانوا لا يشربون قطرة من الماء إلا باذن الملك والا قوتلوا عليه، فنزل الجيش على ماء قد ألقت لهم فيه الحبشة سمّاً، فوردوه مغترين، فشربوا منه، فماتوا عن آخرهم، فأراد عمر أن يجهز اليهم جيشاً عظيماً، فشهدوا عنده ان النبي ﷺ قال: أتركوا الحبشة ما تركوكم. وقال: وددت ان بيني وبينهم جبلاً من نار.

ثم موت العباس لم يكن في عصر عمر حتى يبادر بجهاد العدو موته، ثم انتقاض الشر بالناس انما كان من أحداث عثمان وأعمال عماله، كالوليد بن عقبة في صلاته الصبح بالناس أربعاً سكران، ومن ابن أبي سرح في قتله الناس بغير حق، ونظرائهما، وكان عمر هو السبب في تولي عثمان، فدبر الأمر له ولبني أُمية بما دبر في الشورى وكيفية اجرائها، فعمر نقض الشر على الناس، فقوله هذا نظير أن يضرم أحد ناراً في دار ثم يقول: بادرت بالأمر الفلاني قبل أن تحرق النار الدار.

ثم انّه يدّعي انّه امام المسلمين ويسأل اليهود عن الدجّال، ولا يدري انّه يفتح ايليا حتى يخبره يهودي بذلك، كما روى جميع ذلك الطبري.

قال ابن أبي الحديد أيضاً: قال الطبري: قد كان الروم عرفوا من كتبهم ان صاحب فتح مدينة ايليا - وهي بيت المقدس - رجل اسمه على ثلاثة أحرف، فكان من حضر من امراء المسلمين يسألون عن اسمه، فيعلمون انّه ليس بصاحبهم، فلما طال عليهم الأمر في حرب الروم استمدوا عمر وقالوا: ان لم تحضر بنفسك لم يفتح علينا، فكتب اليهم أن يلتقوه برأس الجابية - ليوم

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ١٥٩، سنة ١٧.

سمّاه لهم ـ فلقوه وهو راكب حمار، وكان أول من لقيه يزيد بن أبي سفيان، ثم أبو عبيدة، ثم خالد ابن الوليد على الخيول، وعليهم الديباج والحرير، فنزل عمر عن حماره وأخذ الحجارة رماهم بها وقال: سرعان ما لفتم عن رأيكم إياي تستقبلون في هذا الزي، وانما شبعتم منذ سنتين مسرع ما ندت بكم البطنة، والله لو فعلتموها على رأس المائتين لاستبدلت بكم غيركم، فقالوا: انما هي يلامقة وتحتها السلاح. فقال: فنعم اذن، فلما علم الروم مقدم عمر نفسه سألوه الصلح، فصالحهم وكتب لهم كتاباً على أن يؤدوا الجزية ـ الى أن قال ـ شخص عمر من المدينة الى الشام أربع مرات، ودخلها مرة راكب فرس، ومرة راكب بعير، ومرة راكب بغل، ومرة راكب حمار[1].

قلت: في (تاريخ الطبري): وأما الثالثة فقصّر عنها ان الطاعون مستعر ـ الخ[2].

وكيف كان فالعنوان لا يدل على انّه عليه السلام قال هذا الكلام في مشاورة عمر معه في الخروج الى غزو الروم، ولم أقف على من روى ذلك، حتى ان المفيد في الارشاد روى في العنوان السابق انّه عليه السلام أشار على عمر في غزوة نهاوند في قضاياه في زمن عمر[3]، واقتصر على ذاك، فلعل العنوان أيضاً كلامه عليه السلام في القادسية أو في نهاوند برواية أُخرىٰ غير ما مر، وان المصنف قال بكونه في غزو الروم حدساً، فلم يكن عليه السلام يشير برأي لم يؤخذ به. وبالجملة المحقق رواية أصل العنوان دون سببه.

قوله عليه السلام «وقد توكل الله لأهل هذا الدين باعزاز الحوزة» أي: الناحية «وستر

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٨: ٢٩٨ ـ ٣٠٠.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ١٠٣ سنة ١٥.

(٣) الارشاد: ١١١.

العورة» قال الجوهري: العورة كلّ خلل يتخوف منه في ثغر أو حرب. «والذي نصرهم وهم قليل لا ينتصرون» فكانوا يعذبونهم في مكة ومنهم عمار وأبوه وأُمه، وكان النبي ﷺ يمر عليهم ويقول: صبراً آل ياسر، وحتى كانوا يكرهونهم على اظهار الكفر ومنهم عمار فنزل فيه: ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان﴾ (١).

«ومنعهم وهم قليل لا يمتنعون» ﴿واذكروا إذْ أنتم قليل مستضعفون في الارض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلّكم تشكرون﴾ (٢).

«حي لا يموت» أي: هو الله تعالى، و «حي» خبر لقوله «والذي».

«انك متى تسر الى هذا العدو بنفسك فتلقهم فتنكب» أي: تصير منكوباً «لا تكن للمسلمين كانفة» أي: من يكونون في كنفه وصيانته «دون أقصى بلادهم» من العدو «ليس بعدك مرجع يرجعون إليه».

قال ابن أبي الحديد فان قلت: فلِمَ كان النبي ﷺ يشاهد الحروب بنفسه، ولِمَ شاهد أمير المؤمنين عليه السلام الجمل وصفين والنهروان بنفسه.

وأجاب: بأن النبي ﷺ كان موعوداً بالنصر في قوله تعالى: ﴿والله يعصمك من الناس﴾ (٣) وان امير المؤمنين عليه السلام كان عالماً من جهة النبي انّه لا يقتل في هذه الحروب، لقوله له «انك تقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين» (٤).

قلت: الصواب في الجواب هو انهما عليهما السلام لم يشاهدا حرباً في الخارج

---

(١) رواه من طرق عديدة السيوطي في الدر المنثور ٤: ١٣٢ . والآية ١٠٦ من سورة النحل.

(٢) الانفال: ٢٦ .

(٣) المائدة : ٦٧ .

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٨: ٢٩٧ .

سوى غزوة النبي صلى الله عليه وآله لتبوك، فانه كان غزواً مع الروم، فخلف أمير المؤمنين عليه السلام الذي كان بمنزلة نفسه في أهله وقال له ما قال. ففي تاريخ الطبري قال ابن إسحاق: خلف النبي صلى الله عليه وآله علياً على أهله وأمره بالإقامة فيهم، فأرجف المنافقون بعلي وقالوا ما خلفه إلا استثقالاً له وتخففاً منه، فلما قال ذلك المنافقون أخذ علي سلاحه، ثم خرج حتى أتى النبي صلى الله عليه وآله وهو بالجرف، فقال: زعم المنافقون انك انما خلفتني انك استثقلتني وتخففت مني. فقال؛ كذبوا ولكني خلفتك لما ورائي، فارجع، فاخلفني في أهلي وأهلك، أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى[1].

«فابعث اليهم رجلاً مجرباً» من المجربين للحرب.

كان المهلب بن أبي صفرة، وهو الذي حمى البصرة من الخوارج حتى قيل بصرة المهلب، تمثل فيه الحجاج بقول لقيط الأيادي لقومه لما بعث كسرى جيشاً لقتالهم:

فقلدوا امركم لله درّكُمُ	رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا
لا مترفاً أن ترجى العيش ساعده	ولا إذا حل مكروه به خشعا
لا يطعم النوم الا حيث يبعثه	هم يكاد حشاه يقطع الضلعا
مسهر النوم تغيبه امورکم	يروم منها على الأعداء مطلعا
ما انفك للخلفِ هذا الدهر اشطره	يكون متبعاً طوراً ومتبعا
فليس يشغله مال يثمره عنكم	ولا ولد يبغي له الرفعا
حتى استمر على شزر مريرته	مستحكم السن لا قحماً ولا ضرعا

«وأحفز» أي: سق **«معه أهل البلاء والنصيحة، فان أظهر الله فذاك»** أي: الظفر **«ما تحب وان تكن الأخرى»** أي: الهزيمة **«كنت ردءاً»** أي: عوناً

(١) تاريخ الطبري ٢: ٣٦٨، سنة ٩.

«للناس ومثابة» أي: مرجعاً «للمسلمين».

هذا، وفي (تاريخ الطبري) عن ابن عمر قال: جمع الناس بالمدينة حتى انتهى إليه فتح القادسية ودمشق، فقال: اني كنت امرءاً تاجراً يغني الله عيالي بتجارتي، وقد شغلتموني بأمركم، فماذا ترون انّه يحل لي من هذا المال؟ فأكثر القوم وعلي عليه السلام ساكت، فقال له: ما تقول أنت؟ فقال: لك ما أصلحك وأصلح عيالك بالمعروف، ليس لك من هذا المال غيره. فقال القوم: القول قول علي بن أبي طالب[1].

وفي (مناقب السروي): روى شريك وغيره ان عمر أراد بيع اهل السواد، فقال له علي عليه السلام: هذا مال أصبتم ولن تصيبوا مثله، وان بعتم بقي من يدخل في الاسلام لا شيء له. قال: فما أصنع؟ قال: دعهم شوكة للمسلمين، فتركهم على انهم عبيد، ثم قال علي عليه السلام: فمن أسلم منهم فنصيبي منه حر[2].

وفي (كامل الجزري): أرسل سعد في الخمس كلّ شيء أراد أن تعجب منه العرب وأراد اخراج خمس القطيف فلم يعتدل قسمته وهو بهار كسرى، فقال للمسلمين: هل تطيب أنفسكم عن تربعة أخماس القطيف؟ فقالوا: نعم، فبعثه الى عمر ـ وهو بساط واحد طوله ستون ذراعاً وعرضه ستون ذراعاً مقدار جريب كانت الأكاسرة تعده للشتاء إذا ذهبت الرياحين شربوا عليه فكأنهم في رياض، فيه طرق كالصور وفيه فصوص كالأنهار أرضها مذهبة وخلال ذلك فصوص كالدرر، وفي حافاته كالأرض المزروعة، والأرض المبقلة بالنبات في الربيع والورق من الحرير على قضبان الذهب وزهره الذهب والفضة وثمره الجوهر. فقال عمر: أشيروا عليّ فيه، فمن مشير بقبضه

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ١١١ سنة ١٥.

(٢) مناقب السروي ٢: ٣٦٥.

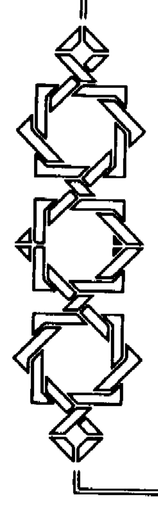
وآخر مفوض إليه، فقال له علي عليه السلام : لم تجعل علمك جهلاً ويقينك شكاً، انك ان تبقه على هذا اليوم لم تعدم في الغد من يستحق به ما ليس له ـ الخ[1].

(١) كامل ابن الاثير ٢: ٥١٨ سنة ١٦ .



الفصل العشرون

في حبه وبغضه عليه السلام





مر في فصل الامامة العامة قوله عليه السلام: «لو أحبني جبل لتهافت» وقوله: «من أحبنا أهل البيت فليستعد للفقر جلباباً» وقوله: «ناصرنا ومحبنا ينتظر الرحمة وعدوّنا ومبغضنا ينتظر السطوة»[1].

١
حكمة (٤٥)

وقال عليه السلام:

لَوْ ضَرَبْتُ خَيْشُومَ الْمُؤْمِنِ بِسَيْفِي هَذَا عَلَى أَنْ يُبْغِضَنِي مَا أَبْغَضَنِي، وَلَوْ صَبَبْتُ الدُّنْيَا بِجَمَّاتِهَا عَلَى الْمُنَافِقِ عَلى اَنْ يُحِبَّنِي مَا اَحَبَّنِي وَذَلِكَ اَنَّهُ قُضِيَ فَانْقَضى عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ قَالَ: يَا عَلِيُّ، لَا يُبْغِضُكَ مُؤْمِنٌ وَلَا يُحِبُّكَ مُنَافِقٌ.

أقول: رواه إبراهيم الثقفي في (غاراته) والكليني في (روضته) والشيخ في (أماليه) والطبرسي في (بشارته)، ورواه أبو الطفيل وحبة العرني.

---

(١) مر في العنوان ٢١ والعنوان ٧ من الفصل السابع.

أما الأول فروى كما في البحار ونقل ابن أبي الحديد في موضع آخر، وعن إسماعيل بن ابان الأزدي عن عمرو بن شمر عن جابر عن رفيع عن فرقد البجلي قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: ان قلت لكم انفروا الى عدوكم قلتم القر يمنعنا، أفترون عدوكم لا يجدون القر كما تجدونه؟ ولكنكم أشبهتم قوماً قال لهم النبي صلى الله عليه وآله: انفروا في سبيل الله، فقال كبراؤهم: لا تنفروا في الحر فقال تعالى لنبيه: ﴿قل نار جهنم أشدّ حراً لو كانوا يفقهون﴾[1] والله لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا ـ الخ. مثله لكن فيه بدل بجماتها «بحذافيرها» ـ وزاد «وقد خاب من حمل ظلماً وافترى»[2].

وأما الثاني فروى عن أبي يحيى كوكب الدم قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: ما كان حواري عيسى عليه السلام بأطوع له من حوارينا لنا، وانما قال عيسى لهم من أنصاري الى الله قالوا نحن أنصار الله، فلا والله ما نصروه من اليهود ولا قاتلوهم دونه، وشيعتنا والله لم يزالوا منذ قبض الله تعالى رسوله صلى الله عليه وآله ينصروننا، ويقاتلون دوننا، ويعذبون، ويحرقون، ويشردون في البلاد، جزاهم الله عنّا خيراً، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: والله لو ضربت خيشوم محبينا بالسيف ما أبغضونا، والله لو أدنيت الى مبغضينا، وحثوت لهم من المال ما أحبونا[3].

وأما الثالث فروى عن الجعابي باسناده عن سويد بن غفلة قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: والله لو صببت الدنيا على المنافق صباً ما أحبني، ولو ضربت بسيفي هذا خيشوم المؤمن لأحبني، وذلك اني سمعت الرسول صلى الله عليه وآله يقول: يا

---

(١) التوبة: ٨١.

(٢) رواه الثقفي في الغارات ١: ٤١، وعنه المجلسي في فتن البحار: ٦٢٧، وابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٩٥.

(٣) الكافي ٨: ٢٦٨ ح٣٩٨.

علي لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق[١].

وأما الرابع فروى عن ابن عقدة باسناده عن إسماعيل بن رجاء عن أبيه قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة انّه لعهد النبي الأُمي: انه لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق، ولو ضربت أنف المؤمنين بسيفي هذا ما أبغضوني أبداً، ولو أعطيت المنافقين هكذا وهكذا ما أحبوني أبداً[٢].

وأما الخامس فروى عنه عليه السلام: لو ضربت خياشيم المؤمن بالسيف ما أبغضني، ولو صببت على المنافق ذهباً وفضة ما أحبني، ان الله أخذ ميثاق المؤمنين بحبي وميثاق المنافقين ببغضي فلا يبغضني مؤمن ولا يحبني منافق أبداً»[٣].

وأما السادس فروى ـ وقد نقله ابن أبي الحديد في موضع آخر كسابقه ـ انه عليه السلام قال: ان الله أخذ ميثاق كل مؤمن على حبي وميثاق كلّ منافق علىٰ بغضي، فلو ضربت وجه المؤمن بالسيف ما أبغضني، ولو صببت الدنيا على المنافق ما أحبني[٤].

«لو ضربت خيشوم» أي: أقصى أنف «المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني».

في (الكافي) عن الحارث بن حصيرة قال: مررت بحبشي وهو يستقي بالمدينة وإذا هو أقطع، فقلت له: من قطعك؟ قال: خير الناس، كنّا ثمانية أخذنا في سرقة، فذهب بنا الى علي بن أبي طالب، فأقررنا فقال: أما تعرفون انها

---

(١) امالي أبي علي الطوسي ١: ٢٠٩، جزء ٨.

(٢) بشارة المصطفى: ١٥٢.

(٣) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ٤: ٨٣.

(٤) المصدر السابق.

حرام؟ قلنا: نعم، فأمر بنا، فقطعت أصابعنا من الراحة، وخليت الابهام، ثم أمر بنا، فحبسنا في بيت يطعمنا فيه السمن والعسل حتى برئت أيدينا، ثم أمر بنا، فأخرجنا وكسانا، فأحسن كسوتنا، ثم قال: ان تتوبوا وتصلحوا فهو خير لكم يلحقكم الله بأيديكم في الجنة، والا تفعلوا يلحقكم الله بأيديكم في النار[١].

وفي (المناقب) عن ابن عباس: دخل أسود على أمير المؤمنين عليه السلام وأقرّ أنّه سرق فقال: طهرني فاني سرقت، فأمر بقطع يده، فاستقبله ابن الكواء فقال: من قطعك؟ قال: ليث الحجاز، وكبش العراق، ومصادم الأبطال، والمنتقم من الجهّال، كريم الأصل، شريف الفضل، محل الحرمين، وارث المشعرين، أبو السبطين، أول السابقين، وآخر الوصيين من الريسين، المؤيد بجبرئيل، المنصور بميكائيل، الحبل المتين، المحفوظ بجند السماء اجمعين، ذاك والله أمير المؤمنين، على رغم الراغمين. فقال له ابن الكوّاء: قطع يدك وتثني عليه. قال: لو قطعني ارباً ارباً ما ازددت له إلا حباً. فدخل ابن الكوّاء عليه عليه السلام وأخبره بقصة الأسود، فقال عليه السلام له: يا ابن الكواء ان محبينا لو قطعناهم ارباً ارباً ما ازدادوا لنا إلا حبّاً، وان في أعدائنا من لو ألعقْناهم السمن والعسل ما ازدادوا لنا إلا بغضاً[٢].

«ولو صببت الدنيا بجمّاتها» قال ابن دريد: الجم الكثير من كل شيء، قال أبو خراش الهذلي «ان تغفر اللّهم تغفر جمّاً»[٣] «على المنافق على أن يحبني ما أحبني» في (تاريخ الطبري) ـ بعد ذكر ضربة ابن ملجم له عليه السلام ـ فأدخل اللعين عليه، فقال له: أي عدو الله ألم أحسن اليك؟ قال: بلى. قال: فما حملك على هذا؟

---

(١) الكافي ٧: ٢٦٤ ح ٢٢.

(٢) لم أظفر عليه في مناقب السروي، بل رواه شاذان بن جبرئيل في الفضائل: ١٧٢، وصاحب الروضة فيه كما في البحار ٤٠: ٢٨١ ح ٤٤.

(٣)

قال: شحذته أربعين صباحاً، وسألت الله أن يقتل به شر خلقه. فقال عليه السلام: لا أراك إلا مقتولاً به، ولا أراك إلا من شرّ خلقه[١].

«وذلك أنه قضى» أي: قدّر «فانقضى» أي: تقضى وفرغ منه «على لسان النبي الأُمي» من أُم القرى وهو مكة «انّه قال: يا علي» هكذا في (المصرية وابن أبي الحديد)، وليس «ياعلي» في (ابن ميثم والخطية)[٢] «لا يبغضك مؤمن» روى الثعلبي في (تفسيره) مسنداً عن البراء بن عازب قال: قال النبي صلى الله عليه وآله لعلي: قل «اللّهم اجعل لي عندك عهداً واجعل لي في صدور المؤمنين وداً» فقالها فأنزل تعالى: ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً﴾[٣].

قال سبط ابن الجوزي: قال ابن عباس: هذا الود جعله الله لعلي عليه السلام في قلوب المؤمنين[٤].

وفي (مروج المسعودي): قال معاوية لضرار بن ضمرة: كيف حزنك على أبي الحسن؟ قال: حزن من ذبح ولدها على صدرها فما ترقأ عبرتها ولا يسكن حزنها[٥].

وفي (الاستيعاب): قال معاوية لأبي الطفيل: كيف وجدك على خليلك أبي الحسن؟ قال: كوجد أُم موسى على موسى، واشكو الى الله التقصير[٦].

«ولا يحبك منافق» روى الخطيب ـ في أبي علي بن هشام ـ عن زر بن حبيش عنه عليه السلام قال: ان فيما عهد إلي رسول الله: ألا يحبك إلا

(١) تاريخ الطبري ٤: ١١١، سنة ٤٠.

(٢) توجد الكلمة في شرح ابن أبي الحديد ١٨: ١٧٣، وشرح ابن ميثم ٥: ٢٦٦.

(٣) مريم: ٩٦.

(٤) تذكرة الخواص: ١٧.

(٥) مروج الذهب ٣: ١٦.

(٦) الاستيعاب ٤: ١١٧.

مؤمن، ولا يغبضك إلا منافق.

وروي ـ في الربيع بن سهل ـ عن علي بن ربيعة قال: سمعتُ علياً على منبركم هذا وهو يقول عهد النبي صلى الله عليه وآله إليّ انّه لا يُحبُّك إلّا مؤمنٌ، ولا يبغضك إلّا منافق.

وروى في ـ الحسن بن مزيد ـ أبو علي الحنظلي الجصاص المخرمي الذي وثقه عن سويد بن غفلة ان عمر بن الخطاب رأي رجلاً يسب علياً فقال: إنّي اظنك منافقاً، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: انما عليّ مني بمنزلة هارون من موسى إلا انّه لا نبي بعدي.

وروى (إرشاد المفيد) مسنداً عن الحرث الهمداني قال: رأيت علياً عليه السلام وقد جاء ذات يوم فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: قضاء قضاه الله على لسان النبي انه لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق، وقد خاب من افترى[1].

وروى ابن عقدة ـ كما في (أمالي الشيخ) ـ باسناده عن عبدالله بن يحيى قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: صليت مع النبي صلى الله عليه وآله قبل أن يصلي معه أحد من الناس ثلاث سنين، فكان مما عهد إلي ألا يبغضني مؤمن، ولا يحبني كافر أو منافق، والله ما كذبت ولا كذبت، ولا ضللت ولا ضل بي، ولا نسيت ما عهد إليّ[2].

وروى البلاذري والترمذي والسمعاني ـ كما في (مناقب السروي) ـ عن أبي سعيد الخدري قال: كنّا لنعرف المنافقين نحن معاشر الأنصار ببغضهم علي ابن أبي طالب عليه السلام.

---

(١) الارشاد: ٢٥.

(٢) امالي أبي علي الطوسي ١: ٢٦٧، جزء ١٠.

وروى (فضائل أحمد بن حنبل) ـ كما فيه ـ ان جابراً وأبا سعيد الخدري قالا: كنّا نعرف المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ببغضهم علياً.

وروى أبانة العكبري ـ كما فيه ـ عن جابر وزيد بن أرقم قالا: ما كنّا نعرف المنافقين ونحن مع النبي صلى الله عليه وآله إلا ببغضهم علياً عليه السلام[1].

وبالجملة قول النبي صلى الله عليه وآله له «لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق» من الاخبار المتواترة، قال السروي: صرّح أبو القاسم البلخي بأنه رواه كثير من أرباب الحديث عن جمع من الصحابة[2].

وقال ابن أبي الحديد في موضع آخر: قال شيخنا أبو القاسم البلخي: قد اتفقت الاخبار الصحيحة التي لا ريب عند المحدثين فيها، على ان النبي صلى الله عليه وآله قال لعلي: لا يبغضك إلا منافق، ولا يحبك إلا مؤمن[3].

ثم ان من الواضح ان عدم حب أولياء الله ينافي الايمان، الا ان حبهم لا يستلزمه، فهو أعمّ قضية الشرط والمشروط، وكذلك في جنب بغضهم فان بغضهم ينافي الايمان، وأما عدم بغضهم فهو أعم من الايمان، فيمكن ان يكون منافقاً غير مبغض لهم، لكنّه خصوصية لأمير المؤمنين عليه السلام حسب ما قال نفسه «بأنّه قضي على لسان النبي فانقضى» ان يكون حبه وبغضه عليه السلام مع الايمان والنفاق كالسبب والمسبب.

وروى ابن عقدة ـ كما في (أمالي الشيخ) ـ باسناده عن عبدالله بن يحيى ان علياً عليه السلام قال: ان ابني فاطمة يشترك في حبهم البر والفاجر، واني كتب لي

---

(١) كذا جاء في مناقب السروي ٣: ٢٠٧ وما رواه عن الترمذي ٥: ٦٣٥ ح٣٧١٧، وما رواه عن البلاذري في أنساب الاشراف ٢: ٩٦ ح ١٩.

(٢) لم يوجد في مناقب السروي بل نقله ابن أبي الحديد في شرحه ٤: ٨٣.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٤ : ٨٣.

أن يحبني كلّ مؤمن، ويبغضني كلّ منافق[١].

وبمضمونه أخبار أُخر، ووجدنا الأمر كذلك، فابن الزبير كان لا يظهر البغض مع الحسن والحسين، بل كان يجالس الحسين كثيراً، وكان من أشد مبغضي أمير المؤمنين.

وعن الباقر عليه السلام: ان الله تعالى نصب علياً علماً بينه وبين خلقه، فمن عرفه كان مؤمناً، ومن انكره كان كافراً، ومن جهله كان ضالا، ومن نصب معه شيئاً كان مشركاً، ومن جاء بولايته دخل الجنة[٢].

هذا ومحبه عليه السلام يراه حال احتضاره حيث يحب، ومبغضه يراه في ذاك الوقت بحيث يكره.

روى (الكافي) عن عباية عنه عليه السلام قال: والله لا يبغضني عبد أبداً يموت على بغضي الا رآني عند موته حيث يكره، ولا يحبني عبد أبداً فيموت على حبي الا رآني عند موته حيث يحب[٣].

وقال ابن أبي الحديد في موضع آخر: روى أبو غسان النهدي قال: دخل قوم من الشيعة على عليّ عليه السلام في الرحبة، وهو على حصير خلق، فقال: ما جاء بكم؟ قالوا: حبك. قال: أما انه من أحبني رآني حيث يحب أن يراني، ومن ابغضني رآني حيث يكره أن يراني. ثم قال: ما عبدالله أحد قبلي الا نبيه صلى الله عليه وآله، ولقد هجم علينا أبوطالب وانا وهو ساجدان، فقال: أو فعلتموها. ثم قال لي وانا غلام: ويحك انصر ابن عمك[٤].

وروى الكشي عن الشعبي قال: سمعت الحرث الاعور يقول: أتيت

---

(١) أمالي أبي علي الطوسي ١: ٣٤٤ جزء ١٢.

(٢) اخرجه الكليني في الكافي ١: ٤٣٧ ح ٧.

(٣) الكافي ٣: ١٣٢ ح ٤.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٤: ١٠٤.

علياً عليه السلام ذات ليلة فقال: يا أعور ما جاء بك؟ فقلت: حبك والله. فقال: أما اني سأحدثك لتشكرها، أما انه لا يموت عبد يحبني فتخرج نفسه حتى يراني حيث يحب، ولا يموت عبد يبغضني فتخرج نفسه حتى يراني حيث يكره ـ الخبر[١].

وفي (الكافي) عن ابن أبي يعفور: دخلت على خطاب الجهني ـ وكان شديد النصب ـ وهو في الموت، فسمعته يقول: يا علي مالي ولك، فأخبرت بذلك ابا عبدالله عليه السلام فقال: رآه ورب الكعبة[٢].

هذا، وكما امر بحبه عليه السلام حتى روى الخوارزمي في (مناقبه): «ان الناس لو اجتمعوا على حبه لما خلق الله تعالى النار»[٣] كذلك أمر بحب شيعته الخاص كسلمان وأبيذر والمقداد، روى الطبري في ذيله عن بريدة قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: أن الله تعالى أمرني بحب أربعة. قيل: يا رسول الله من هم سمّهم لنا؟ فقال: علي منهم ـ يقول ذلك ثلاثاً ـ وأبوذر، والمقداد، وسلمان، أمرني بحبهم وأخبرني انه يحبهم[٤].

هذا، وكما كانوا يعرفون المنافقين من زمان حياة النبيّ صلى الله عليه وآله ببغضه عليه السلام كذلك كان يعرف أصحاب أبي الخطاب المبتدع ببغض أجلة اصحاب الباقر والصادق عليهما السلام: زرارة، ومحمّد بن مسلم، وأبو بصير، وبريد العجلي.

روى الكشي عن جميل بن دراج قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فاستقبلني رجل خارجاً من عنده فقال عليه السلام: لقيت الرجل؟ قلت: بلى هو من أصحابنا من اهل الكوفة. فقال: لا قدس الله روحه، انه ذكر أقواماً كان أبي

---

(١) اختيار معرفة الرجال: ٨٨ ح ١٤٢.

(٢) الكافي ٣: ١٣٣ ح ٩.

(٣) مناقب الخوارزمي: ٢٨.

(٤) منتخب ذيل المذيل: ٥٠.

ائتمنهم على حلال الله وحرامه، وكانوا عيبة علمه، وكذلك اليوم هم عندي هم مستودع سري أصحاب أبي حقاً، اذا أراد الله بأهل الأرض سوءاً صرف بهم عنهم السوء، هم نجوم شيعتي احياءاً وأمواتاً، يحيون ذكر أبي بهم يكشف الله كل بدعة ينفون عن هذا الدين انتحال المبطلين وتأول الغالين. فقلت: من هم؟ فقال: من عليهم صلوات الله ورحمته أحياءاً وأمواتاً بريد العجلي، وزرارة، وأبو بصير، ومحمّد بن مسلم، يا جميل سيبين لك امر هذا الرجل. قال جميل: فوالله ما كان الا قليلا حتى رأيت ذلك الرجل ينسب إلى أصحاب أبي الخطاب. فقلت: الله أعلم حيث يجعل رسالته وكنا نعرف أصحاب أبي الخطاب ببغض هؤلاء[1].

هذا وكما ان حبه عليه السلام علامة الايمان، وبغضه علامة النفاق، كذلك حبه علامة طيب المولد، وبغضه علامة عدم طيب المولد، فعن الهروي في الغريبين قال عبادة بن الصامت: كنا نسبر أولادنا بحب عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فاذا رأينا احدهم لا يحبه علمنا انه لغير رشده[2].

وفي (المناقب) عن انس: كان الرجل بعد يوم خيبر يحمل ولده على عاتقه، ثم يقف على طريق عليّ عليه السلام، فاذا نظر إليه قال: يا بني تحب هذا الرجل؟ فان قال نعم قبّله، وان قال لا خرق به، وقال له: الحق بأمك[3].

وعن كتاب ابن مردويه عن أحمد بن حنبل عن الشافعي عن مالك بن انس ان انس بن مالك قال: ما كنا نعرف الرجل لغير أبيه الا ببغض عليّ بن أبي طالب عليه السلام[4].

---

(١) اختيار معرفة الرجال: ١٣٧ ح ٢٢٠.

(٢) نقله عنه السروي في مناقبه ٣: ٢٠٧.

(٣) مناقب السروي ٣: ٢٠٧.

(٤) نقله عنه السروي في مناقبه ٣: ٢٠٧.

وقال ابن أبي الحديد ـ في موضع آخر ـ روى جعفر بن زياد عن أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد الخدري قال: كنا نختبر أولادنا بحب عليّ بن أبي طالب، فمن أحبه عرفنا أنه منا[١].

وروى الكشي في (رجاله) والصدوق في (معانيه وأماليه) عن أبي الزبير المكي قال: رأيت جابراً متوكئاً على عصاه وهو يدور في سكك الأنصار ومجالسهم وهو يقول: علي خير البشر فمن أبي فقد كفر، يا معشر الأنصار أدبوا أولادكم على حب عليّ بن أبي طالب، فمن أبىٰ فانظروا في شأن أُمه[٢].

وروى (العلل) عن أبي أيوب الأنصاري قال: اعرضوا حب عليّ عليه السلام على أولادكم، فمن أحبه فهو منكم، ومن أبىٰ فاسألوا أُمه من اين جاءت به، سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول لعلي: لا يحبك الا مؤمن، ولا يبغضك الا منافق، أو ولد زنية، أو من حملت به أُمه وهي طامث[٣].

وفي (مروج المسعودي): ذكر عيسى بن أبي دلف ان دلفاً أخاه ـ وكان أبوه يكني ابا دلف به ـ كان ينتقص علياً عليه السلام ويضع منه ومن شيعته، وينسبهم إلى الجهل، وانه قال يوماً ـ وهو في مجلس أبيه ولم يكن أبوه حاضراً ـ انهم يزعمون انه لا ينتقص علياً أحد الا كان لغير رشده، وانتم تعلمون غيرة الأمير وانه لا يتهيأ الطعن على احد من حرمه وانا ابغض علياً، فما كان بأو شك من أن خرج أبوه، فقال: قد سمعت ما قاله دلف، والحديث لا يكذب والخبر الوارد في هذا المعنى لا يختلف، هو والله لزنية وحيضة، وذلك

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٤: ١١٠.

(٢) كذا جاء في اختيار معرفة الرجال: ٤٤ ح ٩٣، وأمالي الصدوق: ٧١ ح ٦، مجلس ١٨ لكن الحديث لم يوجد في معاني الاخبار بل اخرجه الصدوق في علل الشرائع ونقله المجلسي في البحار ٣٩: ٣٠٠ ح ١٠٨ عن معاني الاخبار والامالي اشتباهاً.

(٣) علل الشرائع ١: ١٤٥ ح ١٢.

اني كنت عليلا، فبعثت أختي إليّ جارية لها كنت معجباً بـها، فلم اتمالك أن وقعت عليها ـ وكانت حائضاً ـ فعلقت بدلف، فلما ظهر حملها وهبتها لي.

وبلغ من عداوة دلف هذا لابيه ونصبه ـ لان الغالب على أبيه التشيع ـ ان شنّع عليه بعد وفاته وقال ـ كما حدث الفرهياني ـ رأيت في المنام آتياً أتاني فقال: أجب الامير، فقمت معه، فأدخلني داراً وحشة وعرة وأصعدني على درج منها، ثم ادخلني غرفة في حيطانها أثر الرماد، واذا به عريان واضع راسه بين ركبتيه فقال ـ كالمستفهم ـ دلف؟ قلت: دلف[١].

وفي نهج العلامة قال لي والدي: اجتزت يوماً في بعض دروب بغداد مع أصحابي فأصابني عطش، فقلت لبعض أصحابي: أطلب ماء من بعض الدروب، فمضى يطلب الماء، ووقفت أنا وباقي أصحابي ننتظر الماء وصبيان يلعبان احدهما يقول: الامام هو علي، والآخر يقول: أبو بكر. فقلت صدق النبيّ صلى الله عليه وآله في قوله «ما يحبك يا علي إلّا مؤمن، ولا يبغضك إلّا ولد حيضة»، فخرجت المرأة بالماء، فقالت: بالله عليك يا سيدي أسمعني ما قلت. فقلت: حديث رويته عن النبيّ لا حاجة إلى ذكره، فكررت السؤال، فرويته لها، فقالت: يا سيدي والله انه لخبر صدق، ان هذين ولداي، فالذي يحب علياً ولدُ طهر، والذي يبغضه حملته في الحيض، جاء والده إليّ، فكابرني على نفسي حالة الحيض، فنال مني، فحملت بهذا الّذي يبغض علياً.

هذا وكما كان واجباً موالاته عليه السلام كذلك موالاة أوليائه، وروى (أمالي المفيد) عن حنش بن المعتمر ـ في خبر ـ انه عليه السلام قال له: من سره أن يعلم أمحب لنا ام مبغض فليمتحن قلبه، فان كان يحب ولينا فليس بمبغض لنا، وان

---

(١) مروج الذهب ٣: ٤٧٥.

كان يبغض ولينا فليس بمحب لنا[1].

وفي زياراتهم عليهم السلام «اني عدو لمن عاداكم وولي لمن والاكم»[2].

٢
الحكمة (١١٧)

وقالَ عليه السلام :

هَلَكَ فِيَّ رَجُلانِ مُحِبٌّ غالٍ ومُبْغِضٌ قالٍ .

الحكمة (٤٦٩)

وقالَ عليه السلام :

يَهْلِكُ فِيَّ رَجُلانِ: مُحِبٌّ مُفْرِطٌ وباهِتٌ مُفْتَرٍ .

قالَ الرَّضيّ: وهذا مِثْلُ قوْلِه عليه السلام : «هَلَكَ فِيَّ رجُلانِ: مُحِبٌّ غالٍ ومُبْغِضٌ قالٍ» .

أقول: أما الأوّل فروى أبو الأحوص ـ وقد نقله ابن أبي الحديد في موضع آخر ـ عن أبي حيان عن عليّ عليه السلام قال: يهلك فيّ رجلان: محبٌّ غالٍ ومبغض قالٍ[3].

وأما الثاني فرواه أبوالعباس الثقفي ـ وقد نقله ابن أبي الحديد في موضع آخر ـ عن عليّ بن محمّد النوفلي عن ابيه ومشيخته قالوا: قال عليّ عليه السلام : يهلك في رجلان: محب مطرٍ يضعني غير موضعي ويمدحني بما ليس فيّ، ومبغضٌ مفترٍ يرميني بما انا منه بريء[4].

ومصداق ما قاله عليه السلام من وقوع الخلاف فيه ما رواه المدائني ـ وقد نقله

---

(١) أمالي المفيد: ٣٣٤ ح ٤، مجلس ٣٩.

(٢) رواه ابن طاووس في ضمن زيارة جامعة كما في مفاتيح الجنان: ١١٩٢ .

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٤: ١٠٥ .

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٥: ٥ .

ابن أبي الحديد في موضع آخر ـ انه عليه السلام خطب فقال: لو كسرت لي الوساده لحكمت بين اهل التوراة بتوراتهم، وبين اهل الانجيل بانجيلهم، وبين اهل الفرقان بفرقانهم، وما من آية في كتاب الله أُنزلت في سهل أو جبل الا وأنا عالم متى أنزلت، وفيمن أنزلت. فقال رجل من القعود تحت منبره: يالله وللدعوى الكاذبة، وقال آخر إلى جانبه: اشهد انك انت الله رب العالمين. قال: فانظر إلى هذا التناقض والتباين فيه[1].

وبه عليه السلام فسر قوله تعالى: ﴿عمَّ يتساءلون * عن النبأ العظيم * الّذي هم فيه مختلفون﴾[2].

وروى (العقد) عن الشعبي قال: كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام في هذه الآية مثل المسيح في بني اسرائيل، أحبه قوم فكفروا في حبه، وابغضه قوم فكفروا في بغضه.

قوله عليه السلام في الأوّل «هلك فيّ رجلان محب غال» قال ابن أبي الحديد: هنا قال له النبيّ صلى الله عليه وآله: والله لولا اني أشفق ان تقول طوائف من أُمتي فيك ما قالت النصارى في ابن مريم لقلت فيك اليوم مقالا لا تمر بأحد من الناس الا أخذوا التراب من تحت قدميك، قال: ومع كون النبيّ صلى الله عليه وآله لم يقل فيه ذلك المقال فقد غلت فيه غلاة كثيرة العدد منتشرة في الدنيا يعتقدون فيه ماتعتقد النصارى في ابن مريم وأشنع من ذلك الاعتقاد[3].

وقال عند قوله عليه السلام «مصارعهم دون النطفة، والله لا يفلت منهم عشرة، ولا يهلك منكم عشرة»: وبمقتضى ما شاهد الناس من معجزاته، وأحواله

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٦: ١٣٦.
(٢) النبأ: ١ ـ ٣.
(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٢٨٢.

المنافية لقوى البشر، غلا فيه من غلا حتى نسب إلى أن الجوهر الالهي حل في بدنه كما قالت النصارى في عيسى، وقد أخبره النبيّ صلى الله عليه وآله بذلك فقال «يهلك فيك محب غال ومبغض قال» ـ إلى أن قال ـ وأول من جهر بالغلو في أيامه عبدالله بن سبأ، قام وهو يخطب فقال له انت انت ـ وجعل يكررها، فقال له: ويلك من أنا؟ فقال: أنت الله، فأمر بأخذه واخذ قوم كانوا على رأيه.

وقال أبوالعباس أحمد بن عبيدالله الثقفي: قد كان عليّ عليه السلام عثر على قوم خرجوا من محبته، باستحواذ الشيطان عليهم إلى أن كفروا بربهم، وجحدوا ما جاء به نبيهم، واتخذوه رباً والهاً، وقالوا أنت خالقنا ورازقنا، فاستتابهم وتوعّدهم، فأقاموا على قولهم، فحفر لهم حفراً دخن عليهم طمعاً في رجوعهم، فأبوا فحرقوا بالنار وقال:

ألا ترون قد حفرت حفرا ... اني اذا رأيت امراً منكراً

اوقدت ناري ودعوت قنبرا

قال: وروى أصحابنا في كتب المقالات: انه لما حرقهم صاحوا إليه: الآن ظهر لنا ظهوراً بيناً انك انت الاله، لان ابن عمك الّذي أرسلته قال: لا يعذّب بالنار إلّا رب النار.

وروى أبوالعباس عن محمّد بن سليمان المصيصي عن النوفلي عن أبيه وباقي مشيخته، أن علياً عليه السلام مرّ بقوم يأكلون في شهر رمضان نهاراً، فقال: اسفر أنتم أم مرضى؟ قالوا: ولا واحدة. قال: أفمن أهل الكتاب انتم؟ قالوا: لا. قال: فما بال الاكل في شهر رمضان. قالوا: أنت أنت: لم يزيدوه على ذلك، ففهم مرادهم، فنزل عن فرسه، فألصق خده بالتراب، ثم قال: ويلكم انما أنا عبد من عبيدالله، فاتقوا الله، وارجعوا إلى الاسلام، فأبوا، فدعاهم مراراً، فأقاموا على امرهم، فنهض عنهم ثم قال: شدوهم وثاقاً، وعليّ بالفعلة والنار

والحطب، فدخن عليهم، وجعل يهتف بهم، ويناشدهم ارجعوا إلى الاسلام، فأبوا، فأمر بالحطب والنار، وألقى عليهم فاحترقوا، فقال الشاعر:

لترم بي المنيةُ حيثُ شائت اذا لم ترم بي في الحفرتين
اذا ما حشتا حطباً بنار فذاك الموت فقداً غير دين

فلم يبرح واقفاً عليهم حتى صاروا حطباً. قال أبوالعباس: ثم ان جماعة من اصحاب عليّ عليه السلام منهم عبدالله بن عباس شفعوا في عبدالله بن سبأ خاصة وقالوا: انه تاب فاعف عنه، فأطلقه بعد أن اشترط عليه الا يقيم بالكوفة. فقال: اين أذهب؟ فقال: إلى المدائن، فنفاه إلى المدائن، فلما قتل عليه السلام أظهر مقالته، وصارت له طائفة يتبعونه، ولما بلغه قتل عليّ عليه السلام قال: والله لو جئتمونا بدماغه في سبعين صرة، لعلمنا انه لم يمت ولا يموت حتى يسوق العرب بعصاه.

قال اصحاب المقالات: واجتمع إلى عبدالله بن سبأ بالمدائن جماعة على هذا القول، منهم عبدالله بن صبرة الهمداني، وعبدالله بن عمرو بن حرب الكندي، وآخرون غيرهما، وتفاقم أمرهم، وصارت لهم دعوة يدعون إليها، وشبهة يرجعون إليها، وهي ما ظهر وشاع بين الناس من أخباره بالمغيبات حالاً بعد حال، فقالوا: ان ذلك لا يمكن الا لله تعالى، أو من حلت ذات الاله في جسده.

وتعلق بعضهم بشبهة ضعيفة نحو قول عمر ـ وكان عليّ عليه السلام قد فقأ عين انسان ألحد في الحرم ـ ما اقول في يدالله فقأت عيناً في حرم الله، ونحو قول عليّ: والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية بل بقوة الهية، ونحو قول النبيّ صلى الله عليه وآله: «لا اله إلا الله وحده وحده صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»، والّذي هزم الاحزاب هو عليّ، لانه قتل بارعهم وفارسهم

عمرواً لما اقتحموا الخندق، فأصبحوا صبيحة تلك الليلة هاربين مغلوبين من غير حرب سوى قتل فارسهم ـ الخ[١].

وفي (بيان الجاحظ): قال جرير بن قيس: قدمت المدائن بعد ما ضُربَ عليّ عليه السلام، فلقيني ابن السوداء ـ وهو ابن حرب ـ فقال لي: ما الخبر؟ قلت: ضرب عليّ ضربة يموت الرجل من أيسر منها أو يعيش من أشد منها. قال: لو جئتمونا بدماغه في مائة صرة لعلمنا انه لا يموت حتى يذودكم بعصاه[٢].

وفي الخبر قيل للصادق عليه السلام: ان رجلا من ولد عبدالله بن سبأ يقول بالتفويض، يقول: ان الله تعالى خلق محمّداً وعليّاً، ثم فوض الأمر إليهما، فخلقا ورزقا، واحييا واماتا. فقال: كذب عدو الله، اقرأوا عليه آية الرعد: ﴿أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار﴾[٣].

وفي (التحف): قال أمير المؤمنين عليه السلام: اياكم والغلو فينا، قولوا انا عباد مربوبون وقولوا في فضلنا ما شئتم[٤].

«ومبغضٌ قالٍ» من قلي يقلي، وهنا بمعنى الشديد وأصله البغض.

ومن مبغضيه عليه السلام بنو باهلة، ففي (صفين نصر): ان بني باهلة كرهوا أن يخرجوا معه عليه السلام إلى صفين، فدعاهم، فقال: يا معشر باهلة، أشهد الله انكم تبغضوني وأبغضكم، فخذوا عطاءكم واخرجوا إلى الديلم[٥].

وفي (أمالي المفيد) عن الحرث بن حصيرة قال: حدثني جماعة من

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٤ ـ ٧.

(٢) لم اجده فيه.

(٣) رواه الصدوق في الاعتقادات: ٤٠. والآية ١٦ من سورة الرعد.

(٤) تحف العقول: ١٠٤.

(٥) وقعة صفين: ١١٦.

أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: ادعوا لي غنياً وباهلة وحياً آخر قد سماهم فليأخذوا عطاياهم، فوالّذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما لهم في الاسلام نصيب، واني شاهد عند الحوض وعند المقام المحمود انهم اعداء لي في الدنيا والآخرة، ولآخذنّ غنياً أخذة بفرط باهلة، ولئن ثبتت قدماي لاردن قبائل ولأبهرجنّ ستين قبيلة مالها في الاسلام من نصيب.

وعن عبدالرزاق بن قيس قال: كنت جالساً مع عليّ عليه السلام على باب القصر حتى الجأته الشمس إلى حائط القصر، فوثب ليدخل فقام رجل من همدان فتعلق بثوبه وقال: حدثني حديثاً جامعاً ينفعني الله به. فقال عليه السلام: حدثني خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله اني أردُ انا وشيعتي الحوض رواء مرويين، مبيضة وجوههم، ويرد عدونا ظماء مظمئين، مسودة وجوههم، خذها إليك قصيرة من طويلة، أنت مع من أحببت ولك ما اكتسبت، ارسلني يا أخا همدان، ثم دخل القصر[1].

ومن مبغضيه عليه السلام القالين خطاب الجهني كما مر، ومنهم الجعد الهمداني، وفي (نوادر ديات الكافي): ان الجعد كان يسبه، فاستأذن أبوالصباح الصادق عليه السلام لقتله، فقال له: ستكفي بغيرك، فوجد الجعد من يومه ميتاً على فراشه كالزق المنفوخ واذا تحته أسود[2].

ومنهم حريز بن عثمان الرحبي، ففي (أنساب السمعاني): كان يسبه عليه السلام كل بكرة سبعين مرة، وكل عشاء سبعين مرة.

وقوله عليه السلام في الثاني «يهلك فيّ رجلان محب مفرط» هكذا في (المصرية)،

---

(١) أمالي المفيد: ٣٣٨ و٣٣٩ ح ٤ و٤، مجلس ٤٠.

(٢) الكافي ٧: ٣٧٤ ح ١٦.

والصواب: «مطر» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[١]، وكما عرفته من رواية الثقفي[٢] من «أطرى»، والمراد به ما في ذاك الخبر من وصفه بخلاف الواقع من الالوهية (وباهت) أي: الآتي بالبهتان، وفي الجمهرة: رجل باهت وبهّات ومباهت وبهوت (مفتر) الآتي بالافتراء.

ومن الباهتين المفترين عليه عليه السلام عائشة، وابن اختها عروة بن الزبير، روى عبدالرزاق عن معمر قال: كان عند الزهري حديثان عن عروة عن عائشة في عليّ عليه السلام، فسألته يوماً عنهما، فقال: ما تصنع بهما وبحديثهما؟ الله أعلم بهما، اني لاتهمهما في بني هاشم. والحديثان قال عروة قالت عائشة: كنت عند النبيّ صلى الله عليه وآله اذ أقبل العباس وعليّ فقال: يا عائشة ان هذين يموتان على غير ملتي. وقال عروة قالت عائشة: كنت عند النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا عائشة ان سرك ان تنظري إلى رجلين من أهل النار فانظري إلى هذين قد طلعا ـ فنظرت فاذا العباس وعليّ ـ روى هذا الاسكافي في (نقضه)[٣].

كما أنه كان من بغض المرأة له عليه السلام أنها لم تستطع أن تذكر اسمه، كما قاله ابن عباس في حديثها: ان النبيّ صلى الله عليه وآله في مرضه توجه إلى المسجد متكئاً على رجل[٤]، ولما سمعت ببيعة الناس له عليه السلام قالت: ليت السماء أطبقت على الأرض، وليت الجبال تدكدكت على السهل، ولم تقع بيعة الناس لعليّ[٥]، ولما سمعت بموته عليه السلام سرت وأنشدت اشعاراً شماتة حتى لامتها زينب بنت ام

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ٢٢٠، وشرح ابن ميثم ٤: ٤٦٤.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٥: ٥.

(٣) نقله عنه ابن أبي الحديد في شرحه ٤: ٦٤.

(٤) اخرجه البخاري في صحيحه ١: ٤٩ و١٢٢ و١٢٦، و ٢: ٩١، و ٣: ٩٢، و ٤: ١٢، ومسلم في صحيحه ١: ٣١١ و٣١٢ ح ٩٠ ـ ٩٢.

(٥) رواه الطبري في تاريخه ٣: ٤٧٧، سنة ٣٦، وابن قتيبة في الامامة والسياسة ١: ٥٢.

سلمة، ومدحت قاتله ابن ملجم، واعتقت عبدها المسمى باسم قاتله شكراً ـ روى ذلك الطبري والمسعودي والاصبهاني[١].

كما ان عروة كان تأخذه الرعدة عند ذكره عليه السلام ويسبه ويضرب باحدى يديه على الأُخرى ويقول: كيف لم يخالف وقد أراق من الدماء ما أراق[٢]. وكان يعذر أخاه عبدالله بن الزبير لما حصر بني هاشم في الشِعب وجمع الحطب لتحريقهم ويقول: أراد ادخالهم في طاعته كما جمع الحطب لا حراقهم فيما سلف في السقيفة ـ ذكره المسعودي وغيره[٣].

ومن الباهتين المفترين عليه عليه السلام الزبير بن بكار، كما قال أبو الفرج، فأدخل بني ناجية في قريش لكونهم مبغضين له عليه السلام[٤]، ومنهم على بن الجهم الشاعر الهاجي له، فرد عليه البحتري:

عـلامَ هـجوت مـجتهداً عـليّاً ... بـما لفـقت مـن كـذب وزور

اما لك في استك الوجعاء شغل ... يكـفك عـن أذى أهـل القـبور

ومنهم عمرو بن العاص، فقال: سمعت النبيّ يقول: ان آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء، انما وليّي الله وصالح المؤمنين، ومن المضحك أن مسلماً والبخاري نقلاه في صحيحيهما[٥]. اف لهم ولما يعبدون من دون الله.

ومنهم أبو هريرة، فقال: ان عليّاً خطب ابنة أبي جهل في حياة النبيّ

(١) رواه الطبري في تاريخه ٤: ١١٥، سنه ٤٠ وأبوالفرج الاصبهاني في المقاتل: ٢٦ و٢٧، وابن سعد في الطبقات ٣ ق ١: ٢٧، والمفيد في الجمل: ٨٣، والسبط في التذكرة: ٦١، لكن لم يوجد في مروج الذهب ولا اثبات الوصية للمسعودي.

(٢) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ٤: ٦٩.

(٣) رواه المسعودي في مروج الذهب ٣: ٧٧، وعنه ابن أبي الحديد في شرحه ٢٠: ١٤٧.

(٤)

(٥) نقله عنهما ابن أبي الحديد في شرحه ٤: ٦٤، والحديث في صحيح مسلم ١: ١٩٧ ح ٣٦٦.

فأسخطه، فخطب على المنبر فقال: لاها الله لا تجتمع ابنة ولي الله وابنة عدوّ الله. ان فاطمة بضعة مني، يؤذيني ما يؤذيها، فان كان علي يريد ابنة أبي جهل فليفارق ابنتي وليفعل ما يريد[١].

قول المصنف: (وهذا مثل قوله عليه السلام هلك) هكذا في (المصرية)، والصواب: «يهلك» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٢]، ومنه يظهران الصواب: نقله الثاني لكون مستنده بلفظ «يهلك»[٣] (فيّ رجلان) وفي (ابن أبي الحديد): (اثنان)، وليست في (الخطية) رأساً، ولكن في (ابن ميثم) كما نقل وهو الصواب[٤]: (محب غال ومبغض قال) كما في عنوانه الأوّل.

قال ابن أبي الحديد: الهالك فيه عليه السلام المفرط أي: الغلاة ومن قال بتكفير أعيان الصحابة، والمفرط أي: من استنقص به أو أبغضه أو حاربه أو أضمر له غلا، ولذا قال أصحابنا انه عليه السلام أفضل الخلق في الآخرة، وأعلاهم منزلة في الجنة، وأفضل الخلق في الدنيا، وأكثرهم خصائص ومزايا ومناقب، وكل من عاداه أو حاربه أو أبغضه فانه عدو لله سبحانه وخالد في النار.

فاما الأفاضل من المهاجرين فلو أنه أنكر إمامتهم لقلنا انهم من الهالكين، لانه قد ثبت ان النبيّ صلى الله عليه وآله قال له: «حربك حربي، وسلمك سلمي»، وانه قال: «اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه» وقال له: «لا يحبك الا مؤمن، ولا يبغضك الا منافق»، ولكنا رأيناه رضي امامتهم، وبايعهم، وصلى خلفهم، وأنكحهم، وأكل من فيئهم، ولما برئ من معاوية برئنا منه.

---

(١) رواه عن أبي هريرة الاسكافي في النقض عنه شرح ابن أبي الحديد ٤: ٦٤، لكن المشهور في الحديث رواية المسور بن مخرمة وعبيدالله بن أبي رافع وجمع آخر.

(٢) لفظ شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ٢٢٠، وشرح ابن ميثم ٤: ٤٦٤ «هلك».

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٤: ١٠٥، و ٥: ٥.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ٢٢٠، وشرح ابن ميثم ٥: ٤٦٤.

والحاصل انا لم نجعل بينه وبين النبيّ صلى الله عليه وآله الا رتبة النبوة، وأعطيناه كل ما عدا ذلك من الفضل المشترك بينه وبينه، ولم نطعن في أكابر الصحابة الّذين لم يصح عندنا أنه طعن فيهم، والقول بالتفضيل قول قديم قال به كثير من الصحابة والتابعين، ومن الصحابة عمار، والمقداد، وأبوذر، وجابر بن عبدالله، وأُبي بن كعب، وحذيفة، وبريدة، وأبوأيوب، وسهل بن حنيف، وعثمان بن حنيف، وأبوالهيثم بن التيهان، وخزيمة بن ثابت، وأبوالطفيل، والعباس وبنوه، وبنوهاشم كافة، وبنو المطلب كافة، وكان الزبير من القائلين به في بدء الأمر ثم رجع، وكان من بني أُمية من يقول بذلك منهم خالد بن سعيد بن العاص، ومنهم عمر بن عبدالعزيز.

ثم نقل خبر ابن الكلبي فيمن حلف بطلاق امرأته ان علياً خير هذه الأُمة واولاهم بالنبيّ صلى الله عليه وآله وان اباها اعتقد حرمتها عليه بذلك، فرفع إلى عمر بن عبدالعزيز، فحكم عقيلياً، فقال: برقسمه فان فاطمة عليها السلام لما اشتهت عنباً في وعكها -ولم يكن وقت العنب- قال النبيّ: «اللهم ائتنا به مع أفضل امتي عندك منزلة»، فطرق عليّ عليه السلام الباب، ودخل ومعه مكتل ألقى عليه طرف ردائه، فقال: ما هذا؟ فقال: عنب -فقال عمر بن عبدالعزيز: لقد سمعت حديث النبيّ صلى الله عليه وآله ووعيته، يا رجل خذ بيد امرأتك- واما من قال بتفضيله على الكافة من التابعين، فخلق كثير كأويس القرني، وزيد بن صوحان، وصعصعة، وجندب الخير، وعبيدة السلماني، وغيرهم ممن لا يحصى كثرة -ولم تكن لفظة الشيعة تعرف في ذلك العصر الالمن قال بتفضيله، وجميع ما ورد في فضل الشيعة وكونهم موعودين بالجنة فهؤلاء هم دون غيرهم، ولذلك قال أصحابنا المعتزلة في تصانيفهم نحن الشيعة حقاً[1].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ٢٢٠ ـ ٢٢٦.

قلت: كلامه كل خلط وخبط، فهو عليه السلام انما قال بهلاك محبه الغال القائل بالوهيته، من أين زاد عليه: «من قال بتكفير صحابة تقدموا عليه عليه السلام».

وأما قوله «ولو أنه انكر امامتهم لقلنا انهم من الهالكين» فمن المضحك، فالانكار أحمر أو اخضر، وله قرن أو ذنب، وكيف لم ينكر وقد ملأ انكاراته يوم السقيفة، ويوم الشورى ما بين السماوات والأرض، وهذا كتابه إلى معاوية في جواب كتابه: «وقلت اني كنت أُقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى ابايع، ولعمر الله لقد أرادت ان تذم فمدحت، وان تفضح فافتضحت، وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوماً»[1]. وألم يأمر عمر يوم الشورى بقتل من خالف دستوره في تمهيده انتقال الأمر إلى عثمان، وكيف يعقل تقدم جمع جهّال ذوي بدع ومناكير على مثله عليه السلام الّذي كان شريكاً للنبيّ صلى الله عليه وآله في كل كمال وفضيلة سوى أصل النبوة، ألم يقل النبيّ للناس: «من كنت أولى به فعلي أولى به»[2]، فهل كان ذلك منه لفظ بلا معنى؟

وكلام هذا الرجل هنا نظير كلام عابدي الاصنام ان الله تعالى خالق السماوات والأرض وما بينهما، ومع ذلك فالاصنام آلهة مثله وشركاؤه، قال تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخّر الشمس والقمر ليقولن الله فأنّى يُؤفكون﴾[3].

ألم يكفِ الرجل في انكاره عليه السلام أمر شيخيه اغضاؤه عن حقه يوم الشورى لما طلبوا منه العمل بسنتهما[4]، وكذلك يوم حدوث الخوارج وبيعة

---

(١) رواه الشريف الرضي في نهج البلاغة ٣: ٣٣، ضمن كتاب ٢٨.

(٢) هذا حديث الغدير المتواتر أخرجه جمع كثير منهم ابن عساكر بطرق عديدة في ترجمة علـيّ عليه السلام ٢: ٤ ـ ٥٠٣ح ٥٩٣.

(٣) العنكبوت: ٦١.

(٤) رواه الطبري في تاريخه ٣: ٣٠١، سنة ٢٣، والبلاذري في أنساب الاشراف ٥: ٢٢، والجوهوي في السقيفة: 85

أصحابه عليه السلام له ثانية[١]، فذلك يكفي اتمام حجة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

ألم يكفه شكاياته عليه السلام طول أيامه في امرة الثلاثة وفي إمرته، ألم يكفه شكايات سيدة نساء العالمين وتكفيرها لهم صريحاً في كلماتها وموتها كمداً مما عاملوها، ودفن أمير المؤمنين لها سراً، وقد كان عليه السلام يقول: «ظلمت عدد المدر والوبر»[٢].

وأما قوله «لو أنكر عليهم كما أنكر على معاوية لتبرأنا منهم» فغلط ومغالطة، فالفرق بين يوم السقيفة ويوم معاوية كثير، فيوم معاوية كان كما قال عليه السلام لو لم يكن أنكر وشهر السيف كان كفراً واضمحلالاً للاسلام[٣]، كما ان يوم السقيفة لو كان خرج لاضمحل أصل الاسلام لحدوث عهدهم بالكفر، وهو عليه السلام كان كالنبيّ عليه السلام يتحمل كل مشقة في سبيل الاسلام بعده كما معه، والثلاثة كانوا لا يبالون أن يبدل الاسلام بالكفر، فاغتنموا عداوة قريش المؤلفة الّذين حاربوا النبيّ صلى الله عليه وآله وكان وترهم على يده عليه السلام ان ينالوا بها الرئاسة والامرة، ولم يكن لهم أثر في الاسلام الا الفرار في الغزوات.

وقد روى المدائني ـ ونقله نفسه في موضع آخر ـ عن عبدالله بن جنادة قال: قدمت من الحجاز أريد العراق في اول امارة عليّ عليه السلام، فمررت بمكة، فاعتمرت، ثم قدمت المدينة، فدخلت مسجد الرسول صلى الله عليه وآله اذ نودي الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، وخرج عليّ عليه السلام متقلداً سيفه، فشخصت الأبصار

وابن قتيبة في الامامة والسياسة ١: ٢٦.

(١) رواه الطبري في تاريخه ٤: ٥٦، سنة ٣٧، وابن قتيبة في الامامة والسياسة ١: ١٤٦.

(٢) رواه الثقفي كما في تلخيص الشافي ٣: ٤٨، والمفيد في الجمل: ٩٢.

(٣) رواه ابن عبد البر في الاستيعاب ٣: ٥٣، وفي ضمن خطبة مشهورة المفيد في أماليه: ١٥٣ ح ٤، المجلس ١٩، وابن عساكر في ترجمة عليّ عليه السلام ٣: ١٣٠ ح ١١٥٢.

نحوه، فحمد الله وصلّى على رسوله، ثم قال: أما بعد فان الله تعالى لما قبض نبيه صلى الله عليه وآله قلنا نحن أهله وورثته وعترته وأولياؤه دون الناس، لا ينازعنا سلطانه منازع، ولا يطمع في حقنا طامع، اذ انبرى لنا قومنا، فغصبونا سلطان نبينا، فصارت الأمرة لغيرنا، وصرنا سوقة يطمع فينا الضعيف، ويتعزز علينا الذليل، فبكت الاعين منا لذلك، وخشنت الصدور، وجزعت النفوس، وايم الله لولا مخافة الفرقة بين المسلمين، وان يعود الكفر، ويبور الدين، لكنّا على ما كنّا لهم ـ الخ[1]. ومثله كتاب الحسن إلى معاوية[2].

ثم عدة شيعته كعمار، والمقداد، وحذيفة، وأبي ذر، وغيرهم من القائلين بأفضليته فقط كما يقول هو مغالطة، فانكاراتهم يوم الشورى ويوم السقيفة مذكورة في السير كعدة العباس، وخالد بن سعيد الاموي، فالعباس انما أتاه أبوبكر وعمر باشارة المغيرة على أن يجعلوا له في الأمر نصيباً، ويجعلاه شريكاً في سطلنتهم، لئلا يساعد أمير المؤمنين عليه السلام، فردهم بما هو مذكور في السير[3]. وخالد ممن أنكر بيعة أبي بكر حتى اضطغن عمر عليه ذلك، فمنع ابابكر من توليته لما احتاج إليه أبوبكر لامارة جند بعد استقرار الأمر له لذلك[4].

كما أن قوله بأنه عليه السلام صلى خلفهم وانكحهم واكل من فيئهم، فرضي بامامتهم غلط، فالتقية تجوز اظهار الكفر، مع ان صلاته عليه السلام خلفهم كانت لاعن اقتداء، فقالت عترته عليه السلام انه بعد صلاة جمعته خلفهم كان يضيف إليها

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٠٧.

(٢) رواه أبوالفرج في المقاتل: ٣٥.

(٣) رواه الجوهري في السقيفة: ٤٧، وابن قتيبة في الامامة والسياسة ١: ١٥.

(٤) رواه الجوهري في السقيفة: ٥٣.

ركعتين[١]، وأما انكاحهم فكان الرجل ذا سلطان فأجبره كما لا يخفى على من راجع سيرهم، وكفاهم بذلك طعناً وشناعة، وقد قالت عترته عليه السلام ان الرجل قال للعباس: أي عيب في حتى لا ينكحني ابن اخيك؟ فلو لم يقبل لا ضعن شهوداً على سرقته فأقطع يده[٢].

وفي كتاب معاوية إلى محمّد بن أبي‌بكر «فهمّا به الهموم وأرادا به العظيم»[٣].

وأما أكله من فيئهم فانما كان لأن حكم الله ـ كما بينه عترته عليهم السلام ـ ان الجهاد اذا لم يكن من قبل الامام فكل ما غنموه له عليه السلام[٤]، والكتاب والسنة يحكمان بثبوت الخمس له، فمنعوه الخمس كما أخذوا فدك منه غصباً وأجروه في الخمس كرجل منهم، فلم لا يأخذ جزءاً من جزءٍ من حقه.

وأما قوله «ولم تكن مقالة الامامية ومن نحا نحوها من الطاعنين في امامة السلف مشهورة» ففيه انه اذا كان مثل أميرالمؤمنين عليه السلام أيام سلطنته يتقي من الشكاية منهما حتى تقلد سيفه لما أراد أن يخطب تلك الخطبة في أول أمره[٥]، وكذلك بعد فتح مصر لما سألوه عن رأيه في الثلاثة وأراد بيان حقيقة أمرهم كتب عليه السلام مقالته، وأمر جعدة بن هبيرة أن يقرأها، وعين عشرة من ثقاته مع السيوف ان ثار أحد[٦]، وكذلك ابنه الحسن عليه السلام في أيام امارته قبل

---

(١) رواه الكليني في الكافي ٣: ٣٧٤ ح ٦.

(٢) رواه الكليني في الكافي ٤: ٣٤٦ ح ٢، وأحمد بن محمّد بن عيسى في النوادر: ١٢٩ ح ٣٣٢.

(٣) رواه ابن مزاحم في وقعة صفين: ١٢٠، والمسعودي في مروج الذهب ٣: ١٢، والبلاذري في أنساب الاشراف ٢: ٣٩٦.

(٤) أخرجه الطوسي في التهذيب ٤: ١٣٥ ح ١٢.

(٥) النظر إلى الخطبة الّتي رواها المدائني عن عبدالله بن جنادة ومر نقلها آنفاً.

(٦) رواه عن رسائل الكليني ابن طاووس في كشف المحجة: ١٧٤.

تفويض الأمر إلى معاوية، مع كونه سيد شباب أهل الجنة، ومن أهل بيت العصمة والطهارة، وممن باهَل به النبيّ صلى الله عليه وآله، وعدّ في القرآن ابن النبيّ، لما كتب إلى معاوية التشكي منهما كتب إليه معاوية يرميه بالخروج عن الدين، ففي مقاتل أبي الفرج انه عليه السلام لما كتب إلى معاوية «ان قريشاً استولوا بالاجتماع على ظلمنا ومراغمتنا والعنت منهم لنا، فالموعد الله وهو الولي النصير، وقد تعجبنا لتوثب المتوثبين علينا في حقنا وسلطان نبينا وان كانوا ذوي فضيلة وسابقة في الاسلام، فأمسكنا عن منازعتهم مخافةً على الدين أن يجد المنافقون والأحزاب بذلك مغمزاً يثلمونه به، أو يكون لهم بذلك سبب لما أرادوا به من فساده» كتب إليه معاوية: «رأيتك صرحت بتهمة أبيبكر الصدّيق، وعمر الفاروق، وأبي عبيدة الامين، وحواري النبيّ، وصلحاء المهاجرين والأنصار، فكرهت ذلك لك، فانك امرؤ عندنا وعند الناس غير ظنين ولا المسيء ولا اللئيم، وانا أحب لك القول السديد، والذكر الجميل» - الخ[1]. كيف يجترئ شيعته على اظهار طعن فيهما، فكان اولئك الاحزاب لما أرادوا أكل الدنيا بواسطتهما يقتلون من سمعوا منه أدنى غمز فيهما، ألم يقتل خالد بن الوليد مالك بن نويرة لأنه عبّر عن أبيبكر في مكالمته معه بصاحبك ولم يقل خليفة رسول الله.

ومن أين انهم لم يطعنوا فيهم سراً، فروى أحمد بن أبي طاهر في أول بلاغات نسائه أن عائشة بلغها ان ناساً نالوا من أبيها، فبعثت إلى جماعة منهم، فعذلت وقرعت ثم قالت: أبي ما أبي ـ الخ.

وفي (تاريخ الطبري): ان الأشراف لما أرادوا خلع المختار قال شبث ـ في جملة ما طعن عليه ـ وأظهر هو وسبائيته البراءة

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٣٥ و٣٦.

من أسلافنا الصالحين[١].

ثم ما يفعل في ذي نوريه، فكان يكفره أبوذر، وعمار، وابن مسعود، وحجر ابن عدي، وعمرو بن الحمق، ومالك الأشتر، ومحمّد بن أبي بكر، ومحمّد بن أبي‌حذيفة، بل الشيعة وغيرهم أبا حوادمه، ولم يُجيزوا دفنه، فالمسلمون ذلك اليوم جمهورهم إذ كانوا يقولون: أبوبكر، وعمر، وعلي، والاموية يقولون: أبوبكر، وعمر، وعثمان، وانما حمل عثمان على جمهور المسلمين معاوية وعبدالملك بالسيف، فكانوا يقولون به تقية، فكيف جعله هو واصحابه من أفاضل المهاجرين، ومن الخلفاء الراشدين، ودانوا الله بولايته.

وروى المفيد في (أماليه) عن الأصبغ قال: دخل الحارث الهمداني في نفر من الشيعة على أمير المؤمنين عليه السلام وكنت فيهم، فجعل الحارث يتأود في مشيته ويخبط الأرض بمحجنه -وكان مريضاً- فأقبل عليه السلام عليه وكانت له منه منزلة، فقال: كيف تجدك يا حارث؟ فقال: نال الدهر مني، وزادني أواراً وغليلا اختصام أصحابك ببابك. قال: وفيم خصومتهم؟ قال: فيك وفي الثلاثة قبلك، فمن مفرط منهم غالٍ، ومفرّط قالٍ، ومتردد مرتاب لا يدري أيقدم أم يحجم. فقال عليه السلام: حسبك يا أخا همدان، الا أن خير شيعتي النمط الأوسط، فإليهم يرجع الغالي، وبهم يلحق التالي. فقال له الحارث: لو كشفت -فداك أبي وأمي- الرين عن قلوبنا، وجعلتنا في ذلك على بصيرة من أمرنا. فقال: فانك امرؤٌ ملبوس عليك، ان دين الله لا يعرف بالرجال بل بآية الحق، فاعرف الحق تعرف أهله، يا حارث ان الحق أحسن الحديث، والصادع به مجاهد، وبالحق أخبرك، فارعني سمعك، ثم خبّر به من كان له حصافة من أصحابك، ألا اني عبدالله واخو رسوله وصديقه الأوّل صدقته وآدم بين الروح والجسد، ثم اني

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٥١٨، سنة ٦٦.

صديقه الأوّل في أُمتكم، فنحن الأولون ونحن الآخرون، ونحن يا حارث خاصته وخالصته، وأنا صنوه ووصيه ووليه وصاحب نجواه وسرّه، أُوتيت فهم الكتاب وفصل الخطاب، وعلم القرون والأسباب، واستودعت ألف مفتاح كل مفتاح يفتح ألف باب ويفضي كل باب إلى ألف ألف عهد، وأُيدت ومددت بليلة القدر نفلاً، وان ذلك يجري لي ولمن استحفظ من ذريتي ما جرى الليل والنهار حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وابشرك يا حارث لتعرفني عند الممات وعند الصراط وعند الحوض وعند المقاسمة. قال: وما المقاسمة؟ قال: مقاسمة النار أقاسمها قسمة صحيحة، أقول: هذا وليي فاتركيه وهذا عدوي فخذيه.

ثم أخذ عليه السلام بيد الحارث وقال: أخذت بيدك كما أخذ النبيّ صلى الله عليه وآله بيدي وقال لي ـ وقد شكوت إليه حسد قريش والمنافقين لي ـ انه إذا كان يوم القيامة أخذت بحبل الله وبحجزته ـ يعني عصمته من ذي العرش تعالى ـ وأخذت أنت يا علي بحجزتي، وأخذ ذريتك بحجزتك وأخذ شيعتكم بحجزتكم، فماذا يصنع الله بنبيه وما يصنع بوصيه، خذها إليك يا حارث قصيرة من طويلة انت مع من أحببت ولك ما اكتسبت ـ يقولها ثلاثاً ـ فقام الحارث يجر رداءه وهو يقول: ما أبالي بعدها متى لقيت الموت أولقيني. قال جميل بن صالح: وأنشدني السيد الحميري فيما تضمنه هذا الخبر:

قول علي لحارث عجب	كم ثم اعجوبة له حملا
يا حار همدان من يمت يرني	من مؤمن او منافق قبلا
يعرفني طرفه واعرفه	بنعته واسمه وما عملا
وأنت عند الصراطِ تعرفُني	فلا تخف عثرةً ولا زللا
اسقيك من بارد على ظمأ	تخاله في الحلاوة العسلا

أقـول للـنار حـين تـوقف لك عرض دعيه لا تقربي الرجـلا
دعــــيهِ لا تــــقربيهِ ان لَــهُ حبلاً بحبلِ الوصيِّ متصلا[١]

وبالجملة ان أخواننا كما قال عليه السلام يعرفون الحق بـالرجـال، فلما رأوا الرجلين صارا سلطانين ولهما اسم في التاريخ استبعدوا كونهما على الباطل، والا فبعد كونه عليه السلام كنفس النبيّ صلى الله عليه وآله بنص القرآن وكونه شريكاً للنبيّ فـي جميع الفضائل سوى النبوة، لا يعقل أن يكون من تقدم عليه عـلى الحـق، لا سيما مع ترتب تلك المفاسد على تصديهما للامر، ولو قيل بصحة تـقدمهما عليه عليه السلام مع ذلك فليقل بجواز تقدمهما على النـبيّ صلى الله عليه وآله، ومـن الواضـح ان نصبهما ونصب الثالث كان ديناً من قريش أعداء النـبيّ اخـترعوه لاصـلاح دنياهم.

وقد أقر بذلك فاروقهم في مكالمته مع ابن عباس، ففي تاريخ الطبري أن عمر قال لابن عباس: أتدري ما مـنع قـومكم مـنكم بـعد مـحمّد؟ كـرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة، فتبجحوا على قومكم بجحاً بـجحاً، فـاختارات قريش لانفسها، فأصابت ووفقت، فقال له ابن عباس: لو أن قريشاً اخـتارت لانفسها حيث اختار الله لها لكان الصواب: بيدها غير مردود، وأما كراهـتهم لان تكون فينا النبوة والخلافة فقد قال تعالى: ﴿ذلك بأنَّهم كرهوا ما أنزل الله فأحبطَ أعمالَهُم﴾ [٢].

وفـي (تـاريخ الطـبري) أيـضاً: ان عـماراً قـال يـوم الشـورى: ان الله تـعالى اكـرمنا بـنبيه، واعـزنا بـدينه، فأنـى تـصرفون هـذا الأمـر عـن أهل بيته. فقال رجل من بـني مـخزوم: لقـد عـدوت طـورك يـا ابـن سـمية،

---

(١) أمالي المفيد: ٣ح ٣، مجلس أو النقل بتصرف يسير.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٢٨٩، سنة ٢٣. والآية ٩ من سورة محمّد.

وما أنت وتأمير قريش لانفسها[١].

ثم لاغرو من بني أُميّة وباقي أعدائه ومبغضيه عليه السلام أن يسمعوا شيعته الّذين على النمط الاوسط غلاة وسبائية تابعي ابن سبأ الغالي تهجيناً لهم عند عامتهم، فكتب زياد لما أراد قتل حجر وأصحابه إلى معاوية: ان طواغيت من هذه الترابية السبائية رأسهم حجر ـ الخ[٢].

وكذلك كان مصعب بن الزبير أيام امارة أخيه يعبر عنهم بـالسبائية، وكذلك أبوحمزة الخارجي كان يعبر عن الشيعه بالسبائية، انما العجب من المدعين للعلم منهم والمعرفة الذين يدعون حبه كابن قتيبة، وابن عبد ربـه، وكثير من مصنفيهم يذكرون في عنوان الشيعة مذاهب الغلاة يموهون بذلك على الناس كون الشيعة عبارة عن الغلاة، ومن بغضهم له عليه السلام جعلوا أبـاه كافراً مع تواتر الأخبار عنه باقراره بالنبيّ صلى الله عليه وآله غير مرة.

ولا لوم عليهم فكلهم من مبغضيه عليه السلام، لانه لازم قولهم بامامة الثلاثة، فلا يمكن أن يكون عدو صديقك صديقك، ومباينته مع صدّيقهم وفـاروقهم معلوم، ولذلك كانوا يسألونه مرة بعد مرة عنهم كما في خبر الحرث المتقدم، وخبر آخر رواه خلفاء ابن قتيبة وغارات الثقفي ورسائل الكليني[٣].

هذا والخلفاء الأُمويين كلهم كانوا مظهرين بغضهم له عليه السلام سوى عمر بن عبدالعزيز، وروى (الأغاني) عن يزيد بن عيسى بن مورق قال: دخلت على عمر ابن عبدالعزيز زمن ولي وكان بخناصره، فقال لي: من أنت؟ قلت: مولى عليّ. فقال: وأنا والله مولى عليّ، أشهد على عدد ممن أدركوا النبيّ صلى الله عليه وآله

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٢٩٧، سنة ٢٣.

(٢) رواه الطبري في تاريخه ٤: ٢٠٢، سنة ٥١.

(٣) الامامة والسياسة ١: ١٤٥، والغارات ١: ٣٠٢، ونقلاً عن رسائل الكليني كشف المحجة: ١٧٤.

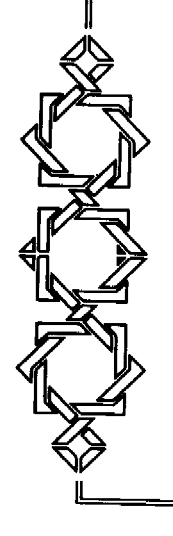
يقولون ان النبيّ قال: من كنت مولاه فعلي مولاه.

والعباسيون يظهرون التولية له عليه السلام سوى المتوكل، فكان أبغض له من الأموية، فروى الخطيب أن نصر بن عليّ الجهضمي لما روى أن النبيّ صلى الله عليه وآله قال «من أحبني وأحب هذين ـ وكان قد أخذ بيد الحسن والحسين ـ وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة» أمر المتوكل بضربه ألف سوط.

وروي ان البحتري الشاعر كان يكنّى أبا عبادة وأبا الحسن، فأشير عليه في أيام المتوكل أن يقتصر على أبي عبادة.

الفصل الحادي والعشرون

في شجاعته عليه السلام ومهابته ومناعته





وفيه عناوين: الأول في كتابه عليه السلام برقم (٤٥) إلى عثمان بن حنيف:

١
من الكتاب (٤٥)

وَكَأَنِّي بِقَائِلِكُمْ يَقُولُ إِذَا كَانَ هَذَا قُوتَ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَدْ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ عَنْ قِتَالِ الأَقْرَانِ وَمُنَازَلَةِ الشُّجْعَانِ، أَلَا وَإِنَّ الشَّجَرَةَ الْبَرِّيَّةَ أَصْلَبُ عُودًا وَالرَّوَاتِعَ الخَضِرَةَ أَرَقُّ جُلُودًا، وَالنَّبَاتَاتِ الْبَدويَةَ أَقْوَى وَقُودًا وَأَبْطَأُ خُمودًا، وَأَنَا مِنْ رَسُولِ اللهِ كالصِّنوِ مِنَ الصِّنوِ وَالذِّرَاعِ مِنَ الْعَضُدِ، وَاللهِ لَوْ تَظَاهَرَتِ الْعَرَبُ عَلَى قِتَالِي لَمَا وَلَّيْتُ عَنْهَا، وَلَوْ أَمْكَنَتِ الْفُرَصُ مِنْ رِقَابِهَا لَسَارَعْتُ إِلَيْهَا، وَسَأَجْهَدُ فِي أَنْ أُطَهِّرَ الأَرْضَ مِنْ هَذَا الشَّخْصِ الْمَعْكُوسِ[١] وَالْجِسْمِ الْمَرْكُوسِ حَتَّى تَخْرُجَ الْمَدَرَةُ مِنْ بَيْنِ حَبِّ الْحَصِيدِ.

«وكأني بقائلكم يقول اذا كان هذا» أي: القرصين «قوت ابن أبي طالب فقد قعد به الضعف عن قتال الاقران» جمع القران بالكسر، وهو القرين في الحرب

«ومنازلة» أي: محاربة «الشجعان» فلابد ان قوته أكثر، لأن قوته معلومة لا ينكرها أحد.

وفي (تاريخ الطبري): عن أبي رافع مولى النبيّ صلى الله عليه وآله قال: خرجنا مع عليّ عليه السلام في خيبر حين بعثه النبيّ برايته، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله، فقاتلهم، فضربه رجل من اليهود، فطرح ترسه من يده، فتناول باباً كان عند الحصن، فتترس به عن نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه، ثم ألقاه من يده حين فرغ ـ فلقد رأيتني في نفر سبعة أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب، فما نقلبه.

وعن بريدة الأسلمي قال: خرج مرحب صاحب الحصن وعليه مغفر معصفر يمان وحجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه وهو يرتجز، فاختلفا ضربتين، فبدره عليّ عليه السلام، فضربه، فقدّ الحجر والمغفر ورأسه حتى وقع في الاضراس واخذ المدينة[1].

وكما أن ذاك القوت وتلك القوّة متضادان لا يجتمعان في غيره عليه السلام، كذلك زهده الّذي طلق الدنيا ثلاثاً، وقتله لجمع لا يحصى في غزوات النبيّ صلى الله عليه وآله وفي الجمل وصفين والنهروان مما لا يجتمعان في غيره.

قال المصنف في أول كتابه: ومن عجائبه الّتي انفرد بها وأمن المشاركة فيها ان كلامه عليه السلام الوارد في الزهد والمواعظ والتذكير والزواجر إذا تأمله المتأمل وفكر فيه المتفكر وخلع من قلبه أنه كلام من مثله ممّن عظم قدره ونفذ أمره واحاط بالرقاب ملكه، لم يعترضه الشك في انه كلام من لا حفظ له في الزهادة ولا شغل له بغير العبادة، قد قبع في كسر بيت أو انقطع في سفح جبل لا يسمع إلّا حسه ولا يرى إلّا نفسه، ولا يكاد يوقن بأنه كلام من

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ٣٠١، سنة ١.

ينغمس في الحرب مصلتاً سيفه فيقطع الرقاب ويجدل الابطال ويعود به ينطف دماً ويقطر مهجاً، وهو مع تلك الحال زاهد الزهاد وبدل الابدال، وهذه من فضائله العجيبة وخصائصه اللطيفة الّتي جمع بها بين الاضداد وألف بين الاشتات[١].

«ألا وان الشجرة البرية أصلب عوداً والرواتع» هكذا في (المصرية)، ولكن في (ابن أبي الحديد والخطية)[٢] (الرواتع) فلابد أنه من «ارتع الغيث» أي: أنبت ما ترتع فيه الابل «الخضرة أرق جلوداً» شبه عليه السلام نفسه بالشجرة البرية الّتي لا تسقى إلّا برطوبة باطن الأرض وغيره بالرواتع الخضرة من كثرة سقيها بالماء، وحينئذ إذا كان مثله مثل الشجرة البرية يمكن الجمع فيه بين ذاك القوت وتلك القوة، وانما يتضادان في غيره الّذين كالرواتع الخضرة، وقال علماء البيان: قد يكون التشبيه لبيان امكان المشبه، قال الشاعر:

فان تفق الانام وانت منهم فان المسك بعض دم الغزال

«والنباتات البدوية» هكذا في (المصرية) ولكن في (ابن ميثم وابن أبي الحديد والخطية)[٣] «والنباتات العذية» بالفتح فالكسر من العذي بالكسر فالسكون الزرع الّذي لا يسقيه الاماء المطر «أقوى وقوداً وأبطأ خموداً» تشبيه آخر لنفسه وللناس لتقريب امكان اجتماع قوته وقوّته «وأنا من رسول الله صلى الله عليه وآله كالصنو من الصنو» قال الجوهري: إذا خرجت نخلتان وثلاث من أصل واحد فكل واحدةٍ منها صنو والاثنان صنوان، والجمع صنوان برفع النون، وقال أبو زيد ركيتان صنوان اذا تقاربتا ونبعتا من عين واحدة.

---

(١) نهج البلاغة ١: ١٢.

(٢) شرح ابن أبي‌الحديد ١٦: ٢٨٩.

(٣) كذا في شرح ابن ميثم ٥: ١١٢، لكن في شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٨٩ «النابتات العذية».

قال النجاشي شاعر العراق في صفين في رد كعب بن جعيل شاعر الشام:

فقل للمضلل من وائلٍ ومن جعل الغثَّ يوماً سمينا
جعلتم علياً واشياعه نظير ابن هند الا تستحونا
إلى اول الناس بعد الرسول وصنو الرسول من العالمينا

هذا وقال البحتري في يوسف بن محمّد:

نسبٌ بيننا يؤكد منه أدب والأديب صنو الأديبِ

وما نقلناه «كالصنو من الصنو» في (المصرية والخطية)، ولكن في (ابن أبي الحديد وابن ميثم): (كالضوء من الضوء)[1].

وروي عن الصادق عليه السلام قال: ان الله كان إذ لا كان، فخلق الكان والمكان، وخلق نور الأنوار الّذي نوّرت منه الانوار، وأجرى فيه من نوره الّذي نوّرت منه الانوار، وهو النور الّذي خلق منه محمّداً وعلياً، فلم يزالا نورين أولين، إذ لا شيء كوّن قبلهما، فلم يزالا يجريان طاهرين مطهرين في الاصلاب الطاهرة، حتى افترقا في اطهر طاهرين في عبدالله وأبي طالب[2].

وروى الكنجي الشافعي مسنداً عن سلمان عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله مطيعاً يسبح ذلك النور ويقدسه قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلما خلق الله آدم ركز ذلك النور في صلبه، فلم نزل في شيء واحد حتى افترقنا في صلب عبدالمطلب، فجزء أنا وجزء عليّ.

وعن أبي عقال قال للنبيّ صلى الله عليه وآله -في خبر- فأيهم أحب إليك؟ قال: عليّ بن أبي طالب. فقال: ولِمَ؟ فقال: لأنه خلقت أنا وعليّ من نور واحد.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٨٩، وشرح ابن ميثم ٤: ١١٢.
(٢) أخرجه الكليني في الكافي ١: ٤٤١ح ٩.

وعن معجم الطبراني مسنداً عن أبي أمامة الباهلي قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله ان الله خلق الانبياء من أشجار شتى، وخلقني وعلياً من شجرة واحدة، فأنا اصلها، وعلي فرعها، وفاطمة لقاحها، والحسن والحسين ثمرها، فمن تعلق بغصن من أغصانها نجا ومن زاغ عنها هوى ـ الخبر[1].

وفي كتاب سبط ابن الجوزي: ذكر أهل السير إن النبيّ صلى الله عليه وآله بعث أبابكر يحج بالناس سنة تسع وأعطاه أربعين آية من صدر سورة براءة ليقرأها على أهل الموسم، فلما سار دعا النبيّ علياً وقال له: أخرج بهذه الآيات، فأدرك أبابكر بذي الحليفة فأخذ منه الآيات، فرجع أبوبكر إلى النبيّ وقال: بأبي أنت وأمي هل نزل فيَّ شيء؟ فقال: لا ولكن لا يبلغ عني غيري أو رجل مني.

وفي (فضائل أحمد بن حنبل) قال لأبي بكر: ان جبرئيل جاءني فقال: ابعث علياً ـ الخبر[2].

وعن كتاب محدث الشام باسناده عن جابر عن النبيّ صلى الله عليه وآله ـ في خبر ـ يا عليّ خلقت أنا وأنت من شجرة انا أصلها، وأنت فرعها، والحسن والحسين أغصانها، فمن تعلق بغصن منها دخل الجنة يا عليّ لو أن أُمتي صاموا حتى يكونوا كالحنايا، وصلوا حتى يكونوا كالاوتار، ثم أبغضوك لأكبهم الله في النار[3].

وفي خطبة له عليه السلام ـ وقد نقلها ابن أبي الحديد في موضع آخر ـ واني من أحمد بمنزلة الضوء من الضوء، كنا ظلالا تحت العرش قبل خلق البشر، وقبل خلق الطينة الّتي كان منها البشر، أشباحاً عالية، لا أجساماً نامية. ان أمرنا

(١) كفاية الطالب: ٣١٥ ـ ٣١٧.

(٢) تذكرة الخواص: ٣٧.

(٣) أخرج الحديث الحافظ ابن عساكر محدث الشام في ترجمة عليّ عليه السلام ١: ١٥٠ ح ١٨٤، ونقله عنه الكنجي في كفاية الطالب: ٣١٧.

صعب مستصعب، لا يعرف كنهه الا ثلاثة: ملك مقرب، أو نبي مرسل، أو عبد امتحن الله قلبه للايمان، فاذا انكشف لكم سر، أو وضح لكم أمر فاقبلوه، والا فاسكتوا تسلموا، وردوا علمه إلى الله، فانكم في أوسع مما بين السماء والأرض[1].

وروى ابن بابويه في (معانيه وعلله) مسنداً عن محمّد بن حرب الهلالي قلت لجعفر بن محمّد: في نفسي مسألة أريد أن أسألك عنها. فقال: ان شئت أخبرتك بمسألتك قبل ان تسألني. فقلت له: يا ابن رسول الله وبأي شيء تعرف ما في نفسي قبل سؤالي؟ فقال: بالتوسم والتفرس، أما سمعت قول الله عزّ وجلّ: ﴿انَّ في ذلك لآياتٍ للمُتَوَسِّمينَ﴾[2] وقول النبيّ: «اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله». فقلت: فأخبرني. فقال: أردت ان تسألني عن النبيّ صلى الله عليه وآله لم يطق حمله علي عند حط الاصنام من سطح الكعبة مع قوته وشدته ومع ما ظهر منه في قلع باب خيبر والرمي به إلى ورائه أربعين ذراعاً وكان لا يطيق حمله أربعون رجلاً، وقد كان النبيّ يركب الناقة والفرس والحمار وركب البُراق ليلة المعراج وكل ذلك دون عليّ في القوة والشدة. فقلت له: عن هذا والله أردت أن اسألك فأخبرني. قال: ان علياً قال: لما علوت ظهر النبيّ شرفت وارتفعت حتى لو شئت أن انال السماء لنلتها أما علمت ان المصباح هو الّذي يهتدي به في الظلمة وانبعاث فرعه من أصله، وقد قال عليٌّ عليه السلام: أنا من أحمد كالضوء من الضوء، أما علمت أن محمّداً وعليّاً صلوات الله عليهما كانا نوراً بين يدي الله تعالى قبل خلق الخلق بألفي عام، وان الملائكة لما رأت ذلك النور رأت له أصلاً قد تشعب منه شعاع لامع، فقالت: الٰهنا من هذا النور؟ فأوحى

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٠٥.

(٢) الحجر: ٧٥.

إليهم: هذا نور من نوري أصله نبوة وفرعه امامة، أما النبوة فلمحمدٍ عبدي ورسولي وأما الامامة فلِعَليٍّ حجتي ووليي، ولولاهما ما خلقت خلقي. أما علمت أن النبيّ صلى الله عليه وآله رفع يد عليّ بغدير خم حتى نظر الناس إلى بياض أُبطيهما فجعل ولي المسلمين وامامهم، وقد احتمل الحسن والحسين يوم حظيرة بني النجار، فلما قال له بعض أصحابه: ناولني أحدهما، قال: نعم الراكبان هما وأبوهما خير منهما، وان النبيّ صلى الله عليه وآله كان يصلي بأصحابه فأطال سجدة من سجداته، فلما سلم قيل له لقد أطلت هذه السجدة، فقال: ان ابني ارتحلني فكرهت ان أُعاجله حتى ينزل، وانما اراد بذلك رفعهم وتشريفهم، فالنبيّ إمام نبيّ وعليّ إمام ليس بنبيّ ولا رسول فهو غير مطيق لأثقال النبوة.

فقلت له: زدني يا ابن رسول الله. فقال: ان النبيّ صلى الله عليه وآله حمل علياً عليه السلام على ظهره يريد بذلك انه أبو ولده وامام الائمة من صلبه، كما حول رداءه في صلاة الاستسقاء وأراد أن يعلم أصحابه بذلك أنه قد تحول الجدب خصباً.

فقلت: زدني. فقال: احتمل النبيّ صلى الله عليه وآله علياً يريد أن يعلم قومه أنه هو الّذي يخفف عن ظهر النبيّ ما عليه من الّدين والعداة والاداء عنه من بعده، واحتمله ليعلم بذلك أنه قد احتمله، وما حمل إلّا لأنه معصوم لا يحمل وزراً فتكون أفعاله عند الناس حكمة وصواباً، وقد قال النبي لعليّ عليه السلام: ان الله تعالى حمّلني ذنوب شيعتك ثم غفرها لي، وذلك قوله تعالى ﴿ليغفرَ لكَ اللهُ ما تَقَدَّم من ذَنبك وما تأخَّر﴾ ـ الخبر[1].

وفي (العقد): كتبت أُم سلمة إلى معاوية: انكم تلعنون الله ورسوله على منابركم، وذلك انكم تلعنون علياً ومن أحبه، وأنا اشهد أن الله أحبه ورسوله.

وروى (الإرشاد) عن أبي مخنف: ان الناس سألوه عما يصنع بقاتله؟

---

(١) معاني الاخبار: ٣٥٠ ح ١، وعلل الشرائع ١: ١٧٣ ح ١. والآية ٢ من سورة الفتح.

فقال: اصنعوا به كما يصنع بقاتل النبيّ صلى الله عليه وآله، اقتلوه ثم حرقوه بعد ذلك بالنار، فأحرقت جثته أم الهيثم النخعية[1].

وروى سبط ابن الجوزي عن سنن الترمذي عن عمران بن الحصين قال: بعث النبيّ صلى الله عليه وآله جيشاً واستعمل عليهم علياً عليه السلام، فمضى في السرية، فأصاب جارية من السبي، فتعاقد أربعة منهم إذا قدموا على النبيّ صلى الله عليه وآله أخبروه، فلما قدموا قام الأوّل فقال: ألا ترى إلى عليّ فعل كذا وكذا، فأعرض عنه، ثم قام الثاني فقال كذلك فأعرض عنه، وقام الثالث والرابع فقالا كذلك فأعرض عنهما، ثم أقبل عليهم ـ والغضب يعرف في وجهه ـ وقال: ما تريدون من عليّ ـ قالها ثلاثاً ـ عليّ مني وأنا منه.

وعن (فضائل أحمد بن حنبل) عن عمرو بن شاس: خرجت مع عليّ عليه السلام إلى اليمن فجفاني جفوة، فلما قدمت المدينة أظهرت شكايته، فبلغ ذلك النبيّ صلى الله عليه وآله، فدخلت يوماً المسجد، فجعل يحد إلى النظر ثم قال: أما والله لقد آذيتني. فقلت: أعوذ بالله من ذلك. فقال: أما علمت أن من آذى علياً فقد آذاني.

وعنه قال: لما قصد صاحب لواء المشركين يوم أُحد النبيّ صلى الله عليه وآله فداه عليّ عليه السلام بنفسه وحمل على صاحب اللواء فقتله، فنزل جبرئيل فقال: يا محمّد ان هذه لهي المواساة. فقال النبيّ: عليّ مني وأنا منه. فقال جبرئيل: وانا منكما ـ ورواه الطبري.

وعن (فضائل ابن حنبل) أيضاً باسناده عن السلوي ـ وكان قد شهد حجة الوداع ـ قال: سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول في ذلك اليوم: عليّ مني وأنا منه، ولا يقضي ديني سواه.

---

(١) الارشاد: ١٨.

وعنه أيضاً باسناده عن أنس قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله لينتهين بنو وليعة أو لأبعثن إليهم رجلا كنفسي يُمضي فيهم امري يقتل المقاتلة ويسبي الذريـة. قال أبوذر: فما راعني الابرد كف عمر خلفي قائلا: من تراه يعني؟ فـقلت: مـا يعنيك وانما يعني خاصف النعل يعني علياً عليه السلام[1].

وفي (الأُسد): عن عبدالرحمن بن بشير قال: كنا جلوساً عند النبيّ صلى الله عليه وآله إذ قال: ليضربنكم رجل على تأويل القرآن كما ضربتكم على تـنزيله. فـقال أبوبكر: أنا هو؟ قال: لا. قال عمر: أنا هو؟ قال: لا ولكن خاصف النعل ـ وكان عليّ يخصف نعل النبيّ[2].

وعن (فضائل ابن حنبل) عن زيد بن أرقم: كان لنفر من الصحابة أبواب شاعرة في المسجد، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله سدوا هذه الابواب الا باب عليّ، فـتكلم الناس في ذلك فقال: ما سددت شيئاً ولا فتحته، ولكني امرت بشئ فاتبعته.

وعن سنن الترمذي باسناده عن أبي سعيد الخدري قـال النـبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ: لا يحل لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك.

وعن (فضائل أحمد بن حنبل) عن عمر سمع رجلاً يذكر علياً عليه السلام بشرٍّ فقال: ويلك تعرف من في هذا القبر ـ واشار إلى قبر النبيّ ـ إذا آذيت علياً فقد آذيته.

وعن ابن عباس قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله في خطبة خطبها في حجة الوداع: لأقتلن العمالقة في كتيبة، فقال له جبرئيل: أو عليّ بن أبي طالب. فقال: أو عليّ بن أبي طالب[3].

---

(١) كذا جاء في تذكرة الخواص: ٣٦ و٣٨ و٣٩ و٤٣، وما رواه عن الترمذي في سننه ٥: ٦٣٢ ح ٣٧١٢.

(٢) أخرجه عن عبدالرحمن بن بشير ابن الأثير في أُسد الغابة ٣: ٢٨٢، وابن عساكر في ترجمة عليّ عليه السلام ٣: ١٧١ ح ١١٩١، والباوردي وابن مسندة عنهما الاصابة ٢: ٣٩٢.

(٣) كذا جاء في تذكرة الخواص: ٤١ و ٤٢ و٤٤ و٤٩، وما رواه عن الترمذي في سننه ٥: ٦٣٩ ح٣٧٢٧.

ولعليّ بن محمّد العلوي الحماني كما روى المرتضى في (فصوله) عن (عيون محاسن المفيد):

بين الوصي وبين المصطفى نسبٌ تختال فيه المعالي والمحاميد
كانا كشمس نهارٍ في البروج كما ادارها ثم احكام وتجويد
كسيرها انتقلا من طاهر علم إلى مطهرة آباؤها صيد
تفرقا عند عبد الله واقترنا بعد النبوّة توفيق وتسديد[1]

هذا، وفي السير: أن في سنة (١٨٠) هاجت العصبية بالشام فقال هارون لجعفر البرمكي: اما تخرج انت أو أخرج أنا؟ فقال جعفر بل أقيك بنفسي، فخرج فأصلحها، فقال منصور النميري:

فان أمير المؤمنين بنفسه اتاكم والا نفسه فخيارها

«والذراع من العضد» روى أحمد بن حنبل في (فضائله) عن أنس قال: قال النبيّ ﷺ لعليّ: تؤتى يوم القيامة بناقة من نوق الجنة فتركبها، وركبتك مع ركبتي حتى ندخل الجنة جميعاً[2].

وروى الخطيب ـ في أحمد بن محمّد بن صالح ـ عن حبشي بن جنادة قال: كنت جالساً عند أبي‌بكر فقال: من كانت له عند النبيّ عِدَة فليقم؟ فقام رجل فقال: ان النبيّ وعدني بثلاث حثيات من تمر، فقال: أرسلوا إلى عليّ فقال: يا ابا الحسن ان هذا يزعم أن النبيّ وعده أن يحثي له ثلاث حثيات من تمر، فاحثها له، فحثاها فقال أبوبكر: عدوها، فعدوها فوجدوها في كل حثية ستين تمرة لا تزيد واحدة على الأُخرى، فقال أبوبكر: صدق الله ورسوله قال لي النبيّ ليلة الهجرة ونحن خارجان من الغار: كفي وكف عليّ في العدل سواء.

---

(١) الفصول المختارة ١: ١٩.

(٢) تذكرة الخواص: ٤٥.

قلت: الخبر هكذا، والظاهر أن فيه سقطاً، وان الأصل «وعدني بثلاث حثيات كل حثية ستين تمرة»، ولعله لذا أرسل أبوبكر إليه عليه السلام وإلا فأبو بكر كان يأمر بالنداء في عداته صلى الله عليه وآله في قباله عليه السلام لأنه كان منجز عداته، وصرّح بذلك المأمون في خبر رد فدك بأنه كان يقبل ادّعاء كل من ادّعى عدة من النبيّ ولم يقبل ادعاء فاطمة بنحلة النبيّ لها فدك[1].

هذا، وقالت امرأة في ابنها وكان أوّل ولدها وكانت هي وزوجها أول تزوجهما ويقال أشد الناس بكر ابن بكرين.

يا بكر بكرين ويا خلب الكبد أصبحت مني كذراع من عضد

«والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها» في (تفسير القمي): لما كتب عليه السلام إلى معاوية «لا تقتل الناس، ولكن هلمّ إلى المبارزة»، وقال لمعاوية جلساؤه: قد أنصفك، قال: بل ما أنصفني، لأُرمينه بمائة ألف سيف من أهل الشام قبل ان يصل إلي، ما أنا من رجاله ولقد سمعت النبيّ يقول له: لو بارزك أهل المشرق والمغرب لقتلتهم أجمعين[2].

وفي كتب (غريب الحديث): كانت ضربات عليّ عليه السلام أبكاراً[3] ـ أي: يموتون من ضربته الأُولى ـ وفي (عيون القتيبي): كانت درع عليّ عليه السلام صدراً لا ظهر لها، فقيل له في ذلك فقال: إذا استمكن عدوي من ظهري فلا يبق.

وفي (إرشاد المفيد): ومن آيات الله تعالى فيه عليه السلام انه مع طول ملاقاته الحروب وملابسته اياها، وكثرة من مني به فيها من شجعان الاعداء وصناديدهم، وتجمعهم عليه، واحتيالهم في الفتك به، وبذل الجهد في ذلك ما

---

(١) رواه ابن طاووس في الطرائف ١: ٢٤٨.

(٢) تفسير القمي ٢: ٢٦٨.

(٣) رواه السروي في مناقبه ٢: ٨٣، وابن الأثير في النهاية ١: ١٤٩، مادة (بكر).

ولى قط عن احد منهم ظهره، ولا انهزم عن أحد منهم، ولا تزحزح عن مكانه، ولاهاب أحداً من أقرانه، وأما سواه عليه السلام فلم يلق أحد منهم خصماً له في حرب الا وثبت له حيناً وانحرف عنه حيناً، وأقدم عليه وقتاً وأحجم عنه زماناً، وإذا كان الأمر على ما وصفناه ثبت له ما ذكرناه من انفراده بالآية الباهرة، والمعجزة الظاهرة، وخرق العادة فيه بما دل الله به على امامته، وكشف به عن فرض طاعته، وأبانه بذلك عن كافة خليقته[1].

وفي (جمله) روى الواقدي عن محمّد بن الحنفية قال: لما نزلنا البصرة وعسكرنا بها دفع أبي إلي اللواء وقال: لا تحدثن شيئاً حتى يحدث فيكم، ثم نام فنالتنا نبل القوم، فأفزعته وهو يمسح عينيه من النوم، وأصحاب الجمل يصيحون يالثارات عثمان، فبرز وليس عليه الا قميص واحد، فقلت: يا ابه في مثل هذا اليوم بقميص واحد. قال: احرز امرءاً أجله والله قاتلت مع النبيّ وأنا حاسر أكثر مما قاتلت وأنا دارع، ودعا بدرعه البتراء -وكان بين كتفيه منها متوهياً- وجاء وفي يده شسع نعل، فقال له ابن عباس: ما تريد بهذا الشسع؟ قال: اربط بها ما قد توهى من هذا الدرع من خلفي. فقال له: أفي مثل هذا اليوم تلبس مثل هذا؟ فقال: لِمَ؟ قال: أخاف عليك. قال: لا تخف ان أوتي من ورائي، والله يا ابن عباس ما وليت في زحف قط[2].

وفي (تاريخ الطبري) عن جون بن قتادة قال: كنت مع الزبير يوم الجمل فجاء فارس فقال: جاء القوم حتى أتوا مكان كذا فسمعوا بما جمع لكم من العدد والعدة فقذف في قلوبهم الرعب فولوا مدبرين. فقال له الزبير: أيهاً عنك الان فو الله لو لم يجد ابن أبي طالب الا العرفج -شجر ينبت

(١) الارشاد: ١٦٢.

(٢) الجمل: ١٨٩.

في السهل ـ لدبَّ إلينا فيه.

وفيه: عن بريدة الأسلمي: لما نزل النبيّ صلى الله عليه وآله بحصن خيبر أعطى اللواء عمر بن الخطاب ونهض معه من الناس من نهض، فانكشف هو وأصحابه، فرجعوا يجبنه أصحابه ويجبنهم، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله لاعطين اللواء غداً رجلا يحب الله رسوله ويحبه الله ورسوله، فلما كان من الغد تطاول لها أبوبكر وعمر، فدعا علياً عليه السلام وهو أرمد، فتفل في عينيه واعطاه اللواء، ونهض معه من نهض، فلقي أهل خيبر، فاذا مرحب يرتجز ويقول:

قد علمتْ خيبر أنـي مَـرْحَب شاكي السلاح بطل مـجرَّب

اطعنُ أحياناً وحينا اضـرب اذا اللـيوث اقـبلت تـلهب

فاختلف هو وعليّ عليه السلام ضربتين، فضربه عليّ على هامته حتى عض السيف منها بأضراسه وسمع أهل العسكر صوت ضربته، فما تتامّ آخر الناس مع عليّ عليه السلام حتى فتح الله له.

وفي اسناد آخر عنه قال: كان النبيّ صلى الله عليه وآله ربما أخذته الشقيقة، فيلبث اليوم واليومين لا يخرج، فلما نزل خيبر أخذته الشقيقة فلم يخرج إلى الناس، وان أبابكر أخذ راية النبيّ صلى الله عليه وآله، ثم نهض فقاتل قتالاً شديداً، ثم رجع، فأخذها عمر، فقاتل أشد من القتال الأوّل، ثم رجع، فأخبر النبيّ بذلك، فقال: أما والله لأعطينها غداً رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يأخذها عنوة وليس ثم عليّ، فتطاولت لها قريش ورجا كل واحد منهم أن يكون صاحب ذلك، فأصبح فجاء عليّ عليه السلام على بعير له حتى أناخ قريباً من خباء النبيّ صلى الله عليه وآله وهو أرمد، وقد عصب عينيه بشقة برد قطري، فقال له النبيّ: ما لك؟ قال: رمدت بعد. فقال له النبيّ: أُدن مني، فدنا منه، فتفل في عينيه، فما وجعهما حتى مضى

لسبيله، ثم أعطاه الراية ـ الخبر[١].

وفي (مقاتل أبي الفرج) بأسانيد عن عدةٍ قالوا: خطب الحسن عليه السلام بعد وفاة أبيه فقال: لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون بعمل، ولا يدركه الآخرون بعمل، ولقد كان يجاهد مع النبيّ صلى الله عليه وآله فيقيه بنفسه، ولقد كان يوجهه برايته فيكتنفه جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، فلا يرجع حتى يفتح الله عليه[٢].

وروي عن الحسن عليه السلام قال: ما قدمت راية قوتل تحتها أمير المؤمنين عليه السلام إلا نكسها الله تعالى وغلب أصحابها وانقلبوا صاغرين، وما ضرب عليه السلام بسيفه ذي الفقار أحداً فنجا، وكان اذا قاتل جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، وملك الموت بين يديه[٣].

وفي (خلفاء ابن قتيبة) عن حية بن جهين قال: نظرت إلى عليّ عليه السلام يوم الجمل وهو يخفق نعاساً، فقلت له: تالله ما رأيت كاليوم قط، وان بأزائنا لمائة ألف سيف، وقد هزمت ميمنتك وميسرتك وأنت تخفق نعاساً ـ إلى أن قال ـ فشق عليّ عليه السلام في عسكر القوم يطعن ويقتل، ثم خرج وهو يقول الماء الماء، فأتاه رجل با داوة فيها عسل وقال له: الماء لا يصلح لك في هذا المقام ولكن أذوقك هذا العسل. فقال: هات، فحسا منه حسوة ثم قال: ان عسلك لطائفي. فقال الرجل له عليه السلام لعجباً منك والله لمعرفتك الطائفي وغيره وقد بلغت القلوب الحناجر. فقال له عليّ عليه السلام: والله يا ابن أخي ما ملأ صدر عمك شيء قط ولا ها به شيء[٤].

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ٣٠٠، سنة ٧.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٣٢.

(٣) رواه الصدوق في اماليه: ٤١٤ ح ٩، مجلس ٧٧.

(٤) الامامة والسياسة ١: ٧٦.

«ولو أمكنت الفرص من رقابها لسارعت إليها» كان عليه السلام كما قال ابن النطاح في أبي دلف العجلي:

ولو أن خلق الله في مسك فارس ... وبارزه كان الخلي من العمر

وفي (مناقب السروي): قال عمر بن سعد يوم الطف لقومه: الويل لكم أتدرون من تبارزون، هذا ابن أنزع البطين، هذا ابن قتّال العرب، فاحملوا عليه من كل جانب(١).

وفي (إرشاد المفيد): وفيما صنعه أمير المؤمنين عليه السلام ببدر قال اسيد بن أبي اياس يحرض مشركي قريش عليه:

في كل مجمع غاية أخزاكم ... جذع ابر على المذاكي القرّح
لله دُرّكم الما تنكروا ... قد ينكر الحر الكريم ويستحي
هذا ابن فاطمة الّذي أفناكم ... ذبحاً وقتلا قعصة لم يذبح

وفي فعاله يوم أحد يقول الحجاج بن علاط السلمي:

لله أي مذبب عن حزبه ... اعني ابن فاطم المعم المحولا
جادتْ يداك لهُ بعاجلِ طعنةٍ ... تركت طليحة للجبين مجدّلا
وشددت شدة باسل فكشفتهم ... بالسفح اذ يهوون اسفل اسفلا
وعللت سيفك بالدماء ولم يكن ... لترده حران حتى ينهلا(٢)

وفي (تاريخ الطبري) ـ في أُحد بعد هزيمة الناس ـ قال أبو رافع: أبصر النبيّ صلى الله عليه وآله جماعة من مشركي قريش، فقال لعليّ: احمل عليهم، فحمل عليهم، ففرق جمعهم وقتل عمرو بن عبدالله الجمحي، ثم ابصر جماعة من مشركي قريش، فقال لعليّ: احمل عليهم، فحمل عليهم ففرق جماعتهم، وقتل شيبة بن

---

(١) مناقب السروي ٤: ١١٠.

(٢) الارشاد: ٤٢ و٤٩.

مالك أحد بني عامر ابن لؤي، فقال جبرئيل للنبي: ان هذه للمواساة. فقال النبي صلى الله عليه وآله: انه مني وأنا منه. فقال جبرئيل: وانا منكما ـ فسمعوا صوتاً: لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتىً إلّا عليّ[١].

وفي (صفين نصر): اجتمع ليلة عند معاوية، أخوه عتبة، والوليد بن عقبة، ومروان بن الحكم، وعبدالله بن عامر، وابن طلحة الطلحات، فقال عتبة: ان أمرنا وأمر عليّ لعجب، ليس منّا إلّا موتور اما أنا فقتل جدي، واشرك في دم عمومتي يوم بدر، وأما أنت يا وليد فقتل أباك، وأيتم أُخوتك، وأما أنت يا مروان فكما قال الأوّل:

وافلتهن علباء جريضاً ... ولو ادركنه صفر الوطاب

فقال لهم معاوية: فهذا الاقرار فأين الغير؟ فقال له مروان: أي غير تريد. قال: اريد أن تشجروه بالرماح. فقال له: والله انك لهازل، ولقد ثقلنا عليك، فقال الوليد بن عقبة في ذلك:

يقول لنا معاويةُ بن حربٍ ... أما فيكُم لواتركم طلوب
يشد على أبي حسن عليّ ... بأسمر لا تهجنه الكعوب
فيهتك مجمع اللبات منه ... ونقع القوم مطرد يثوب
فقلت لهُ أتلعب يا ابنَ هند ... كأنك وسطنا رجل غريب
اتأمرنا بحية بطن واد ... اذا نهشت فليس لها طبيب
وما ضبع يدب ببطن وادٍ ... أتيح لهُ به أسد مهيب
بأضعف حيلة منا إذا ما ... لقيناه وذا منّا عجيب[٢]

وروى أبو عبيدة ـ ونقله ابن أبي الحديد في موضع آخر ـ ان علياً عليه السلام

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ١٩٧، سنة ٣.

(٢) وقعة صفين: ٤١٧.

استنطق الخوارج لقتل عبدالله بن خباب، فأقروا به، فقال: انفردوا كتائب لأسمع قولكم كتيبة كتيبة، فتكتبوا كتائب، وأقرت كل كتيبة بمثل ما أقرت به الأُخرى من قتل ابن خباب، وقالوا: ولنقتلنك كما قتلناه. فقال عليه السلام: والله لو أقر أهل الدنيا كلهم بقتله هكذا، وأنا اقدر على قتلهم به لقتلتهم. ثم التفت إلى أصحابه وقال: شدوا عليهم، فأنا أول من يشد عليهم، وحمل بذي الفقار حملة منكرة ثلاث مرات، كل حملة يضرب به حتى يعرج متنه، ثم يخرج فيسويه بركبتيه، ثم يحمل به حتى أفناهم[1].

وروى (أمالي الشيخ) مسنداً عن المغيرة بن الحارث: ان الناس فروا جميعاً يوم حنين عن النبيّ صلى الله عليه وآله الا سبعة من بني عبدالمطلب أبو سفيان وربيعة ونوفل بنو الحرث بن عبدالمطلب والعباس وابنه الفضل وأمير المؤمنين عليه السلام واخوه عقيل، والنبيّ على بغلته الدلدل وهو يقول:

أنــا النــبيّ لا كــذب ... أنا ابـن عـبدالمـطلب

إلى أن قال: قال العباس لابنه: ما تلك البرقة. قال: سيف عليّ يزيل به بين الاقران. فقال: بر ابن برّ فداه عم وخال. قال: فضرب عليّ عليه السلام يومئذ أربعين مبارزاً كلهم يقدّه حتى أنفه وذكره. قال: وكانت ضرباته مبتكرة[2].

وروى (صفين نصر بن مزاحم) عن ابن نمير الأنصاري أو أبيه قال: والله لكأني اسمع علياً عليه السلام حين سار أهل الشام ـ ذلك بعد ما طحنت رحا مذحج فيما بيننا وبين عك ولخم وجذام والاشعريين بأمر عظيم تشيب منه النواصي من حين استقبلت الشمس ـ ثم ان علياً قال: حتى متى نخلي بين هذين الحيين قد فنيا، وأنتم وقوف تنظرون إليهم، أما تخافون مقت الله. ثم

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٨٢.

(٢) أمالي أبي جعفر الطوسي ٢: ١٨٧، المجلس ٥.

توجّه إلى القبلة ورفع يديه ثم نادى: «يا الله يا رحمن يا واحد يا صمد يا إله محمّد، اللهم اليك نقلت الاقدام، وأفضت القلوب، ورفعت الأيدي، وامتدت الأعناق، وشخصت الأبصار، وطلبت الحوائج. إنّا نشكو إليك غيبة نبينا، وكثرة عدونا، وتشتت أهوائنا، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين» سيروا على بركة الله. ثم نادى لا إله إلّا الله والله أكبر.

قال الأنصاري: لا والله الّذي بعث محمّداً بالحق نبياً ما سمعنا برئيس منذ خلق الله السماوات والأرض أصاب بيده في يوم واحد ما أصاب، انه قتل في ما ذكر العادّون زيادة على خمسمائة من أعلام العرب يخرج بسيفه منحنياً، فيقول: معذرة إلى الله تعالى وإليكم من هذا، لقد هممت أن أفلقه ولكن حجزني أني سمعت النبيّ يقول كثيراً: «لا سيف الا ذوالفقار، ولا فتى الا عليّ» وانا أقاتل به دونه.

قال: فكنا نأخذ السيف من يده فنقّومه، ثم يتناوله من أيدينا فيتقحم به في عرض الصف، فلا والله ما ليث بأشد نكاية في عدوه منه ـ رحمة الله عليه رحمة واسعة[1].

وعن زيد بن وهب قال: مر عليعليه السلام يومئذ ومعه بنوه نحو الميسرة، واني لأرى النبل يمر بين عاتقه ومنكبيه، وما من بنيه أحد إلّا يقيه بنفسه، فيكره عليّ عليه السلام ذلك ويأخذ بيده فيلقيه بين يديه أو من ورائه، فبصر به أحمر مولى بني أُمية، فقال: عليّ ورب الكعبة قتلني الله ان لم أقتلك أو تقتلني. وأقبل نحوه عليه السلام، فخرج إليه كيسان مولى عليّ فاختلفا ضربتين، فقتله مولى بني أمية وخالط علياً ليضربه بالسيف، فانتهزه عليّ عليه السلام، فوضع يده في جيب درعه، فجذبه، ثم حمله على عاتقه، وكأني انظر إلى رجليه يختلفان على عنق

---

(١) وقعة صفين: ٤٧٧.

عليّ عليه السلام، ثم ضرب به الأرض، فكسر منكبه وعضده، فكأني أنظر إلى عليّ عليه السلام قائماً وشبلاه يضربان الرجل حتى اذا قتلاه[١].

وفيه ـ بعد ذكر طلبه عليه السلام لمعاوية إلى المبارزة واباء معاوية ـ فبرز عروة بن داود الدمشقي وقال: ان كان معاوية كره مبارزتك يا أبا الحسن فهلم إليّ، فتقدم عليه السلام إليه، فقال له أصحابه: ذَرْ هذا الكلب، فإنّه ليس لك بخطر. فقال: والله ما معاوية اليوم بأغيظ لي منه دعوني وإيّاه، ثم حمل عليه، فضربه، فقطعه قطعتين سقطت إحدهما يمنة والأُخرى يسرة، فارتج العسكران لهول الضربة. ثم قال عليه السلام: يا عروة، اذهب فأخبر قومك، أما والّذي بعث محمّداً بالحق لقد عاينت النار وأصبحت من النادمين[٢].

وفيه: قال الشعبي: ذكر معاوية بعد عام الجماعة يوم صفين، فقال عبدالرحمن ابن خالد بن الوليد: أما والله لقد رأيت يوماً من الايام وقد غشينا ثعبان مثل الطود الأرعن قد أثار قسطلا حال بيننا وبين الافق، وهو على أدهم سائل يضربهم بسيفه ضرب غرائب الابل كاشراً عن أنيابه كشر المخدر الحرب. فقال معاوية: والله انه يجالد ويقاتل عن ترة له[٣].

وفي (بلدان الحموي): قال الدار قطني: كان الجوزجاني من الحفاظ المصنفين، لكن كان فيه انحراف عن عليّ عليه السلام. قال ابن عديس: كنا عنده، فالتمس من يذبح له دجاجة، فتعذر عليه، فقال: يتعذر عَليّ ذبح دجاجة وعليّ قتل سبعين ألفاً في وقت واحد[٤].

وفي (تاريخ الطبري): قال الزبير بن الحرث، قلت لأبي لبيد لم تسب عليّاً،

---

(١) وقعة صفين: ٢٤٩.

(٢) وقعة صفين: ٤٥٨.

(٣) وقعة صفين: ٣٨٧.

(٤) معجم البلدان ٣: ١٨٣.

قال: لأنه قتل منا يوم الجمل ألفين وخمسمائة والشمس هاهنا.

وقال ابن أبي يعقوب: قتل عليّ عليه السلام يوم الجمل ألفين وخمسمائة ألف، ثلاثمائة وخمسون من الازد، وثمانمائة من بني ضبة، وثلاثمائة وخمسون من سائر الناس[1].

«وسأجهد» أي: سأسعى «في أن أطهر الأرض» فالأرض تنجس بالأشخاص الرجسة كما بالأعمال الرجسة، وفي (الكافي) عن أبي الحسن عليه السلام: حق على الله ألا يُعصى في دار الا أضحاها للشمس حتى تطهرها[2].

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله: ساعة من امام عدل أفضل من عبادة سبعين سنة، وحدّ يقام لله في الأرض أفضل من مطر أربعين صباحاً.

وعن أبي جعفر عليه السلام: حد يقام في الأرض أزكى فيها من مطر أربعين ليلة وأيامها[3].

«من هذا الشخص المعكوس» قال ابن دريد في (جمهرته): عكست البعير عكساً اذا عقلت يديه بحبل، ثم رددت الحبل من تحت بطنه فشددته بحقوه، والبعير معكوس.

وقال الجوهري: العكس أن تشد حبلاً في خطم البعير إلى رسغ يديه ليذل واسم ذاك الحبل العكاس، والعكس درك آخر الشيء إلى أوله، ومنه عكس البلية عند القبر، لانها كانوا يربطونها معكوسة الرأس إلى ما يلي كلكلها وبطنها، ويقال إلى مؤخرها مما يلي ظهرها، ويتركونها

(١) تاريخ الطبري ٣: ٥٤٧، سنة ٣٦.

(٢) الكافي ٢: ٢٧٢ ح ١٨.

(٣) الكافي ٧: ١٧٤ و١٧٤ ح ١ و٨.

على تلك الحال حتى تموت.

«والجسم المركوس» في (الأساس): أركسه وركسه: قلبه على رأسه. وهو منكوس مركوس، وهذا ركس رجس، وأركسه في الشّر ردّه فيه ﴿كلَّما رُدّوا إلى الفتنةِ أركِسوا فيها﴾ (١).

في (صفين نصر) عن صعصعة: برز من أهل الشام رجل من ذي يزن اسمه كريب بن الصباح، ليس في أهل الشام يومئذ اشهر شدة بالبأس منه، فنادى: من يبارز، فبرز إليه المرتفع بن وضاح الزبيدي فقتله كريب، ثم نادى من يبارز فبرز إليه الحارث بن حلاج فقتله كريب، ثم نادى من يبارز، فبرز إليه عائذ بن مسروق الهمداني فقتله كريب، ثم رَمىٰ بأجسادهم بعضهم فوق بعض، ثم قام عليها بغياً واعتداءً، ثم نادى هل بقي مبارز، فبدر إليه عليّ ﷺ وقال له: ويحك لا يدخلنك ابن آكلة الاكباد النارواني أدعوك إلى كتاب الله وسنّة نبيه. فقال كريب: ما أكثر ما سمعنا هذه المقالة منك، لا حاجة لنا فيها، أقدم إذا شئت. فقال ﷺ: لا حول ولا قوة الا بالله، ثم مشي إليه فلم يمهله أن ضربه ضربة خر منها يتشحط في دمه، ثم نادى ﷺ من يبارز، فبرز إليه الحارث ابن وداعة الحميري فقتله، ثم نادى من يبارز، فبرز إليه المطاع بن المطلب فقتله، ثم نادى من يبارز، فلم يبرز إليه أحد، ثم نادى ﷺ: يا معشر المسلمين ﴿الشهرُ الحرامُ بالشَّهرِ الحرامِ والحُرُمات قصاصٌ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا انَّ الله مع المتقين﴾ (٢)، ثم قال: ويحك يا معاوية هلم إليّ فبارزني ولا تقتلن الناس بيننا. فقال عمرو: اغتنمه منتهزاً، قد قتل عليّ ثلاثة من أبطال العرب واني أطمع أن

---

(١) أساس البلاغة: ١٧٦، مادة (ركس)، والآية ٩١ من سورة النساء.

(٢) البقرة: ١٩٤ .

تظفر به. فقال له معاوية: ان تريد إلّا أن أُقتَل فتصيب الخلافة، اذهب إليك فليس يُخدع مثلي[١].

وروى أيضاً: أن علياً عليه السلام ركب فرسه الّذي كان للنبيّ وكان يقال له المرتجز، ثم تعصب بعمامة النبيّ السوداء، ثم نادى «أيها الناس من يشري نفسه لله يربح، هذا يوم له ما بعده، ان عدوكم قد قرح كما قرحتم» فانتدب له من بين العشرة آلاف إلى اثني عشر ألفاً وضعوا سيوفهم على عواتقهم، وتقدمهم عليّ وهو يقول:

دُبُّوا دبيبَ النملِ لا تفوتوا ... وأَصبحوا بحربِكُم وبيتوا

حتى تنالوا الثار أو تموتوا ... أو لا فاني طالما عصيت

قد قلتم لو جئتنا فجئت ... ليسَ لكمْ ما شئتمُ وشئت

وحمل الناس حملة واحدة، فلم يبق لاهل الشام صف الا انتقض، واهمدوا ما أتوا عليه حتى أفضى الأمر إلى مضرب معاوية وعليّ عليه السلام يضربهم بسيفه وهو يقول:

اضــــرِبُهم ولا أرى مُــعاوية ... الأخزر العين العظيم الحاويه

هوت به في النار ام هاويه

فدعا معاوية بفرسه لينجو عليه، فلما وضع رجله في الركاب تمثل بأبيات عمرو بن الاطنابة:

أبت لي عفتي وأبى بلائي ... وأخذي الحمد بالثمن الربيح

فثنى رجله عن الركاب ـ الخ. وذكر فزعه إلى عمرو في تدبير وتدبيره له رفع المصاحف[٢].

---

(١) وقعة صفين: ٣١٥.

(٢) وقعة صفين: ٤٠٣.

«حتى تخرج المدرة» الحجر الصغير «من بين حبِّ الحصيد» شبه عليه السلام معاوية بحجر ومدر يكون في الحنطة والشعير فينقيان من المدره إذا أريد طحنهما للطعام.

هذا، وجهد عليه السلام أن يطهر الأرض من ذاك الرجس النجس القذر الكدر، لكن تخلية الناس له عليه السلام يوم السقيفة ويوم الشورى وتقديمهم للاول المستلزم لحكومة الثاني وللثالث عليه، ثم عدم جدهم معه عليه السلام في مجاهداته مع معاوية، وقيام الناكثين والقاسطين والمارقين في قباله، وترك كثير من الناس له، ولحوقهم لمعاوية أوجبت في حكمة الله تعالى تسليط معاوية عليهم، ثم باقي بني أُمية ﴿وكذلك نُوَلِّي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون﴾[1].

وروى محمّد بن يعقوب في (نوادر نذر كافيه) عن عدي بن حاتم ان أمير المؤمنين عليه السلام قال في يوم التقى هو ومعاوية بصفين، ورفع صوته ليسمع أصحابه: والله لأقتلن معاوية وأصحابه، ثم يقول في آخر قوله «ان شاء الله» ـ يخفض بها صوته ـ قال عدي: وكنت قريباً منه عليه السلام فقلت: يا أمير المؤمنين انك حلفت على ما فعلت ثم استثنيت، فما أردت بذلك. فقال لي: ان الحرب خدعة، وأنا عند المؤمنين غير كذوب، فأردت ان أحرض أصحابي عليهم كيلا يفشلوا وكي يطمعوا فيهم، فأفقههم ينتفع بها بعد اليوم إن شاء الله، واعلم ان الله جلَّ ثناؤه قال لموسى عليه السلام حيث أرسله إلى فرعون ﴿فقولا له قولاً ليناً لعلَّهُ يتذكَّر أو يخشى﴾[2] وقد علم الله انه لا يتذكر ولا يخشى،

---

(١) الانعام: ١٢٩.

(٢) طه: ٤٤.

وليكون ذلك أحرص لموسى عليه السلام على الذهاب[١].

٢
الحكمة (٣١٨)

وقِيلَ لَهُ عليهِ السَّلامُ: بأيِّ شَيءٍ غَلَبْتَ الأقْرَانَ؟ فقالَ:
ما لَقِيتُ رَجُلاً إلّا أعانَنِي على نَفْسِهِ.
قالَ الرَّضيُّ: يُومِئُ بِذَلِكَ إلَى تَمَكُّنِ هَيْبَتِهِ في الْقُلُوبِ.

أقول: هكذا في (المصرية) و«رجلاً» محرف «أحداً» بشهادة (ابن أبي الحديد والخطية)، وليس في الثاني «قال الرضي» ولا «بذلك»، وفي نسختي من ابن ميثم هنا سقط[٢].

وكيف كان ففي (إرشاد المفيد): لما انهزم الأحزاب وولوا عن المسلمين الدبر النبيّ صلى الله عليه وآله على قصد بني قريظة، وانفذ إليهم أمير المؤمنين عليه السلام في ثلاثين من الخزرج وقال له: أُنظر بني قريظه هل نزلوا حصونهم، فلما شارف سورهم سمع منهم الهجر، فرجع إلى النبيّ فأخبره، فقال: دعهم فان الله سيمكّن منهم، ان الّذي أمكنك من عمرو بن عبد ود لا يخذلك، فقف حتى يجتمع الناس إليك، وبشر بنصر من عند الله، فإن الله تعالى قد نصرني بالرعب من بين يدي مسيرة شهر. قال عليه السلام: فاجتمع الناس إليّ وسرت حتى دنوت من سورهم، فأشرفوا عليّ، فلما رأوني صاح صائح منهم قد جاءكم قاتل عمرو، وقال آخر اقبل إليكم قاتل عمرو، وجعل بعضهم يصيح ببعض ويقولون ذلك، وألقى الله في قلوبهم الرعب وسمعت راجزاً يرتجز:

قتل عليٌّ عمراً ... صاد عليٌّ صقراً

---

(١) الكافي ٧: ٤٦٠ ح ١.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٢٢٦، ويوجد في شرح ابن ميثم ٥: ٤٠١، جميع ذلك.

قـصم عـليٌّ ظـهراً أبـرم عـليٌّ أمـراً

هتك على ستراً

فقلت: الحمد لله الّذي أظهر الاسلام وقمع الشرك(١).

وفيه ـ بعد ذكر فتح مكة ـ بلغ أمير المؤمنين عليه السلام ان أُخته أُمّ هاني آوت أناساً من بني مخزوم منهم الحرث بن هشام وقيس بن السائب، فقصد عليه السلام نحو دارها مقنّعاً بالحديد، فنادى: اخرجوا من آويتم، فجعلوا يـذرقون كـما يذرق الحباري خوفاً منه، فخرجت إليه أم هاني ـ وهي لا تعرفه ـ فـقالت: يـا عبدالله، أنا أُم هاني ابنة عم النبيّ صلى الله عليه وآله وأُخت عليّ بن أبي طالب، انصرف عن داري. فقال عليه السلام لها: أخرجوهم. فقالت: والله لأشكونّك إلى النبيّ، فنزع المغفر عن رأسه، فعرفته، فجاءت تشتد حتى التزمته وقالت: فديتك حلفت لأشكونك إلى النبيّ. فقال لها: اذهبي فأبري قسمك(٢).

وقال الوليد بن عقبة ردأ على معاوية لما قـال له ولمروان وعـتبة: لا تستطيعون ان تشجروا علياً بالرماح لأنه ما قابله أحد الا هلك الا عمرو بـن العاص لخصيتيه فقال:

دعـا للقاه فـي الهـيجاء لاق فاخطأ نفسه الاجل القـريب

سوى عمرو وقته خـصيتاه نـجا ولقـلبهِ مـنها وجـيب

كأن القـوم لمـا عـاينوه خلال النقع ليس لهم قـلوب

فلما سمع ذلك عمرو بن العاص غضب وقال ـ كما في (صفين نصر) ـ ان كان الوليد صادقاً فليقف حيث يسمع صوت عليّ، وقال:

يـذكّرني الوليـد دعـا عـليّ وبطنُ المرء يـملؤه الوعـيدُ

(١) الارشاد: ٥٧.

(٢) الارشاد: ٧٢.

متى يذكر مشاهدة قريش يطر مِنْ خوفه القلب الشديدُ

كما أن عمراً قال في رد معاوية لما شمت بكشفه وكان عليه السلام دعا معاوية إلى البراز فأبى:

معاوى ان ابصرت في الخيل ابا
حسن يهوى دهتك الوساوس

وايقنت ان الموتَ حقٌ وانه
لنفسِكَ ان لم تمض في الركض حابس

فانك لو لاقيته كنت بومةً
اتيح لها صقرٌ من الجور آنس

دعاك فصمت دونه الاذن هارباً
فنفسك قد ضاقت عليها الامالِسُ

وايقنت ان الموت أقربُ موعدٍ
وان الّتي ناداك فيا الدهارس

أبى الله إلّا انه ليث غابة
أبو اشبل تهدي إليه الفرائس[1]

وفي (إرشاد المفيد): ومن آيات الله تعالى فيه عليه السلام: انه لم يعهد لأحد من مبارزة الأقران، ومنازلة الأبطال ما عرف له عليه السلام من كثرة ذلك على مر الزمان، ثم انه لم يوجد في ممارسي الحروب الا من عرته بشر ونيل منه بجراح أو شين الا أمير المؤمنين عليه السلام، فانه لم ينله مع طول زمان حربه جراح من عدو ولاشين، ولا وصل إليه أحد منهم بسوء حتى كان من امره مع ابن ملجم على اغتياله اياه ما كان، وهذه اعجوبة افرده الله بالآية فيها.

---

(١) وقعة صفين: ٤١٨.

ومن آيات الله تعالى فيه عليه السلام انه لا يذكر ممارس للحروب لقي فيها عدواً الا وهو ظافر به حيناً وغير ظافر به حيناً، ولا نال أحد منهم خصمه بجراح الا وقضى منها وقتاً وعوفي منها زماناً، ولم يعهد من لم يفلت منه قرن في حرب ولا نجا من ضربته أحد فصلح منها سواه، فانه لا مرية في ظفره بكل قرن بارزه، واهلاكه كل بطل نازله ـ الخ[1].

قلت: وأما نجاة عمرو بن العاص وبسر بن ارطأة منه عليه السلام فانما لكشفهما عورتهما، فتركهما تكرماً.

وفي (أدب كتاب الصولي): القط أكثر ما يستعمل فيما وقع السيف في عرضه، والقد لما وقع في طوله، ومنه قولهم كان عليّ بن أبي طالب إذا علا بسيفه شيئاً قدّه، وإذا اعترضه قطّه.

وفي (نهاية ابن الأثير): في الحديث «كانت ضربات عليّ بن أبي طالب مبتكرات لا عوناً» أي: ان ضربته كانت بكراً يقتل بواحدة منها، ولا يحتاج أن يعيد الضربة ثانياً[2].

وفي (مناقب السروي): كان النبيّ صلى الله عليه وآله إذا خرج من بيته تَبعه «أحداثُ المشركين يرمونه بالحجارة حتى أدْمَوا كعبه وعرقوبه، وكان عليّ عليه السلام يحمل عليهم فينهزمون، فنزل ﴿كأنّهم حُمرٌ مستنفرةٌ * فرَّت من قَسورة﴾ [3].

وقيل لخلف الأحمر: ايما أشجع عنبسة وبسطام أم عليّ عليه السلام؟ فقال: انما يذكر عنبسة وبسطام مع الناس والبشر، لا من يرتفع عن هذه الطبقة.

(١) الارشاد: ١٦٢.

(٢) النهاية ١: ١٤٩، مادة (بكر).

(٣) مناقب السروي ٢: ٦٨. والآيتان ٥٠ و٥١ من سورة المدثر.

فقيل له: فعلى كل حال. قال: والله لو صاح في وجوههما لماتا قبل أن يحمل عليهما[١].

وفي (فصول المرتضى): قد جاء الأثر من طرق شتى بأسانيد مختلفة عن زيد بن وهب قال: سمعت علياً عليه السلام يقول ـ وقد ذكر حديث بدر ـ وقتلنا من المشركين سبعين وأسرنا سبعين، وكان الّذي أسر العباس رجل قصير من الأنصار، فأدركته، فالقى العباس عليّ عمامته لئلا يأخذها الأنصاري، وأحب أن أكون أنا الّذي اسرته، وجئت به إلى النبيّ، فقال الأنصاري له صلى الله عليه وآله: جئتك بعمّك العباس أسيراً. فقال العباس: كذبت ما أسرني إلا ابن أخي، ولكأني بحلجته وحسن وجهه، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: ان الملائكة الّذين أيدني الله تعالى بهم على صورة عليّ ليكون ذلك أهيب لهم في صدور الأعداء.

وجاء عن أبي جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام في حديث بدر: لقد كان يسأل الجريح من المشركين فيقال له: من جرحك؟ فيقول: عليّ بن أبي طالب فاذا قالها مات[٢].

هذا والنبيّ صلى الله عليه وآله أيضاً ممن نصر بالرعب، فقد عرفت من خبر الارشاد أنه قال: نصرني ربيّ بالرعب من بين يدي مسيرة شهر. وكيف لا وقد قال تعالى: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾[٣].

وفي (تاريخ الطبري): كان أبي بن خلف يلقى النبيّ صلى الله عليه وآله بمكة فيقول: يا محمّد ان عندي العود أعلفه كل يوم فرقاً من ذرة أقتلك عليها. فيقول النبيّ صلى الله عليه وآله: بل أنا اقتلك ان شاء الله. فلما اسند النبيّ يوم أُحد في الشعب، أدركه

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٤٦.

(٢) الفصول المختارة ٢: ٢٣٨ و٢٣٩.

(٣) المنافقون: ٨.

أبي وهو يقول: اين محمّد لا نجوت ان نجوت. فقال القوم للنبيّ: أيعطف عليه رجل منا. قال: دعوه، فلما دنا تناول النبي صلى الله عليه وآله الحربة من الحارث ابن الصمة فطعنه في عنقه، فلما رجع أُبي إلى قريش، وقد خدشه في عنقه خدشاً غير كبير، فاحتقن الدم قال: قتلني والله محمّد. قالوا: ذهب والله فؤادك والله ان بك بأس. قال: إن محمّداً قال لي بمكة أنا اقتلك، فوالله لو بصق عليّ لقتلني، فمات بسرف في قفولهم إلى مكة[١].

ومثل النبيّ صلى الله عليه وآله القائم عليه السلام، روى النعماني عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿أتى أمرُ اللهِ فلا تستعجِلُوه﴾[٢] هو أمرنا امر الله تعالى الا نستعجل به، يؤيده بثلاثة أجناد بالملائكة وبالمؤمنين وبالرعب، وخروجه كخروج النبيّ صلى الله عليه وآله، وذلك قوله تعالى: ﴿كما أخرجَكَ ربُّك من بيتك بالحقِّ وإنَّ فريقاً من المؤمنين لكارهون﴾[٣].

بل كانوا عليهم السلام كلهم كذلك، فمسلم بن عقبة الّذي كان صاحب وقعة الحرة بالمدينة، وبايع الناس على انهم عبيد ليزيد ومن أبى امره على السيف، وعامل مشائخ بني أُميّة بما هو مذكور في السِيَر، أرتعب من عليّ بن الحسين عليه السلام، ففي مروج المسعودي: نظر الناس إلى عليّ بن الحسين وقد لاذ بالقبر وهو يدعو، فأتى به إلى مسرف وهو مغتاظ عليه، فتبرأ منه ومن آبائه، فلما رآه وقد أشرف عليه ارتعد وقام له وأقعده إلى جانبه وقال له: سلني حوائجك، فلم يسأله في أحد ممن قدم إلى السيف الا شفعه فيه، ثم انصرف عنه.

(١) تاريخ الطبري ٢: ٢٠٠، سنة ٣.

(٢) النحل: ١.

(٣) غيبة النعماني: ١٣٢. والآية ٥ من سورة الأنفال.

إلى أن قال: وقيل لمسلم: رأيناك تسب هذا الغلام وسلفه، فلما أتى به رفع منزلته، فقال: ما كان ذلك لرأي مني، لقد مُلئَ قلبي منه رعباً[1].

ولمهابته عليه السلام كان الناس يتنكبون له إذا دخل المطاف، مع ان في ذاك المقام السلطان والسوقة سواء، ويشهد له قصته عليه السلام مع هشام، فقال الفرزدق فيه أبياتاً منها:

يغضي حياءً ويغضى من مهابته ... فلا يكلَّم إلّا حين يبتسم

هذا، ومن قصص الرعب ما في (تاريخ الطبري) عن شبيب الخارجي قال لأصحابه: قتلت أمس رجلين أحدهما أشجع الناس والآخر أجبن الناس، خرجت عشية أمس طليعة لكم، فلقيت منهم ثلاثة نفر دخلوا قرية يشترون منها حوائجهم، فاشترى أحدهم حاجته ثم خرج قبل أصحابه، وخرجت معه، فقال: كأنك لم تشترِ شيئاً. فقلت: ان لي رفقاء قد كفوني ذلك. فقلت له: أين ترى عدونا هذا قد نزل؟ قال: بلغني انه نزل قريباً منا، وايمُ الله لوددت اني قد لقيت شبيبهم هذا. قلت: فتحب ذلك؟ قال: نعم. قلت: فخذ حذرك فأنا والله شبيب، وانتضيت سيفي فخر والله. فقلت له: ارتفع ويحك وذهبت أنظر، فاذا هو قد مات، فانصرفت ـ الخبر[2].

وما في (عيون القتيبي) عن خلف الأحمر قال: كان أبو عروة السباع يصيح بالسبع وقد احتمل الشاة، فيسقط، فيموت، فيشق بطنه، فيوجد فؤاده قد انخلع.

وما في (أغاني الاصبهاني): لقي تأبط شراً ذات يوم رجلا من ثقيف يقال له أبو وهب كان جباناً اهوج وعليه حلة جيدة، فقال لتأبط شراً: بم تغلب

---

(١) مروج الذهب ٣: ٧٠.

(٢) تاريخ الطبري ٥: ١٠١، سنة ٧٧.

الرجل وانت كما أرى دميم ضئيل. قال: باسمي، انما أقول ساعة ألقى الرجل انا تأبط شراً، فينخلع قلبه حتى أنال منه ما أردت. قال: هل لك أن تبيعني اسمك؟ قال: نعم. قال: فبم تبتاعه. قال: بهذه الحلة وبكنيتي. قال له افعل، ففعل وقال له تأبط شراً لك اسمي ولي كنيتك، واخذ حلته وأعطاه طمريه ـ وفي ذلك يقول:

ألا هل أتى الحسناء أنَّ حليلَها ... تأبط شراً واكتنيت ابا وهب

فهبه تسمى اسمي وسُمّيت باسمه ... فأين له صبري على معظم الخطب

وأينَ لَهُ بأس كبأسي وسورتي ... وأين له في كل فادحة قلبي

ولبعضهم في أبي الندي:

ينال مِنَ الأعداء خوف أبي الندي ... وهَيبته ما لا تنال العساكرُ

٣

من الخطبة (١٩٠)

بَعْدَ ذكر أمْر الله تَعَالَى لَه بِقِتَالِ النَّاكِثِينَ والْقَاسِطِينَ والْمَارِقِينَ وَجِهَاده مَعَهُم:

أَنَا وَضَعْتُ فِي الصِّغر بِكَلاَكِلِ ٱلْعَرَبِ، وَكَسَرْتُ نَوَاجِمَ قُرُونِ رَبِيعَةَ وَمُضَر.

«أنا وضعت في الصغر» هكذا في (المصرية)، وكلمة «في الصغر» زائدة لعدم وجودها في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[١] وعدم صحة معناها «بكلاكل» أي: صدور، ونقله ابن ميثم (بكلكل) واشار إلى نقل ابن أبي الحديد (بكلاكل)[٢] «العرب» حتى سمّوه عليه السلام قتّال العرب، ففي (المناقب): قال عمر بن سعد يوم

---

(١) توجد الكلمة في شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٩٧، وشرح ابن ميثم ٤: ٣٠٨.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٩٧، وشرح ابن ميثم ٤: ٣١٢.

الطف لقومه: الويل لكم أتدرون من تبارزون؟ هذا ابن أنزع البطين، هذا ابن قَتّال العرب، فاحملوا عليه من كل جانب[١].

ووصفه بكلاكل العرب كناية عن إذلالها، كبعير تسقطه على الصدر فلا يقدر على التحرك، كما ان قولك «ألقي عليه كلكلاً» كناية عن اضمحلاله له، كبعير يسقط بصدره على انسان، قال الراجز:

لو انها لاقت غُلاماً طائطاً ألقى عليها كلكلا علا بطا

وحينئذ فالباء في «بكلاكل» للتعدية لا زائدة، كما قال ابن أبي الحديد وابن ميثم[٢]، فمعنى «وضعت بالشيء» غير معنى وضعت الشيء.

قال ابن دريد: وربما قالوا الكلكال في الشعر، قال دكين الراجز:

أقول إذ خرّت على الكلكال يا ناقتي ما جلت من مجال

وقال الجوهري: الكلكل ربما جاء في الشعر مشدداً، قال الشاعر:

كأن مهواها على الكلكل موضع كفي راهب يصلي

«وكسرت نواجم» أي: طوالع (القرون) هكذا في (المصرية)، والصواب: «قرون» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٣] (ربيعة ومضر) والمراد بهما هنا القبيلتان اللتان يضرب بهما المثل في الكثرة، والاصل فيهما مضر وربيعة ابنا نزار بن معد بن عدنان، قال الجوهري: يقال لمضر «مضر الحمراء» ولربيعة «ربيعة الفرس» لانهما لما اقتسما الميراث أُعطي مضر الذهب، وأُعطي ربيعة الخيل، ويقال: كان شعار مضر في الحرب العمائم، والرايات الحمر، ولاهل اليمن الصفر، وفسر بعضهم به

(١) مناقب السروي ٤: ١١٠.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٩٧، وشرح ابن مثيم ٤: ٣١٢.

(٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٩٧، لكن في شرح ابن مثيم ٤: ٣١٢، مثل المصرية.

قول أبي تمام في وصف الربيع:

مـــحمرةٌ مـــصفرةٌ فكأنــها عصب تيمن في الوَغا وتـمضر

وفي (معارف ابن قتيبة): وأما مضر وربيعة فاليهما ينسب ولد نـزار، وهم الصريح من ولد إسماعيل عليه السلام.

قال ابن أبي الحديد: فان قلت: أما قهره لمضر فمعلوم، فما حال ربيعة ولم نعرف انه قتل منهم أحداً؟

قلت: بلى قد قتل بيده وبجيشه كثيراً من رؤسائهم في صفين والجمل، فقد تقدم ذكر أسمائهم من قبل[1].

قلت: لا يبعد أن يريد عليه السلام بكسره نواجم قرون ربيعة ومضر في حروبه عليه السلام في غزوات النبيّ صلى الله عليه وآله، فكان حروبه مع ربيعة ومضر دون اليمن، ولأنه عليه السلام ذكر أهل الجمل وصفين كالنهروان قبل هذا الكلام.

وفي خطبه الصديقة عليها السلام في فدك ـ كما رواها أحمد بن أبي طاهر البغدادي ـ فأنقذكم الله برسوله بعد اللّتيّا والّتي، وبعد ما مني ببهم الرجال وذؤبان العرب ومردة أهل الكتاب، كلما حشوا ناراً للحرب اطفأها الله، وكلما نجم قرن للضلال وفغرت فاغرة من المشركين قذف بأخيه في لهواتها، فلا ينكفئ حتى يطأ صماخها بأخمصه ويخمد لهبها بحده، مكدوداً في ذات الله قريباً من رسول الله سيداً في أولياء الله، وأنتم في بلهنية وادعون آمنون ـ الخ.

وأما في صفين فكان أكثر مقتوليه عليه السلام من اليمن اتباع معاوية أهل الشام، فَلِمَ لم يذكرهم كما ان أكثر أتباعه عليه السلام كانوا من ربيعة، كما أن

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٩٨.

بعضهم من مضر، وبعضهم من اليمن، وهم مذحج وهمدان، وقال ـ كما في صفين نصر ـ في ربيعة ومذحج:

جزى الله قوماً صابروا في لقائهم لدى البأس حرت ما أعفّ وأكرما
وأحزم صبراً حين تُدعى إلى الوغا إذا كان اصوات الكماة تغمغما
ربيعة أعني انّهم أهل نجدة وبأسٍ إذا لاقوا خميساً عرمرما
وقد صبرت عك ولخم وحمير لمذحج حتى لم يفارق دم دما
ونادت جذام يال مذحج ويلكم جزى الله شراً أينا كان أظلما[1]

وحتى أن معاوية كان نذر في سبي نساء ربيعة وقتل المقاتلة، فقال خالد بن معمر ـ كما في (صفين نصر) ـ:

تمنى ابن حرب نذرة في نسائنا ودونَ الّذي ينوي سيوف قواضب[2]

وكانت ربيعة تعاقدت ألا ينظر رجل منها خلفه حتى يرد سرادق معاوية، فلما نظر معاوية إليهم قد أقبلوا قال:

إذا قلتُ قد ولّت ربيعة أقبلَتْ كتائبُ منهم كالجبال تجالد

وقال لعمرو: ما ترى؟ قال: أرى إلّا تحنث أخوالي اليوم، فخلى معاوية عن سرادقه لائذاً إلى بعض مضارب العسكر، وبعث إلى خالد بن المعمر ان ظفرت فلك إمرة خراسان ان لم تتم، فطمع خالد في ذلك ولم يتم، فأمّره معاوية حين بايعه على خراسان إلّا أنه مات قبل ان يصل إليها[3].

وفي (صفين نصر): جمع عليّ عليه السلام أهل همدان، فقال: يا معشر همدان، أنتم درعي ورمحي، ما نصرتم الا الله، ولا أجبتم غيره، وفي

---

(١) وقعة صفين: ٢٨٩.

(٢) وقعة صفين: ٢٩٤.

(٣) وقعة صفين: ٣٠٦.

هذا اليوم قال عليّ:

ولو كنتُ بَواباً على بابِ جنّةٍ لقلت لهمدان ادخلي بسلامِ[١]

وفي (موفقيات الزبير بن بكار) عن عمّه مصعب بن عبدالله: كان عليّ بن أبي طالب شديد الروغان من قرنه، لا يكاد أحد يتمكن منه، وكانت درعه صدراً لا ظهر لها، فقيل له: ألا تخاف أن تُؤتى من قبل ظهرك فيقول: إذا أمكنتُ عدوّي من ظهري فلا أبقى الله عليه ان أبقى عليّ.

٤
من الكتاب (٣٦)

في كتابه عليه السلام إلى عَقِيل أخيه:

وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ عَنْهُ مِنْ رَأْيِي فِي الْقِتَالِ فَإِنَّ رأْيِي قِتَالُ الْمُحِلِّينَ حَتَّى أَلْقَى اللهَ، لَا يَزِيدُنِي كَثْرَةُ النَّاسِ حَوْلِي عِزَّةً وَلَا تَفَرُّقُهُمْ عَنِّي وَحْشَةً، وَلَا تَحْسَبَنَّ ابْنَ أَبِيكَ ـ وَلَوْ أَسْلَمَهُ النَّاسُ ـ مُتَضَرِّعاً مُتَخَشِّعاً، وَلَا مُقِرّاً لِلضَّيْمِ وَاهِناً، وَلَا سَلِسَ الزِّمَامِ لِلْقَائِدِ وَلَا وَطِيءَ الظَّهْرِ لِلرَّاكِبِ الْمُتَقعدِ وَلَكِنَّهُ كَمَا قَالَ أَخُو بَنِي سَلِيمٍ:

فَإِنْ تَسْأَلِينِي كَيْفَ أَنْتَ فَإِنَّنِي صَبُورٌ عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ صَلِيبُ

يَعَزُّ عَلَيَّ أَنْ تُرَى بِي كَآبَةٌ فَيَشْمَتَ عَادٍ أَوْ يُسَاءَ حَبِيبُ

«وأما ما سألت عنه من رأيي في القتال فان رأيي قتال المحلّين حتى ألقى الله»

كان عقيل كتب إليه عليه السلام ـ كما في (خلفاء ابن قتيبة) بعد شخوصه من المدينة في الطريق ـ اني خرجت معتمراً، فلقيت عائشة معها طلحة والزبير وذوهما متوجهون إلى البصرة قد أظهروا الخلاف، ونكثوا البيعة، وركبوا عليك قتل عثمان، ومعهم على ذلك كثير من الناس من طغامهم وأوباشهم، ثم

---

(١) وقعة صفين: ٤٣٧.

مرّ عبدالله بن أبي سرح في نحو من أربعين راكباً من أبناء الطلقاء من بني أميّة، فقلت لهم بعد أن عرفت المنكر في وجوههم: أبمعاوية تلحقون عداوة، والله انها منكم ظاهرة غير متنكرة، تريدون بها اطفاء نور الله وتغيير أمره، فأسمعني القوم وأسمعتهم -إلى أن قال بعد ذكر سماعه لما وصل إلى مكة غارة الضحاك بن قيس على الحيرة واليمامة ـ فظننت حين بلغني ذلك أن انصارك خذلوك، فاكتب إليّ يا ابن أُمي برأيك وأمرك، فان كنت الموت تريد تحملت إليك بني أخيك وولد أبيك، فعشنا ما عشت، ومتنا معك إذا مت، فوالله ما أحب أن أبقى بعدك، فوالله الأعز الأجل ان عيشاً أعيشه بعدك في الدنيا لغير هنيء ولا مريء ولا نجيع ـ الخ.

فكتب إليه جوابه وفيه هذا[١]، ومراده عليه السلام بالمحلين الناكثون والقاسطون.

«لا يزيدني كثرة الناس حولي عزة ولا تفرقهم عني وحشة» لما كان عقيل كتب إليه عليه السلام «ظننت أن انصارك خذلوك» قال هذا في جواب كلامه، وكيف لا يكون عليه السلام كذلك وهو أمير المؤمنين وقال تعالى في المؤمنين: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾[٢] وهو عليه السلام سيد المتوكلين وقد قال تعالى: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾[٣].

«ولا تحسبنّ ابن أبيك ولو» هكذا في (المصرية وابن أبي الحديد)، وفي (ابن ميثم) (وان)[٤] «أسلمه» أي: تركه «الناس متضرعاً متخشعاً» قال الدارمي:

(١) الإمامة والسياسة ١: ٥٤.

(٢) المنافقون: ٨.

(٣) الطلاق: ٣.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٤٨، وشرح ابن ميثم ٥: ٧٧.

وَلستُ إذا مـا سرَّني الدهـرُ ضـاحكاً
ولا خاشِعاً ما عشتُ من حادثِ الدهرِ

وقال آخر:

قد عشتُ في الناسِ أطواراً على طرقٍ   شتى وقاسيتُ فيها اللين والفظعا
كـلّا بـلوت فـلا النـعماء تـبطرني   ولا تـخشعت مـن لاوائـها جـزعا
لا يَملأُ الهـولُ صَـدري قـبل مـوقعه   ولا أضـيقُ بـه ذرعاً إذا وقـعا

«ولا مقراً للضيم» أي: الذلة «واهناً» أي: ضعيفاً.

وفي (تاريخ الطبري): ان قيس بن الأشعث قال للحسين عليه السلام يوم الطف: أو لا تنزل على حكم بني عمك، فانهم لن يروك الا ما تحب. فقال عليه السلام: لا والله لا أعطيهم بيدي اعطاء الذليل، ولا أُقرّ لَهم إقرار العبيد[1].

«ولا سلس الزمام للقائد» كبعير يقوده بزمامه الانسان حيث شاء «ولا وطيء» أي: لين «الظهر للراكب المتقعد» هكذا في (المصرية) والصواب: «المقتعد» من باب الافتعال كما يشهد له (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[2] وعدم كونه وطيء الظهر كقعود الراعي، قال أبوعبيدة: القعود من البعير الّذي يقتعده الراعي في كل حاجة وبتصغيره جاء المثل «اتخذوه قعيد الحاجات» إذا امتهنوا الرجل في حوائجهم[3] (ولكنه كما قال أخو بني سليم:

فان تسأليني كيفَ أنت فانني   صبورٌ على ريب الزمان صَليبُ
يعزّ عليّ ان ترى بي كآبة   فيشمت عاد أو يساء حبيب)

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٢٣، سنة ٦١.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٤٨، وشرح ابن ميثم ٤: ٧٧.

(٣) نقله عنه لسان العرب ٣: ٣٥٩، مادة (قعد).

قال ابن أبي الحديد: الشعر ينسب إلى العباس بن مرداس السلمي ولم أجده في ديوانه[١].

قلت: بل الظاهر أن البيتين لصخر بن عمرو السلمي، قال في الأغاني كان صخر طعن في جنبه في حرب، فمرض قريباً من حول وقد نتأت في موضع الطعنة قطعة مثل الكبد، فأحمسوا له شفرة، ثم قطعوها لعله يبرأ، فسمع أن اختها تقول: كيف كان صبره. فقال:

أجارتنا ان الخطوب تنوبُ ... على الناس كل المخطئين يُصيبُ

فان تسأليني هل صبرت فانني ... صبور على ريب الزمان صليب

كأني ـ وقد أدنوا إلي شفارهم ـ ... من الصبر دامي الصفحتين ركوب

أجارتنا لست الغداة بظاعنٍ ... ولكنْ مقيم ما أقامَ عسيبُ

فمات، فقُبِر قريباً من عسيب ـ جبل بأرض بني سليم.

فترى البيت الثاني عين البيت الأوّل مع اختلاف يسير في اللفظ، وتركه البيت الثاني لاختلاف الرواة في النقل، وأظن ان بيته الأوّل وبيته الأخير ممّا خلط، وانهما لامرئ القيس خلطاً ببيتي هذا لكونهما على روي واحد، ويشهد للخلط أنه قال: ان اخته قالت كيف صبره وقال هو في البيتين «أجارتنا» والجارة تقال للغريبة.

وعلى ما استظهرناه يكون الخطاب في قوله «فان تسأليني» لاخته خنساء، كما ان الظاهر أن المراد بعاد في قوله «فيشمت عاد» مثل امرأته، وبحبيب في قوله «أو يساء حبيب» مثل أمه، ففي (شعراء ابن قتيبة): طال مرض صخر من جرحه، فكان قومه إذا سألوا امرأته عنه قالت: لا هو حي فيرجى، ولا ميت فينسى، وصخر يسمع كلامها، فيشق ذلك عليه، وإذا سألوا

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٥٢.

أمه قالت: اصبح صالحاً بنعمة الله، ففي ذلك يقول:

أرى أم صخرٍ ما تملُّ عيادتي ... وملَّت سُليمى مَضجعي ومكاني

وما كنت أخشى أن أكون جنازة ... عليك ومن يغتر بالحدثانِ

واي امرئٍ ساوى بأم، حليلة ... فلا عاش الا في شقا وهوانِ

لَعمري لقد نبّهت من كان راقداً ... وأسمعت من كانت له إذ نانِ

وكيف كان فنسب إليه عليه السلام من الشعر قريباً من هذا المعنى:

ولي فرس للخير بالخير ملجم ... ولي فرس للشرِّ بالشر ملجم

فمن رامَ تقويمي فاني مقوّم ... ومن رامَ تعويجي فإنّي معوّج[1]

هذا، وفي معنى البيت الأوّل قول ابن الجراح الوزير:

ومن يكُ عَنّي سائلاً شامتاً لما ... نابني أو شامتاً غير سائل

فقد أبرزَتْ مني الخطوب ابن حرة ... صبوراً على أهوال تلك الزلازل

إذا سر لم يبطر وليس لنكبةٍ ... إذا نزلت بالخاشع المتضائل

وقريب منه قول تأبط شراً:

وما ولدت أُمي من القوم عاجزاً ... ولا كان ريشي من ذنابي ولا لغب

وقول ابن وادع العوفي:

لا استكينُ إذا ما أزمةٌ أَزمتْ ... ولن تَراني بخير فاره الطلب

هكذا نقله ابن برّي، ونقل الزمخشري الشطر الثاني «ولا تراني الا فاره اللبب»[2].

---

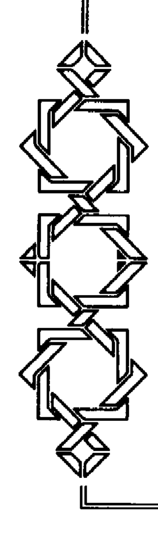
(١) نقله ابن عساكر في ترجمة عليّ عليه السلام ٣: ٣٠٧، بفرق في اللفظ.

(٢) نقل ابن بري جاء في لسان العرب ١٣: ٥٢٢، مادة (فره)، ونقل الزمخشري جاء في أساس البلاغة: ٣٤٠، مادة (فره).



الفصل الثاني والعشرون

في أوليائه عليه السلام وأعدائه





مر في فصل بيعته قوله عليه السلام لعمار في المغيرة: «دعه يا عمار فانه لم يأخذ من الدين إلّا ما قاربه من الدنيا» ـ الخ.

وفي فصل الامامة الخاصة قوله عليه السلام لأنس: «ان كنت كاذباً» ـ الخ.

وفي فصل صفين في ابن العاص ومعاوية: «ولم يبايع حتى شرط».

وفيه: «ولا المهاجر كالطليق» ـ الخ.

وفيه: «أين عمار وأين ابن التيهان وأين ذو الشهادتين» ـ الخ[1].

١
الكتاب (١٣)

ومن كتاب له عليه السلام إلى أميرين من أمراء جيشه :

وَقَدْ أَمَّرْتُ عَلَيْكُما وَعَلَى مَنْ فِي حَيِّزِكُما مَالِكَ بْنَ ٱلْحَارِثِ ٱلْأَشْتَرَ فَاسْمَعَا لَهُ وَأَطِيعَا وَٱجْعَلَاهُ دِرْعاً وَمِجَنّاً، فَإِنَّهُ مِمَّنْ لَا يُخَافُ وَهْنُهُ وَلَا

---

(١) راجع العنوان ١٣ من الفصل الثلاثين والعنوان ٢٨ من الفصل الثامن والعناوين ٥ و٦ و١٠ من الفصل الثاني والثلاثين .

سَقْطَتَهُ وَلَا بُطْؤُهُ عَمَّا ٱلْإِسْرَاعُ إِلَيْهِ أَحْزَمُ، وَلَا إِسْرَاعُهُ إِلَى مَا ٱلْبُطْءُ عَنْهُ أَمْثَلُ.

قول المصنف: (ومن كتاب له عليه السلام إلى أميرين من أُمراء جيشه) وهما زياد بن النضر وشريح بن هاني، قدمهما عليه السلام أمامه نحو معاوية، فاستقبلهما أبو الاعور السلمي في جند من أهل الشام من قبل معاوية، فكتبا إليه عليه السلام بذلك، فبعث الأشتر مدداً لهما وكتب إليهما بالعنوان مع زيادة «وقد امرته بمثل الّذي أمرتكما به ألا يبدأ القوم بقتال حتى يلقاهم، فيدعوهم فيعذر إليهم».

قوله عليه السلام «وقد أمّرت عليكما» يا زياد ويا شريح «وعلى من في حيزكما» كان في حيز كل منهما ستة آلاف رجل «مالك بن الحارث الأشتر» والأشتر من انقلب جفن عينه، كان مشتهراً باللقب.

قال نصر بن مزاحم كما في (صفينه) وأبو مخنف كما في (تاريخ الطبري): فخرج الأشتر حتى قدم على القوم، فاتبع ما امره به عليّ عليه السلام وكف عن القتال، فلم يزالوا متوافقين حتى إذا كان عند المساء حمل عليهم أبو الاعور، فثبتوا واضطربوا ساعة، ثم انصرف أهل الشام، ثم خرج هاشم بن عتبة في خيل ورجال، وخرج إليهم أبو الاعور، فصبر بعضهم لبعض، ثم انصرفوا وبكر عليهم الأشتر، فقتل منهم عبدالله بن المنذر التنوخي قتله ظبيان بن عمارة التميمي، وكان ظبيان يومئذ حدث السن، والتنوخي فارس أهل الشام، وأخذ الأشتر يقول: ويحكم أروني أبا الأعور، وقال لسنان بن مالك النخعي: انطلق إليه فادعه إلى المبارزة. فذهب فدعاه، فسكت عنه طويلاً ثم قال: إن خفة الأشتر وسوء رأيه هو الّذي دعاه إلى اجلاء عمال عثمان من العراق، وافترائه عليه يقبح محاسنه، ويجهل حقه، ويظهر عداوته، ومن خفة الأشتر وسوء رأيه انه سار إلى عثمان في داره وقراره، فقتله فيمن قتله،

فأصبح متبعاً بدمه، لا حاجة لي في مبارزته.

قال سنان: فقلت لأبي الأعور: إنك قد تكلمت فاستمع مني حتى أخبرك. فقال لي: لا حاجة لي في جوابك ولا الاستماع منك اذهب عني، وصاح بي أصحابه، فانصرفت عنه ولو سمع مني لا خبرته بعذر صاحبي وحجّته، فرجعت إلى الأشتر، فأخبرته أنه قد أبى المبارزة، فقال لنفسه ننظر، فتوافقنا حتى الليل، فلما أصبحنا نظرنا، فاذاهم قد انصرفوا[1].

«**فاسمعا له وأطيعا واجعلاه درعاً ومجناً**» أي: ترساً. كان عليه السلام قد بعث رجالاً إلى الكوفة لصدِّ أبي موسى الأشعري عن تثبيط الناس، وكان لم يبال بهم حتى بعث عليه السلام الأشتر إليه ففر منه، وكان الناس يحتمون عن البِراز إليه كما يحتمون عن البراز إليه عليه السلام، كما عرفته من قصة أبي الأعور.

هذا، وفي (كامل المبرد): روي ان الحجاج لما ورد عليه ظفر المهلب وقتله لعبد ربه الصغير وهرب قطري منه تمثل فقال: لله در المهلب، والله لكأنه ما وصف لقيط الأيادي حيث يقول:

وقَلِّدوا أمرَكم للهِ دركم ... رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا

لا مترفاً ان رخاء العيش ساعده ... ولا إذا عض مكروه به خشعاً

ما زال يحلب هذا الدهر أشطره ... يكون متّبِعاً طوراً ومتّبَعاً

حتّى استمرت على شزر مريرتُه ... مستحكم الرأي لا قحما ولا ضرعا

فقال إليه رجل وقال: والله لكأني اسمع هذا التمثيل من قطري في المهلب، فسر بذلك سروراً تبين في وجهه[2].

وفي (الأغاني) قال أبو المثلم في صخر الغي:

---

(١) وقعة صفين: ١٥٤، وتاريخ الطبري ٣: ٥٦٥، سنة ٣٦.

(٢) كامل المبرد ٨: ١١٦.

لو كـان للـدهرِ مـالٌ عـند مـتلده لكـان للـدهر صـخرٌ مـال قـينان
آب الهـــضيمة آت العـــظيمة متلاف الكريمة لا سـقط ولا وان
حـامي الحـقيقة نسـال الوديـعه معتاق الوثيقة جلد غـير شـيبان
رقـــاء مـــرقبة مـــناع مـــغلبة ركـــاب سـلهبة قـطاع اقـران
بسّــاطُ أوديـــة شـــهادُ انـــدية حـــمالُ ألويـــةٍ سـرحـانُ فـتيان
يحمي الصحاب إذا جد الضـراب ويكفي القائلين إذا ما كيل الهاني
ويـــترك القـــرن مـصفراً انـامله كأن فـــي ريـطتيه نـضح ارقـان
يعطيكَ ما لا تكادُ النـفس تسـلمه مـــن التـــلادِ وهـوب غـير مـنّان

«فإنّه ممّن لا يخاف وهنه ولا سقطته» وفي رواية الطبري ونصر «رهـقه ولا سقاطه»[(١)].

في (صفين نصر): كان الأصبغ بـن ضـرار الأزدي طـليعة ومسـلحة لمعاوية، فبعث عليّ عليه السلام الأشتر، فأخـذه أسـيراً مـن غـير أن يـقاتل، وكـان عليّ عليه السلام ينهى عن قتل الأسير الكافّ، فغدا الأشتر به على عليّ عليه السلام وقال له: هذا رجل من المسلحة لقيته بالأمس، فوالله لو علمت أن قتله الحق لقتلته، وقد بات عندنا الليلة وحركنا فان كان فيه القتل فاقتله وان غضبنا فيه، وان كنت فيه بالخيار فهبه لنا. قال: هو لك يا مالك، فاذا أصبت أسيراً فلا تقتله، فان أسير أهل القبلة لا يفاد ولا يقتل، فرجع به الأشتر إلى منزله وقال: لك ما أخذنا منك ليس لك عندنا غيره[(٢)].

«ولا بطؤه عمّا الاسراع إليه أحزم ولا اسراعه إلى ما البُطء عـنه أمـثل» فـي (تاريخ الطبري): قيل لعليّ عليه السلام بعد كتابة الصحيفة في صفين: ان الأشـتر لا

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٥٦٥، سنة ٣٦، ووقعة صفين: ١١٤.

(٢) وقعة صفين: ٤٦٦.

يقرّ بما في الصحيفة، ولا يرى إلّا قتال القوم. فقال عليه السلام: أنا والله ما رضيت أيضاً ـ إلى أن قال: وأما الّذي ذكرتم من ترك الأشتر أمري وما أنا عليه، فليس من أولئك، ولست أخافه على ذلك، يا ليت فيكم مثله واحداً يرى في عدوّي ما أرى، إذن لخفت على مؤنتكم، ورجوت أن يستقيم لي بعض أودكم[1].

وأما ما رواه (الكافي) عن السجاد عليه السلام ان علياً كتب إلى الأشتر وهو على مقدمته يوم البصرة بألا يطعن في غير مقبل، ولا يجهز على جريح، ومن أغلق بابه فهو آمن، فأخذ الكتاب، فوضعه بين يديه على القربوس من قبل أن يقرأه ثم قال اقتلوا، فقتلهم حتى أدخلهم سكك البصرة، ثم فتح الكتاب، فقرأه، ثم امر منادياً فنادى بما في الكتاب»[2]، فمحمول على أنه علم جوازه في نفس الأمر، وانه عليه السلام أمر بما أمر مصلحة، فروي عن الصادق عليه السلام ان سيرة عليّ عليه السلام في أهل البصره كانت خيراً لشيعته ممّا طلعت عليه الشمس، انه علم ان للقوم دولة، فلو سباهم لسبيت شيعته، والقائم يسير فيهم بخلاف تلك السيرة لانه لا دولة لهم بعده[3].

واما قول ابن أبي الحديد: روى أن علياً عليه السلام لما ولى بني العباس على الحجاز واليمن والعراق قال الأشتر: فلماذا قتلنا الشيخ بالأمس، وان علياً لما بلغته هذه الكلمة أحضره ولاطفه واعتذر إليه وقال له: فهل وليت حسناً أو حسيناً او أحداً من ولد جعفر أو عقيلاً أو واحداً من ولده، وانما وليت ولد عمي العباس لاني سمعت العباس يطلب من النبيّ صلى الله عليه وآله الامارة مراراً، فقال له: يا عم ان الامارة ان طلبتها وكلت إليها، وان طلبتك أعنت عليها، ورأيت بنيه في أيام

(١) تاريخ الطبري ٤: ٤٢، سنة ٣٧.

(٢) الكافي ٤: ٣٣ ح ٣.

(٣) رواه الكليني في الكافي ٥: ٣٣ ح ٤، والطوسي في التهذيب ٦: ١٥٥ ح ٦، والبرقي في المحاسن: ٣٢٠ ح ٤٤.

عمر وعثمان يجدون في أنفسهم أن ولّي غيرهم من أبناء الطلقاء ولم يولَّ أحد منهم، فأحببت ان أصل رحمهم، وازيل ما كان في أنفسهم، وبعد فإن علمت أحداً هو خيراً منهم فاني أولّيه، فخرج الأشتر وقد زال ما في نفسه[١].

فمن رواياتهم المجعولة، فان فاروقهم وان موّه على الاغبياء ونبه الطلقاء في اشتراطه عليه عليه السلام، كما على عثمان الا يولّي أحداً من اقاربه، وهو عليه السلام كان يوليهم لاقامة العدل والايمان، وعثمان لاقامة الكفر والطغيان، فموّه بالجمع بينهما كما موّه بكونهما من بني عبد مناف، ولازمه كون محمّد صلى الله عليه وآله وأبي سفيان مثلين، الا انه كان صورة ظاهر، فعثمان لم يول غير أقاربه، كما ان فاروقهم لم يول هاشمياً في أيامه لئلّا يصل الأمر إليه عليه السلام بذلك، كما اقربه لابن عباس.

وكيف لم يكن الخبر مجعولاً وأي عيب كان لو وليّ عليه السلام الحسن والحسين عليهما السلام، وقد شهد القرآن بطهارتهما، وكونهما ابنيّ النبيّ صلى الله عليه وآله، وممن باهَل بهما[٢].

وكيف لم يكن مجعولاً وقد قال نفسه ان مالكاً كان شديد التحقق بولائه، وانه عليه السلام قال: كان مالك لي كما كنت للنبيّ، وان معاويه قنت عليه كما قنت عليه عليه السلام وعلى الحسين وعلى ابن عباس، وانه اشهر في الشيعة من أبي الهذيل في المعتزلة، وانه حضر مع استاذه الدباس عند ابن سكينة المحدث لقراءة الاستيعاب، فلما انتهى إلى خبر حضور حجر والأشتر لدفن أبي‌ذر وقولهما في عثمان، قال استاذه: لتقل الشيعة بعد هذا ما شاءت، فما قال المرتضى والمفيد الا بعض ما كان حجر والأشتر

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٥: ٩٨.

(٢) النظر إلى الآيتين الاحزاب: ٣٣، وآل عمران: ٦١.

يعتقدانه في عثمان ومن تقدمه[١].

٢
الكتاب (٣٩)

ومن كتاب له عليه السلام إلى عمرو بن العاص:

فَإِنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ دِينَكَ تَبَعاً لِدُنْيَا امْرِىءٍ ظَاهِرٍ غَيُّهُ، مَهْتُوكٍ سِتْرُهُ، يَشِينُ الْكَرِيمَ بِمَجْلِسِهِ، وَيُسَفِّهُ الْحَلِيمَ بِخِلْطَتِهِ، فَاتَّبَعْتَ أَثَرَهُ، وَطَلَبْتَ فَضْلَهُ، اتِّبَاعَ الْكَلْبِ لِلضِّرْغَامِ يَلُوذُ إلى مَخَالِبِهِ، وَيَنْتَظِرُ مَا يُلْقَى إِلَيْهِ مِنْ فَضْلِ فَرِيسَتِهِ، فَأَذْهَبْتَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ! وَلَوْ بِالْحَقِّ أَخَذْتَ أَدْرَكْتَ مَا طَلَبْتَ. فَإِنْ يُمَكِّنِّي اللهُ مِنْكَ وَمِنَ ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَجْزِكُمَا بِمَا قَدَّمْتُما، وَإِنْ تُعْجِزَ وَتَبْقَيَا فَمَا أَمَامَكُمَا شَرٌّ لَكُمَا.

أقول: رواه (صفين نصر بن مزاحم) مع اختلاف ـ على نقل ابن أبي الحديد ـ من عبدالله عليّ أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص بن وائل شانئ محمّد وآل محمّد في الجاهلية والاسلام، سلام على من اتبع الهدى. أما بعد: فانك تركت مروتك لا مرئ فاسق مهتوك ستره يشين الكريم بمجلسه ويسفه الحليم بخلطته فصار قلبك لقلبه تبعاً كما قيل «وافق شن طبقه»، فسلبك دينك وأمانتك ودنياك وآخرتك، وكان علم الله بالغاً فيك، فصرت كالذئب يتبع الضرغام إذا ما الليل دجا أو أتى الصبح يلتمس فضل سؤره وحوايا فريسته، ولكن لانجاة من القدر ولو بالحق أخذت لا دركت ما رجوت، وقد رشد من كان الحق قائده، فان يمكّن الله منك ومن ابن آكلة الأكباد ألحقتكما بمن قتله الله من ظلمة قريش على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، وان تعجزا أو

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٥: ٩٨ و٩٩.

تبقيا بعدي فالله حسبكما وكفى بانتقامه انتقاماً وبعقابه عقاباً[1].

«فانك قد جعلت دينك تبعاً لدنيا امرئٍ» والمراد معاوية «ظاهر غيّه مهتوك ستره».

في (بلاغات نساء أحمد بن أبي طاهر البغدادي) و(عقد ابن عبد ربه): ان معاوية حج، فسأل عن امرأة يقال لها الدارمية الحجونية ـ كانت امرأة سوداء كثيرة اللحم ـ فأخبر بسلامتها، فبعث إليها، فجيء بها، فقال لها: كيف حالك يا ابنة حام؟ قالت: بخير ولست لحام، انما انا امرأة من قريش من بني كنانة، ثم من بني أبيك. قال: صدقت، هل تعلمين لم بعثت إليك؟ قالت: لا. قال: بعثت إليك لا سألك علام أحببت عليّاً وأبغضتني، وعلام واليته وعاديتني. قالت: أو تعفيني من ذلك. قال: لا أعفيك ولذلك دعوتك. قالت: فأما إذ أبيت فاني أحببت عليّاً على عدله في الرعية، وقسمه بالسوية، وأبغضتك على قتالك من هو أولى بالامر منك، وطلبك ما ليس لك، وواليت عليّاً على ما عقد له النبيّ صلى الله عليه وآله من الولاية، وواليته على حبه المساكين، واعظامه لأهل الدين، وعاديتك على سفكك الدماء، وشقك العصا.

قال: صدقت فلذلك انتفخ بطنك، وكبر ثديك، وعظمت عجيزتك. فقالت: يا هذا بهندٍ والله يضرب المثل في ذا لا بي. فقال لها: هل رأيت عليّاً؟ قالت: أي والله. قال: كيف رأيته؟ قالت: لم يفتنه الملك الّذي فتنك، ولم تصقله النعمة الّتي صقلتك. قال: فهل سمعت كلامه؟ قالت: نعم. قال: فكيف سمعته. قالت: كان والله كلامه يجلو القلوب من العمى كما يجلو الزيت صداء الطست. قال: صدقت.

وفيهما: دخلت اروى بنت الحرث بن عبدالمطلب على معاوية ـ وهي

---

(١) جاء في شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٦٣، لكن لم يوجد في النسخة المطبوعة من وقعة صفين.

عجوزة كبيرة ـ فقال لها: كيف كنت بعدنا؟ فقالت: لقد كفرت يد النعمة، واسأت لابن عمك الصحبة، وتسميت بغير اسمك، وأخذت غير حقك من غير دين كان منك، ولا من آبائك، ولا سابقة في الاسلام بعد أن كفرتم بالنبيّ صلى الله عليه وآله، فأتعس الله منكم الجدود، وأضرع منكم الخدود، ورد الحق إلى أهله، ولو كره المشركون، وكانت كلمتنا العليا، ونبيّنا هو المنصور، فوليتم علينا من بعده، وتحتجون بقرابتكم من النبيّ، ونحن أقرب إليه منكم، وأولى بهذا الأمر، فكنا فيكم بمنزلة بني اسرائيل في آل فرعون، وكان عليّ بن أبي طالب عليه السلام بعد نبيّنا بمنزلة هارون من موسى، فغايتنا الجنّة، وغايتكم النار.

فقال لها عمرو بن العاص: كُفّي أيتها العجوز الضالة، واقصري عن قولك من ذهاب عقلك، إذ لا تجوز شهادتك وحدك. فقالت له: وأنت يا ابن النابغة تتكلم وأُمّك كانت أشهر امرأة تبغي بمكة، وآخذهن الاجرة، ادعاك خمسة نفر من قريش، فسئلت أُمّك عنهم، فقالت: كلّهم أتاني، فانظروا أشبههم به، فالحقوه، فغلب عليك شبه العاص بن وائل، فلحقت به.

وفي (مفاخرات ابن بكار): اجتمع عند معاويه عمرو والوليد بن عقبة وعتبة ابن أبي سفيان والمغيرة فقالوا له: ان الحسن قد أحيا أباه وخفقت النعال خلفه ـ إلى أن قال ـ فقال لهم معاوية: اما إذ عصيتموني وبعثتم إليه، فلا تمرضوا له في القول، واعلموا أنهم أهل بيت لا يعيبهم العائب، ولكن اقذفوه بحجره وقولوا له أبوك قتل عثمان وكره خلافة الخلفاء من قبله.

إلى أن قال: فقال معاوية له عليه السلام: ان هؤلاء بعثوا إليك وعصوني. فقال: سبحان الله الدار دارك والاذن فيها إليك، والله ان كنت أجبتهم اني لاستحيي لك من الفحش، وان كانوا غلبوك اني لاستحيي لك من الضعف. إلى أن قال: يا معاوية ما هؤلاء شتموني ولكنك شتمتني فحشاً ألفته، وسوء رأيٍ عرفت به،

وخُلقاً سيئاً شبت عليه، وبغياً علينا وعداوة منك لمحمد وأهله. إلى أن قال: قال عليه السلام لهم: وأنشدكم الله هل تعلمون ان أبي أول الناس ايماناً وانك يا معاوية وأبوك من المؤلفة قلوبهم تسترون الكفر وتظهرون الاسلام، وأنشدك الله يا معاوية أتذكر يوماً جاء أبوك على جمل أحمر وأنت تسوقه وأخوك عتبة هذا يقوده، فرآكم النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: اللهم العن الراكب والقائد والسائق أتنسى يا معاوية الشعر الّذي كتبته إلى أبيك لما همّ أن يسلم تنهاه عن ذلك:

يا صخر لا تسلمن يوماً فتفضحنا بعد الّذين ببدر أصبحوا فرقا

خالي وعمّي وعمّ الأم ثالثهم وحنظل الخير قد أهدى لنا الأرقا

والله لما أخفيت من أمرك أكثر ممّا أبديت، ولما أراد النبيّ صلى الله عليه وآله أن يكتب إلى بني خزيمة فبعث إليك ونهمك إلى أن تموت ـ الخبر[1].

«يشين الكريم بمجلسه، ويسفّه الحليم بخلطته» في (العقد الفريد): قال معاوية لجارية بن قدامة: ما كان أهونك على اهلك إذ سموك جارية؟ فقال: ما كان أهونك على أهلك إذ سموك معاوية ـ وهي الانثى من الكلاب ـ قال: لا أُم لك. قال: أُمّي ولدتني للسيوف الّتي لقيناك بها وهي في أيدينا. قال: انك لتهددني. قال: انك لم تصاحبنا قسراً، ولم تملكنا عنوة، ولكنك أعطيتنا عهداً وميثاقاً، وأعطيناك سمعاً وطاعة، فان وفيت لنا وفينا لك، وان فزعت إلى غير ذلك فانا تركنا وراءنا رجالاً شداداً وألسنة حداداً. قال: لاكثر الله أمثالك. قال جارية: قل معروفاً، فان شر الدعاء المحتطب.

وفيه: دخل خريم الناعم على معاوية، فنظر إلى ساقيه، فقال: أي ساقين لو أنهما على جارية. قال خريم: في مثل عجيزتك. قال معاوية:

---

(١) نقله عنه ابن أبي الحديد في شرحه ٦: ٢٨٥ و٢٨٨.

واحدة بأُخرى والبادي أظلم.

وفي (الأغاني): نظر معاوية إلى رجل في مجلسه فرأى فيه حسناً وشارة وجسماً، فاستنطقه فوجده سديداً، فقال له: ممن أنت؟ قال: ممن أنعم الله عليه بالاسلام فاجعلني حيث شئت. قال: عليك بهذه الازد الطويلة العريضة الّتي لا تمنع من دخل فيها، ولا تبالي من خرج منها. فغضب النعمان بن بشير ووثب من بين يديه وقال: أما والله انك ما علمت ليسيء المجالسة لجليسك، عاق لزوارك، قليل الرعاية لأهل الحرمة بك.

وفي (العقد): تكلم الناس عند معاوية في يزيد ابنه إذ أخذ له البيعة وسكت الاحنف، فقال: مالك لا تقول أبا بحر. قال: أخافك ان صدقت، وأخاف الله ان كذبت.

وفيه: بينا معاوية جالس وعنده وجوه الناس إذ دخل رجل من أهل الشام، فقام خطيباً فكان آخر كلامه أن سب علياً عليه السلام، فأطرق الناس وتكلم الاحنف، فقال: ان هذا القائل لو يعلم أن رضاك في لعن المرسلين لعنهم، فاتق الله ودع علياً، فقد لقي ربه، وكان والله المبرز سيفه، الطاهر ثوبه، الميمون نقيبته، العظيم مصيبته، فقال له معاوية: لقد أغضيت العين على القذى وقلت ما ترى، وايم الله لتصعدن المنبر فتلعنه طوعاً أو كرهاً. فقال له الأحنف: ان تعفني فهو خير لك، وان تجبرني فوالله لا تجري فيه شفتاي، ومع ذلك لأنصفنَّك في القول والفعل، قال: ما أنت قائل ان أنصفتني. قال: أصعد المنبر وأقول: أيها الناس ان معاوية أمرني أن ألعن علياً، وان علياً ومعاوية اختلفا فاقتتلا، وادعى كل واحد منهما انه بغي عليه وعلى فئته، فاذا دعوت فأمنوا، ثم أقول «اللهم العن (أنت وملائكتك وأنبيائك وجميع خلقك) الباغي منهما على صاحبه لعناً كثيراً»، لا أزيد على هذا حرفاً، ولا أنقص منه حرفاً، ولو كان فيه

ذهاب نفسي. فقال معاوية: اذن نعفيك.

«فاتبعت أثره وطلبت فضله اتباع الكلب» قد عرف أن في رواية نصر «فصرت كالذئب»[1] «للضرغام» أي: الأسد كالضيغم «يلوذ» أي: يلجأ «إلى مخالبه» في (الصحاح): المخلب للطائر والسباع بمنزلة الظفر للإنسان.

«وينتظر ما يلقي إليه من فضل» أي: زيادة «فريسته» في (الصحاح): فرس الأسد فريسته وافترسها أي: دق عنقها، وأصل الفرس هذا، ثم كثر حتى صار كل قتل فرساً، وأبو فراس كنية الأسد.

«فأذهبت دنياك» بكونك تابعاً كالعبد لمعاوية «وآخرتك».

وفي (المروج) ـ بعد ذكر جعل معاوية جعالة لقتل العباس بن ربيعة الهاشمي، وتصدي رجلين من لخم لذلك، وقتل أمير المؤمنين عليه السلام لهما ـ قال معاوية: قبّح الله اللجاج، ما ركبته قط الا خذلت. فقال عمرو بن العاص له المخذول والله اللخميان لا أنت. قال: اسكت أيها الرجل، فليس هذا من شأنك. قال: وان لم يكن رحم الله اللخميين ـ ولا أراه يفعل ذلك ـ قال: ذلك والله أضيق لحجتك، وأخسر لصفقتك. قال عمرو: قد علمت ذلك، ولولا مصر وولايتها لركبت المنجاة، فانّي أعلم أن علياً على الحق، وأنا على الباطل. فقال معاوية: مصر والله أعمتك، ولو لا مصر لالفيتك بصيراً[2].

وفي (المروج): مات عمرو سنة (٤٣) وله تسعون سنة، وفي أبيه ـ وكان من المستهزئين بالنبيّ ـ نزلت ﴿إنَّ شانئك هو الأبتر﴾[3]، وخلف عمرو من العين ثلاثمائة وخمسة وعشرون ألف دينار، وألفي ألف درهم، وضيعته

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٦٣.

(٢) مروج الذهب ٣: ٢٠.

(٣) الكوثر: ٣.

المعروفة بالرهط قيمتها عشرة آلاف ألف درهم، وفيه يقول ابن الزبير الأسدي:

ألم تر أن الدهر أخنت صروفه   على عمرو السهمي تجبي له مصر
فلم يغن عنه حزمه واحتياله   ولا جمعه لما أتيح له الدهر[1]

وفي (تاريخ اليعقوبي): لما حضر عمرو الوفاة نظر إلى ماله، فرأى كثرته، فقال: ياليته كان بعراً، يا ليتني مت قبل هذا اليوم بثلاثين سنة أصلحت لمعاوية دنياه وأفسدت ديني، آثرت دنياي وتركت آخرتي، عمي علي رشدي حتى حضرني أجلي، كأني بمعاوية قد حوى ما لي وأساء فيكم خلافتي. وتوفي سنة (٤٣) ليلة الفطر، فاستصفى معاوية ماله، فكان أول من استصفى مال عامل، ولم يكن يموت لمعاوية عامل إلّا شاطر ورثته ماله، وكان يكلم في ذلك، فيقول هذه سنّة سنّها عمر[2].

وذكروا أن معاوية قال يوماً لجلسائه: ما أعجب الأشياء؟ فقال كل واحد شيئاً، فقال عمرو: أعجب الأشياء أن المبطل يغلب المحق ـ وعرّض بغلبة معاوية في امره معه عليه السلام ـ فقال معاوية: بل أعجب الأشياء أن يُعطى الانسان ما لا يستحق، وكان لا يخاف ـ عرض بعمرو في أخذه مصر منه.

«ولو بالحق أخذت أدركت ما طلبت» في (تاريخ الطبري): قال النضر بن صالح العبسي: كنت مع شريح بن هاني في غزوه سجستان، فحدثني أن علياً عليه السلام أوصاه بكلمات إلى عمرو بن العاص. قال: قل له إذا لقيته: ان علياً يقول لك «ان أفضل الناس عند الله عزّوجلّ من كان العمل بالحق أحب إليه وان نقصه وكرثه من الباطل وان حسن إليه وزاده يا عمرو انك والله لتعلم أين

(١) مروج الذهب ٣: ٢٣.
(٢) تاريخ الطبري ٢: ٢٢٢.

موضع الحق، فلم تجاهل ان أوتيت طمعاً يسيراً كنت به لله ولأوليائه عدوّاً، فكان والله ما أوتيت قد زال عنك، فلا تكن للخائنين خصيماً ولا للظالمين ظهيراً، اما أني أعلم بيومك الّذي أنت فيه نادم وهو يوم وفاتك، تمنى انك لم تظهر لمسلم عداوة، ولم تأخذ على حكم رشوة». قال شريح: فبلغته ذلك، فتمعر وجهه ثم قال: متى كنت أقبل مشورة علي أو انتهي إلى أمره أو اعتد برأيه؟ فقلت له: وما يمنعك يا ابن النابغة أن تقبل من مولاك وسيّد المسلمين بعد نبيّهم مشورته، فقد كان من هو خير منك أبوبكر وعمر يستشيرانه ويعملان برأيه. فقال: ان مثلي لا يكلم مثلك. فقلت له: وبأي أبويك ترغب عني أبأبيك الوشيظ أم بأُمك النابغة؟ فقام عن مكانه[١].

وفي (الصحاح) الوشيظ: لفيف من الناس ليس أصلهم واحداً.

«فان يمكني الله» هكذا في (المصرية) وهو غلط، والصواب: «فان يمكن الله» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٢] «منك ومن ابن أبي سفيان» قد عرفت أن في رواية نصر «ومن ابن آكلة الأكباد»[٣]. «أجزكما بما قدّمتها».

وفي (صفين نصر): قال جابر الأنصاري: والله لكأني أسمع علياً عليه السلام يوم الهرير بعد ما طحنت رحا مذحج فيما بيننا وبين عك ولخم وجذام والأشعريين بأمر عظيم تشيب منه النواصي يقول: حتى متى نخلي بين هذين الحيين -إلى أن قال جابر- لا والّذي بعث محمّداً صلى الله عليه وآله بالحق ما سمعنا برئيس قوم منذ خلق الله السماوات والأرض أصاب بيده في يوم واحد ما أصاب عليّ عليه السلام. انه قتل فيما ذكر العادون زيادة على خمسمائة من أعلام العرب[٤].

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٥٠، سنة ٣٧.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٦١، لكن في شرح ابن ميثم ٥: ٨٥. «وان يمكني الله».

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٦٣.

(٤) وقعة صفين: ٤٧٧.

«وان تعجزاني» هكذا في (المصرية) أخذ من (ابن أبي الحديد)، والصواب: «وان تعجزا» كما في (ابن ميثم)[١] «وتبقيا فما امامكما شر لكما».

في (صفين نصر): عن أبي برزة الأسلمي انهم كانوا مع النبيّ صلى الله عليه وآله، فسمعوا غناء، فتشرفوا له، فقام رجل فاستمع له ـ وذاك قبل أن يحرم الخمر ـ فأتاهم ثم رجع فقال: هذا معاوية وعمرو بن العاص يجيب أحدهما الآخر وهو يقول:

يزال حواري تلوح عظامه زوى الحرب عنه ان يحس فيقبرا

فرفع النبيّ صلى الله عليه وآله يديه فقال: اللهم اركسهم في الفتنة ركساً، اللهم دعهم إلى النار دعا[٢].

وفي (تفسير القمي) في قوله تعالى: ﴿يوم يُدعّون إلى نار جهنم دعّاً﴾[٣] مر النبيّ بعمرو بن العاص والوليد بن عقبة وهما في خالط يشربان ويغنيان بهذا البيت في حمزة لما قتل:

كم من حواري تلوح عظامه وراء الحرب أن يجر فيقبرا

فقال: اللهم العنهما، واركسهما في الفتنة ركساً، ودعهما إلى النار دعاً[٤].

وفي (صفين نصر): دخل زيد بن أرقم على معاوية، فاذا عمرو جالس معه على السرير، فلما رأى ذلك زيد جاء حتى رمى بنفسه بينهما، فقال له عمرو: أما وجدت لك مجلساً الا أن تقطع بيني وبينه؟ فقال زيد: ان النبيّ غزا غزوة وأنتما معه، فرآكما مجتمعين، فنظر إليكما نظراً شديداً، ثم رآكما اليوم

---

(١) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٦١، وشرح ابن ميثم ٥: ٨٥، مثل المصرية.

(٢) وقعة صفين: ٢١٩.

(٣) الطور: ١٣.

(٤) تفسير القمي ٢: ٣٣٢.

الثاني واليوم الثالث كل ذلك يديم النظر إليكما، فقال في اليوم الثالث: إذا رأيتم معاوية وعمرو بن العاص مجتمعين ففرقوا بينهما، فانهما لن يجتمعا على خير[1].

وفي (العقد): جلس عبادة بن الصامت بين عمرو ومعاوية -وذكر سببه، فقال: بينا نحن نسير في غزوة تبوك إذ نظر إليكما تشيران وأنتما تتحدثان، فالتفت النبيّ ﷺ إلينا وقال: إذا رأيتموهما اجتمعا ففرقوا بينهما، فانهما لا يجتمعان على خير.

٣
الخطبة (٨٢)

مكرر ومن كلام له عليه السلام في ذكر عمرو بن العاص:

عَجَباً لابْنِ النَّابِغَةِ، يَزْعُمُ لِأَهْلِ الشَّامِ أَنَّ فِيَّ دُعَابَةً وَأَنّي آمْرُؤٌ تِلْعَابَةٌ، أُعَافِسُ وَأُمَارِسُ، لَقَدْ قَالَ بَاطِلاً وَنَطَقَ آثماً. أَمَا -وشَرُّ ٱلْقَوْلِ ٱلْكَذِبُ- إنَّهُ لَيَقولُ فَيَكْذِبُ، وَيَعِدُ فَيُخْلِفُ، وَيَسْأَلُ فَيُلْحِفُ، وَيُسْأَلُ فَيَبْخَلُ، وَيَخُونُ ٱلْعَهْدَ، وَيَقْطَعُ ٱلإِلَّ، فَإِذَا كانَ عِنْدَ ٱلْحَرْبِ فَأَيُّ زَاجِرٍ وَآمِرٍ هُوَ! مَا لَمْ تَأْخُذِ السُّيوفُ مَآخِذَهَا، فَإِذَا كانَ ذَلِكَ كَانَ أَكْبَرُ مَكِيدَتِهِ أَنْ يَمْنَحَ الْقِرْمَ سَبَّتَهُ. أَمَا وَٱللهِ إنِّي لَيَمْنَعُني مِنَ ٱللَّعِبِ ذِكْرُ الْمَوْتِ وَإِنَّهُ لَيَمْنَعُهُ مِنْ قَوْلِ ٱلْحقِّ نِسْيَانُ ٱلآخِرَةِ، إنَّهُ لَمْ يُبَايِعْ مُعَاوِيَةَ حَتَّى شَرَطَ لَهُ أَنْ يُؤْتِيَهُ أَتِيَّةً، وَيَرْضَخَ لَهُ عَلَىٰ تَرْكِ الدِّينِ رَضِيخَةً.

أقول: رواه ابن قتيبة في (عيونه) عن زيد بن وهب مثله مع اختلاف يسير وفي آخره: كان أكبر همه أن يبرقط ويمنح الناس استه قبحه الله وترحه.

---

(١) وقعة صفين: ٢١٨.

وفي (العقد): قال عليّ عليه السلام: عجباً لابن النابغة، يزعم اني تلعابة، أعافس وامارس، أما وشر القول الكذب، انه يسأل فيلحف، ويسأل فيبخل، فاذا احمر البأس وحمي الوطيس وأخذت السيوف مآخذها من هام الرجال لم يكن له همّ إلا غرقة ثيابه، ويمنح الناس استه فضه الله وترحه.

وروى (أمالي الشيخ) عن الزبير بن بكار قال: قال عليّ بن محمّد: كان عمرو ابن العاص يقول: ان في عليّ دعابة، فبلغ ذلك علياً عليه السلام فقال: زعم ابن النابغة اني تلعابة مزاحه ذو دعابة، أُعافس وأُمارس. هيهات يمنع من العفاس والمراس ذكر الموت وخوف البعث والحساب، ومن كان له قلب. ففي هذا له عن هذا واعظ وزاجر. أما وشر القول الكذب، وانه ليحدث فيكذب، ويعد فيخلف، فإذا كان يوم البأس فأي زاجر وآمر هو ما لم تأخذ السيوف هام الرجال، فإذا كان ذلك فأعظم مكيدته في نفسه أن يمنح القوم استه[1].

«عجبنا» هكذا في (المصرية)، والصواب: «عجباً» كما (في ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[2] «لابن النابغة» قال ابن أبي الحديد في (أنساب أبي عبيدة): اختصم أبوسفيان والعاص في عمرو يوم ولادته، فقيل لتحكم أُمّه، فقالت: هو من العاص. فقال أبوسفيان: أما اني لا أشك أني وضعته في رحمها، فأبت إلّا العاص. وفي ذلك يقول حسّان في هجو عمرو:

أبوك أبوسفيان لا شك قد بدت	لنا فيك منه بيّناتُ الدلائلِ
ففاخر به أما فخرت ولا تكن	تفاخر بالعاص الهجين ابن وائل
وان الّتي في ذاك يا عمرو حكمت	فقالت رجاء عند ذاك لنائل

(١) أمالي أبي علي الطوسي ١: ١٣١.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٦: ٢٨٠، لكن في شرح ابن ميثم ٢: ٢٦٩، مثل المصرية.

من العاص عمرو تخبر الناس كلما تجمعت الأقوام عند المحافل[1]

وفي (مفاخرات الزبير بن بكار): اجتمع عند معاوية عمرو بن العاص، والوليد ابن عقبة، وعتبة بن أبي سفيان، والمغيرة، وقد بلغهم عن الحسن عليه السلام قوارص -إلى أن قال- فقال الحسن عليه السلام لعمرو: وأما أنت يا ابن العاص فإن أمّك وضعتك مجهولاً من عهر وسفاح، فتحاكم فيك أربعة من قريش، فغلب عليك جزارها ألأمهم حسباً، وأخسهم منصباً، ثم قال أبوك فقال: اني شانئ محمّد الأبتر فأنزل الله فيه ما أنزل، وقاتلت النبيّ صلى الله عليه وآله في جميع المشاهد، وهجوته، وآذيته بمكة، وكدته كيدك كله، وكنت من أشد الناس له تكذيباً وعداوة، ثم خرجت تريد النجاشي مع أصحاب السفينة لتأتي بجعفر وأصحابه إلى أهل مكة، فلما اخطأك ما رجوت، ورجعك الله خائباً جعلت حدّك على صاحبك عمارة بن الوليد، فوشيت به إلى النجاشي لما ارتكب من حليلتك، ففضحك الله وفضح صاحبك، فأنت عدوّ بني هاشم في الجاهلية والإسلام، ثم انّك تعلم وكل هولاء الرهط يعلمون انك هجوت النبيّ صلى الله عليه وآله بسبعين بيتاً من الشعر، فقال النبيّ: اني لا أقول الشعر ولا ينبغي لي، اللهم العنه بكل حرف لعنة، فعليك اذن من الله ما لا يحصى من اللعن.

وأما ما ذكرت من أمر عثمان فأنت سعرت عليه الدنيا ناراً، ثم لحقت بفلسطين، فلما أتاك قتله قلت: أنا أبو عبدالله إذا نكأت قرحة أدميتها، ثم حبست نفسك على معاوية، وبعت دينك بدنياه.

إلى أن قال: ألست القائل في بني هاشم لما خرجت إلى النجاشي:

تقول ابنتي أين هذا الرحيل وما السِتر مني بمستنكر

فقلت ذريني فاني امرؤ أُريد النجاشي في جعفر

(١) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٢٨٥.

لأكـــويه عـــنده كـــية أقـيم بـها نـخوة الأصـعر
وشـانئ أحـمد مـن بـينهم وأقـولهم فـيه بـالمنكر[١]

قلت: وفي (تـذكرة سـبط ابـن الجـوزي): قـال أهـل السـير: لمـا سـلَّمَ الحسن عليه السلام الأمر إلى معاوية أقام يتجهّز إلى المدينة، فـاجتمع إلى مـعاوية رهط من أشياعه منهم عمرو بن العاص، والوليد بن عقبة أخو عثمان لأُمـه - وكان عليّ عليه السلام قد جلده في الخمر - وعتبة بن أبي سفيان وقـالوا: نـريد أن نحضر الحسن لنخجله، فنهاهم معاوية وقال: انه السن بني هـاشم، فألحّـوا عليه، فأرسل إليه، فلما حضر شرعوا فتناولوا عليّاً والحسـن سـاكت، فـلما فرغوا قال: ان الّذي أشرتم إليه قـد صـلى القـبلتين، وبـايع البـيعتين وأنـتم مشركون، وبما أنزل على نبيه كافرون - إلى أن قال - ثم التفت إلى عمرو فقال: أما أنت يا ابن النابغة فادعاك خمسة من قريش، غلب عليك ألأمهم وفيه نزل: ﴿إنَّ شانئك هو الأبتر﴾[٢]، وولدت على فراش مشترك، وكنت عدوّ الله وعدوّ رسوله وعدوّ المسلمين، وكنت أضرّ عليهم من كل مشرك، وأنت القائل:

ولا أنـــثنى عـــن بـــني هـــاشم بما استطعت في الغيب والمحضر
وعـــن عـــائب اللات لا انـثنى ولو لا رضـــي اللات لم تـــمطر

إلى أن قال: أما قول الحسن عليه السلام لعمرو «ولدت على فراش مشـترك»، فذكر الكلبي في (المثالب) ان النابغة أم عمرو كانت من البغايا أصحاب الرايات بمكة، فوقع عليها العاص بن وائل في عدة من قريش منهم أبولهب، وأُمية بن خلف، وهشام بن المغيرة، وأبو سفيان في طهر واحد، فـلما حـملت بـعمرو تكلموا فيه، فلما وضعته اختصم فيه الخمسة الّذين ذكرناهم كل واحد يزعم

---

(١) نقله عنه ابن أبي الحديد في شرحه ٦: ٢٨٥ و ٢٩١.

(٢) الكوثر: ٣.

أنه ولده، وألّب عليه العاص وأبوسفيان كل واحد يقول: والله انه مني، فحكما النابغة، فاختارت العاص، فقالت هو منه، فقيل لها: ما حملك على هذا وأبوسفيان اشرف من العاص؟ فقالت: هو كما قلتم الا أنه رجل شحيح، والعاص جواد ينفق على بناتي[١].

وفيه -في كتابة كتاب التحكيم وانكار عمرو بن العاص كتابة «هذا ما قاضى عليه أمير المؤمنين عليّ» لعدم كونه أميرهم فلا يكتب الا اسمه واسم أبيه، قال عليّ عليه السلام: الله اكبر، اني لكاتب يوم الحديبية للنبيّ صلى الله عليه وآله حين قالوا: لست برسول الله، فاكتب اسمك واسم أبيك، فكتبته. فقال عمرو: سبحان الله أتشبهنا بالكفار. فقال له عليّ: يا ابن النابغة ومتى لم تكن للفاسقين ولياً، وللمسلمين عدواً، وهل تشبه إلّا أُمك الّتي دفعت بك. فقام عمرو وقال: لا يجمع بيني وبينك مجلس بعد اليوم. فقال عليّ: ان الله قد طهر مجلسي منك ومن أشباهك[٢].

«يزعم لأهل الشام أن فيّ دعابة» أي: مزاح. قال ابن أبي الحديد اصل ذلك كلمة قالها عمر، فتلقفها حتى جعلها أعداؤه عليه السلام طعناً عليه.

ففي (أمالي ثعلب) قال ابن عباس: كنت عند عمر، فتنفس نفساً عالياً حتى ظننت أن اضلاعه قد انفرجت، فقلت له: ما أخرج هذا النفس منك إلّا همٌّ شديد. قال: أي والله يا ابن عباس، اني فكرت، فلم أدرِ فيمن أجعل هذا الأمر بعدي. ثم قال: لعلّك ترى صاحبك لها أهلاً. قلت: وما يمنعه من ذلك مع جهاده وسابقته وقرابته وعلمه. قال: صدقت ولكنه امرؤ فيه دعابة -إلى أن قال- ان أحراهم أن يحملهم على كتاب ربهم وسنة نبيهم لصاحبك، والله لئن وليها

(١) تذكرة الخواص: ٢٠٠ ـ ٢٠٥، والنقل بتلخيص.

(٢) تذكرة الخواص: ٩٧.

ليحملنهم على المحجة البيضاء والصراط المستقيم[١].

قلت: وممّا يشهد أيضاً أن الأصل في الكلمة عمر ما في (العقد) -في قصة الشورى- قال المغيرة: اني لعند عمر إذ أتاه آتٍ، فقال له: هل لك في نفر من أصحاب النبيّ يزعمون أن الّذي فعل أبوبكر في نفسه وفيك لم يكن له، وانه كان بغير مشورة ولا تآمر -إلى أن قال- فقال عمر: أما والله لولا دعابة في عليّ ما شككت في ولايته، وان نزلت على رغم أنف قريش.

ولم يكن رمي عمر له عليه السلام منحصراً بالدعابة، فرماه بالعُجب والتهم، ففي موفقيات ابن بكار عن ابن عباس قال: قال لي عمر: ان صاحبكم ان وَلِي هذا الأمر أخشى عُجبه بنفسه أن يذهب به فليتني اراكم بعدي. قلت: ان صاحبنا من قد علمت أنه ما غيّر ولا بدّل ولا أسخط النبيّ صلى الله عليه وآله أيام صحبته له. فقطع عليّ الكلام وقال: ولا في ابنة ابي جهل لما أراد أن يخطبها على فاطمة. فقلت له: صاحبنا لم يعزم على سخط النبيّ، ولكن الخواطر لا يقدر أحد على دفعها عن نفسه، وربما كانت من الفقيه في دين الله العالم بأمر الله. فقال: يا ابن عباس من ظن أنه يرد بحوركم فيغوص فيها معكم حتى يبلغ قعرها فقد ظن عجزاً[٢].

ورماه بالرياء والحرص، فعن (أمالي محمّد بن حبيب) عن ابن عباس قال: دخلت يوماً على عمر فقال: لقد أجهد هذا الرجل نفسه في العبادة حتى نحلته رياء. قلت: من هو؟ قال: هذا ابن عمك عليّ. قلت: وما تقصد بالرياء. قال: يرشح نفسه بين الناس للخلافة. قلت: وما يصنع بالترشيح! قد رشحه لها النبيّ صلى الله عليه وآله فصرفت عنه. قال: انه كان شاباً حدثاً، فاستصغرت العرب سنه

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٣٢٦.

(٢) نقله عنه ابن أبي الحديد في شرحه ١٢: ٥٠.

وقد كمل الآن، ألم تعلم أن الله لم يبعث نبيّاً إلّا بعد الأربعين. قلت: أما أهل الحجى والنهى فانهم ما زالوا يعدونه كاملا منذ رفع الله منار الاسلام ولكنهم يعدونه محروماً. فقال: أما انه سيليها بعد هياط ومياط ثم تزل فيها قدمه، ولا يقضي منها أربه، ولتكونن شاهداً ذلك، ثم يتبين الصبح لذي عينين، وتعلم العرب صحة رأي المهاجرين الاولين الّذين صرفوها عنه بادئ بدء، فليتني أراكم بعدي أن الحرص محرمة ـ الخبر[١].

ورماه بالكبر والاجحاف والغل والحقد، فروى الطبري عن ابن عباس ـ في قصة شعر زهير في بني سنان ـ قال: قال لي عمر: أتدري ما منع الناس عنكم؟ قلت: لا أدري. قال: لكني أدري، كرهت قريش أن تجتمع لكم النبوة والخلافة فتجحفوا الناس جحفاً، فنظرت قريش لأنفسها فاختارت ووفقت فأصابت. قال: فقلت له أتميط عني غضبك. قال: قل ما تشاء. قال: أما قولك: «ان قريشاً كرهت» فان الله تعالى قال: ﴿ذلك بأنهم كرهوا ما انزل الله فأحبط أعمالهم﴾[٢]، واما قولك: «انا كنا نجحف بالخلافة» فلو كنا جحفنا بالخلافة جحفنا بالقرابة، ولكنا قوم أخلاقنا مشتقة من خلق النبيّ الّذي قال تعالى فيه: ﴿وانك لعلى خُلق عظيم﴾[٣]، وقال له: ﴿واخفض جناحك لمن اتّبعك من المؤمنين﴾[٤]، واما قولك: «ان قريشاً اختارت» فان الله تعالى يقول: ﴿وربُّك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة﴾[٥]، وقد علمت أن الله تعالى اختار من خلقه لذلك من اختار، فلو نظرت قريش من حيث نظر الله لها لوفقت

(١) نقله عنه ابن أبي الحديد في شرحه ١٢: ٨٠.

(٢) محمّد: ٩.

(٣) القلم: ٤.

(٤) الشعراء: ٢١٥.

(٥) القصص: ٦٨.

وأصابت. فقال: أبت قلوبكم يا بني هاشم إلّا غشّاً في أمر قريش لا يزول، وحقداً عليها لا يحول. فقلت: مهلا لا تنسب قلوب بني هاشم إلى الغش، فان قلوبهم من قلب رسول الله الّذي طهره وزكاه، وهم أهل البيت الّذين قال تعالى: ﴿انّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾[1].

وأما قولك: «حقداً» فكيف لا يحقد من غصب شيئه ويراه في يدغيره. فقال: بلغني انك لا تزال تقول اخذ هذا الأمر منا حسداً وظلماً. فقلت: أما قولك حسداً فقد حسد ابليس آدم فأخرجه من الجنة فنحن بنو آدم المحسود، وأما قولك ظلماً فأنت تعلم صاحب الحق من هو[2].

ومن المضحك أن ابن أبي الحديد قال بعد نقل ذاك الخبر: ان الأصل في كلام عمرو ابن العاص وان كان كلام عمر، الا ان عمر لم يرد عيبه عليه السلام كما اراده عمرو، فان عمر لما كان شديد الغلظة وعر الجانب خشن اللمس دائم العبوس كان يعتقد أن ذلك هو الفضيلة وان خلافه نقص، ألا ترى أنه قال في آخر الخبر: ان أحراهم ان وليها ان يحملهم على كتاب الله هو ـ الخ[3].

فهل ارادة العيب أي شيء هو، وأما قوله في آخر الخبر فمن اجراء الله تعالى كلمة الحق على لسانه على رغم أنفه، واتماماً للحجة على اتباعه. وكان صدر منه من قبيل ذلك كثيراً، ومنه ما عن موفقيات ابن بكار: كان ابن عباس يماشي في سكة من سكك المدينة عمر، فقال له يا ابن عباس ما أرى صاحبك الا مظلوماً. قال: فقلت في نفسي: لا يسبقني بها فقلت: فاردد إليه ظلامته، فانتزع يده من يدى ومضى يهمهم ساعة ثم وقف فلحقته، فقال: يا ابن عباس

---

(١) الاحزاب: ٣٣.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٢٨٩، سنة ٢٣.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٣٢٧ و٣٢٨، والنقل بالمعنى.

ما أظن منعهم الا أنه استصغره قومه. فقلت في نفسي: هذه شر من الأولى، فقلت: والله ما استصغره الله ورسوله حين أمراه أن يأخذ براءة من صاحبك، فأعرض عني واسرع[1].

فهل ترى كلمات عمرو فيه هذه وباقي كلماته بل وجميع كلمات معاوية فيه عليه السلام، ومنها كتابه إلى الحسن بعد أبيه عليه السلام: اني اليوم كأبي بكر بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وأنت كأبيك بعده، ومادام الكبير لا يرجع الأمر إلى الصغير[2] ـ الا مأخوذة من كلمات عمر، فهل كلمات عمر وعمرو ومعاوية فيه عليه السلام الا كأنها عن قلب واحد.

وإذا كانت كلمات عمر فيه عليه السلام هذه لاغرو أن يسنّ معاوية وباقي بني أُمية سبّه عليه السلام، وإذا قال عمر فيه انه أسخط النبيّ بخطبة ابنة أبي جهل لاغرو أن يقول المغيرة ان النبيّ لم ينكح علياً ابنته حباً له، ولكنه أراد أن يكافئ بذلك احسان أبي طالب إليه.

وكما أخذ عمرو كلمة الدعابة من عمر كذلك اخذ جملة كونه عليه السلام حريصاً على الملك منه، فقال في مجلس معاوية للحسن عليه السلام ـ كما عن مفاخرات ابن بكار ـ انكم يا بني عبدالمطلب لم يكن الله ليعطيكم الملك على قتلكم الخلفاء، واستحلالكم ما حرّم الله من الدماء، وحرصكم على الملك[3].

هذا، ونقل ابن أبي الحديد بمناسبة قول عمرو «ان فيه دعابة» جملة ممّا ورد من طريقهم في مزاحات النبيّ صلى الله عليه وآله المباحة وقال: انها من الأحاديث الصحاح والآثار المستفيضة، لكن ليس الأمر كما ذكر، ففيها الغث كما سترى،

---

(١) نقله عنه ابن أبي الحديد في شرحه ١٢: ٤٦.

(٢) رواه أبو الفرج في المقاتل: ٣٧، والنقل بالمعنى.

(٣) نقله عنه ابن أبي الحديد في شرحه ٦: ٢٨٧.

فقال: روى الناس قاطبة ان النبيّ قال: اني أمزح ولا أقول الا حقاً.

وفي خبر أنّه صلى الله عليه وآله قال لامرأة من الأنصار: الحقي زوجك، فان في عينه بياضاً، فسعت نحوه مرعوبة فقال لها: ما دهاك؟ فأخبرته فقال لها: نعم ان في عيني بياضاً لا لسوء.

وأتت عجوز من الأنصار إليه عليه السلام، فسألته ان يدعو الله تعالى لها بالجنة، فقال لها: ان الجنة لا تدخلها العجّز، فصاحت فتبسم صلى الله عليه وآله وقال ﴿انّا أنشأناهنَّ إنشاءً* فجعلناهُنّ أبكاراً﴾[1].

وفي الخبر: ان امرأة استحملته فقال: إنّا حاملوك على ولد الناقة، فجعلت تقول: يا رسول الله وما أصنع بولد الناقة، وهل يستطيع أن يحمِلَني، وهو يتبسم ويقول: لا أحملُك إلّا عليه، حتى قال لها أخيراً: وهل تلد الابل الا النوق.

وفي الخبر انه صلى الله عليه وآله مرَّ ببلال، فضربه برجله وقال أنائمة أم عمرو، فقام بلال، فضرب بيده إلى مذاكيره، فقال له: ما بالك؟ قال: ظننت اني تحولت امرأة، قيل: فلم يمزح النبيّ بعده.

وفي الخبر: ان صقراً كان لصبي من الأنصار، فطار من يده، فبكى الغلام، فكان النبيّ صلى الله عليه وآله يمر به فيقول: يا أبا عمرو ما فعل الصقر والغلام يبكي، وكان يمازح ابنتي بنته مزاحاً مشهوراً، وكان يأخذ الحسين عليه السلام، فيجعله على بطنه وهو نائم على ظهره ويقول له «حزقة حزقة، ترق عين بقة».

وفي (الصحيح): مر صلى الله عليه وآله على أصحاب الدركله -لعبة للحبش- وهم يلعبون ويرقصون، فقال: خذوا يا بني أرفدة -جنس من الحبش يرقصون- حتى يعلم اليهود والنصارى أن في ديننا فسحة.

---

(١) الواقعة: ٣٥ و٣٦.

وفي الخبر: انه سابق عائشة فسبقته، ثم سابقها فسبقها، فقال: هذه بتلك.

وان أصحاب الزفافة -وهم الراقصون- كانوا يقفون على باب حجرة عائشة، فتخرج إليهم مستمعة ومبصرة، فيخرج هو من ورائها مستتراً بها[١].

قلت: لا يدرون ما يضعون لتلك المرأة، يضعون لها ما فيه ابطال النبوة، فان النبيّ ﷺ الّذي لم يكن يؤمی بعينه فكان حَكَمَ بهدر دم عبدالله بن أبي سرح بعد فتح مكة وجاء به عثمان إليه وطلب منه مراراً الامان، فسكت مدة حتى يقتله أصحابه، ولم يتفطنوا لذلك حتى قال لهم ذلك، فقالوا: كنا ننتظر ايماءك بعينك، فقال: ما كان لنبيّ الايماء[٢] -وفي أُحد لما استكرهوه على الخروج عن المدينة وكان رأيه الوقوف فيها، فخرج ثم ندموا، فقالوا له: استكرهناك فان شئت فارجع، فقال لهم: ما ينبغي لنبيّ إذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل[٣]، ومن قال تعالى فيه: ﴿لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبيّ ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض﴾[٤]، وجعل تعالى لاحترامه التخيير له في نسائه بأن تكون من اختارت نفسها تكون بائنة منه، وجعل تعالى لاحترامه ان امرأة قالت له اعوذ بالله منك تكون محرمة عليه، كيف يسابق عائشة، وكيف يستتر بها لمشاهدة الرقاصين، وقد قال تعالى في وصف أهل الايمان: ﴿وإذا مرّوا باللغو مَرّوا كِراماً﴾[٥]. هل يصير وضع مثل

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٣٣٠.

(٢) رواه ابن هشام في السيرة ٤: ٣٩، والطبري في تاريخه ٢: ٣٣٥، سنة ٨، والواقدي في المغازي ٢: ٨٥٦.

(٣) رواه ابن هشام في السيرة ٣: ١٧، والطبري في تاريخه ٢: ١٩٠، سنة ٣، والواقدي في المغازي ١: ٢١٤، وابن سعد في الطبقات ٢ ق ١: ٢٦.

(٤) الحجرات: ٢.

(٥) الفرقان: ٧٢.

هذه الأحاديث لأمّهم سبباً لرفع قوله تعالى فيها وفي صاحبتها: ﴿وان تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين﴾[1].

ثم ان ابن أبي الحديد نقل شطراً من مزاحات الصحابة والتابعين، ثم قال: وروى عن جماعة منهم اللعب بالنرد والشطرنج، ومنهم من روى عنه شرب النبيذ، وسماع الغناء المطرب، فأما أمير المؤمنين عليه السلام فإذا نظرت إلى كتب الحديث والسير لم تجد أحداً من خلق الله عدوّاً ولا صديقاً روى عنه شيئاً من هذا الفن لا قولاً ولا فعلاً، ولم يكن وقار أتمّ من وقاره، وما هزل قط ولا لعب، ولا فارق الحق والناموس الديني سرّاً ولا جهراً، ولكنه خلق على سجية لطيفة، وأخلاق سهلة، ووجه طلق، وقول حسن، وبشر ظاهر، وذلك من فضائله عليه السلام الّتي اختصه الله بمزيتها، وانما كانت غلظته فعلاً لا قولاً[2].

قلت: وان كان أمير المؤمنين عليه السلام كما قال نفسه في وصف المؤمن: «بِشرهُ في وجههِ وحزنُه في قلبِه»[3] إلا أنه لابد أن يكون له مزاح لطيف كالنبيّ صلى الله عليه وآله، حتى يقول عمر كراراً فيه «لولا دعابة فيه»[4] فيأخذه منه عمرو ويزيد على قول عمر «انه تلعابة وانه يعافس ويمارس»[5].

ومما روي عنه عليه السلام في ذلك ما في صفين نصر انه دفع الراية إلى هاشم المر قال ـ وكان عليه درعان ـ وقال له كهيئة المازح: أبا هاشم أما تخشى من نفسك أن تكون أعور جباناً. فقال له هاشم: ستعلم يا أميرالمؤمنين والله لالفّنَّ

---

(١) التحريم: ٤.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٣٣٦ و٣٣٧.

(٣) نهج البلاغة ٤: ٧٨، حكمة ٣٣٣.

(٤) رواه الجاحظ في السفيانية عنه شرح ابن أبي الحديد ١: ١٨٦، وابن سعد كما في تلخيص الشافي ٤: ٣٧.

(٥) جاء هذا تضمينا في نهج البلاغة ١: ١٤٧، خطبة ٨٢، وتصريحاً في اسانيد الخطبة.

بين جماجم القوم لفّ رجل ينوي الآخرة[١].

وروى الشيخ أن امرأة تقدمت إلى شريح وقالت له: لي احليل ولي فرج، تزوجني ابن عم لي وأخدمني خادماً، فوطئتها فأولدتها، فأخبر شريح أمير المؤمنين عليه السلام بذلك، فأحضر زوجها وقال له: هذه امرأتك وابنة عمّك؟ قال: نعم. قال: قد أخدمتها خادماً فوطئتها فأولدتها؟ قال: نعم. قال: ثم وطأتها بعد ذلك؟ قال: نعم. فقال له: لأنت أجرأ من خاصي الأسد[٢].

ورووا ـ كما في ابن أبي الحديد في موضع آخر ـ ان بعض من يأنس إليه عليه السلام دعاه إلى حلواء عملها يوم نوروز، فأكل وقال: لم عملت هذا؟ فقال: لأنه يوم نوروز، فضحك وقال: نورزوا لنأكل يوم ان استطعتم[٣].

«واني امرؤ تلعابة» أي: كثير اللعب **«أعافس»** في (الجمهرة): أصل العفس دلك الاديم في الدباغ، ثم كثر ذلك حتى قالوا «تعافس القوم» إذا اعتلجوا في صراع ونحوه، وعافس الرجل أهله معافسة وعفاساً **«وأمارس»** فيه مرست الشيء إذا دلكته.

«لقد قال باطلاً ونطق آثماً» لانه يعرفه عليه السلام كل عدوّ وولي بضد ما قال، ويعلم كل من سمع ذلك أنه من خطأ المقال، فلا تأثير لتهمته وقالوا في المعنى:

ما ضرَّ وائل تغلب اهجوتها ... أم بلت حيث تناطح البحران

ما يضير الهجر امسي زاخراً ... ان رمى فيه غلام بحجر

ما أُبالي انب بالحزن تيس ... ام لحاني بظهر غيب لئيم

«اما وشر القول الكذب انه ليقول فيكذب» ومن أكاذيبه ما رواه سليم بن

(١) وقعة صفين: ٣٢٦.

(٢) رواه الشيخ الطوسي في التهذيب ٩: ٣٥٤ ح ٥، والنقل بتلخيص.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٢٤٨.

قيس انه خطب الناس بالشام فقال: بعثني النبيّ في جيش فيه أبوبكر وعمر، فظننت أنه انما بعثني لكرامتي عليه، فلما قدمت عليه قلت أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة. فقلت: من الرجال؟ فقال: أبوها ـ وعليّ يطعن على أبي‌بكر وعمر وعثمان ـ وقد سمعت النبيّ يقول: ان الله ضرب بالحق على لسان عمر وقلبه.

وقال في عثمان: ان الملائكة تستحيي من عثمان.

وقد سمعت علياً بأذني والافصمتا يروي على عهد عمر أن النبيّ نظر إلى أبي‌بكر وعمر مقبلين فقال: يا عليّ هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأوّلين والآخرين، ما خلا النبيين منهم والمرسلين، ولا تحدثهما بذلك فيهلكا.

فبلغ كلامه وخطبته علياً عليه السلام فقام فقال: العجب لطغاة أهل الشام حيث يقبلون قول عمرو ويصدقونه، وقد بلغ من قلة ورعه أن يكذب على النبيّ، وقد لعنه النبيّ ولعن صاحبه الّذي يدعو إليه في غير موطن، وذلك أنه هجاه بقصيدة سبعين بيت، فقال النبيّ: اللهم اني لا أقول الشعر فالعنه انت وملائكتك بكل بيت لعنة تترى على عقبه إلى يوم القيامة، ثم لما مات إبراهيم ابن النبيّ صلى الله عليه وآله قام فقال: ان محمّداً قد صار أبتر لا عقب له واني لأشنأ الناس له، فأنزل الله فيه: ﴿انَّ شانِئك هو الأبتر﴾[1]، يعنى أبتر من الايمان ومن كل خير، ما لقيت هذه الامة من كذابيها ومنافقيها، ولكأني بالقراء الضعفة المتهجدين رووا حديثه وصدقوه فيه واحتجوا علينا أهل البيت بكذبه.

إلى أن قال: والّذي فلق الحبة وبرأ النسمة انه ليعلم أنه قد كذب عليّ يقيناً، وانه لم يسمعه مني سراً ولا جهراً، اللهم العن عمرواً والعن معاوية بصدّهما عن سبيلك وكذبهما على نبيك[2].

---

(١) الكوثر: ٣.

(٢) كتاب سليم بن قيس: ١٧٢ .

قلت: ولم يصدق من حديثه الا قوله بعثني النبيّ في جيش فيه أبوبكر وعمر، فانه عليه السلام بعثه أميراً عليهما، واما باقيه فكذب محض حتى في قوله «فظننت انه انما بعثني لكرامتي عليه»، فانه علم انه عليه السلام أمّره عليهما ليفهم الناس عدم كرامتهما عليه، كما أنه امر عليهما مولاه زيد بن حارثة وابن مولاه أُسامة بن زيد ليعلم الناس ذلك، فطعناهما واتباعهما في تأميرهما حتى خطب النبيّ صلى الله عليه وآله وقال: طعنتم في امارتهما وهما أهل لذلك، وكذبه في حديثه كما قيل في أبي حازم:

حديث أبي حازم كله	كقول الفواخت جاء الرطب
وهنّ وان كنّ يشبهنه	فليس يدانِينَه في الكذب

وكذبه عليه عليه السلام نظير كذب عمرو بن معديكرب على خالد النهدي، ففي الأغاني قال المبرد: كانت الاشراف بالكوفة يخرجون إلى ظاهرها يتناشدون الأشعار ويتحدثون ويتذاكرون أيام الناس، فوقف عمرو بن معديكرب إلى جانب خالد بن الصقعب النهدي -وهو لا يعرفه- فأقبل عليه يحدثه ويقول: أغرت على بني نهد، فخرجوا إلي مسترعفين بخالد بن الصقعب يقدمهم، فطعنته فوقع وضربته بالصمصامة حتى فاضت نفسه. فقال له خالد: يا أباثور أنا لمقتولك الّذي تحدث. فقال: اللهم غفراً اسمع انما نتحدث بمثل هذا وأشباهه لترهب هذه المعدية - الخبر.

الا أن عمرواً ذاك خجل وعمرواً هذا لم ينفعل، وعمرو ذاك تحدث بما حدث لارهاب المعدية، وعمرو ذا حدث بما حدث لتحميق الشامية.

هذا، وممن كان مشهوراً بالكذب عليّ بن الجهم الشاعر الناصبي، حتى قال المتوكل -كما في الأغاني- انه أكذب خلق الله، حفظت عليه انه أخبرني انه أقام بخراسان ثلاثين سنة، ثم مضت مدة ونسي ما أخبرني به، فأخبرني انه

أقام بالثغور ثلاثين سنة، ثم مضت مدة نسي الحكايتين، فأخبرني انه أقام بالجبل ثلاثين سنة، ثم مضت مدة، فأخبرني أنه أقام بمصر والشام ثلاثين سنة -إلى أن قال- فيجب أن يكون عمره على ما قال على التقليل مائة وخمسين سنة، وانما يضاهي خمسين سنة فليت شعري أي فائدة له في هذا الكذب وما قصده.

وكان عليّ بن الجهم في الوقاحة كعمرو بن العاص، فكما لم يستحي عمرو في كذبه عليه عليه السلام في حضوره لم يستحي ابن الجهم في كذبه على الصولي، ففي الأغاني قال ابن المدبر لابراهيم الصولي: ان عليّ بن الجهم -وكان عند الصولي- يزعم أن هذين البيتين له:

واذا جزى الله امرءاً بفعاله	فجرى أخاً لي ماجداً سمحا
ناديته عن كربة فكأنما	اطلعت عن ليل به صبحا

فقال: كذب، هذان لي في محمّد بن عبدالملك الزيات. فقال له ابن الجهم: ألم أنهك ان تنتحل شعري، فغضب الصولي وجعل يقول له بيده سوءة عليك سوءة لك ما أوقحك -وهو لا يخجل- ثم التقينا بعد مدة فقال: ارأيت كيف أخزيت إبراهيم الصولي، فجعلت اعجب من صلابه وجهه.

«ويعد فيخلف» ومن أمثالهم في من يخلف الوعد «مواعيد عرقوب»[1]، قالوا: كان عرقوب رجلاً من العماليق، فأتاه أخ له يسأله شيئاً، فقال له عرقوب: إذا اطلع نخلي، فلما اطلع نخله أتاه، فقال: إذا أبلح، فلما أبلح أتاه، فقال: إذا أزهى، فلما أزهى أتاه، فقال: إذا أرطب، فلما أرطب أتاه، فقال: إذا صار تمراً، فلما صار تمراً أخذه من الليل ولم يعطه شيئاً.

وقالوا: قدم صديق لدعبل من الحج، فوعده أن يهدي له نعلا، فأبطأت

---

(١) أورده الميداني في مجمع الامثال ٢: ٣١١.

عليه، فكتب إليه:

وعدت النعل ثم صدفت عنها كأنك تبتغي شتماً وقذفا
فإن لم تهدلي نعلا فكنها إذا أعجمت بعد النون حرفا

أي أنت نغل بجعل عينها غيناً، والنغل فاسد النسب.

ووعد رجل الأعمش فأخلفه، فلما جاءه قال له: مرحباً يا أبا المنذر. قيل له: ما هذا كنيته؟ قال: علمت لكن كنيّته بكنية مسيلمة أي الكذاب.

وفي (الصحاح): الخلف بالضم الاسم من الخلاف، وكان أهل الجاهلية يقولون: «أخلفت النجوم» إذا أمحلت فلم يكن فيها مطر، والخلف في المستقبل كالكذب في الماضي.

ولبديع الهمداني في وصف شيخ كان يخلف وعده: ما أشبه وعد الشيخ في الخلاف، الا بشجر الخلاف، خضرة في العين، ولا ثمرة في البين، فما ينفع الوعد، ولا انجاز من بعد، ومثل الوعد مثل الرعد ليس له خطر أن لم يتله مطر.

«ويسأل فيلحف» الالحاف الالحاح كان معاوية ولي عبدالرحمن بن أم الحكم أُخته الكوفة، فأساء السيرة بها، فقدم قادم منها إلى المدينة، فسألته امرأة عبدالرحمن عنه فقال: تركته يسأل الحافاً، وينفق اسرافاً.

قال تعالى في وصف فقراء المؤمنين: ﴿لا يسألون الناس الحافاً﴾[1] وقال الباقر عليه السلام لمحمد بن مسلم الثقفي: لو يعلم السائل ما في المسألة ما سأل أحد أحداً، ولو يعلم المعطي ما في العطية مارد أحد أحداً[2].

وقال الصادق عليه السلام لأبي بصير الاسدي: جاءت فخذ من الأنصار إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقالوا: لنا إليك حاجة. فقال: هاتوا. قالوا: حاجة عظيمة تضمن لنا

(١) البقرة: ٢٧٣.

(٢) أخرجه الكليني في الكافي ٤: ٢٠ ح ٢، والصدوق في الفقيه ٢: ٤١ ح ٣٠.

على ربّك الجنة. فنكس النبيّ رأسه ثم نكت في الأرض ثم رفع رأسه فقال: أفعل ذلك بكم على أن لا تسألوا أحداً شيئاً. فكان الرجل منهم في السفر فيسقط سوطه فيكره أن يقول لانسان ناولنيه فراراً من المسألة وينزل فيأخذه، ويكون على المائدة فيكون بعض الجلساء أقرب إلى الماء منه فلا يقول ناولني حتى يقوم فيشرب[1].

«ويسأل فيبخل» قال النبيّ صلى الله عليه وآله: وأي داء أدوى من البخل، ولو يعلم الناس ما في الرد ما رد أحد أحداً[2].

«ويخون العهد» فأخذ من النبيّ صلى الله عليه وآله راية، وعهد معه ألا يقاتل بها مسلماً، فخان وقاتل مع من كان نفس النبيّ صلى الله عليه وآله.

وفي (كنايات الجرجاني): يسمّون سورة المائدة سورة الأخيار، وقولهم فلان لا يقرأ سورة الأخيار، يعني لا يفي بالعهد، قال جرير:

ان البعيث وعبد آل مقاعس ... لا يقرءان سورة الاخيار

«ويقطع الالّ» أي: القرابة والرحم، قال حسان:

لعمرك ان إلكّ من قريش ... كإلّ السقب من رأل النعام[3]

«فإذا كان عند الحرب فأي زاجرٍ وآمرٍ هو ما لم تأخذ السيوف مآخذها» في (صفين نصر): لما عبأ معاوية خيله، وعقد الألوية، وأمّر الأُمراء، وكتّب الكتائب، قال عمرو بن العاص له: اعصب هذا الأمر برأسي، وأرسل إلى أبي الأعور يقولوا له: ان لعمرو رأياً وتجربة ليسا لي ولك، وقد وليته أعنة الخيل

---

(١) اخرجه الكليني في الكافي ٤: ٢١ ح ٥، والصدوق في الفقيه ٢: ٤١ ح ٣١.

(٢) اما صدر ذلك فحديث مشهور نبوي اخرجه الكليني في الكافي ٤: ٤٤ ح ٣، والحاكم في المستدرك ٣: ٢١٩، والقاضي القضاعي في شهاب الاخبار: ١٢٢ ح ٢٢٤، وغيرهم واما ذيله فقد روى معناه عن الباقر عليه السلام الكليني في الكافي ٤: ٢٠ ح ٢، والصدوق في الفقيه ٢: ٤١ ح ٣٠.

(٣) أورده لسان العرب ١١: ٢٦، مادة (الّ).

ففعل -إلى أن قال -فقال عمرو لابنيه عبدالله ومحمّد: قدما لي هذه الدرع، وأخرا عني هذه الحسر، وأقصا الصف قص الشارب، فان هؤلاء قد جاؤوا بخطة بلغت السماء، فمشي ابناه براياتهما وعدلا الصفوف، وسار بينهما عمرو حتى عدل الصفوف وأحسن الصف ثانية، ثم حمل قيساً وكلباً وكنانة على الخيول، ورجل سائر الناس، وقعد على منبره، وأحاط به أهل اليمن وقال: لايقربن أحد هذا المنبر إلّا قتلتموه كائناً من كان[1].

وفي (صفين نصر): ان الحسن عليه السلام لما سلم الأمر إلى معاوية أشخص عبدالله بن هاشم المرقال إليه أسيراً، فأدخل عليه وعنده عمرو بن العاص، فقال عمرو لمعاوية: هذا المحتال ابن المرقال، فدونك الضب المضب، فان العصا من العصية، وانما تلد الحية حية، وجزاء سيئة سيئة مثلها، أمكني منه فأشخب أوداجه على أثباجه. فقال له ابن المرقال: فهلا كانت هذه الشجاعة منك يا بن العاص أيّام صفين حين ندعوك إلى النزال، وقد اتبلت أقدام الرجال من نقيع الجريال -أي الدم- وقد تضايقت بك المسالك، وأشرفت فيها على المهالك، وايم الله لولا مكانك من معاوية انشبت لك مني حافية، أرميك من خلالها أحد من وقع الأثافي، فانك لا تزال تكثر في هوسك، وتخبط في دهسك، وتنشب في مرسك، خبط العشواء في الليلة الخندس الظلماء. فأعجب معاوية ما سمع من كلامه، فكف عن قتله وبعث به إلى السجن[2].

ورواه (المروج) وفيه: قال لعمرو: أفلا كان هذا منك إذ تحيد عن القتال، ونحن ندعوك إلى النزال، وأنت تلوذ بشمال النطاف وعقائق الرصاف، كالامة السوداء والنعجة القوداء لا تدفع يد لامس. فقال له عمرو: لا أحسبك منفلتاً من

(١) وقعة صفين: ٢٢٤.

(٢) وقعة صفين: ٣٤٨.

مخالب معاوية. فقال له ابن المرقال: أما والله يا ابن العاص انك لبطر في اللقاء، جبان عند اللقاء، غشوم إذا وليت، هياب إذا لقيت، تهدر كما يهدر العوذ المنكوس المقيد بين مجرى الشول، لا يستعجل في المدة، ولا يرتجي في الشدة ـ الخ[1].

هذا، ولابن ميادة في ايوب بن سلمة ابن اخته:

ظَلَلْنا وقوفاً عند باب ابن اختنا وظلٌّ عن المعروف والمجد في شغل
صفا صلد عند الندى ونعامة إذا الحرب أبدت عن نواجذها العصل

ولبعضهم في الحجاج:

أسد عليّ وفي الحروب نعامةٌ حرباء تصفر من صفير الصافر
هلا برزت إلى غزالة في الوغى بل كان قلبك في جناحي طائر

وقال قرواش في رجلين:

ضبعا مجاهرة وليثا هدنة وثعيلبا خمر إذا ما اظلما

ولبعضهم:

أفي السلم اعيار جفاء وغلظة وفي الحرب أمثال النساء العوارك

«فإذا كان» أي: وجد «ذلك» أي: أخذ السيوف مآخذها «كان أكبر مكيدته ان يمنح» أي: يعطي «القرم» هكذا في (المصرية)، والصواب: (القوم) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[2]، ولا معنى للقرم هنا، فان معناه البعير المكرم لا يحمل عليه (سبته) بالفتح أي: دبره.

في (العيون) قال المدائني: رأى عمرو بن العاص يوماً معاوية يضحك، فقال له: مم تضحك؟ قال: من حضور ذهنك عند ابدائك سوأتك يوم ابن أبي

---

(١) مروج الذهب ٣: ٩.

(٢) لفظ شرح ابن أبي الحديد ٦: ٢٨٠، وشرح ابن ميثم ٢: ٢٧٠، مثل المصرية.

طالب، أما والله لقد وافقته مناناً كريماً، ولو شاء أن يقتلك لقتلك. فقال له عمرو: أما والله واني لعن يمينك حين دعاك عليّ إلى البراز، فاحولت عيناك، وربا سحرك، وبدا منك ما أكره ذكره لك، فمن نفسك فاضحك أودع.

وفي (صفين نصر): حمل عمرو بن العاص معلماً وهو يقول:

شدّوا علي شكتي لا تنكشف بعد طليح والزبير فاتّلف

يوم لهمدان ويوم للصدف وفي تميم نحوه لا تنحرف

أضربها بالسيف حتى تنصرف إذا مشيت مشية العوذ الصلف

ومثلها لحمير او تنحرف والربعيون لهم يوم عصف

فاعترضه عليّ عليه السلام وهو يقول:

قد علمت ذات القرون الميل والخصر والأنامل الطفيل

اني بنصل السيف خنشليل احمي وأدمي أوّل الرعيل

بصارم ليس بذي فلول

ثم طعنه فصرعه، واتقاه عمرو برجله، فبدت عورته، فصرف عليّ وجهه عنه وارتث، فقال القوم له عليه السلام: أفلت الرجل. قال: وهل تدرون من هو؟ قالوا: لا. قال: فانه عمرو بن العاص تلقاني بعورته، فصرفت وجهي عنه. ورجع عمرو إلى معاوية فقال له: ما صنعت؟ قال: لقيني عليّ فصرفني. قال: أحمد الله وعورتك، أما والله ان لو عرفته ما اقحمت عليه. وقال:

ألا لله من هفوات عمرو يعاتبني على تركي برازي

فقد لاقى أبا حسن علياً فآب الوائلي مآب خازي

فلو لم يُبدِ عورته للاقى به ليثاً يذلل كل نازي

له كفّ كأن براحتيها منايا القوم يخطف خطف بازي

فان تكن المنية اخطأته فقد غني بها أهل الحجازي

إلى أن قال بعد ذكر حض معاوية لبسر بن ارطاة برازه إليه عليه السلام: فبرز وانه عليه السلام لما قاربه طعنه وهو دارع فألقاه على الأرض، فقصد بسر أن يكشف عورته ليستدفع باسته، فانصرف عنه، فقال له الأشتر: هذا عدوّ الله بسر. فقال له: دعه عليه لعنة الله أبعد أن فعلها، فقال الأشتر:

اكلّ يومٍ رجل شاغره ... وعورة وسط العجاج ظاهره
تبرزها طعنة كف واتره ... عمرو وبسر رميا بالفاقره

وقال النضر بن الحارث:

أفي كل يومٍ فارس تندبونَه ... له عورةٌ وسط العجاجة باديه
يكف بها عنه على سنانه ... ويضحك منها في الخلاء معاويه
بدت امس بن عمرو فقنع راسه ... وعورة بسر مثلها حذو حاذيه
فقولا لعمرو وابن ارطاة ابصرا ... سبيلكما لا تلقيا الليث ثانيه
ولا تحمدا إلا الحيا وخصيكما ... هما كانتا والله للنفس واقيه
فلولاهما لم تنجوا من سنانه ... وتلك بما فيها من العود ناهيه[1]

هذا، وفي (عيون ابن قتيبة): أخذ عبدالله بن علي أسيراً من أصحاب مروان ابن محمّد، فأمر بضرب عنقه، فلما رفع السياف السيف ضرط الشامي، فنفرت دابة عبدالله، فضحك وقال للشامي: اذهب فأنت عتيق استك. فقال الشامي: هذا والله الادبار، كنا ندفع الموت بأسنتنا، فصرنا ندفعه اليوم بأستاهنا.

قلت: لم يدر عبدالله بن عليّ يقول له كنتم من أول يوم تدفعون الموت بأستاهكم، فلو كان عمرو لم يكشف عورته لكان عليه السلام قتله، ولو كان قتل لم يكن من يكيد لكم رفع المصاحف لما انهزمتم، فالأصل في امركم سبة عمرو.

---

(١) وقعة صفين: ٤٦٢.

«أما والله انه ليمنعني من اللعب ذكرُ الموت» قال النبيّ ﷺ: أكيس المؤمنين من كان أكثرهم ذاكراً للموت، وأشدهم له استعداداً[١].

«وانه ليمنعه من قول الحق نسيان الآخرة» روى (صفين نصر): أن ذا الكلاع الحميري من أصحاب معاوية أراد ان يجمع بين عمار وعمرو بن العاص، لأنه سمع من عمرو في امارة عمر أن النبيّ ﷺ حدثه ان أهل الشام وأهل العراق يلتقيان، وفي إحدى الكتيبتين الحق وإمام الهدى ومعه عمار ـ إلى أن قال ـ قال عمرو لعمار: فعلام تقاتلنا أولسنا نعبد الهاً واحداً؟ فقال له عمار: أمرني النبيّ ان أُقاتل الناكثين وقد فعلت، وأمرني ان أُقاتل القاسطين فأنتم هم، واما المارقين فما أدري أدركهم أم لا، ألست تعلم أيها الأبتر ان النبيّ قال لعليّ «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه»، وانا مولى الله ورسوله وعلي بعده وليس لك مولى. قال عمرو له: لِمَ تشتمني ولست أشتمك. قال: وبِمَ تشتمني، أتستطيع ان تقول اني عصيت الله ورسوله يوماً.

إلى أن قال: فقال له عمرو: فما تقول في قتل عثمان؟ قال: فتح لكم باب كل سوء. قال عمرو: فعليّ قتله. قال عمار: بل الله رب عليّ قتله وعليّ معه. قال: أكنت في من قتله؟ قال: كنت مع من قتله، وأنا اليوم أقاتل معهم. قال عمرو: فلم قتلتموه؟ قال: أراد أن يغير ديننا فقتلناه. فقال عمرو: ألا تسمعون قد اعترف بقتل عثمان. فقال عمار: قد قال فرعون من قبلك لقومه: ﴿ألا تَستَمِعونَ﴾[٢].

وفي (خلفاء ابن قتيبة): ذكروا أن رجلا من همدان يقال له برد قدم على معاوية، فسمع عمرو بن العاص يقع في عليّ عليه السلام، فقال له: يا عمرو ان أشياخنا سمعوا النبيّ ﷺ يقول «من كنت مولاه فعليّ مولاه» فحق ذلك أم

---

(١) اخرجه الاهوازي في الزهد: ٧٨ ح ٢١١.

(٢) وقعة صفين: ٣٣٢ ـ ٣٣٩. والآية ٢٥ من سورة الشعراء.

باطل؟ فقال عمرو: حق وانا أزيدك انه ليس أحد من صحابة النبيّ له مناقب مثل مناقب عليّ. ففزع الفتى، فقال عمرو: لكنه أفسدها بأمره في عثمان. قال: هل أمر أو قتل؟ قال: لا ولكنه آوى ومنع. قال: فهل بايعه الناس عليها؟ قال: نعم. قال: فما أخرجك منها؟ قال: اتهامي اياه في عثمان. قال له: وأنت أيضاً قد اتهمت. قال: صدقت فيها خرجت إلى فلسطين. فرجع الفتى إلى قومه فقال: انا اتينا قوماً أخذنا الحجة عليهم من أفواههم، عليّ على الحق فاتبعوه[١].

«انه لم يبايع معاوية حتى شرط» هكذا في (المصرية)، والصواب: (حتى شرط له) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٢] «أن يؤتيه أتية» أي: يعطيه عطية «ويرضخ له على ترك الدين رضيخة» في (الجمهرة): رضخ فلان لفلان من ماله إذا أعطاه قليلا من كثير، والاسم الرضيخة.

في (صفين نصر): طلب معاوية من عمرو أن يسوي صفوف أهل الشام، فقال له عمرو: على ان لي حكمي ان قتل ابن أبي‌طالب واستوسقت لك البلاد. فقال: أليس حكمك في مصر؟ قال: وهل مصر تكون عوضاً عن الجنة، و قتل ابن أبي‌طالب ثمن لعذاب النار. فقال له معاوية: لك حكمك ان قتل رويداً لا يسمع أهل الشام كلامك[٣].

وفي (يتيمة الثعالبي):

سن التختم في اليمين محمّدٌ ... للقائلين بدعوه الاخلاص
فسعى ابن هند في ازالة رسمه ... وأعانه في ذلك ابن العاص[٤]

وفي (الأغاني): حضرت الأنصار ـ ومعهم النعمان بن بشير ـ باب

---

(١) الامامة والسياسة ١: ١٠٩.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٦: ٢٨٠، لكن في شرح ابن ميثم ٢: ٢٧٠، مثل المصرية.

(٣) وقعة صفين: ٢٣٧.

(٤) نقله عنه الشارح في كتاب الاوائل: ٤، لكن لم اظفر عليه في يتيمة الدهر.

معاوية فقال حاجبه سعد له الأنصار بالباب. فقال عمرو بن العاص: ما هذا القلب الّذي جعلوه نسباً، أرددهم إلى نسبهم. فقال له معاوية: ان علينا في ذلك شناعة. قال: وما في ذلك، انماهي كلمة مكان كلمة. فقال معاوية لحاجبه: أخرج فنادِ من كان بالباب من ولد عمرو بن عامر فليدخل، فخرج فنادى، فدخل من كان هناك منهم سوى الأنصار، فقال له: أخرج فنادِ من كان هناك من الأوس والخزرج فليدخل، فخرج فنادى، فوثب النعمان وأنشأ يقول:

يا سعد لا تعد الدعاء فما لنا نسب نجيب به سوى الأنصار
نسب تخيرهُ الإله لنا اثقل به نسباً على الكفار

فقال معاوية لعمرو: قد كنّا لأغنياء عن هذا.

هذا، ونظير كلامه عليه السلام في عمرو كلام ابن عباس فيه، ففي (بيان الجاحظ) و(عقد ابن عبد ربه): قال المدائني: قام عمرو في موسم من مواسم العرب، فأطرى معاوية وبني امية وذكر مشاهده بصفين، فأقبل ابن عباس عليه وقد اجتمعت قريش، فقال له: انك ابتعت دينك من معاوية، وأعطيته ما بيدك، ومنّاك ما بيد غيرك، وكان الّذي أخذ منك أكثر من الّذي أعطاك، والّذي أخذت منه دون الّذي أعطيته، وكلّ راضٍ بما أخذ وأعطى، فلمّا صارت مصر في يدك كدرها عليك بالعزل والتنغيص حتى لو كانت نفسك في يدك ألقيتها، وذكرت مشاهدك بصفين، فو الله ما ثقلت علينا وطأتك، ولقد كشفت فيها عورتك، وان كنت فيها الطويل اللسان قصير السنان آخر الخيل إذا أقبلت، وأولها إذا أدبرت، لك يدان يدٌ لاتبسطها إلى خير، وأُخرى لا تقبضها عن شر، ولسان غرور ذو وجهين وجه موحش، ووجه مونس، ولعمري ان من باع دينه بدنيا غيره لحري أن يطول عليها ندمه، لك لسان وفيك خطل، ولك رأي

وفيك نكد، ولك قدر وفيك حسد، وأصغر عيب فيك أعظم عيب في غيرك[١].

هذا، ونظير كلامه عليه السلام في ابن النابغة كلام أحمد بن أبي طاهر البغدادي في ابن مكرم صاحب أبي العيناء «هو العاق لأبيه، والمنتفي من أخيه، والقاذف لأُمه، والقاطع لرحمه، المهتوك الحرمة، الوضيع الهمة، الضيق الصدر، القريب القعر، السريع إلى الصديق، البطئ عن الحقوق، المشهور بالزناء، المعروف بالبغاء، العاكف على ذنبه، الصادف عن ربّه، الوضيع في خلائقه، العاتي على خالقه، الدائم البطنة، القليل الفطنة، النطف الدين والجيب، الدنس العرض والثوب، عدوّه آمن من غائلته، وصديقه خائف من بائقته، جهله جهل الصبيان، وضعفه ضعف النسوان، سهل الريح، ثقيل الروح، خفيف العقل والزون. خبيث الفرج والبطن، جليسه بين نتن واذى، وقذر وبذي، من استخف به اكرمه، ومن وصله صرمه، غث الخلقة، رث الهيئة، وسخ المروءة، يحلف ليحنث، ويعهد لينكث، ويعد ليخلف، ويحدّث ليكذب، ان تكلم ملأ الأسماع عياً، والأنف نتناً، وان سكت قرى العيون قبحاً، والقلوب مقتاً، اسناده عن المخنّثين، وبلاغته في ذم الصالحين، وطرفه قذف المحصنات، وسعيه في كسب السيئات، وخلوته لاقتراف السَوْءات، وتمني الشهوات».

وكلام أعرابي لشخص «أنت والله ممن إذا سأل ألحف، وإذا سئل سوّف، وإذا حدّث حلف، وإذا وعد أَخلف، تنظر نظر حسود،وتعرض اعراض حقود».

وعكسه قول النظام في عبدالوهاب الثقفي: هو والله أحلىٰ من أمن بعد خوف، وبرء بعد سقم، وخصب بعد جدب، وغنى بعد فقر، ومن طاعة المحبوب، وفرج المكروب، ومن الوصال الدائم، مع الشباب الدائم.

---

(١) البيان والتبيين ٢: ٣٣٨.

هذا، وفي (اللسان): حق الكهول أي بيت العنكبوت، ومنه قول عمرو بن العاص لمعاوية في محاورات كانت بينهما: لقد رأيتك بالعراق، وان امرك كحق الكهول أو كالحجاة في الضعف، فمازلت أرمه حتى استحكم. قال الازهري: وروى ابن قتيبة هذا الحرف بعينه، فصحفه وقال «مثل حق الكهدل» بالدال بدل الواو، وخبط في تفسيره خبط العشواء، والكهول العنكبوت وحقه بيته[1].

٤
الكتاب (٣٢)

ومن كتاب لهعليه السلام إلى معاوية:

وَأَرْدَيْتَ جيلاً مِنَ النَّاسِ كَثِيراً، خَدَعْتَهُمْ بِغَيِّكَ، وَأَلْقَيْتَهُمْ فِي مَوْجِ بَحْرِكَ، تَغْشَاهُمُ الظُّلُمَاتُ، وَتَتَلاَطَمُ بِهِمُ الشُّبُهَاتُ، فَجَازُوا عَنْ وِجْهَتِهِمْ، وَنَكَصُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ، وَتَوَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ، وَعَوَّلُوا عَلَى أَحْسَابِهِمْ، إِلَّا مَنْ فَاءِ مِنْ أَهْلِ الْبَصَائِرِ، فَإِنَّهُمْ فَارَقُوكَ بَعْدَ مَعْرِفَتِكَ، وَهَرَبُوا إِلَى اللهِ مِنْ مُوَازَرَتِكَ، إِذْ حَمَلْتَهُمْ عَلَى الصَّعْبِ، وَعَدَلْتَ بِهِمْ عَنِ الْقَصْدِ. فَاتَّقِ اللهِ يَا مُعَاوِيَةُ فِي نَفْسِكَ، وَجَاذِبِ الشَّيْطَانَ قِيَادَكَ، فَإِنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ عَنْكَ، وَالْآخِرَة قَرِيبَةٌ مِنْكَ، والسلام.

أقول: قال ابن أبي الحديد: وقبله «أما بعد فان الدنيا دار تجارة، وربحها أو خسرها الآخرة، فالسعيد من كانت بضاعته فيها الأعمال الصالحة، ومن رأى الدنيا بعينها وقدّرها بقدرها، واني لأعظك مع علمي بسابق العلم فيك ممّا لا مردّ له دون نفاذه، ولكن الله تعالى أخذ على العلماء أن يؤدّوا الأمانة، وأن ينصحوا الغوي والرشيد، فاتق الله ولا تكن ممن لا يرجو لله وقاراً، ومن حقت

---

(١) لسان العرب ١١: ٦٠٢ و٦٠٣، مادة (كهل)، والنقل بالمعنى.

عليه كلمة العذاب، فان الله بالمرصاد، وان دنياك ستدبر عنك، وستعود حسرة عليك، فاقلع عمّا أنت عليه من الغيّ والضلال على كبر سنك وفناء عمرك، فإن حالك اليوم كحال الثوب المهيل الّذي لا يصلح من جانب إلا فسد من آخر، وقد أرديت جيلاً» الخ.

قال المدائني: فكتب إليه: أما بعد فقد وقفت على كتابك وقد أبيت على الفتن إلّا تمادياً، واني لعالم أن الّذي يدعوك إلى ذلك مصرعُك الّذي لابد لك منه، وان كنت موائلا فازدد غياً إلى غيك، فطالما خفّ عقلك، ومنيت نفسك ما ليس لك، والتويت على من هو خير منك، ثم كانت العاقبة لغيرك، واحتملت الوزر بما أحاط بك من خطيئتك.

قال: فكتب إليه عليّ عليه السلام: أما بعد فان ما أتيت به من ضلالك ليس ببعيد الشبه مما أتى به أهلك الّذين حملهم الكفر وتمنى الباطل على حسد محمّدٍ، حتى صرعوا مصارعهم حيث علمت، لم يمنعوا حريماً، ولم يدفعوا عظيماً، وأنا صاحبهم ولا تبع ان شاء الله خلفهم بسلفهم، فبئس الخلف خلف اتبع سلفاً محله ومحطه النار.

قال: فكتب إليه معاوية: أما بعد فقد طال في الغي ما استنررت ادراجك كما طال ما تمادى عن الحرب نكوصك وابطاؤك، فتوعد وعيد الأسد، وتروغ روغان الثعلب، فحتام تحيد عن لقاء الليوث الضارية، والأفاعي القاتلة، ولا تستبعدنها، فكل ما هو آتٍ قريب.

قال: فكتب إليه عليّ عليه السلام: اما بعد فما أعجب ما يأتيني منك وما أعلمني بما أنت إليه صائر، وليس ابطائي عنك إلّا ترقباً لما كنت له مكذّب وأنا به مصدّق، وكأني بك غداً وأنت تضج من الحرب ضجيج الجمال من الأثقال، وستدعوني أنت وأصحابك إلى كتاب

تعظمونه بألسنتكم وتجحدونه بقلوبكم.

قال: فكتب إليه معاوية: أما بعد فدعني من أساطيرك، واكفف عني من أحاديثك، واقصر عن تقولك على النبيّ وافترائك من الكذب ما لم يقل، وغرور من معك والخداع لهم، فقد استغويتهم ويوشك أمرك أن ينكشف لهم، فيعتزلوك ويعلموا أن ما جئت به باطل مضمحل.

قال: فكتب عليّ عليه السلام: اما بعد فطالما دعوت أنت وأولياؤك أولياء الشيطان الرجيم الحق أساطير الأولين، ونبذتموه وراء ظهوركم، وجهدتم لاطفاء نور الله بأيديكم وأفواهكم، والله متمّ نوره ولو كره الكافرون، ولعمري ليتمن النور على كرهك، ولينفذن العلم بصغارك، ولتجازين بعملك، فعث في دنياك المنقطعة عنك ما طاب لك، فكأنك بباطلك وقد انقضى، وبعملك وقد هوى، ثم تصير إلى لظى لم يظلمك الله شيئاً، وما ربنا بظلام للعبيد.

قال: فكتب معاوية: أما بعد فما أعظم الرين على قلبك، والغطاء على بصرك، الشره من شيمتك، والحسد من خليقتك، فشمر للحرب، واصبر للضرب، فوالله ليرجعنَّ الأمر إلى ما علمت والعاقبة للمتقين، هيهات هيهات اخطأك ما تمنى، وهوى قلبك مع من هوى، فاربع على ضلعك، وقس شبرك بفترك، لتعلم أين حالك من حال من يزن الجبال حلمه، ويفصل بين أهل الشك علمه.

قال: فكتب إليه عليّ عليه السلام: أما بعد فان مساويك مع علم الله تعالى فيك حالت بينك وبين أن يصلح لك أمرك وان يرعوي قلبك، يا ابن صخر اللعين زعمت أن الجبال يزن حلمك، ويفصل بين أهل الشك علمك، وأنت الجلف المنافق، الاغلف القلب، القليل العقل، الجبان الرذل، فان كنت صادقاً فيما تسطر ويعينك عليه أخو بني سهم، فدع الناس جانباً، وتيسر لما دعوتني إليه من

الحرب، والصبر على الضرب، واعف الفريقين من القتال ليعلم أينا المرين على قلبه، المغطى على بصره، فانا أبوالحسن قاتل جدك واخيك وخالك، وما أنت منهم ببعيد.

قال ابن أبي الحديد: وأعجب وأطرف ما جاء به الدهر ـ وان كانت عجائبه وبدائعه جمة ـ أن يفضي أمر عليّ عليه السلام إلى أن يصير معاوية نداً له ونظيراً مماثلا يتعارضان الكتاب والجواب ويتساويان فيما يواجه به أحدهما صاحبه، ولا يقول له عليّ عليه السلام كلمة الا قال معاوية له مثلها وأخشن، فليت محمّداً كان شاهد ذلك ليرى عياناً ـ لا خبراً ـ ان الدعوة الّتي قام بها، وقاسى أعظم المشاقّ في تحملها، وكابد الأهوال في الذبّ عنها، وضرب بالسيوف عليها لتأييد دولتها، وشيّد أركانها، وملأ الآفاق بها خلصت صفواً عفواً لأعدائه الّذين كذّبوه لما دعا إليها، وأخرجوه عن أوطانه لما حض عليه، وأدموا وجهه، وقتلوا أهله وعمه، فكأنه كان يسعى لهم، ويدأب لراحتهم ـ كما قال أبوسفيان في أيام عثمان ـ وقد مر بقبر حمزة وضربه برجله: يا أبا عمارة ان الأمر الّذي اجتلدنا عليه بالسيف أمس في يد غلماننا اليوم يتلعبون به، ثم آل الأمر إلى أن يفاخر معاوية علياً عليه السلام كما يتفاخر الأكفاء والنظراء:

إذا عيَّر الطائي بالبخل مادر ... وقرع قسأ بالفهاهة باقل
وقال السُها للشمس أنت خفيةٌ ... وقال الدجى يا صبح لونك حائل
وفاخرت الأرضُ السماءَ سفاهةً ... وكاثرت الشهب الحصا والجنادل
فياموت زران الحياة ذميمة ... ويا نفس جدّي ان دهرك هازل

ثم أقول ثانياً لأمير المؤمنين عليه السلام: ليت شعري لماذا فتح باب الجواب والكتاب بينه وبين معاوية، وإذا كانت الضرورة قادت إلى ذلك فهلا اقتصر في الكتاب إليه على الموعظة من غير تعرض للمفاخرة، وإذا كان لابد منهما

فهلا اكتفى بهما من غير تعرض لامر آخر يوجب المقابلة بمثله وبأشد ﴿ولا تسبُّوا الّذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عَدْواً بغير علم﴾[1]،وهلا دفع هذا الرجل العظيم الجليل نفسه عن سباب هذا السفيه الأحمق، مع أنه القائل «من واجه الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون».

أيها الشاتمي لتحسب مثلي	انما أنت في الضلال تهيم
لا تسبنّني فلست بسبي	ان سبّي من الرجال الكريم

وهكذا جرى في القنوت واللعن عليه قنت بالكوفة على معاوية، ولعنه في الصلاة وخطبة الجمعة، وأضاف إليه عمرو بن العاص، وأبا موسى، وأبا الأعور، وحبيب بن مسلمة، فبلغ ذلك معاوية بالشام، فقنت عليه، ولعنه في الصلاة وخطبة الجمعة، وأضاف إليه الحسن والحسين وابن عباس والأشتر، ولعله قد كان يظهر له عليه‌السلام من المصلحة ما يغيب عنّا الآن، ولله أمر هو بالغه[2].

قلت: أما ما ذكره من استعجابه من افضاء امر أمير المؤمنين عليه‌السلام إلى أن يصير معاوية نداً له، فهل السبب والأصل فيه الا صدّيقه وفاروقه، وقد اعترف معاوية نفسه بذلك في كتابه لمحمد بن أبي‌بكر، وانهما أسسا له ذلك، وانه اقتدى بهما في معاملته معه عليه‌السلام[3].

وأما تمنيه حياة النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله حتى يرى أن دعوته الكذائية خلصت صفواً عفواً لاعدائه، فلم يكن محتاجاً إلى التمني، فالنبيّ شاهد ذلك في حياته، وكيف

---

(١) الانعام: ١٠٨.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٣٣ ـ ١٣٧.

(٣) رواه ابن مزاحم في وقعة صفين: ١٢٠، والمسعودي في مروج الذهب ٣: ١٢، والبلاذري في أنساب الاشراف ٢: ٣٩٦.

لم يشاهد ذلك وقد منعه فاروقهم من الوصية وقال «ان الرجل ليهجر»[1] وكان يصيح مرّة بعد أُخرى وكلما أفاق من غشوته «جهّزوا جيش أُسامة، جهزوا جيش أُسامة، لعن الله من تخلف عنه»[2]، ورأى بعينه من أمر بتجهزه في جيش أُسامة يصلّي بالناس مقامه حتى اضطرَّ في شدّة مرضه أن يخرج ويؤخره.

وهل غلمان بني أُمية تلعبوا بالاسلام والدين، وشربوا الخمر، وصلّوا بالناس سكارى، وعربدوا في الصلاة إلّا زمان ذي نوريهم الّذي دبّر له الأمر فاروقهم.

وأما ما قاله من أنه عليه السلام لم فتح باب المكاتبة بينه وبين معاوية، فيقال له فتحه باب الجهاد معه الّذي قال فيه: لم يسعني فيه إلّا القتال معه أو الكفر بما جاء به محمّد[3]، والجهاد يستلزم أوّلاً اتمام الحجّة والدعوة والكتاب.

وأما التعرض للمفاخرة فليعلم درجة فضله عليه السلام، وحدّ رذالة معاوية، وتعرضه عليه السلام له بالمحاجّات، كتعرض إبراهيم لنمرود إلى أن بهت اللعين كنمرود في كتابه عليه السلام الأخير إليه: يا ابن صخر اللعين دع الناس جانباً[4].

وكان معاوية يبكته بعداوته عليه السلام لصدّيقهم وفاروقهم في قوله له «منيت نفسك ما ليس لك، والتويت على من هو خير منك، ثم كانت العاقبة لغيرك»[5].

وكان عليه السلام لا ينكر ذلك ويجيبه بكونه كأبيه لعين النبيّ، وان اللعين

---

(١) اخرجه البخاري في صحيحه ١: ٣٢ و ٤: ٧ و ٢٧١، ومسلم في صحيحه ٣: ١٢٥٩ ح ٢٢.

(٢) رواه الجوهري في السقيفة: ٧٥، والشهرستاني في الملل ١: ٢٩، والقاضي النعمان في دعائم الاسلام ١: ٤١.

(٣) قاله عليه السلام في ضمن خطبة مشهورة رواها ابن عساكر في ترجمة عليّ عليه السلام ٣: ١٣٠ ح ١١٥٢، والمفيد في اماليه: ١٥٣ ح ٥، المجلس ١٩، وابن الأثير في أُسد الغابة ٤: ٣١.

(٤) و (٥) مر نقله في صدر هذا العنوان عن المدائني.

اقتدى بسلفه الّذين حملهم الكفر وتمني الأباطيل على حسد محمّد، حتى صرعوا مصارعهم، وأنه عليه السلام كان من قبل محمّد مباشراً لبوارهم وبعثهم إلى النار فأين وأين، فالحق متحقق، والباطل زاهق.

وأما لعنه عليه السلام لمعاوية فمثل قتاله له، وقتله عليه السلام لأسلافه كان بأمر الله تعالى، وان كانوا فعلوا أضعافه به من قتل أهل بيته، وسبي حريمه، وسبه ثمانين سنة، فهل اللوم في ذلك إلّا على الناس الّذين تركوا أهل بيت نبيهم الّذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، واتبعوا رجالا ساعدهم هؤلاء الّذين كانوا أعداء الله، وأعداء رسوله، وأعداء دينه، وأعداء أهل بيته.

ومن الغريب انه عليه السلام مع لعنه له اتماماً للحجة بوجوب لعن من لعنه الله اخواننا يصلّون على معاوية، قال الطبري: أمر المعتضد في سنة (٢٨٤) بالتقدم إلى الشراب والّذين يسقون الماء في الجامعين ألا يترحموا على معاوية ولا يذكروه بخير ـ الخ[١]. حشرهم الله معه.

«وأرديت» أي: أهلكت «جيلاً» أي: صنفاً «من الناس كثيراً» والمراد أهل الشام اهلكهم معاوية في دينهم.

وفي (صفين نصر): لما قال جرير البجلي الّذي أرسله عليّ عليه السلام لاخذ البيعة من معاوية له: أدخل فيما دخل فيه الناس، قال معاوية لأهل الشام: قد علمتم أني خليفة عمر، وأني خليفة عثمان، وأني ولي عثمان، وقد قتل مظلوماً، وأنا احب أن تعلموني ذات أنفسكم في قتل عثمان، فقاموا بأجمعهم، وأجابوه إلى الطلب بدمه[٢].

«خدعتهم بغيّك وألقيتهم في موج بحرك» في (صفين نصر): مضى هاشم

---

(١) تاريخ الطبري ٨: ١٨٢، سنة ٢٨٤.

(٢) وقعة صفين: ٨١.

المرقال في جماعة من القراء، فخرج عليهم فتى من أهل الشام يقول:

انا ابن أرباب الملوك غسان ... والدائن اليوم بدين عثمان

انبأنا أقوامنا بما كان ... أن علياً قتل ابن عفّان

ثم شد يضرب بسيفه، ثم يلعن ويشتم، فقال له هاشم: ان هذا الكلام بعده الخصام، فاتّقِ الله، فانك راجع إلى ربّك فسائلك عن هذا الموقف وما أردت به. فقال: أُقاتلكم لأن صاحبكم لا يصلّي كما ذكر لي وانكم لا تصلّون، وأُقاتلكم ان صاحبكم قتل خليفتنا وأنتم وازرتموه على قتله. فقال له هاشم: وما أنت وابن عفان، انما قتله أصحاب محمّد وقرّاء الناس حين أحدث أحداثاً وخالف حكم الكتاب، واصحاب محمّد صلى الله عليه وآله هم أصحاب الدين، وأولى بالنظر في أُمور المسلمين، وان هذا الأمر لا علم لك به فخله وأهل العلم به، وأما قولك «انّ صاحبنا لا يصلّي» فهو أوّل من صلى لله مع رسوله، وأفقه الناس في دين الله، وأدنى برسول الله، وأما من ترى معه فكلهم قارئ الكتاب لا ينامون الليل تهجُّداً، فلا يغررك عن دينك الأشقياء المغرورون. فقال الفتى: يا عبدالله اني لأظنك امرءاً صالحاً فهل تجد لي من توبة ـ الخ[1].

«تغشاهم الظلمات» وفي (المروج): وجه عبدالله بن عليّ لما نزل الشام في طلب مروان بن محمّد إلى السفاح أشياخاً من ارباب النعم والرئاسة من أهل الشام، فحلفوا للسفاح أنهم ما علموا للنبيّ صلى الله عليه وآله قرابة ولا أهل بيت يرثونه غير بني أُمية حتى وليتم الخلافة[2].

«وتتلاطم بهم الشبهات» في (تاريخ الطبري): قال أبو عبدالرحمن السلمي لما قتل عمار ـ وكان الليل ـ قلت: لا دخلن إلى أهل الشام حتى أعلم هل بلغ منهم

---

(١) وقعة صفين: ٣٥٤.

(٢) مروج الذهب ٣: ٣٣.

قتل عمار ما بلغ منا، وكنا إذا توادعنا من القتال تحدثوا إلينا وتحدثنا إليهم، فركبت فرسي ثم دخلت، فإذا أنا بأربعة يتسايرون معاوية وأبو الاعور وعمرو بن العاص وابنه عبدالله -وهو خيرهم- فأدخلت فرسي بينهم مخافة أن يفوتني ما يقول أحدهم، فقال عبدالله لابيه: قتلتم هذا الرجل في يومكم هذا وقد قال النبيّ ﷺ فيه ما قال -إلى أن قال- فقال معاوية: أو نحن قتلنا عماراً؟ انما قتل عماراً من جاء به، فخرج الناس من فساطيطهم واخبيتهم يقولون: انما قتل عماراً من جاء به، فلا أدري من كان أعجب هو أو هم[١].

«فجاروا»[٢] أي: مالوا «عن وجهتهم» بكسر الواو «ونكصوا» أي: رجعوا «على أعقابهم وتولوا على أدبارهم» أي: ارتدوا.

وفي (صفين نصر): أن عراقياً وشامياً اقتتلا ساعة، ثم أن العراقي ضرب رجل الشامي فقطعها، فقاتل ولم يسقط إلى الأرض، ثم ضرب العراقي يده فقطعها، فرمي الشامي سيفه بيده اليسرى إلى أهل الشام وقال: يا أهل الشام، دونكم سيفي هذا فاستعينوا به على عدوّكم، فاشترى معاوية ذلك السيف من أولياء المقتول بعشرة آلاف[٣].

«وعوّلوا على أحسابهم» في (صفين نصر): دعا هاشم بن عتبة في الناس عند المساء وقال: ألا من كان يريد الله والدار الآخرة فليقبل، فأقبل إليه ناس، فشد في عصابة من أصحابه على أهل الشام مراراً، فليس من وجه يحمل عليهم إلّا صبروا له وقوتل فيه قتالا شديداً، فقال لأصحابه: لا يهولنّكم ما ترون من صبرهم، فوالله ما ترون منهم إلّا حمية العرب وصبرها تحت راياتها

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٢٨، سنة ٣٧.

(٢) أورده في صدر العنوان بلفظ: «جازوا» لكن فسّر هنا لفظ «جاروا» بالراء المهملة.

(٣) وقعة صفين: ٣٨٨.

وعند مراكزها، وانهم لعلى الضلال وانكم لعلى الحق[١].

«الا من فاء» أي: رجع عنك **«من أهل البصائر فانهم فارقوك بعد معرفتك وهربوا إلى الله من موازرتك»** أي: معاضدتك **«إذ حملتهم على الصعب وعدلت بهم عن القصد»**.

في (صفين نصر): لما غلب أهل الشام على الفرات قال معاوية: يا أهل الشام هذا أول الظفر لا سقى الله أبا سفيان ان شربوا منه حتى يقتلوا بأجمعهم عليه. فقال له المعري بن الاقبل ـ وكان ناسكاً وكان صديقاً لعمرو ـ سبحان الله يا معاوية ان فيهم العبد والامة والاجير والضعيف ومن لا ذنب له، هذا أول الجور، لقد حملت من لا يريد قتالك على كتفك. فأغلظ له معاوية وقال لعمرو: اكفني صديقك. فأتاه عمرو فأغلظ له، فسار في سواد الليل، فلحق بعليّ عليه السلام وقال:

فلست بتابع دين ابن هند ... طوال الدهر ما ارسي حراء[٢]

«فاتق الله يا معاوية في نفسك وجاذب الشيطان قيادك» القياد حبل تقاد به الدابة **«فان الدنيا منقطعة عنك والآخرة قريبة منك»**.

في (تاريخ الطبري): كان عامل معاوية على المدينة إذا أراد أن يبرد بريداً إلى معاوية امر مناديه فنادى: من له حاجة يكتب إلى الخليفة. فكتب زر بن حبيش أو أيمن ابن خريم كتاباً لطيفاً ورمى به في الكتب، وفيه:

إذا الرجال ولدت أولادها ... واضطربت من كبر اعضادها

وجعلت اسقامها تعتادها ... فهي زروع قد دنا حصادها

---

(١) وقعة صفين: ٣٥٤.

(٢) وقعة صفين: ١٦٣ و ١٦٤.

فلما قرأ هذا الكتاب في الكتب قال: نعى إلي نفسي[1].

وفيه: لما ثَقُل معاوية وحدّث الناس أنه الموت، قال لأهله: احشوا عيني اثمداً وأوسعوا رأسي دهناً، ففعلوا وبرقوا وجهه بالدهن، ثم مُهِّد له، فجلس وقال أسندوني، ثم قال ائذنوا للناس ولا يجلس أحد، فجعل الرجل يدخل، فيسلم قائماً، فيراه مكتحلا مدهناً، فيقول تقول الناس هو لما به وهو أصحّ الناس، فلما خرجوا من عنده قال معاوية:

وتجلّدي للشامتين أريهمُ ... أني لريب الدهر لا أتضعضع

وإذا المنيةُ أنشبت أظفارها ... ألفيت كل تميمةٍ لا تنفع[2]

وفي (المروج): دخل معاوية الحمام في بدء علته الّتي كانت وفاته فيها، فرأى نحول جسمه، فبكى لفنائه:

أرى الليالي أسرعت في نقضي ... أخذن بعضي وتركن بعضي

حنين طولي وحنين عرضي ... أقعدنني من بعد طول نهضي

ولما أزف أمره وحان فراقه واشتدت علّته وأيس من برئه أنشأ يقول:

فياليتني لم أغن في الملك ساعةً ... ولم أك في اللّذات أعشى النواظر

وكنت كذي طمرين عاش ببلغةٍ ... من الدهر حتى زار أهل المقابر[3]

٥
الخطبة (١٩٨)

ومن كلام له عليه السلام:

وَٱللهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدهَى مِنِّي، وَلَكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ، وَلَوْلَا كَرَاهِيَةُ ٱلْغَدْرِ

(١) تاريخ الطبري ٤: ٢٤٨، سنة ٦٠.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٢٤٠، سنة ٦٠.

(٣) مروج الذهب ٣: ٤٩.

لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى النّاسِ، وَلَكِنْ كُلُّ غُدَرَةٍ فُجَرَةٌ، وَكُـلُّ فُـجَرَةٍ كُـفَرَةٌ. «وَلِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ». وَٱللهِ مَا أُسْتَغْفَلُ بِالمكِيدَةِ، وَلَا أُسْتَغْمَزُ بِالشَّدِيدَةِ.

«والله ما معاوية بأدهى» أي: أكثر دهاء (منّي) ومن دهاء معاوية ما في (تاريخ الطبري): وفد عمرو بن العاص على معاوية ومعه أهل مصر، فقال لهم: أُنظروا إذا دخلتم على ابن هند فلا تسلموا عليه بالخلافة، فانه أعظم لكم في عينه، وصغروه ما استطعتم، فلما قدموا عليه قال معاوية لحجّابه: اني أعرف ابن النابغة، كأني به وقد صغّر أمري عند القوم، فانظروا إذا دخل الوفد، فتعتعوهم أشد تعتعة تقدرون عليها، فلا يبلغني رجل منهم إلّا وقد همته نفسه بالتلف. فكان أول من دخل عليه رجل يقال له ابن الخيّاط، فدخل وقد تعتع، فقال: السلام عليك يا رسول الله. فتتابع القوم على ذلك، فلما خرجوا قال لهم عمرو: لعنكم الله نهيتكم أن تسلموا عليه بالامارة فسلمتم عليه بالنبوة[1].

ومن دهائه ما في (صفين نصر) ـ في بيعة عمرو لمعاوية ـ قال معاوية لعمرو: اني أدعوك إلى جهاد هذا الرجل الّذي عصى ربه، وقتل الخليفة، وأظهر الفتنة، وفرّق الجماعة، وقطع الرحم. قال عمرو: إلى جهاد من؟ قال: جهاد عليّ. فقال عمرو: والله يا معاوية ما أنت وعليّ بعكمي بعير، مالك هجرته ولا سابقته ولا صحبته ولا جهاده ولا فقهه ولا علمه، والله ان له مع ذلك جداً وجدوداً وحظاً وحظوظاً وبلاءاً من الله حسناً، فما تجعل لي ان شايعتك على حربه، وأنت تعلم ما فيه من الغرر والخطر. فقال له معاوية: اني أكره لك أن تتحدث العرب عنك انك انما دخلت في هذا الأمر لعرض الدنيا. قال: دعني عنك. فقال له معاوية: اني لو شئت أن أخدعك لفعلت. قال عمرو: لا لعمر الله ما مثلي يخدع،

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٢٤٤، سنة ٦٠.

لأنا أكيس من ذلك. قال له معاوية: ادن مني برأسك أسارّك، فدنا منه ليسارّه، فعض معاوية أذنه وقال له: هذه خدعة، هل ترى في البيت أحداً غيري وغيرك[1].

وفي (المروج) -بعد ذكر التقاء أبي موسى وعمرو بن العاص وخدعة عمرو لأبي موسى بخلع أبي موسى له عليه السلام ونصب عمرو لمعاوية - وانصرف عمرو إلى منزله ولم يأت معاوية، فأرسل إليه معاوية يدعوه، فقال: انما كنت أجيئك إذا كانت لي إليك حاجة، فأما إذا كانت الحاجة إلينا فأنت أحق ان تأتينا. فعلم معاوية ما قد وقع فيه، فأمر بطعام كثير فصنع، ثم دعا بخاصته ومواليه وأهله فقال: اني سأغدو إلى هذا، فإذا دعوته فادعوا مواليه وأهله فليجلسوا قبلكم، فإذا شبع رجل وقام فليجلس رجل منكم مكانه، فإذا خرجوا ولم يبق في البيت أحد فأغلقوا باب البيت واحذروا أن يدخل أحد منهم الا أن آمركم، وغدا إليه معاوية وعمرو جالس على فراشه، فلم يقم له عنها ولا دعاه إليها، فجاء معاوية، وجلس على الأرض، واتكأ على الفراش، وذلك أن عمراً كان يحدث نفسه أنه قد ملك الأمر، وإليه العهد يضعهما فيمن يرى، ويندب للخلافة من يشاء، فجرى بينهما كلام كثير وكان مما قال له عمرو: هذا الكتاب الّذي بيني وبينه، عليه خاتمي وخاتمه، ولا أقر أن عثمان قتل مظلوماً وأخرج علياً من هذا، وهذا الأمر إليّ استخلف من شئته، وقد أعطاني أهل الشام عهودهم ومواثيقهم.

فحادثه معاوية ساعة وأخرجه عما كانوا عليه وضاحكه وداعبه، ثم قال له: هل من غذاء؟ قال: أما شيء يشبع من ترى فلا، فقال معاوية: هلم يا غلام غذاءك، فجئ بالطعام المستعد، فقال لعمرو: ادع مواليك وأهلك فدعاهم،

(١) وقعة صفين: ٣٧.

ثم قال له عمرو: وادع أنت اصحابك. قال: نعم يأكل أصحابك ثم يجلس هؤلاء بعد، فجعلوا كلما قام رجل من حاشية عمرو قعد موضعه رجل من حاشية معاوية، حتى خرج أصحاب عمرو وجلس أصحاب معاوية، فقام الّذي وكله فأغلق الباب، فقال له عمرو: فعلتها. قال: أي والله بيني وبينك أمران اختر أيهما شئت البيعة لي او أقتلك، ليس والله غيرهما. قال عمرو: فأذن لغلامي وردان حتى أشاوره. قال: لا تراه والله ولا يراك الا قتيلا أو على ما قلت لك. قال: فأولني اذن مصر. قال: هي لك ما عشت، فاستوثق كل واحد منهما من صاحبه، واحضر معاوية خواصه من أهل الشام، ومنع أن يدخل معهم أحد من حاشية عمرو، فقال لهم عمرو، قد رأيت ان أبايع معاوية، فلم ار أحداً أقوى على هذا الأمر منه، فبايعه أهل الشام وانصرف إلى منزله خليفة[1].

وفي (تاريخ الطبري): قال عمرو بن العاص: ما رأيت معاوية متكئاً قط واضعاً إحدى رجليه على الأخرى كاسراً عينه يقول لرجل تكلم الا رحمته.

وقال عمر بن الخطاب: تذكرون كسرى وقيصر ودهاءهما وعندكم معاوية.

وخرج عمر إلى الشام فرأى معاوية في موكب يتلقاه غدواً، ويروح إليه في موكب، فقال له: يا معاوية تروح في موكب، وتغدو في مثله، وبلغني انك تصبح في منزلك وذوو الحاجات ببابك. فقال له معاوية: ان العدو بها قريب منا، ولهم فينا عيون وجواسيس، فأردت ان يروا للاسلام عزاً. فقال عمر: ان هذا لكيد رجل لبيب، أو خدعة رجل أَريب. فقال له معاوية: مرني بما شئت أصر إليه. فقال له عمر: ويحك ما ناظرتك في أمر أعيب عليك فيه إلّا تركتني

---

(١) مروج الذهب ٢: ٤٠١.

ما أدري آمرك أم أنهاك[١].

وفي (عيون ابن قتيبة): قال عمر بن الخطاب في معاوية: احذروا آدم قريش وابن كريمها، من لا ينام إلا على الرضا، ويضحك في الغضب، ويأخذ ما فوقه من تحته.

وفيه: قال معاوية: لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت. قيل: وكيف ذاك؟ قال: كنت إذا مدوها خليتها، وإذا خلوها مددتها.

وفيه: فخر سليمان مولى زياد بزياد عند معاوية، فقال له معاوية: أسكت ما أدرك صاحبك شيئاً قط بسيفه الا وقد أدركت أكثر منه بلساني.

وفي (بلاغات نساء البغدادي): لما أتى نعي يزيد بن أبي سفيان قال بعض المعزين لأمه هند بنت عتبة: انا لنرجو أن يكون في معاوية خلف منه. قالت: أو مثل معاوية يكون خلفاً من أحد، والله لو جمعت العرب من أقطارها، ثم رمي به فيها يخرج من أيها شاء.

وقيل لها: ان عاش معاوية ساد قومه. فقالت: ثكلته ان لم يسد الا قومه.

وفي السير: انه قال لابنه يزيد، ان الكوفة والمدينة تختلفان عليه بعده، وانَّه لا يصل الكوفة إلّا عبيد الله حتى أنه كتب له امارته عليها قبل موته، وانه لا يصلح المدينة إلّا مسلم بن عقبة المرّي.

وفي (عيون القتيبي): قال معاوية لقد كنت ألقى الرجل من العرب أعلم ان في قلبه عليّ ضغناً، فأستثيره فيثير إليّ منه بقدر ما يجده في نفسه، فلا يزال يوسعني شتماً وأوسعه حلماً حتى يرجع صديقاً أستعين به فيعينني، واستنجد به فينجدني.

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٢٤٤ و٢٤٧، سنة ٦٠.

قلت: هكذا نقل ابن قتيبة (فأستشيره) بالشين، وليس من النسخة حيث نقله في باب المشورة، وهو غلط من ابن قتيبة وانما هو (فأستثيره) بالثاء المثلثة، أي أعمل معه ما يوجب ثورانه، والشاهد على ما قلنا قوله بعد (فيثير إليّ منه) وأيضاً لا مناسبة لمشورة العدو، فانها توجب غشه في الجواب لا ثورانه.

وكان إذا ذم أحد خصمائه خواصه يحضر نفسه أن يذم لئلّا ينفروا عنه، ففي خبر ورود عقيل عليه وطعن عقيل على جلسائه عمرو بن العاص، وأبي موسى الاشعري، والضحاك بن قيس: فلما رأى معاوية انه قد أغضب جلساءه علم أنه ان استخبره عن نفسه قال فيه سوء، فأحب أن يسأله، فيقول فيه ما يعلمه من السوء، فيذهب بذلك غضب جلسائه، فقال لعقيل: ما تقول فيَ؟ قال عقيل: دعني من هذا. فلمّا اصرّ قال: أتعرف حمامة؟ قال: ومن حمامة؟ قال: قد أخبرتك، ثم قام فمضى، فأرسل معاوية إلى النسابة، فدعاه، فقال له: من حمامة؟ قال: ولي الامان؟ قال: نعم. قال: جدتك أُمّ أبي سفيان، كانت بغيّاً في الجاهلية صاحبة راية. فقال لجلسائه: ساويتكم وزدت عليكم، فلا تغضبوا[1].

وفي (المروج): كان معاوية إذا أتاه عن بطريق من بطارقة الروم كيد، احتال له، فأهدى إليه وكاتبه حتى يغري به ملك الروم، فمرة أخبره رسله إلى الروم أن هناك بطريقاً يؤذيهم ويسيءُ عشرتهم، فقال معاوية: أي شيء ممّا في بلادنا أحب إليه؟ قالوا: الخفاف الحمر ودهن البان، فألطفه بهما حتى عرفت رسله باعتياده، ثم كتب إليه كتاباً كأنه جواب كتابه منه يعلم بأنه وثق بما وعده به من نصره وخذلان ملك الروم، وأمر الرسول بأن يتعرض لأن يظهر

---

(١) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ١٢٤.

على الكتاب، فلما ذهبت رسله في أوقاتها ثم رجعت إليه قال: ما حدث هناك؟ قالوا: رأينا البطريق الفلاني مصلوباً. فقال معاوية، انا أبو عبدالرحمن[1].

وفيه: أخبرني بعض الروم ممن أسلم ان الروم صوّرت عشرة أنفس في بعض كنائسها من أهل البأس والنجدة والمكائد والحيلة في النصرانية من المسلمين، منهم الرجل الّذي بعث به معاوية حين احتال على البطريق، فأسره من القسطنطينية، فأقاد منه بالضرب ورده إلى القسطنطينية، فأما خبره فهو أن المسلمين غزوا في أيام معاوية، فأسر جماعة منهم، فأوقفوا بين يدي الملك، فتكلم بعض الاسارى، فدنا منه بعض البطارقة، فلطم وجهه، فآلمه، وكان رجلاً من قريش، فصاح: وا اسلاماه، أين أنت عنّا يا معاوية إذ حملتنا، وضيعت ثغورنا، وحكمت العدو في دمائنا وأعراضنا، فنمي الخبر إلى معاوية، فآلمه، فامتنع من لذيذ الطعام والشراب، فخلا بنفسه وامتنع من الناس ولم يظهر ذلك لاحد، ثم أخذ في اعمال الحيلة باقامة الفداء للمسلمين، فلما صار الرجل إلى دار الاسلام دعاه معاوية فبره وأحسن إليه، ثم بعث إلى رجل من ساحل دمشق من مدينة صور -وكان به عارفاً- كثير الغزوات في البحر مرطان بالرومية، فأحضره وخلا به وأخبره بما قد عزم عليه وسأله اعمال الحيلة فيه والتأني له، فتوافقا على أن يدفع للرجل مالاً عظيماً يبتاع به أنواعاً من الطرف والملح والجهاز والطيب والجوهر وغير ذلك، وابتُني له مركب لا يلحقه في جريه سرعة، ولا يدرك في مسيره بنياناً عجيباً، فسار الرجل حتى أتى مدينة قبرص، فاتصل برئيسها وأخبره أن معه جارية للملك وأنه يريد التجارة إلى القسطنطينية قاصداً إلى الملك وخواصه بذلك، فروسل الملك بذلك وأعلم بحال الرجل، فأذن له في الدخول فسار إليها، فلما وصل

---

(١) لم اظفر عليه في مروج الذهب.

أهدى للملك وجميع بطارقته، وبايعهم وشاراهم، ولم يعط البطريق الّذي لطم وجه القرشي شيئاً، وتأنى في الأمر على حسب مارسم له معاوية، وأقبل الرجل من القسطنطينية إلى الشام، وقد أمره البطارقة والملك بابتياع حوائج ذكروها وأنواع من الامتعة وصفوها، فلما صار إلى الشام سار إلى معاوية سراً وذكر له من الأمر ما جرى، فابتيع له جميع ما طلب منه وما علم أن رغبتهم فيه وقال له: ان ذاك البطريق إذا عدت إلى كرتك سيعذلك عن تخلفك عن بره واستهانتك به، فاعتذر إليه ولاطفه بالقصد والهدايا واجعله القيم بأمرك والمتفقد لأحوالك، وانظر ماذا يطلب منك من الشام، فان منزلتك ستزداد عندهم، فإذا أتقنت جميع ما أمرتك به، وعلمت غرض البطريق منك، وأي شيء يأمرك لتكون الحيلة بحسب ذلك.

فلما رجع إلى القسطنطينية ومعه جميع ما طلب منه والزيادة على ما لم يطلب منه زادت منزلته عند الملك والبطارقة وسائر الحاشية، فلما كان في بعض الايام وهو يريد الدخول إلى الملك قبض عليه ذلك البطريق في دار الملك وقال: ما ذنبي إليك وبماذا أستحق غيري أن تقصده وتقضي حوائجه وتعرض عني. فقال له: اكثر من ذكرت ابتدأني وأنا غريب أدخل إلى هذا الملك وهذا البلد كالمتنكر من أساري المسلمين وجواسيسهم لئلا ينموا بخبري في أمري إلى المسلمين فيكون في ذلك فقدي، وإذ قد علمت ميلك إليّ فلست أحب أن يعتني أمري سواك، ولا يقوم به عند الملك غيرك، فأمرني بجميع حوائجك، وجميع ما يعرض من أُمورك بأرض الاسلام.

وأهدى إلى البطريق هدية حسنة من الزجاج المخروط والطيب والجواهر والطرائف والثياب، ولم يزل هذا فعله يتردد من الروم إلى معاوية، ومن معاوية إلى الروم، ويسأل الملك والبطريق وغيره الحوائج والحيلة لا

تتوجه لمعاوية حتى مضى على ذلك سنين، فلما كان في بعضها قال البطريق للصوري -وقد أراد الرجوع- قد اشتهيت أن تمن علي بابتياع بساط سوسنجردي بمخاده ووسائده لي يكون فيه من أنواع الالوان من الحمرة والزرقة وغيرهما، ويكون من صفته كذا وكذا ولو بلغ ثمنه كل مبلغ. فأنعم له بذلك -وكان من شأن الصوري إذا ورد إلى القسطنطينية أن يكون مركبه بالقرب من موضع ذلك البطريق، وللبطريق ضيعة سرية وفيها قصر مشيد ومتنزه حسن على أميال من البلد راكبة على الخليج، وكان البطريق اكثر أوقاته في ذلك المتنزه، وكانت الضيعة مما يلي فم الخليج مما يلي بحر الروم والقسطنطينية.

فانصرف الصوري إلى معاوية سراً وأخبره بالحال، فأحضر معاوية بساطاً بوسائد ومخاد ومجلس، فانصرف به الصوري مع جميع ما طلب منه من الشام -وقد تقدم إليه معاوية بالحيلة وكيفية ايقاعها- وكان الصوري فيما وصفنا من هذه المدة قد صار كأحدهم في المؤانسة والعشرة -وفي الروم طمع وشره، فلما دخل من البحر إلى خليج القسطنطينية وقد طابت له الريح وقد قرب من ضيعة البطريق أخذ الصوري خبر البطريق من أصحاب المراكب والقوارب، فأخبر أن البطريق في ضيعته، وذلك أن الخليج نحو من ثلاثمائة وخمسين ميلاً، والمراكب لا تحصى في هذا الخليج كثرة، فلما علم الصوري أن البطريق في ضيعته فرش ذلك البساط، ونضد ذلك الصدر والمجلس بالوسائد والمخاد في صحن المركب ومجلسه، والرجال تحت المجلس بأيديهم المجاذف مشكّلة، ولا يعلم بهم أنهم في بطن المركب الا من ظهر منهم في المركب عمله، والريح في القلع، والمركب مار في الخليج كأنه سهم خرج من كبد قوس لا يستطيع القائم على الشط أن يملأ بصره منه

بسرعة سيره، فأشرف على قصر البطريق وهو جالس في مستشرفه مع حرمه، وقد أخذت منه الخمر وعلاه الطرب.

فلما رأى مركب الصوري غنّى طرباً بقدومه من أسفل القصر وحط القلع وأشرف البطريق على المركب، فنظر إلى ما فيه من حسن ذاك البساط ونظم ذاك الفرش كأنه رياض تزهر، فلم يستطع اللبث في موضعه حتى نزل قبل أن يخرج الصوري من مركبه إليه، فلما استقرت قدمه في المركب ودنا من المجلس ضرب الصوري بعقبه على من تحت البساط من الوقوف ـ وكانت علامة بينه وبين الرجال الّذين في بطن المركب ـ فما استقر دقه بقدمه حتى اختطف المركب بالمجاذيف فإذا هو في وسط البحر لا يلوي على شيء، وارتفع الخبر ولم يدر ما الخبر لمعاجلة الأمر، فلم يكن الليل حتى خرج من الخليج وتوسط البحر، وقد أوثق البطريق كتافاً، وطابت له الريح، وأسعده الجد، وحملت المجاذيف في ذلك الخليج، فتعلق اليوم السابع بساحل الشام ورأى البر، وحمل الرجل، فكانوا اليوم الثالث عشر حضوراً بين يدي معاوية بالفرح والسرور.

فقال معاوية: علي بالرجل القرشي، فأتي به وقد حضره خواص الناس، فأخذوا مجالسهم وقد غص المجلس بأهله، فقال معاوية: أنظر لا تتعد ما جرى عليك، منه، واقتص منه على حسب ما صنع بك، فلطمه القرشي لطمات ووكزه في حلقه وأغرق في دعاء معاوية.

ثم أحسن معاوية إلى البطريق وخلع عليه وحمل معه البساط وأضاف إلى ذلك أُموراً كثيرة وهدايا إلى الملك وقال له: ارجع إلى ملكك وقل له تركت ملك العرب يقيم الحدود على بساطك، ويقتص لرعيته في دار سلطانك. وقال للصوري: سرمعه حتى تاتي الخليج فتطرحه فيه ـ إلى أن قال ـ فقال الملك بعد

وصول البطريق: هذا أمكر الملوك وأدهى العرب[١].

ومن دهائه أن طلحة والزبير ـ مع كونهما من قاتلي عثمان والمؤلبين عليه حتى أن مروان مع كونه في عسكر طلحة والزبير رمى طلحة بسهم فقتله وقال أخذت ثاري ـ كتب إليهما يحرضهما على ادعاء الخلافة وثار عثمان ليزلزل بذلك أمر أمير المؤمنين عليه السلام، فكتب إلى طلحة: انك أقل قريش في قريش وتراً، مع صباحة وجهك، وسماحة كفّك، وفصاحة لسانك. فأنت بإزاء من تقدمك في السابقة، وخامس المبشرين بالجنة، ولك يوم أُحد وشرفه وفضله، فسارع إلى ما تقلدك الرعية من أمرها ممّا لا يسعك التخلف عنه، ولا يرضى الله منك الا بالقيام به، فقد أحكمت لك الأمر قبلي، والزبير غير مقدم عليك بفضل، وأيكما قدم صاحبه فالمقدم الامام، والأمر من بعده للمقدم له، سلك الله بك قصد المهتدين ووهب لك رشد الموفقين[٢].

وكتب إلى الزبير: أما بعد انك ابن أخي خديجة، وابن عمّة النبيّ، وحواريه، وسلفه، وصهر أبي‌بكر، وفارس المسلمين، وأنت الباذل في الله مهجته بمكة عند صيحة الشيطان، بعثك المنبعث، فخرجت كالثعبان المنسلخ، بالسيف المنصلت، تخبط خبط الجمل الرديع، كل ذلك قوة ايمان، وصدق يقين، وسبقت لك من النبيّ البشارة بالجنة، وجعلك عمر أحد المستخلفين على الامة، واعلم أن الرعية أصبحت كالغنم المتفرقة لغيبة الراعي، فسارع إلى حقن الدماء، ولم الشعث، وجمع الكلمة، وصلاح ذات البين، قبل تفاقم الأمر وانتشار الامة، فقد أصبح الناس على شفا جرف هارٍ، عمّا قليل ينهار ان لم يُرأب فشمر لتأليف الامة، وابتغِ إلى ربك سبيلاً، فقد أحكمت الأمر

---

(١) مروج الذهب ٤: ١٢٦ ـ ١٣١.

(٢) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ١٠: ٢٣٥.

من قبلي لك ولصاحبك على أن الأمر للمقدم، ثم لصاحبه من بعده. جعلك الله من أئمة الهدى وبغاة الخير والتقوى[1].

وكتب إليه قبلا حين بلغه بيعة الناس له عليه السلام: لعبد الله الزبير أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان، سلام عليك. أما بعد: فاني قد بايعت لك أهل الشام، فأجابوا واستوسقوا كما يستوسق الحلب، فدونك الكوفة والبصرة لا يسبقك إليهما ابن أبي طالب، فانه لا شيء بعد هذين المصرين، وقد بايعت لطلحة من بعدك، فأظهر الطلب بدم عثمان وادعوا الناس إلى ذلك، وليكن منكما الجد والتشمير أظفركما الله وخذل مناوئيكما. فسر به وأعلم طلحة، فأجمعا عند ذلك على خلافه عليه السلام[2].

وكان من دهائه أنه كان يقول: يجب أن يكون الأموي حليماً، والمخزومي زهياً، والهاشمي سخياً، فبلغ كلامه الحسن عليه السلام، فقال: أراد أن يتحلَم الأُمويون، فيحبهم الناس، ويتيه المخزوميون، فيتنفر الناس عنهم، ويبذل الهاشميون أموالهم، فيفتقروا وينقرضوا[3].

«ولكنه يغدر ويفجر» بايعه الحسن عليه السلام على أن يرد الأمر إلى أهله بعده ويكون لأهل البيت، وألا يتعرض لشيعة أبيه، فغدر وفجر، فجعل الأمر من بعده لابنه الخمّير السكّير اللاعب بالقرود والكلاب، وقتل الشيعة تحت كل حجر ومدر، ومنهم حجر بن عدي، وعمرو بن الحمق.

وكتب الحسين عليه السلام إليه ـ كما في (خلفاء ابن قتيبة): «ألست قاتل حجر وأصحابه العابدين المجتهدين الّذين كانوا يستفظعون البدع ويأمرون

---

(١) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ١٠: ٢٣٦.

(٢) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٢٣١.

(٣) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ١٩: ٢٥٤.

بالمعروف وينهون عن المنكر، فقتلتهم ظلماً وعدواناً من بعد ما اعطيتهم المواثيق الغليظة والعهود المؤكدة، جرأة على الله واستخفافاً بعهده، أو لست قاتل عمرو بن الحمق الّذي أخلقته العبادة من بعد ما أعطيته من العهود ما لو فهمته العصم نزلت من سقف الجبال، أو لست المدعي زياداً في الاسلام، فزعمت انه ابن أبي سفيان وقد قضى النبيّ ﷺ أن الولد للفراش وللعاهر الحَجر، ثم سلطته على أهل الاسلام يقتلهم ويقطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف ويصلبهم على جذوع النخل، سبحان الله لكأنك لست من هذه الامة وليسوا منك، واعلم أن الله ليس بناسٍ قتلك بالظنة وامارتك صبياً يشرب الشراب ويلعب بالكلاب[1].

وفي (مقاتل أبي الفرج): قال أبوإسحاق: سمعت معاوية بالنخيلة يقول: ألا ان كل شيء أعطيته الحسن بن عليّ تحت قدمي هاتين لا أفي به. قال أبو إسحاق: وكان والله غدّاراً.

وقال سعيد بن سويد: صلّى بنا معاوية في النخيلة الجمعة، ثم خطَبنا فقال: اني والله ما قاتلتكم لتصلّوا ولا لتصوموا ولا لتحجّوا ولا لتزكّوا، انكم لتفعلون ذلك، انما قاتلتكم لأتأمر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم له كارهون. قال عبدالرحمن بن شريك في حديثه: هذا هو التهتك[2].

وفي (العقد) ـ بعد ذكر أن الحسين ومن معه لما أنكروا بيعة يزيد لما دعاهم مروان بالمدينة، وكان من قبل معاوية عليها، فكتب مروان إلى معاوية بذلك، فقدم معاوية المدينة في ألف ـ فدعا لهم بدواب، فحملهم عليها، وخرج حتى أتى مكة، وبعد حجه أمر بأثقاله فقدمت، وأمر بالمنبر فقرب من الكعبة

---

(١) الامامة والسياسة ١: ١٨١.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٤٥.

وقال لهم، اني أتقدم إليكم وقد أعذر من أنذر، اني قائل مقالة فأقسم بالله لئن رد علي رجل منكم كلمة في مقامي هذا لا ترجع إليه كلمته حتى يضرب رأسه، فلا ينظر امرؤ منكم الا لنفسه ولا يبق الا عليها، وأمر أن يقوم على رأس كل رجل منهم رجلان بسيفيهما، فان تكلم بكلمة يرد بها عليه قوله قتلاه، وخرج واخرجهم معه حتى رقي المنبر وحف به اهل الشام واجتمع الناس فقال: انا وجدنا أحاديث الناس ذات عوار. قالوا: ان حسيناً، وابن أبي‌بكر، وابن عمر، وابن الزبير لم يبايعوا ليزيد، وهؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم لا نبرم أمراً دونهم، ولا نقضي أمراً إلّا عن مشورتهم، واني دعوتهم فوجدتهم سامعين مطيعين، فبايعوا وسلموا وأطاعوا. فقال أهل الشام: وما يعظم من أمر هؤلاء ائذن لنا فنضرب اعناقهم لا نرضى حتى يبايعوا علانية. فقال معاوية سبحان الله ما أسرع الناس إلى قريش بالشر وأحلى دمائهم عندهم، انصتوا فلا أسمع هذه المقالة من أحد، ودعا الناس إلى البيعة فبايعوا، ثم قربت رواحله فركب ومضى. فقال الناس للحسين عليه السلام وأصحابه: قلتم لا نبايع فلما دعيتم وارضيتم بايعتم. قالوا: لم نفعل. قالوا: بلى قد فعلتم وبايعتم أفلا أنكرتم. قالوا: خفنا القتل وكادكم بنا وكادنا بكم.

وكان لمعاوية مؤسس مذهب اخواننا وخال مؤمنيهم شركاء أحدهم صدّيقهم كان داهية فتخلّف عن جيش أُسامة مع صياح النبيّ صلى الله عليه وآله في مرض موته كلما أفاق «جهّزوا جيش أسامة لعن الله من تخلف عنه»[1]، ولما ولي الأمر واستقر بعث أسامة وقال: لو خطفتني الكلاب والذئاب لم أرد قضاءً قضى به النبيّ[2]، ثم غدر بمالك بن نويرة، آمنه ثم قتله وزنا بامرأته، والغدر

---

(١) رواه الجوهري في السقيفة: ٧٥، والشهرستاني في الملل ١: ٢٩.

(٢) رواه الطبري في تاريخه ٢: ٤٦٢، سنة ١١، والواقدي في المغازي ٣: ١١٢١.

والزنا وان كانا من عامله خالد الا أنه لما كان راضياً بفعل خالد كانا منه، قال تعالى في عقر ناقة ثمود مع تصدي أحدهم له ورضا باقيهم به ﴿فعقروها﴾[1] وهو لم يقتنع بالرضا بل حامى عنه، فلما قال له عمر: ان خالداً وثب على مسلمٍ، فقتله غدراً وزنا بامرأته فأقد منه وحده، قال له: لا أشيم سيفاً سله الله على الكافرين[2].

وثانيهم فاروقهم كان داهية، فحظر في أيامه على طلحة والزبير الخروج من المدينة، وكلما جارا بأنا نريد الجهاد في سبيل الله والخروج إلى فارس والروم كباقي المسلمين، قال لهما: يكفيكما جهادكما مع النبيّ، مع أن الجهاد كالصلاة، فكما لا يكفي صلاة مسلم زمن النبيّ ﷺ عن صلاته بعده كذلك جهاده، الا أنه خاف منهما لو خرجا ادعاء الأمر في قباله.

والزبير هو الّذي ـ لما قال عمر لأهل الشورى أكلكم يطمع بالخلافة بعدي ـ قال لعمر: وما الّذي يبعدنا منها وليتها، ولسنا دونك في قريش ولا في السابقة ولا في القرابة[3].

وطلحة هو الّذي قال لأبي‌بكر لما استخلف عمر «استخلفته علينا وقد عرفته، وعلمت بوائقه فينا وأنت بين أظهرنا، فكيف إذا وليت عنا وأنت لاق الله تعالى فسائلك»[4].

وأحكم الأمر لبني أُمية أعداء النبيّ ﷺ وأعداء أهل بيته وأعداء دين الله بتدبير شورى في ستة وحكمية ابن عوف ليتولى عثمان الّذي كان عرف ببذل دمه وعرضه فضلا عن دينه لبني أُمية بني ابيه، والا يدع باقي الستة الزبير

---

(١) هود: ٦٥، والشعراء: ١٥٧، والشمس: ١٤ .

(٢) رواه الطبري في تاريخه ٢: ٥٠٣، سنة ١١ .

(٣) رواه الجاحظ في السفيانية عنه شرح ابن أبي الحديد ١: ١٨٥ .

(٤) روى هذا المضمون الطبري في تاريخه ٢: ٦٢١، سنة ١٣ .

وطلحة امر أمير المؤمنين عليه السلام بعد عثمان يستقر بكونهما مثله في شورى عمر كتخلف سعد عنه عليه السلام وتنفير الناس عنه كذلك، ومع فعله ذلك المؤدي قهراً إلى قيام طلحة والزبير عليه عليه السلام قال لهم: لا تختلفوا والا يغلب معاوية عليكم الأمر[1]، فهل غلّب معاوية الا هو وقد عرفت كتابهما إلى طلحة والزبير.

وبالجملة شوراه كان دهاء عظيماً، فكان عرف من شواهد الاحوال أن عثمان يقتله الناس في تهالكه لبني أُمية، ويؤدي ذلك قهراً إلى اقبال العامة إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فأدخل طلحة والزبير مع بغضه لهما كما عرفت مما مر في الشورى لينهضا في قبال عليّ عليه السلام ويكون معاوية في قباله بالشام، وهو ذاك الدهّاء مع باقي أقاربه مروان، والوليد بن عقبة، وغيرهما، وقد حصل الأمر كما دبر، ولذا كان عليه السلام يقول «يا لله وللشورى»[2].

كما انه غدر بيوم الغدير أي غدر مع اقراره وبخبخته، ففي (فضائل أحمد بن حنبل) عن البراء بن عازب قال: كنّا مع النبيّ صلى الله عليه وآله بغدير خم، فنودي فينا الصلاة جامعة وكسح للنبيّ بين شجرتين، فصلى الظهر وأخذ بيد عليّ عليه السلام وقال: اللهم من كنت مولاه فهذا مولاه، قال فلقي عمر علياً بعد ذلك فقال له: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب، أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة[3].

ومن الدهاة الغدارين عمرو بن العاص، ومن دهائه أنه لولاه لما قدر معاوية على ايجاد حرب صفين ولا استقامته فيه، فجمع له كلمة أهل الشام بما دبر له من وضع جمع ليشهدوا عند شرحبيل شيخ أهل الشام والمطاع

---

(١) رواه الجاحظ في السفيانية عنه شرح ابن أبي الحديد ١: ١٨٧.

(٢) راجع نهج البلاغة ١: ٣٤، الخطبة ٣.

(٣) تذكرة الخواص: ٢٩.

فيهم بأن علياً قتل عثمان، كما أنه فرق كلمة أهل العراق لما انهزم معاوية وأراد الفرار برفع المصاحف والدعاء إلى ما فيها، وغدراته اكثر من أن تحصى، ومنها في معاهدته مع أبي موسى في التحكيم.

ومن الدهاة الغدارين المغيرة بن شعبة، وفي غارات الثقفي: ذكر المغيرة وجده مع معاوية عند عليّ عليه السلام فقال: وما المغيرة انما كان اسلامه لفجره وغدره بنفر من قومه، فهرب وأتى النبيّ صلى الله عليه وآله كالعائذ بالاسلام - الخبر[1].

وفي تاريخ الطبري قال قبيصة الاسدي: لو أن المغيرة جعل في مدينة لا يخرج من أبوابها كلها الا بالغدر لخرج منها[2].

ولدهائه كان أبوبكر وعمر يفزعان إليه في معضلاتهما، ففي استقرار أمر خلافتهما لجئا إليه فقال لهما: الرأي ان تلقوا العباس فتجعلوا له في هذا الأمر نصيباً يكون له ولعقبه وتكون لكما الحجة على علي وعلى بني هاشم إذا كان العباس معكم[3]، ولدهائه أراد عمر ابقاءه ذخيرة له ولمن بعده في دفع أهل البيت، فلقن زياداً الاباء عن الشهادة عليه بالزنا لئلا يرجم.

وشتان بينهما وبين أمير المؤمنين عليه السلام، هما فزعا إلى مثل المغيرة الّذي حمل معاوية على استلحاق زياد بزنا أبيه به لرفع درجته، ومفاسد ذلك في الاسلام معلومة، كما حمله على استخلاف ابنه السكير الخمير الّذي أنكره مثل زياد ومروان وهما هما لئلا يعزله عن الامارة لشيخوخته، وقد أشار هو بنفسه عليه عليه السلام بابقاء معاوية على امارته حتى يستقر أمره ثم يعزله فأباه،

---

(١) الغارات ٢: ٥١٦.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٢٥٠، سنة ٦٠.

(٣) رواه الجوهري في السقيفة: ٤٧، وابن قتيبة في الامامة والسياسة ١: ١٥، واليعقوبي في تاريخه ٢: ١٢٤.

وقال: ما كنت متخذ المضلين عضداً ولو لم يستقر امر سلطنتي.

كما أن الثاني حظر على طلحة والزبير الخروج من المدينة بتوهم الخروج عليه مع اقتداره ذاك الّذي أجروا أوامره بعده في ترتيبه الشورى، وهو عليه السلام مع تزلزل أمره وعلمه بارادة طلّحة والزبير الغدر خلى بينهما وبين ما أرادا ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حي عن بينة.

وفي (أمالي القالي): كان معاوية يقول: انا للاناة، وعمر وللبديهة، وزياد للصغار والكبار، والمغيرة للأمر العظيم.

هذا، ومن الدهاة الغدارين عبدالملك، أعطى عمرو بن سعيد الامان، ثم قتله، فقال الشاعر:

غدرتم بعمرو يا بنيَّ خيط باطل وأنتم ذوو قربى به وذوو صهر

ومنهم منصور الدوانيقي، خرج عليه محمّد وإبراهيم ابنا عبدالله بن الحسن، فأشخص إليهما عيسى بن موسى الّذي أراد خلعه من ولاية العهد بعده من أخيه وقال: لم أبال أيهما قتل.

وخرج عليه عمه عبدالله بن علي، فأشخص إليه أبا مسلم الّذي أراد قتله، واعطى ابن هبيرة وعمه وأبا مسلم الامان، وغدر بجميعهم وقتلهم.

ولما كتب إلى محمّد بن عبدالله ببذل الامان له أجابه أي امان تعطيني، أمان ابن هبيرة، أم أمان عمك، أم أمان أبي مسلم.

«ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس» اتيانه عليه السلام بـ«لولا» الامتناعية لأن الدهاء ليس مجرد جودة الرأي، بل مع النكر والاغتيال والغدر والاحتيال، قال الجاحظ في (مفاخرات هاشم وأُمية) بعد ذكر مفاخرة أُمية بدهائها: قالت هاشم أما ما ذكرتم من الدهاء والنكر فان ذلك من أسماء فجار العقلاء وليس

من اسماء أهل الصواب: في الرأي من العقلاء الابرار[١].

كان عليه السلام من أعقل الناس بدون ان يكون أدهاهم.

ويشهد لكونه عليه السلام أعقل جميع الناس ـ مع قطع النظر عن مؤيديته بالالهام الإلهي كالنبيّ بوحيه ـ قضاياه الّتي كشف بها الواقع حتى صار عليه السلام مثلاً بين الناس في كشف المعضلات، منها ما ورد أن غلاماً في المدينة كان يدعي على امرأة انها أُمّه وأنها طردته، وكانت المرأة تدعي انها جارية بخاتمها، فأمر عمر ـ وكان ذلك في أيامه ـ بحبس الغلام، فاستجار الغلام به عليه السلام، فقال للمرأة: ألك ولي؟ فقالت: اخوتي. فقال عليه السلام لهم امري فيكم وفي اختكم جائز؟ قالوا: نعم. فقال: أشهد من حضر اني زوجت هذا الغلام من هذه الجارية بأربعمائة درهم من مالي، فصاحت المرأة النار النار يا ابن عم الرسول، تريد أن تزوجني من ابني، هذا ابني ولدته من هجين، فأمرني أخوتي ان انتفي منه واطرده[٢].

ومنها ما ورد أن رجلاً أقبل على عهده عليه السلام حاجاً من الجبل ومعه غلام له، فأذنب الغلام في الطريق، فضربه المولى، فقال الغلام لمولاه: ما أنت مولاي بل أنا مولاك، فكانا في الطريق يتوعدان حتى اتيا الكوفة، فحضرا عنده عليه السلام وقال المولى: هذا غلام لي، فأذنب فضربته فوثب علي، وقال الغلام: ان أبي ارسلني معه ليعلمني وانه وثب عليّ يدعيني ليذهب بمالي، وكل منهما يحلف ويكذّب الاخر، فوعظهما فلم يقلعا، فقال عليه السلام لقنبر: اثقب في الحائط ثقباً ففعل، وقال لهما: ادخلا رأسيكما في الثقب ففعلا، ثم قال لقنبر جئني بسيف

---

(١) نقله عنه ابن أبي الحديد في شرحه ١٥: ٢٧٠.

(٢) رواه الكليني في الكافي ٧: ٤٢٣ ح ٦، والطوسي في التهذيب ٦: ٣٠٤ ح ٥٦، والقمي في عجائب الاحكام: ٢٨ ح ٢٥.

رسول الله صلى الله عليه وآله أضرب رقبة العبد منهما، فأتاه به، فقال له: عجل اضرب رقبة العبد منهما، فأخرج العبد رأسه مبادراً ومكث الآخر في الثقب، فقال عليه السلام له ألست تزعم انك لست بعبد له، فكيف أخرجت رأسك. قال: بلى ولكن ضربني وتعدي علي، فتوثق عليه السلام له ودفعه إليه[1].

ومنها ما ورد أن امرأتين تنازعتا على عهد عمر في طفل ادعته كل واحدة منهما ولداً لها بغير بينة، فالتبس الحكم فيه على عمر، ففزع إليه عليه السلام، فاستدعى المرأتين ووعظهما وخوفهما، فأقامتا، فقال عند تماديهما في النزاع: ائتوني بمنشار، فقالت المرأتان: ما تصنع؟ قال: أقده نصفين لكل واحدة منكما نصفه، فسكتت إحداهما وقالت الأُخرى: الله الله يا أبا الحسن ان كان لابد من ذلك فقد سمحت به لها. فقال عليه السلام: الله اكبر هذا ابنك دونها ولو كان ابنها لرقت عليه، فاعترفت الأُخرى أن الولد لصاحبتها، فسرى عن عمر، فدعا له عليه السلام بما فرج عنه في القضاء[2].

ومنها ما ورد أن جمعاً خرجوا في عهده عليه السلام في سفر معهم رجل ذو ثروة، فرجعوا ولم يرجع، فسألهم ابنه عنه فقالوا: مات. فقال لهم: أين ماله؟ فقالوا: ما خلف شيئاً، فرفعهم الابن إلى شريح قاضيه، فاستحلفهم وخلاهم، فأتى الابن إليه عليه السلام وقص القصة، فأمر باحضار شريح وقال له: كيف قضيت؟ قال: لم يكن للابن بينة، فاستحلفت خصماءه. فقال عليه السلام له: هيهات هكذا يحكم في مثل هذا، يا قنبر ادع لي بشرطة الخميس، فدعاهم، فوكل بكل رجل منهم رجلا من الشرطة، ثم نظر إلى وجوههم فقال: أتقولون اني لا أعلم

---

(١) رواه الكليني في الكافي ٧: ٤٢٥ ح ٨، والطوسي في التهذيب ٦: ٣٠٧ ح ٥٨، والقمي في عجائب الاحكام: ٧٢ ح ٧٢.

(٢) رواه المفيد في الإرشاد: ١١٠.

ما صنعتم بأبي هذا الفتى، اني اذن لجاهل. ثم قال: فرقوهم وغطوا رؤوسهم، ففرق بينهم وأقيم كل رجل منهم إلى اسطوانة من المسجد، ثم دعا عليه السلام كاتبه عبيدالله بن أبي رافع فقال له: هات صحيفة ودواة، وجلس في مجلس القضاء، وجلس الناس إليه، وقال لهم إذا كبرت فكبروا، ثم دعا بواحد منهم، فأجلسه بين يديه وكشف عن وجهه وقال للكاتب: اكتب اقراره وما يقول: ثم أقبل عليه السلام عليه بالسؤال فقال له: في أي يوم خرجتم من منازلكم وأبو هذا الفتى معكم؟ فقال: في يوم كذا وكذا. قال: وفي أي شهر؟ قال: في شهر كذا وكذا. قال: وفي أي سنة؟ قال: كذا وكذا. قال وإلى أين بلغتم في سفركم حتى مات أبو هذا الفتى؟ قال: إلى موضع كذا وكذا. قال: وفي منزل من مات؟ قال: في منزل فلان به فلان. قال: وما كان مرضه؟ قال: كذا وكذا. قال: وكم يوماً مرض؟ قال: كذا وكذا. قال: ففي أي يوم مات، ومن غسله، ومن كفنه، وبما كفنتموه، ومن صلى عليه، ومن نزل في قبره. فلما سأله عن جميع ما يريد كبّر عليه السلام وكبر الناس جميعاً فارتاب اولئك الباقون ولم يشكوا أن صاحبهم أقر عليهم وعلى نفسه، ثم امر أن يغطى رأسه وينطلق به إلى السجن، ثم دعا بآخر فأجلسه بين يديه وكشف عن وجهه وقال له: زعمتم اني لا أعلم ما صنعتم. فقال: ما انا الا واحد منهم، ولقد كنت كارهاً لقتله فأقر، ثم دعا بواحد بعد واحد كلهم يقر بالقتل وأخذ المال، ثم رد الّذي امر به إلى السجن، فأقر أيضاً، فألزمهم المال والدم[1].

ومنها ما ورد أن عمر قد أتي بجارية قد شهد عليها أنها بغت، ومن قصتها انها كانت يتيمة عند رجل كثيراً ما يغيب عن أهله، فشبت وتخوفت امرأة الرجل أن يتزوجها زوجها، فدعت بنسوة، فأمسكنها، فأخذت عذرتها بأصبعها، فلما قدم الرجل رمتها المرأة بالفاحشة، وأقامت البينة من جاراتها

(١) رواه الكليني في الكافي ٧: ٣٧١ ح ٨، والمفيد في الإرشاد: ١١٥، والقمي في عجائب الاحكام: ٦٠ ح ٦١.

اللاتي ساعدنها على ذلك، فرفع ذلك إلى عمر، فلم يدر كيف يقضي فيها، فقال عمر للرجل: اذهب بنا إلى عليّ عليه السلام، فأتوه وقصوا عليه القصة، فقال لامرأة الرجل: ألكِ بينة؟ قالت: هؤلاء جاراتي يشهدن عليها بما أقول، وأحضرتهن، فأخرج عليه السلام السيف من غمده، فطرحه بين يديه وأمر بكل واحدة منهن فأُدخلت بيتاً، ثم دعا امرأة الرجل، فأدارها بكل وجه، فأبت ان تزول عن قولها، فردها إلى البيت الّذي كانت فيه ودعا احدى الشهود وجثا على ركبتيه ثم قال: أتعرفيني أنا عليّ بن أبي طالب وهذا سيفي، وقد قالت امرأة الرجل ما قالت: ورجعت إلى الحق، واعطيتها الأمان وإن لم تصدّقيني لأمكنّن السيف منك. فالتفتت إلى عمر وقالت الأمان على الصدق. فقال عليه السلام لها: فاصدقي. فقالت: لا والله الا ان امرأة الرجل رأت جمالا من هذه الجارية وهيئة، فخافت فساد زوجها، فسقتها المسكر ودعتنا، فأمسكناها، فافتضتها باصبعها. فقال عليه السلام: الله أكبر أنا أوّل من فرق بين الشهود الا دانيال النبيّ عليه السلام. وألزمهن حد القاذف، وألزمهن جميعاً العقر، وامر الزوج ان يطلق المرأة، وزوجه الجارية، وساق عنه المهر إليها[1].

إلى غير ذلك من قضاياه عليه السلام الّتي لو أردنا الاستشهاد بها لطال الكتاب، ومن اراد اكثر راجع كتابنا في ذلك، فإنه لو اجتمعت عقلاء الثقلين على أن يستكشفوا مثل ما كشف ما قدروا.

وأما اطلاق كليب الجرمي عليه عليه السلام كونه أدهى العرب في خبر رواه عنه الطبري في الجمل ان بعد ورود طلحة والزبير وعائشة البصرة لطلب دم عثمان قال قومه له ولرجلين آخرين: انطلقوا حتى تأتوا علياً وأصحابه

(١) رواه الكليني في الكافي ٧: ٤٢٥ ح ٩، والطوسي في التهذيب ٦: ٣٠٨ ح ٥٩، والقمي في عجائب الاحكام: ٣٤ ح ٢٨.

وسلوهم عن هذا الأمر الّذي اختلط علينا، فأتيناه، فسألناه، فقال: عدا الناس على هذا الرجل وأنا معتزل، فقتلوه، ثم ولوني وأنا كاره، ولولا خشية على الدين لم أجبهم، ثم طفق هذان في النكث، فأخذت عليهما واخذت عهودهما عند ذلك، وأذنت لهما في العمرة، فقدما على حليلة النبيّ صلى الله عليه وآله، فعرضاها لما لا يحل لهما، فاتبعتهما لكيلا يفتقوا في الاسلام فتقاً. قال: فبايع صاحباي وأما أنا فأمسكت وقلت بعثتني قومي لامر فلا احدث شيئاً حتى أرجع إليهم. فقال: فان لم يفعلوا؟ قلت: لم أفعل. فقال: أرأيت لو انهم بعثوك رائداً فرجعت إليهم، فأخبرتهم عن الكلاء والماء، فخالفوا إلى المعاطش والجدوبة ما كنت صانعاً. قلت: كنت تاركهم ومخالفهم إلى الكلاء والماء. قال: فمد يدك، فو الله ما استطعت ان امتنع، فبسطت يدي، فبايعته وكان من أدهى العرب ـ الخبر[1]، فأما تجوز منه واما قلة معرفة منه، كما يكشف عنه عدم تميزه حتى ضرب عليه السلام له المثل.

هذا، وروى (الكافي) مسنداً عن هشام بن سالم يرفعه قال أمير المؤمنين عليه السلام: لو لا أن المكر والخديعة في النار لكنت أمكر الناس[2].

«ولكن كل غدرة فجرة ولكل» هكذا في (المصرية)، والصواب: (وكل) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[3] «فجرة كفرة».

روى (الكافي) مسنداً عن الأصبغ قال: قال عليه السلام على المنبر: أيها الناس لولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس، ألا ان لكل غدرة فجرة، ولكل فجرة كفرة، ألا وان الغدر والفجور والخيانة في النار[4].

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٥٠٥، سنة ٣٦.

(٢) الكافي ٢: ٣٣٦ ح ١.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ٢١١، وشرح ابن ميثم ٣: ٤٧٠.

(٤) الكافي ٢: ٣٣٨ ح ٦.

قال ابن أبي الحديد «غدرة وفجرة وكفرة» على فُعَلة، أي بالضم فالفتح، أي كثير الغدر والفجور والكفر، وكل ما كان على البناء فهو الفاعل، فان سكنت العين فهو المفعول، تقول «رجل ضُحَكة» أي يضحك، و«ضُحْكة» أي يضحك منه، و«سُخَرة» يسخر، و«سُخْرة» يسخر به، وروى الجميع على «فَعْلة» للمرة الواحدة، وتبعه الخوئي وزاد: وفي بعض النسخ: روى الجميع على «فَعَلة» بفتحتين جمع فاعل[1].

قلت: ان ابن أبي الحديد قاس هذه على «ضحك وسخر»، فان التفصيل انما ذكره الجوهري في ضحك وسخر، ولم يقل انه يطرد في كل فعل، كما أن ما زاده الخوئي خطأ، لانه في معنى ولكن كل غادرين فاجرون وكل فاجرين كافرون، ولا معنى له، فيتعين أن تكون بلفظ فعلة مرة.

«ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة» وروى (الخصال) عنه عليه السلام قال: في جهنم رحى تطحن، طحنها العلماء الفجرة، والقراء الفسقة، والجبابرة الظلمة، والوزراء الخونة، والعرفاء الكذبة، وان في النار لمدينة يقال لها الحصينة فيها أيدي الناكثين[2].

«والله ما استغفل بالمكيدة ولا استغمز بالشديدة» في (الخلفاء) وغيره: ذكروا أن معاوية قال لجرير لما بعثه عليه السلام لاخذ البيعة منه: اني قد رأيت رأياً. قال: هات. قال: أُكتب إلى عليّ أن يجعل لي الشام ومصر جباية فان حضرته الوفاة لم يجعل لاحد من بعده في عنقي بيعة وأسلم إليه الأمر، واكتب إليه بالخلافة. فقال له جرير: أكتب، فكتب إليه عليه السلام ذلك، فكتب إلى جرير: انما أراد معاوية بما طلب ألا يكون لي في عنقه بيعة، وان يختار من أمره ما يحب، وأراد

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ٢١١، وشرح الخوئي ٦: ١٠٧.

(٢) الخصال ١: ٢٩٦ ح ٦٥.

أن يريثك ويبطئك حتى يذوق أهل الشام، وقد كان المغيرة اشار علىّ وأنا بالمدينة أن استعمله على الشام فأبيت ذلك عليه. قالوا: وفشا كتاب معاوية في العرب، فكتب إليه الوليد بن عقبة أخو عثمان لامه أبياتاً منها:

أمثل عليّ تعتريه بخدعة　　وقد كان ما جربت من قبل كافيا

وكتب إليه أبياتاً أخر منها:

فانّ عليّاً غير ساحب ذيله　　على خدعة ما سوّغ الماء شاربه

وكتب إليه أبياتاً أخر منها:

فانك والكتاب إلى عليّ　　كدابغة وقد حلم الاديم[1]

وفي (صفين نصر) -بعد ذكر سبق معاوية على الفرات، ثم غلبة أصحابه عليه السلام عليه بالحرب- وكتب معاوية في سهم «من عبدالله الناصح يخبركم أن معاوية يريد أن يفجّر عليكم الفرات فيغرقكم، فخذوا حذركم»، ثم رمى بالسهم في عسكره عليه السلام، فوقع في يد أحدهم، فقرأه ثم اقرأه صاحبه ثم آخر، فقالوا: هذا أخ لنا ناصح كتب إلينا يخبرنا بما أراد معاوية فينا، وقد كان معاوية بعث مائتي رجل من الفعلة إلى عاقول من النهر بأيديهم المرور والزبيل يحفرون فيها بحيال عسكره عليه السلام، فقال عليّ لاصحابه: ويحكم ان الّذي يعالج معاوية لا يستقيم له ولا يقوم عليه، وانما يريد أن يزيلكم عن مكانكم، فالهوا عن ذلك ودعوه. فقالوا له: هم والله يحفرون الساعة. فقال لهم: يا أهل العراق لا تكونوا ضعفى، ويلكم لا تغلبوني على رأيي. فقالوا: والله لنرتحلن، فان شئت فأقم وان شئت فارتحل، فارتحلوا فارتحل عليه السلام في أخريات الناس وهو يقول:

ولو اني اطعت عصبت قومي　　إلى ركن اليمامة أو شآم

---

(١) الامامة والسياسة ١: ٩٥، ووقعة صفين: ٥٢.

ولكـــني إذا أبـــرمت أمــراً ... مـــنيت بـــخلف آراء الطـغام

فارتحل معاوية حتى نزل على معكسر علي عليه السلام الّذي كان فيه[1].

وفيه: لما رفع أهل الشام المصاحف على الرماح يدعون إلى حكم القرآن قال عليه السلام: عباد الله أنا أحق من أجاب إلى كتاب الله، ولكن معاوية، وعمرو بن العاص، وابن أبي معيط، وحبيب بن مسلمة، وبان أبي سرح ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، اني أعرف بهم منكم، صحبتهم أطفالا، وصحبتهم رجالا، فكانوا شر اطفال وشر رجال، انها كلمة حق يراد بها باطل، انهم والله ما رفعوها أنهم يعرفونها ويعملون بها، وما رفعوها لكن الا خديعة ومكيدة، أعيروني سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدة، فقد بلغ الحق مقطعه، ولم يبق الا أن يقطع دابر الّذين ظلموا. فجاءه عليه السلام زهاء عشرين ألفاً مقنعين في الحديد شاكّي السلاح سيوفهم على عواتقهم وقد سودت وجوههم يتقدمهنم مسعر بن فدكي، وزيد بن حصين، وعصابة من القراء الّذين صاروا خوارج بعد، فنادوه باسمه لا بأمرة المؤمنين «أجب القوم إلى كتاب الله إذ دعيت إليه والا قتلناك كما قتلنا ابن عفان، فو الله لنفعلنها ان لم تجبهم» فقال لهم: ويحكم أنا أول من دعا إلى كتاب الله وأول من أجاب إليه، وليس يحل لي ولا يسعني في ديني أن ادعى إلى كتاب الله فلا أقبله، اني انما أنا أقاتلهم ليدينوا بحكم القرآن، فانهم قد عصوا الله في ما امرهم فيه، ونقضوا عهده، ونبذوا كتابه، ولكني قد أعلمتكم أنهم قد كادوكم، وأنهم ليسوا العمل بالقرآن يريدون[2].

وفيه: ولما أجبروه عليه السلام على أن يضع حكمين قال لهم: ان معاوية لم

---

(١) وقعة صفين: ١٩٠.

(٢) وقعة صفين: ٤٨٩.

يكن ليضع لهذا الأمر أحداً أوثق برأيه ونظره من عمرو بن العاص، والله لا يصلح للقرشي إلّا مثله، فعليكم بعبدالله بن عباس، فارموه به، فان عمراً لا يعقد عقدة الا حلها عبدالله، ولا يحل عقدة الا عقدها، ولا يبرم أمراً الا نقضه، ولا ينقض أمراً الا أبرمه. فقال الأشعث: والله لا يحكم فينا مضريان حتى تقوم الساعة، ولكن اجعله رجل من أهل اليمن إذ جعلوا رجلا من مضر. فقال عليه السلام: اني أخاف أن يخدع يمنيّكم، فان عمراً ليس من الله في شيء إذا كان له في أمر هوى. فقال الأشعث: والله لان يحكما ببعض ما نكره وأحدهما من أهل اليمن أحب إلينا من أن يكون ما نحب في حكمهما وهما مضريان.

إلى أن قال: فقال عليه السلام قد أبيتم الا أبا موسى؟ قالوا: نعم. قال: فاصنعوا ما أردتم[1].

٦
الكتاب (٤٨)

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية:

وَإِنَّ الْبَغْيَ وَالزُّورَ يُذِيعَانِ بالْمَرْءِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، وَيُبْدِيَانِ خَلَلَهُ عِنْدَ مَنْ يَعِيبُهُ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّكَ غَيْرُ مُدْرِكٍ مَا قُضِيَ فَوَاتُهُ، وَقَدْ رَامَ أَقْوَامٌ أَمْراً بِغَيْرِ الْحَقِّ، فَتَأَلَّوْا عَلَى اللهِ فَأَكْذَبَهُمْ، فَاحْذَرْ يَوْماً يُغْتَبَطُ فِيهِ مَنْ أَحْمَدَ عَاقِبَةَ عَمَلِهِ وَيَنْدَمُ مَنْ أَمْكَنَ الشَّيْطَانَ مِنْ قِيَادِهِ فَلَمْ يُجَاذِبْهُ، وَقَدْ دَعَوْتَنَا إِلَى حُكْمِ الْقُرْآنِ وَلَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَلَسْنَا إِيَّاكَ أَجَبْنَا وَلَكِنَّا أَجَبْنَا الْقُرْآنَ فِي حُكْمِهِ. وَالسَّلَامُ.

أقول: رواه (صفين نصر بن مزاحم) مع كلام معاوية الّذي هذا جوابه مع زيادة، فقال: بعث معاوية أبا الاعور السلمي على برذون أبيض، فسار بين

---

(١) وقعة صفين: ٥٠٠.

صف أهل العراق وصف أهل الشام، والمصحف على رأسه وهو يقول: كتاب الله بيننا وبينكم، وأرسل معاوية إلى عليّ عليه السلام: ان هذا الأمر قد طال بيننا، وكل منا يرى أنه على الحق فيما يطلب من صاحبه، ولن يعطي واحد منّا الطاعة للآخر، وقد قتل فيما بيننا بشر كثير، وأنا أتخوف أن يكون ما بقي أشد مما مضى، وانا نسأل عن ذلك الموطن ولا يحاسب به غيري وغيرك، فهل لك في امر لك ولنا فيه حياة وعذر وصلاح للامة أن يحكم بيننا وبينكم حكمان رضيان أحدهما من أصحابي والآخر من أصحابك، فيحكمان بما في كتاب الله بيننا، فانه خير لي ولك وأقطع لهذه الفتن، فاتّقِ الله فيما دعيت إليه وارض بحكم القرآن ان كنت من أهله.

قال: فكتب إليه عليّ عليه السلام: أما بعد فان أفضل ما شغل به المرء نفسه اتباع ما حسن به فعله ويستوجب فضله ويسلم من عيبه، وان البغي والزور يزريان بالمرء في دينه ودنياه، ويبديان من خلله عند من يعنيه ما استرعاه الله ما لا يغني عنه تدبيره، فاحذر الدنيا، فانه لا فرح في شيء وصلت إليه منها، ولقد علمت انك غير مدرك ما قضى فواته، وقد رام قوم أمراً بغير الحق، فتأولوا على الله، فأكذبهم ومتعهم قليلاً، ثم اضطرهم إلى عذاب غليظ، فاحذر يوماً يغتبط فيه من أحمد عاقبة عمله، ويندم من أمكن الشيطان من قياده ولم يحاده، فغرته الدنيا واطمأن إليها. ثم انك قد دعوتني إلى حكم القرآن، ولقد علمت انك لست من أهل القرآن ولست حكمه تريد والله المستعان، وقد أجبنا القرآن إلى حكمه ولسنا اياك أجبنا، ومن لم يرض بحكم القرآن فقد ضل ضلالاً بعيداً[1].

---

(١) وقعة صفين: ٤٩٣.

وكذلك نقله ابن أبي الحديد عن صفين ابن ديزيل[١].

«وان البغي والزور» أي: الكذب والباطل «يذيعان» نقله ابن أبي الحديد[٢] (يوثغان) أي يهلكان، ومن الغريب أن ابن ميثم تبعه وقال نسخة الرضي «يذيعان»[٣] فهل هو شرح غير كتاب الرضي، وانما كان عليه ان يقول في نسختي من النهج هكذا، ولعل في نسخة أُخرى غيّره المصنّف وقال «يذيعان»، وكيف كان فقد عرفت ان في المستند «يزريان»[٤]، والازراء التهاون. وان صح ما نقله المصنف فلعله من اذاع القوم ما في الحوض أي شربوه، لا من أذاع الخبر أي: أفشاه «بالمرء» هكذا في (المصرية)، والصواب: «المرء» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٥].

«في دينه ودنياه ويبديان» أي: يظهران «خلله عند من يعيبه» قد عرفت أن نصراً رواه «من خلله عند من يغنيه» مع زيادة «ما استرعاه الله ما لا يغني عنه تدبيره»[٦]، وعليه ففاعل يعنيه «ما استرعاه الله»، ويكون «ما لا يغني» مفعوله.

«وقد علمت أنك غير مدرك ما قضى فواته» مراده عليه السلام بما قضى فواته الدنيا الّتي قضى الله فواتها عن كل أحد، فقد عرفت أن نصراً زاد قبله «فاحذر الدنيا فانه لا فرح في شيء وصلت إليه منها»[٧].

وفي (الكامل) ـ بعد ذكر فتح عبدالملك الكوفة وقتل مصعب ـ صنع عمرو ابن حريث له طعاماً كثيراً في الخورنق، واذن عبدالملك اذناً عاماً،

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٢٥.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٢.

(٣) شرح ابن ميثم ٥: ١٢٤.

(٤) وقعة صفين: ٤٩٣، وشرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٢٦.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٢، وشرح ابن ميثم ٥: ١٢٤.

(٦) و (٧) وقعة صفين: ٤٩٣.

فدخل الناس وأخذوا مجالسهم، فدخل عمرو بن حريث، فأجلسه معه على سريره، ثم جاءت الموائد، فأكلوا فقال عبدالملك: ما الذّ عيشنا لو دام ولكنا كما قال الأوّل:

وكلّ جديد يا أُميمُ إلى بلى ... وكل امرئ يوماً يصير إلى كان

فلما فرغوا من الطعام طاف عبدالملك في القصر وعمرو بن حريث معه وهو يسأله لمن هذا البيت ومن بنى هذا البيت وعمرو يخبره فقال عبدالملك:

اعمل على مهل فانك ميت ... واكدح لنفسك أيها الانسان

فكأن ما قد كان لم يك إذ مضى ... وكأن ما هو كائن قد كان[1]

«وقد رام» أي: طلب «أقوام أمراً بغير الحق فتأولوا على الله فأكذبهم» قد عرفت أن نصراً زاد بعده «ومتعهم قليلا ثم اضطرّهم إلى عذاب غليظ»[2].

ومراده عليه السلام بالاقوام المتقدمون عليه، فلم يكن قبل معاويه في ذاك العصر من رام أمراً بوصفه عليه السلام غير الرجلين، ولم يكن معاوية يعد نفسه دونهما، فانه من حيث النسب كان من بني عبد مناف الذين لم يكن في قريش أشرف منهم، ومن حيث التدبير والسياسة كان فوقهما، وكثيراً ما كان معاوية أيام عثمان في الدفاع عنه، وكان عثمان مع معاوية وباقي بني أُمية كنفس واحدة، يجعل نفسه فوق تيم وعدي، وأمير المؤمنين عليه السلام وان كان يتقي من التصريح بالطعن فيهما عند العامة الا أنه يفعل ذلك بالتلويح لمعاوية، فإن للخواصّ مكالماتهم عند أنفسهم غير مكالماتهم عند العوام يبدي كل منهم ما في نفسه للآخر، وكل منهم يعرف الآخر واعتقاداته وآرائه، وقد قال الحسن عليه السلام في مجلس معاوية وخواصه للمغيرة: ان عمر عطل حد

---

(١) كامل ابن الأثير ٤: ٣٣١،سنة ٧١.

(٢) وقعة صفين: ٤٩٤.

الله في حقك، وان الله تعالى يسائله عن ذلك[1]، ولم يمكنه عليه السلام أن يقول ذلك في الملأ.

وكان معاوية يسعى ان يأخذ من أمير المؤمنين ومن أهل بيته تصريحاً في كتاب أو في ملأ بالطعن فيهما عند العامة، كما يظهر ذلك من كثير من كتب معاوية إلى عليّ، وفي كتابه إلى الحسن «وصرحت بتهمة أبي بكر وعمر»[2].

وتأولهم الّذي قال عليه السلام كونهم صاحب الغار وادعاء ان النبيّ صلى الله عليه وآله أمرهم بالصلاة بالناس في مرضه، فبهذين الأمرين تمسك عمر لاستخلاف أبي بكر.

وقال الراوندي ـ كما نقل ابن ميثم عنه ـ معنى قوله عليه السلام «وقد رام أقوام أمراً بغير الحق فتأولوا على الله فأكذبهم» انه قد طلب قوم أمر هذه الامة، فتأولوا القرآن كقوله تعالى: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾[3] فسموا من نصبوه من الأمراء أولي الأمر متحكمين على الله، فأكذبهم الله بكونهم ظالمين بغاة، ولا يكون الوالي من قبل الله تعالى كذلك[4]، وهو قريب مما قلنا.

هذا، ونقل ابن أبي الحديد بدل قوله فتأولوا «فتألوا» وقال أي حلفوا، من الالية أي اليمين، أي من أقسم تجبراً «لا فعلن كذا» أكذبه الله ولم يبلغ أمله. ثم قال: وقد روى «تأولوا على الله» أي حرفوا الكلم، وتعلقوا بشبهة في تأويل القرآن انتصاراً لمذاهبهم، فأكذبهم الله بأن أظهر للعقلاء

---

(١) رواه الزبير بن بكار في المفاخرات عنه شرح ابن أبي الحديد ٦: ٢٩٤.

(٢) رواه أبو الفرج في المقاتل: ٣٦.

(٣) النساء: ٥٩.

(٤) شرح الراوندي ٣: ١٦١، وشرح ابن ميثم ٥: ١٢٥.

فساد تأويلاتهم، والأوّل أصح[١].

قلت: بل الثاني هو الصحيح، فلم نجد غيره ولم ينقل غير الراوندي وابن ميثم[٢]، ونسخة ابن ميثم بخط مصنفه، وقد عرفت أن مستنده أيضاً بذاك اللفظ.

«فاحذر يوماً» والمراد به يوم القيامة «يغتبط» بلفظ المعلوم، من غبطته فاغتبط، قال «وبينما المرء في الاحياء مغتبط»[٣] «فيه من أحمد» أي: وجد حميداً «عاقبة عمله ويندم من أمكن الشيطان من قياده» حبل يقاد به الدابة «فلم يجاذبه» ﴿واسرّوا الندامة لما رأوا العذاب وقُضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون﴾[٤] ﴿واسرّوا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال في أعناق الّذين كفروا هل يُجزَوْن الا ما كانوا يعملون﴾[٥].

«وقد دعوتنا إلى حكم القرآن ولست من أهله» قال ابن ميثم: إذ لم يكن صالحاً للامامة[٦].

قلت: بل لأنه لم يكن له اعتقاد بالقرآن ومنزله والمنزل إليه، فقد عرفت أن مستنده زاد «ولست حكمه تريد»[٧].

وفي (صفين نصر): لما رفع أهل الشام المصاحف على الرماح يدعون إلى حكم القرآن قال عليّ عليه السلام: انا أحق من أجاب إلى كتاب الله، ولكن معاوية،

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٢.

(٢) شرح الراوندي ٣: ١٥٧، وشرح ابن ميثم ٥: ١٢٤ و١٢٥.

(٣) أورده لسان العرب ٧: ٣٦٠، مادة (غبط).

(٤) يونس: ٥٤.

(٥) سبأ: ٣٣.

(٦) شرح ابن ميثم ٥: ١٢٥.

(٧) وقعة صفين: ٤٩٤.

وعمرو بن العاص، وابن أبي معيط،وحبيب بن مسلمة، وابن أبي سرح ليسوا باصحاب دين ولا قرآن، اني أعرف بهم منكم[١].

«ولسنا اياك أجبنا ولكن أجبنا القرآن في حكمه» هكذا في (المصرية)، والصواب: «إلى حكمه» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٢]، والمراد اجابة القرآن في المستحق للامامة وحكم القرآن ﴿هل يستوي الّذين يعلمون والّذين لا يعلمون﴾[٣] ﴿أفَمَن كان مؤمناً كَمَن كان فاسقاً لا يستوون﴾[٤] ﴿أفمَن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدّي الا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون﴾[٥] وغير ذلك مما أحال الأمر إلى بداهة العقول، ولكن طبع على قلوبهم فهم لا يفقهون.

(والسلام) هكذا في (المصرية وابن أبي الحديد)، وليس في (ابن ميثم والخطية)[٦].

٧
الكتاب (٤٢)

ومن كتاب لهعليه السلام إلى عمر بن أبي سلمة المخزومي -وكان عامله على البحرين - فعزله واستعمل النعمان بن عجلان الزُّرَقيّ مكانه:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي قَدْ وَلَّيْتُ نعْمَانَ بْنَ عَجْلَانَ الزُّرَقِيَّ عَلَى الْبَحْرَيْنِ، وَنَزَعْتُ يَدَكَ بِلَا ذَمٍّ لَكَ، وَلَا تَثْرِيبٍ عَلَيْكَ، فَلَقَدْ أَحْسَنْتَ الْوِلَايَةَ،

(١) وقعة صفين: ٤٨٩.

(٢) كذا في شرح ابن ميثم ٥: ١٢٦، لكن في شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٢، مثل المصرية.

(٣) الزمر: ٩.

(٤) السجدة: ١٨.

(٥) يونس: ٣٥.

(٦) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٢، وشرح ابن ميثم ٥: ١٢٤، مثل المصرية.

وَأَدَّيْتَ الْأَمَانَةَ، فَأَقْبِلْ غَيْرَ ظَنِينٍ، وَلَا مَلُومٍ، وَلَا مُتَّهَمٍ، وَلَا مَأْثُومٍ، فَلَقَدْ أَرَدْتُ الْمَسِيرَ إِلَى ظَلَمَةِ أَهْلِ الشَّامِ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ تَشْهَدَ مَعِي، فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَى جِهَادِ الْعَدُوِّ، وَإِقَامَةِ عَمُودِ الدِّينِ، إِنْ شَاءَ اللهُ.

أقول: نقل عن (تاريخ ابن واضح) أيضاً[1].

قول المصنّف: (ومن كتاب له عليه السلام إلى عمر بن أبي سلمة المخزومي) كان ربيب النبيّ صلى الله عليه وآله، روي انّه زوج أُمّه أُم سلمة من النبيّ وهو صغير لم يبلغ الحلم.

(وكان عامله على البحرين) وفي (الأُسد): شهد مع عليّ عليه السلام الجمل، واستعمله على البحرين وعلى فارس[2] (فعزله و استعمل نعمان) هكذا في (المصرية)، والصواب: «النعمان» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[3] (بن عجلان الزرقي).

في (الأُسد): استعمل عليّ عليه السلام النعمان على البحرين، فجعل يعطي كل من جاءه من بني زريق فقال فيه الشاعر:

أرى فتيةً قد ألهت الناس عنكم ... فندلا زريق المال من كلِّ جانب

فانَّ ابن عجلان الّذي قد علمتم ... يبدّد مال الله فعل المناهب

يمرون بالدهنا خفافاً عيابهم ... ويخرجن من دارين بجر الحقائب

وكان شاعراً فصيحاً سيداً في قومه، وتزوج خولة بنت قيس امرأة حمزة بعد قتله[4].

قلت: رأيت البيت الأوّل هكذا:

---

(١) تاريخ ابن واضح اليعقوبي ٢: ٢٠١.

(٢) اسد الغابة ٤: ٤٩.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٧٣، وشرح ابن ميثم ٥: ٩٤.

(٤) اسد الغابة ٥: ٢٦.

على حين ألهى الناس جل أمورهم   فندلا زريق المال ندل الثعالب

هذا، وقال الجوهري في ندل مدح الشاعر قوم دارين بالجود -واستشهد بالبيت الاخير[١]، وهو كما ترى وهم.

قوله عليه السلام «اما بعد فاني قد وليت نعمان» هكذا في (المصرية)، والصواب: «النعمان» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٢].

«ابن عجلان الزرقي» بضم الزاي، وفي (أنساب السمعاني): نسبة إلى زريق بن عمر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج «على البحرين».

وفي (تاريخ اليعقوبي): بلغ أمير المؤمنين عليه السلام أن النعمان ذهب بمال البحرين، فكتب إليه: أما بعد، فانه من استهان بالامانة، ورغب في الخيانة، ولم ينزه نفسه ودينه، أخلّ بنفسه في الدنيا، وما يشفى عليه بعد امر وأبقى وأشقى وأطول، فخف الله. انك من عشيرة ذات صلاح، فكن عند صالح الظن بك، وراجع ان كان حقاً ما بلغني عنك.

إلى أن قال: فلما جاءه كتابه عليه السلام وعلم أنه قد علم حمل المال، ولحق بمعاوية[٣]

«ونزعت يدك» كناية عن عزله عن البحرين «بلا ذم لك ولا تثريب عليك» في (الجمهرة): التثريب: الأخذ على الذنب «فلقد أحسنت الولاية وأديت الأمانة» ويكفيه ذلك مدحاً، وقد عرفت أن النعمان الّذي ولي بعده خان واعطى قومه قدراً من بيت المال وحمل لنفسه قدراً.

---

(١) صحاح.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٧٣، وشرح ابن ميثم ٥: ٩٤.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٠١.

«فأقبل غير ظنين ولا ملوم ولا متهم» والفرق بين الظنين والمتهم الفرق بين الظن والوهم، فالظنين من الظن، والمتهم من الوهم «ولا مأثوم» أي: غير معدود عليك اثم من «أثم» بالفتح الّذي متعدلاً (اثم) بالكسر فانّه لازم.

وفي (الصحاح): «اثم» بالكسر وقع في الذنب فهو آثم وأثيم واثوم، واثمه الله في كذا: أي عده عليه اثماً، فهو مأثوم انشد الفراء:

فهل يأثمني الله في أن ذكرتها وعللت أصحابي بها ليلة النفر

«فلقد» هكذا في (المصرية)، والصواب: «فقد» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[1] «أردت المسير إلى ظلمة أهل الشام».

في (صفين نصر): ان معاوية قال لشرحبيل بن السمط ـ وكان مأموناً في أهل الشام ـ ان هذا الأمر الّذي قد عرفته لا يتم الا برضى العامة، فسر في مدائن الشام ونادِ فيهم ان علياً قتل عثمان، وانه يجب على المسلمين ان يطلبوا بدمه، فسار، فبدأ بأهل حمص، فقام خطيباً، فقال: أيها الناس، ان علياً قتل عثمان، وقد غضب لعثمان قوم، فقتلهم عليّ وهزّم الجميع وغلب على الأرض، فلم يبق الا الشام وهو واضع سيفه على عاتقه ثم خاض به غمار الموت، ولا نجد أحداً أقوى على قتاله من معاوية، فجدوا.

فأجابه الناس الانساك من أهل حمص، فانهم قاموا إليه وقالوا: بيوتنا قبورنا ومساجدنا، وأنت اعلم بما ترى. وجعل شرحبيل يستنهض مدائن الشام حتى استفرغها لا يأتي على قوم الا قبلوا ما آتاهم به[2].

«وأحببت أن تشهد معي» وكان شهد معه الجمل.

وفي (تاريخ الطبري): ان علياً عليه السلام لما أراد الخروج إلى حرب الجمل

---

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٧٣، لكن في شرح ابن ميثم ٥: ٩٣، مثل المصرية.

(٢) وقعة صفين: ٥٠.

قالت له أُم سلمة: لو لا أن أعصي الله وانك لا تقبله مني لخرجت معك، وهذا ابني عمر والله لهو أعز عليّ من نفسي يخرج معك فيشهد مشاهدك[١].

«فانّك ممّن أستظهر به على جهاد العدو واقامة عمود الدين إنْ شاءَ الله» لأنه كان مستبصراً فيه عليه السلام عارفاً بحقّه.

وروى ابن بابويه في (عيونه) عن سليم بن قيس استشهاد عبدالله بن جعفر بجمعٍ منهم عمر بن أبي سلمة سماعهم من النبيّ صلى الله عليه وآله نصه على الائمة الاثني عشر بعده[٢].

٨
الحكمة (٣٢٥)

وقالَ عليه السلام لما بلَغه قتلُ محمّدِ بن أبي بَكرٍ:

إنَّ حُزْنَنا عَلَيْهِ على قَدْرِ سُرُورهِمْ بِهِ، إلَّا أَنَّهُمْ نَقِصُوا بغيضاً، ونقِصْنَا حَبِيباً.

أقول: هكذا في (المصرية)، وزاد (ابن ميثم) بعد (محمّد بن أبي بكر) «رضوان الله عليه» وكذا (ابن أبي الحديد)[٣].

وكيف كان فرواه المدائني والطبري، فقالا: قدم الحجاج بن غزية الأنصاري من مصر على عليّ عليه السلام فحدثه بما رأي وعاين وبهلاك محمّد، وقدم عليه عبدالرحمن بن شبيب الفزاري ـ وكان قد عينه بالشام ـ وحدثه أنه لم يخرج من الشام حتى قدمت البشراء من قبل عمرو بن العاص تترى يتبع بعضها بعضاً بفتح مصر، وقتل محمّد بن أبي بكر، وحتى آذن بقتله على

(١) لم اظفر عليه في اخبار الجمل في تاريخ الطبري نعم رواه جمع من أصحاب التاريخ منهم سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص: ٦٥.

(٢) عيون الاخبار ١: ٣٨ ح ٨.

(٣) ليس في نسختنا من شرح ابن ميثم ٥: ٤٠٤، هذه الزيادة ولفظ شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٣٣٧، «رضي‌الله‌عنه».

المنبر، وقال: قلما رأيت قوماً قط أسر ولا سروراً قط أظهر من سرور رأيته بالشام حين اتاهم هلاك محمّد بن أبيبكر. فقال عليّ عليه السلام: اما ان حزننا عليه على قدر سرورهم به لا بل يزيد أضعافاً، وحزن عليه حتى رؤي ذلك في وجهه وتبين فيه(١).

«ان حزننا عليه على قدر سرورهم به» قال الشاعر:

من كان مسروراً بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار

قال المسعودي: بلغ علياً عليه السلام قتل محمّد وسرور معاوية به، فقال: جزعنا عليه على قدر سرورهم، وما جزعت على هالك منذ دخلت هذه الحرب جزعي عليه، كان لي ربيباً وكنت أعده ولداً ـ إلى أن قال ـ وعلى مثله نحزن، وعند الله نحتسبه(٢).

وروى هيثم أن أسماء بنت عميس لما جاءها نعي محمّد ابنها وما صنع به قامت إلى مسجدها، وكظمت غيظها حتى تشخّبت دماً(٣).

وفي (تذكرة سبط ابن الجوزي): لما بلغ أُم حبيبة قتل محمّد وتحريقه شوت كبشاً وبعثت به إلى عائشة تشفياً بقتل محمّد بطلب دم عثمان، فقالت: قاتل الله ابنة العاهرة، والله لا أكلت شواء أبداً(٤).

«الا أنهم نقصوا بغيضاً ونقصنا حبيباً» نقص يأتي لازماً ومتعدياً وهنا متعد.

روى عن كثير النوا أن أبابكر خرج في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله في غزاة، فرأت

---

(١) رواه عن المدائني الثقفي في الغارات ١: ٢٩٤، ورواه الطبري في تاريخه ٤: ٨٢، سنة ٣٨.

(٢) مروج الذهب ٢: ٤٠٩.

(٣) بل رواه أبو اسحاق عن اسماء كما في الغارات ١: ٢٨٧، وبدّل ابن أبي الحديد عند نقل رواية الغارات أبا اسحاق بهاشم راجع شرحه ٦: ٨٨.

(٤) تذكرة الخواص: ١٠٧.

اسماء بنت عميس -وهي تحته- كأن أبابكر متخضب رأسه ولحيته وعليه ثياب بيض، فجاءت إلى عائشة، فأخبرتها، فبكت وقالت: ان صدقت رؤياك فقد قتل أبوبكر خضابه دمه وثيابه أكفانه، فدخل النبيّ ﷺ وعائشة تبكي، فقال: ما أبكاها؟ فقالوا: أسماء ذكرت رؤيا رأتها لأبي بكر. فقال: ليس كما عبرت عائشة، يرجع أبوبكر صالحاً، فتحمل منه أسماء بغلام تسمّيه محمّداً يجعله الله غيظاً على الكافرين والمنافقين[1].

هذا، وقيل ان زياداً قال لأبي الأسود: كيف أنت في حب عليّ، قال: كما أنت في حب معاوية، الا اني أطلب به الدار الآخرة، وأنت تطلب به حطام الدنيا، ومثلنا كما قال عمرو بن معديكرب:

خليطان مختلف شأننا احب العلاء ويهوى السمن
أحب دماء بني مالك وراق المعلى بياض اللبن

وفي (المعجم): لما مات إسحاق الموصلي وبلغ المتوكل نعيه غمه وحزن عليه وقال: ذهب صدر عظيم من جمال الملك وبهائه وزينته، ثم نعي إليه بعده أحمد بن عيسى بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ عليه السلام فقال: تكافأت الحالان قام الفرح -بوفاة أحمد وما كنت آمن وثبته على- مقام الفجيعة بإسحاق.

وفي (الكامل) في سنة (٥٠٢): اصطلح عامة بغداد السنة والشيعة، والسبب أن السلطان محمّد السلجوقي لما قتل ملك العرب صدقة -وكان يتشيع هو وأهل بيته- خاف شيعة بغداد أهل كرخهم وغيرهم، فشنع أهل السنة عليهم بأنهم نالهم غم وهم لقتله، فخاف الشيعة وأغضوا على سماع هذا ولم يزالوا خائفين إلى أن دخل شعبان، فتجهز السنة لزيارة قبر مصعب

(١) رواه الثقفي في الغارات ١: ٢٨٨.

واتفقوا على أن يجعلوا طريقهم في الكرخ، فأظهروا ذلك واتفق رأي أهل الكرخ على ترك معارضتهم وكانوا قبل يمنعونهم[١].

ولما مات محمّد بن محمّد بن النعمان المفيد عقدت الناصبة مجلس سرور لوفاته، لأنه كان شيّع كثيراً من أهل السنة وبصرّهم، حتى قال الخطيب الناصبي: هلك به خلق كثير إلى أن أراح الله المسلمين منه في سنة (٤١٣)، فجلس ابن النقيب للتهنئة بموته وقال: ما أبالي أي وقت مت بعد أن شاهدت موته.

وروى (الطبرسي) ان الحجّة عليه السلام قال في موته:

لا صوّت الناعي بفقدك انه ... يومٌ على آل الرسول عظيم

وكان رحمه الله لم يعلم بعد هشام بن الحكم أذب عن المذهب منه[٢].

وقال ربيعة الاسدي في ابنه ذؤاب:

ان يقتلوك فقد هتكت بيوتهم ... بعتيبة بن الحارث بن شهاب

بأحبهم فقداً على أعدائه ... وأشدِّهم فقداً على الأصحاب

هذا، وفي عنوان (٨) من فصل الغارات عنه عليه السلام: بلا ذم لمحمد بن أبي‌بكر، فلقد كان إلي حبيباً وكان لي ربيباً.

أيضاً: ومحمّد بن أبي‌بكر رحمه الله قد استشهد، فعند الله نحتسبه ولداً ناصحاً وعاملا كادحاً وسيفاً قاطعاً وركناً دافعاً.

وفي عنوان (٩) منه كتابه عليه السلام إلى ابن عباس بعد مقتله[٣].

---

(١) كامل ابن الأثير ١٠: ٤٦٩، سنة ٥٠٢.

(٢) نقل الخوانساري في روضات الجنات ٦: ١٥٧، توقيعي الامام عليه السلام إلى الشيخ المفيد عن احتجاج الطبرسي ثم قال: «وحكى انه وجد مكتوباً على قبره بخط القائم عليه السلام هذا الشعر» ولم يوجد الشعر في الاحتجاج بل هذا من سهو نظر الشارح.

(٣) راجع العنوانين ٨ و٩ من الفصل الرابع والثلاثين.

٩
الكتاب (٤٦)

ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَىٰ إِقَامَةَ الدِّينِ، وَأَقْمَعُ بِهِ نَخْوَةَ الْأَثِيمِ، وَأَسُدُّ بِهِ لَهَاةَ الثَّغْرِ الْمخُوفِ، فَاسْتَعِنْ بِاللهِ عَلَى مَا أَهَمَّكَ، وَاخْلِطِ الشِّدَّةَ بِضِغْثٍ مِنَ اللِّينِ، وَارْفُقْ مَا كَانَ الرِّفْقُ أَرْفَقَ، وَاعْتَزِمْ بِالشِّدَّةِ حِينَ لَا يُغْنِي عَنْكَ إِلَّا الشِّدَّةُ، وَاخْفِضْ لِلرَّعِيَّةِ جَنَاحَكَ، وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ، وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ، وَآسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظْرَةِ وَالْإِشَارَةِ وَالتَّحِيَّةِ، حَتَّى لَا يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ وَلَا يَيْأَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ. والسَّلام.

قول المصنّف: (ومن كتاب له عليه السلام) ليس جميع عنوانه كتاباً، بل إلى قوله «الثغر المخوف»، وأما قوله «فاستعن -إلى- الا الشدة» فانما قاله عليه السلام شفاهاً، وأما قوله «واخفض» الخ، فأول عهده إلى محمّد بن أبي‌بكر المذكور في العنوان (٢٧) من الكتب.

(إلى بعض عماله) المراد به مالك الأشتر، ولم يتفطن له ابن أبي الحديد وابن ميثم[١]، وكأن المصنف أيضاً حيث أجمل، روى ما قلنا من كون العنوان إلى «المخوف» كتاباً له عليه السلام إليه والي «الشدة» كلاماً له معه الطبري والثقفي.

ففي الأوّل بلغ علياً عليه السلام وثوب أهل مصر على محمّد بن أبي‌بكر فقال: مالمصر الا أحد الرجلين: صاحبنا الّذي عزلناه عنها -يعني قيس بن سعد- أو مال بن الحارث -يعني الأشتر- وكان عليّ عليه السلام حين انصرف من صفين رد الأشتر على عمله بالجزيرة -وقد كان قد قال لقيس أقم معي على شرطتي

(١) راجع شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٣، وشرح ابن ميثم ٥: ١١٨.

حتى نفرغ من أمر هذه الحكومة، ثم اخرج إلى آذربيجان - ولما أنقضى أمر الحكومة كتب عليّ إلى مالك - وهو يومئذ بنصيبين - «اما بعد فانك ممن أستظهر به على اقامة الدّين، وأقمع به نخوة الاثيم، وأشد به الثغر المخوف، وكنت وليت محمّد بن أبي‌بكر مصر، فخرجت عليه بها خوارج، وهو غلام حدث ليس بذي تجربة للحرب ولا بمجرب للاشياء، فأقدم علي لننظر في ذلك فيما ينبغي، واستخلف على عملك أهل الثقة والنصيحة من أصحابك، والسلام».

فأقبل مالك إلى عليّ عليه السلام حتى دخل عليه، فحدثه حديث أهل مصر وأخبره خبر أهلها، وقال له «ليس لها غيرك، اخرج رحمك الله، فاني ان لم أوصك اكتفيت برأيك، واستعن بالله على ما اهمك، فاخلط الشدة باللين، وارفق ما كان الرفق أبلغ، واعتزم بالشدة حين لا يغني عنك الا الشدة».

فخرج الأشتر من عند عليّ عليه السلام، فأتى رحله، فتهيأ للخروج إلى مصر، وأتت معاوية عيونه وأخبروه بولاية عليّ للأشتر، فعظم ذلك عليه وقد كان طمع في مصر، فعلم أن الأشتر ان قدمها كان أشد عليه من محمّد بن أبي‌بكر، فبعث إلى الجايستار - رجل من أهل الخراج - ان الأشتر ولي مصر، فان أنت كفيتنيه لم آخذ منك خراجاً ما بقيت، فاحتل له بما قدرت عليه، فخرج الجايستار حتى أتى القلزم وأقام به، وخرج الأشتر من العراق إلى مصر، فلما انتهى إلى القلزم استقبله الجايستار، فقال له: هذا منزل وهذا طعام وعلف وأنا رجل من أهل الخراج، فنزل به الأشتر، فأتاه الدهقان بعلف وطعام حتى إذا طعم أتاه بشربة من عسل قد جعل فيها سمّاً فسقاه إيّاه، فلمّا شربها مات.

وأقبل معاوية يقول لأهل الشام: ان علياً وجّه الأشتر إلى مصر، فادعو الله أن يكفيكموه، فكانوا كل يوم يدعون على الأشتر، وأقبل الّذي سقاه السمّ

إلى معاوية فأخبره بمهلك الأشتر[١].

ورواه (غارات الثقفي) مثله، ونقله ابن أبي الحديد عنه في العنوان (٦٧) من الخطب في تقليد محمّد بن أبي‌بكر بمصر وغفل عنه هنا[٢].

ورواه المفيد في (أماليه) مسنداً عن هشام الكلبي، لكن فيه: ورد الخبر عليه عليه السلام بمقتل محمّد بن أبي‌بكر، فكتب إلى مالك - إلى أن قال - «وكان حدثاً لا علم له بالحروب فاستشهد رحمه الله فأقدم عليّ لننظر في امر مصر» الخ[٣].

والظاهر زيادة فقرة «فاستشهد» توهماً من بعض الرواة، فزاد المفيد أو غيره في أول الخبر فقرة «ورد الخبر عليه عليه السلام بمقتل محمّد» لاتفاق غيره من الروايات على وفاة مالك قبل محمّد، وكتابه إلى محمّد بعد قتل مالك كما يأتي، ولعل الفقرة محرفة «ورد الخبر عليه بمقاتلة العثمانية مع محمّد».

قوله عليه السلام «أما بعد، فانك ممن استظهر به على اقامة الّدين» ويكفي ذلك الأشتر جلالة، فكان رحمه الله ذا كفاية كافية، فكان طرد أبي موسى عن ولاية الكوفة بعد عثمان مشكلا لغيره حتى لعمار.

ففي (تاريخ الطبري): قال أبو مريم الثقفي: اني في مسجد الكوفة وأبو موسى قائم على المنبر يثبط الناس وعمار يزجره إذ جاء غلمان أبي موسى يشتدون وقالوا هذا الأشتر دخل وضربنا وأخرجنا، فنزل أبو موسى عن المنبر يشتد ودخل القصر، فصاح به الأشتر: أُخرج أخرج الله نفسك انك لمن المنافقين قديماً. فقال له: أجلني هذه العشية، فأجله إلى الليل، وأراد الناس نهب متاعه، فمنعهم الأشتر[٤].

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٧٠، سنة ٣٨.

(٢) الغارات ١: ٢٥٨، وعنه شرح ابن أبي الحديد ٦: ٧٤.

(٣) امالي المفيد: ٧٩ ح ٤، المجلس ٩.

(٤) تاريخ الطبري ٣: ٥٠١، سنة ٣٦.

«وأقمع به نخوة الاثيم» ففي (تاريخ الطبري): لما وصل عليّ عليه السلام في مسيره إلى صفين إلى الرقة امتنعوا من عقد جسر له، فمضى ليعبر على جسر منبج، فقال لهم الأشتر: أُقسم بالله لئن مضى أمير المؤمنين ولم تجسروا له لا جردن فيكم السيف، ثم لأقتلن الرجال، ولأُخربن الأرض، ولآخذن الأموال، فقال بعضهم لبعض: ان الأُشتر يفي بما حلف، فقالوا له ننصب لكم جسراً، فوقف الأُشتر حتى عبر جميع الناس ثم عبر هو[1].

«وأسد» من السداد بالكسر، قال الشاعر:

أضاعوني وأي فتىً أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر[2]

«به لهاة» شبه لسان صغير في أقصى سقف الفم «الثغر المخوف» كمصر، فقد عرفت أنه عليه السلام لما سمع باضطراب أمر مصر على محمّد بن أبي بكر قال: ليس له إلّا قيس أو مالك[3].

«فاستعن بالله على ما أهمك» فإنّه على كل شيء قدير «واخلط الشدة بضغث» أي: بمقدار «من اللين وارفق ما كان الرفق أرفق» فإن الأشخاص مختلفون، وبعضهم يلجون إذا لم يرفق بهم.

«واعتزم بالشدة حين لا يغني عنك الا الشدة» كالأُرذال، فانهم لا يغني عنهم إلّا الشدّة.

«واخفض للرعية» إلى آخر الشرح في العنوان (٢٧) من الأُصل.

(١) تاريخ الطبري ٣: ٥٦٣، سنة ٣٦.

(٢) أورده لسان العرب ٣: ٢٠٧، مادة (سد).

(٣) رواه الثقفي في الغارات ١: ٢٥٦، والطبري في تاريخه ٤: ٧١، سنة ٣٨.

١٠
من الكتاب (٣٨)

ومن كتاب له عليه السلام إلى أهل مصر لما ولّى عليهم الأشتر:

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللهِ، لَا يَنَامُ أَيَّامَ الْخَوْفِ وَلَا يَنْكُلُ عَنِ الْأَعْدَاءِ سَاعَاتِ الرَّوْعِ، أَشَدَّ عَلَى الْكُفَّارِ مِنْ حَرِيقِ النَّارِ، وَهُوَ مَالِكُ بْنُ حَارِثٍ أَخُو مَذْحِجٍ، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ فِيمَا طَابَقَ الْحَقَّ، فَإِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ لَا كَلِيلُ الظُّبَةِ وَلَا نَابِي الضَّرِيبَةِ، فَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَنْفِرُوا فَانْفِرُوا، وَانْ اَمَرَكُمْ اَنْ تُقِيمُوا فَأَقِيمُوا، فَإِنَّهُ لَا يُقْدِمُ وَلَا يُحْجِمُ، وَلَا يُؤَخِّرُ وَلَا يُقَدِّمُ إِلَّا عَنْ أَمْرِي، وَقَدْ آثَرْتُكُمْ بِهِ عَلَى نَفْسِي لِنَصِيحَتِهِ لَكُمْ وَشِدَّةِ شَكِيمَتِهِ عَلَى عَدُوِّكُمْ.

أقول: نذكر مستنده أخيراً «اما بعد فقد بعثت إليكم» يا أهل مصر «عبداً من عباد الله» هو في معنى انه من العباد لله «لا ينام ايام الخوف» وقال بشار في عمر بن العلاء:

إذا أيقظتك حروب للعدى   فنبّه لها عمراً ثم نم
فتىً لا ينام على دمنة   ولا يشرب الماء الا بدم

وقال البحتري في يوسف بن أبي سعيد:

ماضٍ إذا وقف المشهر لم يقف   يقظ إذ هجع السها لم يهجع

وفي (الأغاني): قالت هند زوجة حجر آكل المرار في وصف زوجها: ما رأيت رجلا قط أحزم منه نائماً ومستيقظاً، ان كان لتنام عيناه وبعض اعضائه حي لا ينام، وكان إذا أراد النوم أمرني أن اجعل عنده عساً مملوأ لبناً، فبينا هو ذات ليلة نائم وأنا قريبة منه أنظر إليه أقبل اسود سالخ إلى رأسه فنحى رأسه، فمال إلى يديه واحداهما مقبوضة والأخرى مبسوطة، فأهوى

إليها، فقبضها، فمال إلى رجليه وقد قبض واحدة وبسط الأُخرى، فأهوى إليها، فقبضها، فمال إلى العس شربه ثم مجه، فقلت: يستيقظ فيشرب، فيموت فأستريح منه، فانتبه من نومه فقال: عليّ بالاناء، فناولته، فشمه فاضطربت يداه حتى سقط الاناء فأهريق.

وفيه قال هشام: كانت الاوس قد اسندوا أمرهم يوم بعاث إلى أبي قيس بن أسلت الوابلي، فقام في حربهم وآثرها على كل أمر حتى شحب وتغير، ولبث أشهراً لا يقرب امرأة، ثم انه جاء ليلة فدق على امرأته ففتحت له، فأهوى إليها بيده فدفعته وأنكرته، فقال انا أبو قيس، فقالت: والله ما عرفتك حتى تكلمت. فقال في ذلك:

قالت ولم تقصد لقيل الخنى ... مهلا فقد أبلغت اسماعي
استنكرت لوناً له شاحباً ... والحرب غول ذات أو جاع
من يذق الحرب يجد طعمها ... مراً وتتركه بجعجاع

قيل في تأبط شراً:

إذا خاط عينيه كرى النوم لم يزل ... كأن من عينيه شجعان فاتك
ويجعل عينيه ربيئة قلبه ... إلى سلة من حد احضر باتك

وفي (تاريخ بغداد): قال الرشيد للمفضل الضبي: ان قلت أحسن ما قيل في الذئب فلك هذا الخاتم الّذي في يدي وشراؤه الف وستمائة دينار، فقال قول الشاعر:

ينام باحدى مقلتيه ويتقي ... بأخرى المنايا فهو يقظان هاجع

فقال له الرشيد: ما ألقى هذا على لسانك الا لذهاب الخاتم وحلق به إليه فاشترته ام جعفر بألف وستمائة دينار وبعثت به إليه وقالت: قد كنت أراك تعجب به، فألقاه إلى الضبي وقال له: خذه وخذ الدنانير

فما كنا نهب شيئاً فنرجع فيه.

وفي (العيون): ذكر اعرابي أميراً فقال: كان إذا ولي لم يطابق بين جفونه وأرسل العيون على عيونه، فهو غائب عنهم شاهد معهم، فالمحسن راج، والمسيء خائف.

وقال البحتري:

هجر الهوينا واستعد لحربه ان المحارب للهوينا هاجر

«ولا ينكل» أي: لا يجبن «عن الأعداء ساعات الروع» بالفتح أي: الفزع قال حسان كما في ديوانه:

يجيب إلى الجلي ويحتضر الوغى اخو ثقة يزداد خير ويكرم

«أشد على الكفار» هكذا في (المصرية وابن ميثم) وفي (ابن أبي الحديد والخطية)[1] (على الفجار).

«من حريق النار» في (صفين نصر): خرج رجل من أهل الشام قلما رؤي أطول وأعظم منه، فدعا إلى المبارزة، فلم يخرج إليه انسان، وخرج إليه الأشتر فقتله: فقال رجل منهم: أقسم بالله لا قتلن قاتلك، فحمل على الأشتر فضربه، فإذا هو بين يدي فرسه وحمل أصحابه فاستنقذوه جريحاً، فقال أبو رفيقة السهمي: كان هذا ناراً فصادفت اعصاراً[2].

وفي (تاريخ الطبري): كان الأشتر يوم صفين يقاتل على فرس وفي يده صفحة يمانية إذا طأطأها خلت فيها ماء منصباً وإذا رفعها كاد يغشى البصر شعاعها، وجعل يضرب بسيفه ويقول «الغمرات ثم ينجلين»، فبصر به الحارث بن جمهان الجعفي والأشتر متقنع في الحديد، فدنا منه فقال له: جزاك

---

(١) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٥٦، وشرح ابن ميثم ٥: ٨٢، «الفجار».

(٢) وقعة صفين: ١٩٦.

الله خيراً منذ اليوم عن أمير المؤمنين وجماعة المسلمين. فعرفه الأشتر فقال له: مثلك يتخلف عن مثل موطني. فقال له: ما علمت بمكانك الا الساعة ولا أفارقك حتى أموت[١].

وفي (صفين نصر): قال إبراهيم بن الأشتر: كنت عند عليّ عليه السلام حين بعث إلى الأشتر ان يأتيه لما كان أهل الشام رفعوا المصاحف وقد أشرف على عسكر معاوية ليدخله، فقال الأشتر لرسوله: قل له: اني قد رجوت ان يفتح الله لي فلا تعجلني، فما هو الا أن علت الاصوات من قبل الأشتر، وظهرت دلائل الفتح والنصر لاهل العراق، والخذلان على أهل الشام، فقال القوم له عليه السلام: والله ما نراك الا أمرته بقتال القوم.

إلى أن قال: فقالوا له عليه السلام لترسلن إلى الأشتر فليأتك أو لنقتلنك كما قتلنا عثمان أو لنسلمنك إلى عدوك، فأقبل الأشتر وصاح: يا أهل الذل والوهن، أحين علوتم القوم فظنوا أنكم لهم ظاهرون رفعوا المصاحف ـ الخ[٢].

وعن عمارة بن ربيعة الجرمي: لما كتبت الصحيفة دعي لها الأشتر فقال: لا صحبتني يميني ولا نفعتني بعدها شمالي ان كتب لي في هذه الصحيفة اسم على صلح ولا موادعة، أو لست على بينة من ربي ويقين من ضلال عدوي، أو لستم قد رأيتم الظفران لم تجمعوا على الخور. فقال له الأشعث: انك ما رأيت ظفراً ولا خوراً هلم فاشهد على نفسك، فانه لا رغبة بك عن الناس. فقال: بلى والله ان بي لرغبة عنك في الدنيا للدنيا وفي الآخرة للآخرة، ولقد سفك الله بسيفي هذا دماء رجال ما أنت بخير منهم عندي ولا أحرم. فنظروا إلى الأشعث كأنما قصع على أنفه الحمم.

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ١٥، سنة ٣٧.

(٢) وقعة صفين: ٤٩٠.

ثم قال الأشتر: ولكني قد رضيت بما صنع أمير المؤمنين عليه السلام، ودخلت فيما دخل فيه، وخرجت مما خرج منه، فانه لا يدخل إلا في هدىً وصواب[١].

وفيه أيضاً: مشى القوم ليلة الهرير بعضهم إلى بعض بالسيف وعمد الحديد والأشتر يسير فيما بين الميمنة والميسرة، فيأمر كل قبيلة أو كتيبة من القراء بالاقدام على الّتي تليها، فاجتلدوا بالسيوف وعمد الحديد من صلاة الغداة إلى نصف الليل لم يصلوا صلاة، فلم يزل يفعل ذلك الأشتر بالناس حتى أصبح والمعركة خلف ظهره، وافترقوا على سبعين ألف قتيل، ثم استمر القتال من نصف الليل الثاني إلى ارتفاع الضحى، والأشتر يقول لأصحابه وهو يزحف بهم نحو أهل الشام: ازحفوا قيد رمحي هذا، وإذا فعلوا قال: ازحفوا قاب هذا القوس، فإذا فعلوا سألهم مثل ذلك حتى ملّ اكثر الناس الاقدام، فلما رأى ذلك قال: أعيذكم بالله أن ترضعوا الغنم سائر اليوم.

ثم دعا بفرسه وركز رايته وخرج يسير في الكتائب ويقول: ألا من يشري نفسه لله ويقاتل مع الأشتر حتى يظهر أو يلحق بالله -إلى أن قال ـ فلما رأي عليّ عليه السلام جاء الظفر من قبل الأشتر أخذ يمده بالرجال، وأقبل الأشتر على فرس كميت محذوف قد وضع مغفره على قربوس السرج و هو يقول: أصبروا، فقال رجل في تلك الحال: أي رجل هذا لو كانت له نية. فقال له صاحبه: وأي نية أعظم من هذه ان رجلا فيما ترى قد سبح في الدماء وما أضجرته الحرب، وقد غلت هام الكماة وبلغت القلوب الحناجر، وهو كما ترى جذعاً يقول هذه المقالة: اللهم لا تبقنا بعد هذا[٢].

«وهو مالك بن الحارث» بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيعة بن الحارث بن

---

(١) وقعة صفين: ٥١١.

(٢) وقعة صفين: ٤٧٥ ـ ٤٨٠، والنقل بتقطيع.

جذيمة بن سعد بن مالك بن النخع من مذحج كما في (ذيل الطبري)[1] «أخو مذحج» قال الجوهري: قال سيبويه: الميم من نفس الكلمة. وقال الحموي: قال ابن الاعرابي: أقامت مذلة بعد زوجها ادد بن زيد بن يشجب على ولديها منه مالك وطي ولم تزوج، فقيل: «إذ حجت على ولدها» أي أقامت، فسمى مالك وطي مذحجاً. وقال ابن الكلبي: ولد ادد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ مالكاً وجلهمة، وهو طيّ، وأمهما ذلة، وهي مذحج، كانت قد ولدتهما عند اكمة يقال لها مذحج فلقبت بها، ويقال لولدها مالك وطي مذحج. وقال ابن إسحاق: مذحج هو ابن يحابر بن مالك بن زيد بن كهلان، ولم يتابع على ذلك ـ الخ[2] ـ قلت: وتبعه الجوهري.

«فاسمعوا له وأطيعوا أمره فيما طابق الحق» قال ابن أبي الحديد: كان عليه السلام من شدة صلابته في الدين لم يسامح نفسه في حق أحب الخلق إليه ان يهمل هذا القيد، قال النبيّ صلى الله عليه وآله: لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق[3].

قلت: أمير المؤمنين عليه السلام وشيعته لم ينتظروا أن يطيعهم الناس في غير الحق على الفرض، ولما بعث عليه السلام قيس بن سعد بن عبادة إلى مصر خطبهم وقال لهم: أيها الناس إنّا بايعنا خير من نعلم بعد نبينا، فقوموا فبايعوا على كتاب الله وسنة رسوله، فان نحن لم نعمل بهما فلا بيعة لنا عليكم[4].

«فانه سيف من سيوف الله» قال ابن أبي الحديد: هذا لقب خالد بن الوليد، واختلف فيمن لقبّه به، والصحيح أنه لقبه به أبوبكر لقتاله

(١) منتخب ذيل المذيل: ١٤٨.

(٢) معجم البلدان ٥: ٨٩.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٥٨.

(٤) رواه الثقفي في الغارات ١: ٢١١.

أهل الردة وقتله مسيلمة[١].

قلت: لعمر الله ان خالداً كان سيفاً لقتل عباد الله، فقتل مالك بن نويرة المؤمن غدراً وزنا بامرأته حتى سخر في ذلك فاروقهم صدّيقهم، وقال له: هذا الّذي سميته سيف الله حصل فيه رهق، ومن العجب ان الأشتر الّذي كان بتلك الدرجة في الشدة على أعداء الدين، وفي جهاد المنافقين، لا يسمّونه بذلك، مع نص من كان مثل نفس النبيّ ﷺ بذلك، ويسمّون من اتخذ إلٰهه هواه سيف الله.

«لا كليل الظبة» ظبة السيف طرفه، وكلها عدم تأثيرها.

«ولا نابي الضريبة» نابي الضريبة من لم تعمل ضربته في الضريبة، قال: «ليث يدق الاسد الهموسا ـ والاقهبين الفيل والجاموسا» وقال آخر: حامي الحقيقة، نسال الوديقة، معتاق الوسيقة، لا نكس، ولا وكل.

«فأن أمركم أن تنفروا» أي: تشخصوا «فانفروا وان أمركم أن تقيموا فأقيموا» لأنه لا يأمركم إلّا بما فيه صلاحكم.

«فإنه لا يقدم ولا يحجم» بتقديم الجيم والحاء على ما قال الجوهري، فقال في «جحم» اجحم عن الشيء كفّ عنه مثل «أحجم». وقال في «حجم»: «حجمته فأحجم» أي كففته فكف، وهو من النوادر ـ الخ.

وانما كان من النوادر لان القاعدة كون «فعل» لازماً و «أفعل» متعدياً، وهو بالعكس.

«ولا يقدم ولا يؤخر إلّا عن أمري» فيجب عليكم اطاعته مثلي «وقد آثرتكم» أي: اخترتكم «به على نفسي» لأنه كانت ملازمته له وحضوره عنده ذا آثار مهمة «لنصيحته لكم وشدة شكيمته على عدوكم» في (الصحاح): الشكيمة في

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٥٨.

اللجام الحديدة المعترضة في فم الفرس الّتي فيها الفاس، وفلان شديد الشكيمة إذا كان شديد النفس انفاً ابياً، وفلان ذو شكيمة إذا كان لا ينقاد، قال عمرو بن شاس الاسدي يخاطب امرأته في ابنه عرار:

وان عراراً ان يكن ذا شكيمة تعافينها منه فما أملك الشيم

وشكمت الوالي: إذا رشوته كأنك شددت فمه بالشكيم.

هذا، وورواه (تاريخ الطبري) و(غارات الثقفي) و(أمالي المفيد)، روى الأوّل عن أبي مخنف والثاني عن المدائني باسنادهما عن مولى الأشتر قال: لما هلك وجدنا في ثقله رسالة عليّ عليه السلام إلى أهل مصر: أما بعد فقد بعثت إليكم عبداً من عبيد الله لا ينام أيام الخوف، ولا ينكل عن الاعادي حذار الدوائر، أشد على الكفار من حريق النار، وهو مالك بن الحارث أخو مذحج، فاسمعوا له وأطيعوا، فانه سيف من سيوف الله لانابي الضريبة ولا كليل الحد، فان أمركم أن تقدموا فأقدموا، وان أمركم أن تنفروا فانفروا، فانه لا يقدم ولا يحجم الا بأمري، وقد آثرتكم به على نفسي لنصحه لكم وشدة شكيمته على عدوكم، عصمكم الله بالهدى وثبتكم على اليقين[1].

وروى الثاني أيضاً والثالث عن الشعبي عن صعصعة قال: كتب عليّ عليه السلام إلى أهل مصر: أما بعد فاني قد بعثت إليكم عبداً من عباد الله لا ينام ايام الخوف،ولا ينكل عن الاعداء حذار الدوائر، لا ناكل من قدم، ولا واه في عزم، من أشد عباد الله بأساً واكرمهم حسباً، أضر على الفجار من حريق النار، وأبعد الناس من دنس أوعار، وهو مالك بن الحرث الأشتر، لا نابي الضريبة ولا كليل الحد، حليم في السلم رزين في الحرب، ذو رأي أصيل وصبر جميل،

(١) تاريخ الطبري ٤: ٧٢، سنة ٣٨، والغارات ١: ٢٦٦.

فاسمعوا له وأطيعوا أمره، فان امركم بالنفر فانفروا ـ الخ[1].

ورواه (الاختصاص) باسناده عن عبدالله بن جعفر، الا أنه خبر غير صحيح، حيث تضمن انه عليه السلام بعثه بعد قتل محمّد بن أبي بكر، مع أن مالكاً سم قبل محمّد كما يأتي في الآتي، ونسبته إلى المفيد أيضاً غير معلومة[2].

١١
الكتاب (٣٤)

ومن كتاب له عليه السلام: إلى محمّد بن أبي بكر لما بلغه توجّده من عزله بالأشتر عن مصر ثم توفِّيَ الأشتر في توجّهه إلى مصر قبل وصوله إليها:

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِي مَوْجِدَتُكَ مِنْ تَسْرِيحِ الْأَشْتَرِ إِلَى عَمَلِكَ، وَإِنِّي لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ اسْتِبْطَاءً لَكَ فِي الْجَهْدِ، وَلَا ازْدِيَاداً فِي الْجِدِّ، وَلَوْ نَزَعْتُ مَا تَحْتَ يَدِكَ مِنْ سُلْطَانِكَ لَوَلَّيْتُكَ مَا هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكَ مَؤُونَةً وَأَعْجَبُ إِلَيْكَ وِلَايَةً. إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي كُنْتُ وَلَّيْتُهُ أَمْرَ مِصْرَ كَانَ رَجُلاً لَنَا نَاصِحاً وَعَلَى عَدُوِّنَا شَدِيداً نَاقِماً. فَرَحِمَهُ اللهُ، فَلَقَدِ اسْتَكْمَلَ أَيَّامَهُ وَلَاقَى حِمَامَهُ وَنَحْنُ عَنْهُ رَاضُونَ، أَوْلَاهُ اللهُ رِضْوَانَهُ وَضَاعَفَ الثَّوَابَ لَهُ. فَأَصْحِرْ لِعَدُوِّكَ، وَامْضِ عَلَى بَصِيرَتِكَ وَشَمِّرْ لِحَرْبِ مَنْ حَارَبَكَ، وَادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ، وَأَكْثِرِ الِاسْتِعَانَةَ بِاللهِ، يَكْفِكَ مَا أَهَمَّكَ، وَيُعِنْكَ عَلَى مَا نزل بك إِنْ شَاءَ اللهُ.

أقول: رواه الطبري والثقفي مع جواب محمّد، روى الأوّل عن أبي مخنف

---

(١) الغارات ١: ٢٦٠، وأمالي المفيد: ٨١، المجلس ٩، ورواية الثقفي عن الشعبي عن صعصعة ورواية المفيد عن هشام الكلبي.

(٢) الاختصاص: ٧٩.

والثاني عن المدائني، قالا: لما بلغ محمّد بن أبي‌بكر أن علياً عليه السلام قد بعث الأشتر شقّ عليه، فكتب عليّ إلى محمّد بن أبي‌بكر عند مهلك الأشتر ـ وذلك حين بلغه موجدة محمّد لقدوم الأشتر عليه ـ اما بعد فقد بلغني موجدتك من تسريح الأشتر إلى عملك، واني لم أفعل ذلك استبطاءاً لك في الجهاد، ولا ازدياداً مني لك في الجد، ولو نزعت ما تحت يدك من سلطانك لوليتك ما هو أيسر عليك في المؤنة، وأعجب إليك ولاية منه ان الرجل الّذي كنت وليته مصر كان لنا نصيحاً، وعلى عدونا شديداً، وقد استكمل ايامه، ولاقى حمامه، ونحن عنه راضون، فرضي الله عنه وضاعف له الثواب، وأحسن له المآب، اصبر لعدوك، وشمر للحرب، وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، واكثر ذكر الله والاستعانة به والخوف منه، يكفك ما أهَمك ويعنك على ما ولاك، اعاننا الله واياك على ما لا ينال الا برحمته. والسلام عليك.

فكتب إليه محمّد بن أبي‌بكر: أما بعد فانّي فقد انتهى إليّ كتاب أمير المؤمنين، ففهمته، وعرفت ما فيه، وليس أحد من الناس بأرضى مني برأي أمير المؤمنين، ولا أجهد على عدوّه، ولا أرأف بوليه مني، وقد خرجت فعسكرت، وآمنت الناس، الا من نصب لنا حرباً، وأظهر لنا خلافاً، وأنا متبع أمر أمير المؤمنين، وحافظه، وملتجئ إليه، وقائم به[1].

قول المصنّف: (ومن كتاب له عليه السلام) الخ، هكذا في (المصرية وابن ميثم)، ولكن في (ابن أبي الحديد) «في توجهه إلى هناك»، بدل «في توجهه إلى مصر»[2].

قول المصنّف: (أما بعد) هكذا في (المصرية)، وليس كله في (ابن أبي

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٧٢ و٧٣، سنة ٣٨، والغارات ١: ٢٦٧.

(٢) شرح ابن ميثم ٥: ٧٤، وشرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٤٢.

الحديد وابن ميثم والخطية)[١]، فيعلم عدم وجوده في النهج.

«فقد» هكذا في (المصرية)، والصواب: «وقد» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٢] «بلغني» وفي (ابن أبي الحديد) «بلغتني»[٣] «موجدتك» يأتي «وجد» لمعان ولكل مصدر، قال الجوهري: وجد مطلوبه وجوداً، ووجد ضالته وجداناً، ووجد في المال وَجداً ووُجداً ووِجداً وجدة أي : استغنى، ووجد في الحزن وجداً بالفتح، ووجد عليه في الغضب موجدة.

«من تسريح» أي: ارسال «الأشتر إلى عملك» حكومة مصر «واني لم أفعل ذلك استبطاءاً لك في الجهد» بالفتح والضم «ولا ازدياداً في الجدّ» هكذا في (المصرية)، والصواب: «ولا ازدياداً لك في الجدّ» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٤].

«ولو نزعت ما تحت يدك من سلطانك» في مصر «لولّيتك ما هو أيسر عليك مؤنة وأعجب إليك ولاية» كما أنه عليه السلام لما عزل قيس بن سعد بن عبادة عن مصر قال له: أقم معي على شرطتي حتى نفرغ من أمر هذه الحكومة ـ أي: الحكمين ـ ثم أخرج إلى آذربيجان[٥].

«ان الرجل الّذي كنت وليته أمر مصر» أي: الأشتر «كان رجلاً لنا ناصحاً وعلى عدونا شديداً ناقماً) أي: كارهاً، فلم يكن بعد عمّار مثل الأشتر في أصحابه عليه السلام.

وفي (تاريخ الطبري): لما أخبر الّذي سقى الأشتر السم، معاوية بمهلك

---

(١) كذا في شرح ابن مثيم ٥: ٧٥، لكن توجد الكلمة في شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٤٢.

(٢) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٤٢، وشرح ابن ميثم ٥: ٧٤، مثل المصرية.

(٣) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٤٢، مثل المصرية.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٤٢، وشرح ابن ميثم ٥: ٧٤.

(٥) رواه الثقفي في الغارات ١: ٢٥٧.

الأشتر قام معاوية خطيباً وقال: كانت لعلي يدان يمينان قطعت احداهما يوم صفين - يعني عماراً - وقطعت الأُخرى اليوم - يعني الأشتر[١].

وفي (تاريخ الطبري): بلغ معاوية بعد التحكيم ان علياً عليه السلام يقنت في صلاة الغداة ويلعنه مع عمرو وأبي الاعور وحبيب وعبدالرحمن بن خالد والضحاك والوليد، فكان إذا قنت لعنه مع الحسنين وابن عباس والأُشتر[٢].

وفي (عيون القتيبي): ذم رجل الأُشتر فقال له قائل: اسكت فان حياته هزمت أهل الشام، وان موته هزم أهل العراق.

وفي (أمثال الكرماني): يحكي ان معاوية لما بلغه موت الأُشتر قال: واهاً ما أبردها على الفؤاد[٣].

«فرحمه الله» قال ابن أبي الحديد في موضع آخر: قال عليه السلام في مالك بعد موته: رحم الله مالكاً، فلقد كان لي كما كنت للنبيّ صلى الله عليه وآله[٤].

«فلقد استكمل أيامه، ولاقى حِمامه» بالكسر أي: الموت **«ونحن عنه راضون، أولاه الله رضوانه وضاعف الثواب له»**.

قال ابن أبي الحديد: لست أشك ان الأشتر بهذه الدعوة يغفره الله، ويكفّر ذنوبه، ويدخله الجنة، ولا فرق عندي بينها وبين دعوة النبيّ صلى الله عليه وآله، ويا طوبى لمن حصل له من عليّ عليه السلام بعض هذا[٥].

«فأصحر» من «أصحر» إذا خرج إلى الصحراء **«لعدوك، وامض على بصيرتك، وشمّر لحرب من حاربك»** من «شمر اذياله للامر» إذا تأهب له **«وادعُ إلى**

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٧٢، سنة ٣٨.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٥٢، سنة ٣٧.

(٣) مجمع الامثال ٢: ٣٦٢.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٥: ٩٨.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٤٤.

سبيل ربك» هو لفظ القرآن[١] «واكثر الاستعانة بالله يكفك ما أهمك» لقدرته على كل شيء «ويعنك على ما نزل بك» هكذا في (المصرية)، ولكن في (ابن أبي الحديد والخطية) «ينزل بك»[٢] «ان شاء الله» هكذا في (المصرية وابن أبي الحديد)، ولكن في (ابن ميثم)[٣] «والسلام» وهو الأصح.

١٢
الحكمة (٤٤٣)

وقالَ عليه السلام وقَدْ جاءَهُ نَعْيُ الأشْتَرِ:

مالِكٌ وما مالِكٌ، واللهِ لَوْ كانَ جَبَلاً لَكانَ فِنْداً، وَلو كانَ حَجَراً لكانَ صَلْداً، لا يَرْتَقِيهِ الحافِرُ، ولا يُوفِي عَلَيْه الطَّائِرُ.

قالَ الرَّضيّ: الْفِنْدُ المُنْفَرِدُ مِنَ الْجِبالِ.

أقول: رواه موفقيات الزبير بن بكار عن المدائني عن ابن الكلبي عن أبي مخنف عن نفيل بن علقمة بن قيس قال: دخلنا على أمير المؤمنين عليّ عليه السلام صبيحة جاء نعي الأشتر، فلما نظر إلينا قال: رحم الله مالكاً وما مالك، لو كان من جبل لكان فنداً، أو من حجر لكان صلداً، على مثل مالك فلتبك البواكي، وهل يوجد مثل مالك. فما زال يتلهف عليه حتى كأنه المصاب به دوننا.

قول المصنّف: (وقال عليه السلام وقد جاءه نعي الأشتر) مالك بن الحارث النخعي، في غارات الثقفي عن الشعبي: هلك الأشتر حين أتى عقبة أفيق.

وعن عاصم بن كليب عن أبيه ان علياً عليه السلام لما بعث الأشتر والياً عليها وبلغ معاوية خبره بعث رسولا يتبع الأشتر إلى مصر وأمره باغتياله، فحمل

---

(١) النحل: ١٢٥.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٤٢.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٤٢، وشرح ابن ميثم ٥: ٧٤.

معه مزودين فيهما شراب، وصحب الأشتر فاستسقى الأشتر يوماً فسقاه من أحدهما ثم استسقى يوماً آخر فأمنه وسقاه من الآخر وفيه سم، فمالت عنقه وطلب الرجل ففاته.

وعن مغيرة الضبي ان معاوية دس للاشتر مولى لآل عمر، فلم يزل المولى يذكر للاشتر فضل عليّ عليه السلام وبني هاشم حتى اطمأن إليه واستأنس به، فقدم الأشتر يوماً ثقله فاستسقى ماءاً فقال له مولى عمر: هل لك في شربة سويق، فسقاه شربة سويق فيها سم فمات، وقد كان معاوية قال لاهل الشام لما دس إلى الأشتر مولى عمر: ادعوا على الأشتر، فدعوا عليه فلما بلغه موته قال: ألا ترون كيف استجيب لكم[1].

قوله عليه السلام «مالك وما مالك» الظاهر ان «مالك» مبتدأ وجملة «وما مالك» خبره لبيان عظم الأمر، مثل قوله تعالى: ﴿الحاقة* ما الحاقة * وما ادراك ما الحاقة﴾[2]، وقال زهير بن جذيمة حين قتل ابنه شاس:

شاس وما شاس، والباس وما الباس   لو لا مقتل شاس لم يكن بيننا باس

ثم انصرف إلى قومه، فكان لا يقدر على غنوي ـ وكان قتله غنوي ـ الا قتله.

«والله» هكذا في (المصرية) أخذاً من (ابن أبي الحديد)، وليس في (ابن ميثم)[3].

«لو كان جبلاً لكان فنداً» في (الجمهرة): الفند: القطعة العظيمة من الجبل، والجمع أفناد، وبه سمي الفند الزماني ـ من فرسان العرب ـ لعظم

---

(١) الغارات ١: ٢٦٢ و٢٦٣.

(٢) الحاقة: ١ ـ ٣.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ٩٣، وشرح ابن ميثم ٥: ٤٥٥.

خلقه، قال الشاعر:

كأنه فند من الافناد

وقال شريح التغلبي:

وعنترة الفلحاء جاء ملاماً كأنك فند من عماية اسود

وفي (الأغاني): لقب سهل بن شيبان البكري بالفند، شبه بالفند من الجبل القطعة منه لعظم خلقه، وشهد الفند حرب بكر وتغلب وقد قارب المائة فأبلى.

وقال ابن الكلبي: لما كان يوم التحالق أقبل الفند الزماني إلى بني شيبان وهو شيخ كبير قد جاوز مائة سنة ومعه بنتان له شيطانتان من شياطين الانس، فكشفت احداهما عنها وتجردت وجعلت تصيح ببني شيبان ومن معهم من بكر:

دَعا دعا دعا حرّ الجياد والبطا

يا حبذا المحلقون بالضحى

ثم تجردت الأُخرى وأقبلت تقول:

ان تُقبلوا نعانق ونفرش النمارق

أو تُدبروا نفارق فراق غير وامق

وقال أيضاً: لحق الفند الزماني رجلا من بني تغلب يقال له مالك بن عوف قد طعن صبياً من صبيان بكر، فهو في رأس قناته وهو يقول «يا ويس أم الفرخ»، فطعنه الفند وهو وراؤه مردف له، فأنفذهما جميعاً وجعل يقول:

أيا طعنة ما شيخ كبير يفن بال

تعنيت بها اذكره الشكة امثالي

تقيم الماتم الاعلى على جهدوا عوال

وعن هشام قال: أرسلت بنو شيبان في محاربتهم بني تغلب إلى بني حنيفة يستنجدونهم، فوجهوا إليهم بالفند الزماني في سبعين رجلا وقالوا: انا قد بعثنا إليكم ألف رجل(١).

ويكفيه أنه كما فخرت أخت عمرو بن عبدود فارس يوم الخندق بكون أمير المؤمنين عليه السلام قاتل أخيها، كذلك فخرت اخت عمرو بن يثربي الضبي فارس يوم الجمل، وقاتل زيد بن صوحان، وعمرو الجملي، وعلباء السدوسي بكون الأشتر قاتل أخيها، فقالت:

لو غير الأشتر ناله لندبته ... وبكيته ما دام هضب ابان

لكنه من لا يعاب بقتله ... اسد الاسود وفارس الاقران

«ولو كان حجراً لكان صلداً» أي: صلباً، ذكر فقرة «ولو كان حجراً لكان صلداً» (المصرية) أخذاً عن (ابن أبي الحديد)، وليست في (ابن ميثم)(٢)، ولعل نسخة ابن أبي الحديد زادتها من الروايات، ففي (غارات الثقفي) عن أشياخ من النخع قالوا: دخلنا على عليّ عليه السلام حين بلغه موت الأشتر، فوجدناه يتلهف ويتأسف عليه ثم قال: لله درّ مالك، وما مالك لو كان من جبل لكان فنداً ولو كان من حجر لكان صلداً، والله ليهدنّ موتك عالماً وليفرحن عالماً، وعلى مثل مالك فلتبك البواكي، وهل مرجو كمالك وهل موجود كمالك. قال علقمة النخعي: فما زال عليه السلام يتلهف ويتأسف حتى ظننّا أنه المصاب به دوننا وعرف ذلك في وجهه أياماً(٣).

«لا يرتقيه الحافر» أي: ذو حافر، أي: دابة.

---

(١)

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ٩٣، وشرح ابن ميثم ٥: ٤٥٥.

(٣) الغارات ١: ٢٦٥.

«ولا يوفى» هكذا في (المصرية وابن أبي الحديد)، وفي نسخة ابن ميثم[١] «ولا يرقى» «عليه الطائر» والفقرتان كنايتان عن علو مقامه.

وفي (تاريخ الطبري): قيل لعليّ عليه السلام بعد ما كتبت صحيفة التحكيم: ان الأشتر لا يقر بما فيها، ولا يرى الا قتال القوم. فقال: وأنا والله ما رضيت ولا أحببت أن ترضوا، وأما الّذي ذكرتم من ترك الأشتر أمري وما أنا عليه، فليس من أولئك، ولست أخافه على ذلك، يا ليت لي فيكم مثله اثنين، يا ليت فيكم مثله واحداً يرى في عدوي ما أرى، اذن لخفت عليّ مؤنتكم، ورجوت أن يستقيم لي بعض أودكم[٢].

وفي (غارات الثقفي): ولما بلغ علياً عليه السلام موت الأشتر قال: انا لله وانا إليه راجعون والحمد لله رب العالمين، اللهم اني أحتسبه عندك، فان موته من مصائب الدهر. ثم قال: رحم الله مالكاً فقد وفي بعهده وقضى نحبه، ولقي ربه، مع أنا قد وطنا أنفسنا أن نصبر على كل مصيبة بعد مصابنا برسول الله صلى الله عليه وآله فانها من أعظم المصيبات[٣].

---

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ٩٣، لكن لفظ شرح ابن ميثم ٥: ٤٥٥، مثل المصرية أيضاً.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٤٢، سنة ٣٧.

(٣) الغارات ١: ٢٦٤.

فهرس المطالب

العنوان	رقم الصفحة
الفصل السّادس عشر ـ في أدعيته عليه السلام	١
العنوان ١ من الخطبة ١٧٦: «اللّهمّ اغفر لي ما أنتَ أعلم به منّي...»	٣
العنوان ٢ من الخطبة ٢١٣: «الحمد لله الّذي لم يصبح بي ميّتاً ولا سقيماً...»	٦
العنوان ٣ من الخطبة ٢٢٣: «اللّهمّ صن وجهي باليسار،...»	١٥
العنوان ٤ من الخطبة ٤٦: «اللّهمّ إنّي أعوذ بك من وعثاء السّفر...»	١٩
العنوان ٥ من الخطبة ٢٢٥: «اللّهمّ إنّك آنس الآنسين لأوليائك...»	٢٢
العنوان ٦ الحكمة ٢٧٦: «اللّهمّ إنّي أعوذ بك من أن تحسن في لامعة العيون...»	٢٩
العنوان ٧ من الخطبة ٨٩: «اللّهمّ أنت أهل الوصف الجميل والتّعداد الكثير...»	٣١
العنوان ٨ من الكتاب ١٥: «اللّهمّ أفضت إليك القلوب، ومدّت الأعناق...»	٣٥
العنوان ٩ من الخطبة ٢١٠: «اللّهمّ أيّما عبدٍ من عبادك سمع مقالتنا العادلة...»	٤٢
الفصل السّابع عشر ـ في وصفه عليه السلام لعجائب خلقه تعالى	٤٧
العنوان ١ من الخطبة ١٥٣: «ومن لطائف صنعته وعجائب حكمته...»	٤٩
العنوان ٢ من الخطبة ١٦٣: «ابتدعهم خلقاً عجيباً من حيوانٍ وساكنٍ...»	٦٠
العنوان ٣ من الخطبة ١٨٣: «ولو فكّروا في عظيم القدرة...»	٩٠
الفصل الثامن عشر ـ في العلوم ومذمومها وممدوحها	١٥١
العنوان ١ من الخطبة ٧٧: «أتزعم أنّك تهدي إلى السّاعة الّتي من سار فيها...»	١٥٣
العنوان ٢ من الخطبة ٢٠٨: «انّ في أيدي النّاس حقّاً وباطلاً...»	٢٠١

العنوان ٣ من الخطبة ١٧: «انّ أبغض الخلائق إلى الله رجلان...» ٢٩٨
العنوان ٤ من الخطبة ٨٥: «وآخر قد تسمّىٰ عالماً وليس به...» ٣٢٦
العنوان ٥ الحكمة ١٨٣: «ما اختلفت دعوتان إلّا كانت إحداهما ضلالةً» ٣٣٠
العنوان ٦ من الخطبة ١٨: «ترد على أحدهم القضيّة في حكم من الأحكام...» ٣٣٣
العنوان ٧ الحكمة ٢٠٥: «كلّ وعاءٍ يضيق بما جُعِلَ فيه إلّا وعاء العلم...» ٣٥٣
العنوان ٨ الحكمة ٣٣٨: «العلم علمان: مطبوعٌ ومسموعٌ...» ٣٥٤
العنوان ٩ الحكمة ٩٢: «أوضع العلم ما وقف على اللّسان...» ٣٥٥
العنوان ١٠ الحكمة ٣٦٦: «العلم مقرونٌ بالعمل، فمن علم عمل...» ٣٥٨
العنوان ١١ الحكمة ٩٨: «اعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعايةٍ لا عقل روايةٍ...» ٣٥٩
العنوان ١٢ الحكمة ٣٧٢: «... يا جابر، قوام الدّين والدّنيا بأربعةٍ...» ٣٦٠
العنوان ١٣ الحكمة ٤٥٧: «منهومان لا يشبعان: طالب علمٍ، وطالب دنيا» ٣٦٦
العنوان ١٤ الحكمة ٤٧٨: «ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلّموا حتّى أخذ...» ٣٦٩
العنوان ١٥ الحكمة ٤: «نعم القرين الرّضىٰ، والعلم وراثةٌ كريمةٌ...» ٣٧١
العنوان ١٦ الحكمة ٨١: «قيمة كلّ امرئٍ ما يُحسنه...» ٣٧٩
العنوان ١٧ الحكمة ٨٢: «أُوصيكم بخمسٍ لو ضربتم إليها آباط اللّيل...» ٣٨٤
العنوان ١٨ الحكمة ٢٧٤: «لا تجعلوا علمكم جهلاً، ويقينكم شكّاً...» ٣٩٠
العنوان ١٩ الحكمة ٢٨٤: «قطع العلم عذر المتعلّلين...» ٣٩٢
العنوان ٢٠ الحكمة ٢٨٨: «إذا أرذل الله عبداً حظر عليه العلم...» ٣٩٤
العنوان ٢١ الحكمة ٣٨٢: «لا تقل ما لا تعلم، بل لا تقل كلّ ما تعلم...» ٣٩٥
العنوان ٢٢ الحكمة ٩٠: «الفقيه كلّ الفقيه مَن لَم يقنّط النّاس من رحمة الله...» ٣٩٦
العنوان ٢٣ الحكمة ١٧٢: «النّاس أعداء ما جهلوا...» ٣٩٧
العنوان ٢٤ من الخطبة ١٥٢: «فليصدق رائد أهله وليحضر عقله...» ٣٩٨
العنوان ٢٥ الحكمة ٧٣: «من نصب نفسه للنّاس إماماً فعليه أن يبدأ بتعليم...» ٤٠٢

الفصل التاسع عشر ـ فيما أرشد الثّاني في مصالح الاسلام ٤٠٥
العنوان ١ من الخطبة ١٤٤: «أنّ هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرةٍ...». ٤٠٧
العنوان ٢ من الخطبة ١٣٢: «وقد توكّل الله لأهل هذا الدّين باعزاز الحوزة...» ٤٢٠

الفصل العشرون ـ في حبّه وبغضه عليه السلام ٤٢٩
العنوان ١ الحكمة ٤٥: «لو ضربت خيشوم المؤمن...» ٤٣١
العنوان ٢ الحكمة ١١٧: «هلك فيّ رجلان محبّ غالٍ ومبغضٍ قالٍ» ٤٤٣
ـ الحكمة ٤٦٩: «يهلك فيّ رجلان: محبّ مفرطٌ وباهتٌ مفترٍ» ٤٤٣

الفصل الحادي والعشرون ـ في شجاعته عليه السلام ومهابته ومناعته ٤٦٣
العنوان ١ من الكتاب ٤٥: «وكأنّي بقائلكم يقول إذا كان هذا...» ٤٦٥
العنوان ٢ الحكمة ٣١٨: «ما لقيتُ رجلاً إلّا أعانني على نفسه...» ٤٨٨
العنوان ٣ من الخطبة ١٩٠: «أنا وضعت في الصِّغر بكلاكل العرب...» ٤٩٥
العنوان ٤ من الكتاب ٣٦: «... وأمّا ما سألت عنه من رأيي في القتال...» ٤٩٩

الفصل الثّاني والعشرون ـ في أوليائه عليه السلام وأعدائه ٥٠٥
العنوان ١ من الكتاب ١٣: «وقد أمّرتُ عليكما وعلى من في حيِّزهما...» ٥٠٧
العنوان ٢ من الكتاب ٣٩: «... فإنّك قد جعلتُ دينك تبعاً لدنيا امرئٍ...» ٥١٣
العنوان ٣ من الخطبة ٨٢: «... عجباً لابن النّابغة، يزعم لأهل الشّام...» ٥٢٢
العنوان ٤ من الكتاب ٣٢: «... وأرديت جيلاً من النّاس كثيراً...» ٥٤٨
العنوان ٥ من الخطبة ١٩٨: «... والله ما معاوية بأدهىٰ منّي...» ٥٥٨
العنوان ٦ من الكتاب ٤٨: «... وانّ البغي والزّور يذيعان بالمرء في دينه...» ٥٨٤
العنوان ٧ من الكتاب ٤٢: «... أمّا بعد، فانّي قد ولّيت نعمان بن عجلان...» ٥٩٠
العنوان ٨ الحكمة ٣٢٥: «... انّ حزننا عليه على قدر سرورهم به...» ٥٩٤
العنوان ٩ من الكتاب ٤٦: «... أمّا بعد فانّك ممّن استظهر به على إقامة الدِّين...» ٥٩٨
العنوان ١٠ من الكتاب ٣٨: «... أمّا بعد فقد بعثتُ إليكم عبداً من عباد الله...» ٦٠٢
العنوان ١١ من الكتاب ٣٤: «... أمّا بعد فقد بلغني موجدتك...» ٦١٠
العنوان ١٢ الحكمة ٤٤٣: «... مالكٌ وما مالكٌ، والله لو كان جبلاً...» ٦١٤



دليل القارئ

* ضمّ «بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة» (٦٠) فصلاً وزّعت على ١٤ مجلّداً حازت تلك الفصول على أسماء خاصّة بها، وأُدرِجَت وفقاً لهيكل ارتآه المؤلِّف نفسه.

* اشتمل كلّ فصل على عدد من نصوص النّهج المُراد شرحها، كُتبت بالغامق، وانتظمت استناداً إلى ترابطها الموضوعي بعناوين مُنحت أرقاماً بارزة أعلاها تمثّل تسلسلها في الفصل، إضافة إلى رقم خاص بين قوسين يُشير إلى موقعها في النّهج.

* قد تحتوي بعض العناوين على أكثر من نصٍّ يُراد توضيحه فتشترك نصوص العنوان برقم واحد أعلاها، ويُميّز كلّ نصٍّ برقمه الخاص في نهج البلاغة.

* يُبتدأ الشّرح باقتطاع كلمات أو فقرات متتالية حسب أولويّتها في النصّ ـ غالباً ـ وتُحصر بين قوسين وتُميّز بالغامق في أوّل مورد أتت به لشرحها.

* غالباً ما يكون الشّرح لغويّاً أوّل الأمر، ثمّ يُنطلق منه إلى وقائع تأريخيّة وقصص أدبيّة معزّزة بأنواع الشّواهد شعراً ونثراً.

* لم تُحصر النصوص المنقولة ـ من غير نهج البلاغة ـ بين قوسين لكثرتها، واكتفي لتمييز أوّلها بذكر اسم الكتاب المأخوذة منه ـ ويقع أوّل السّطر في أحيان كثيرة ـ بين قوسين، ونهايتها بهامش يُشير إلى استخراجها ويبدأ النصّ الآخر برأس سطر جديد.

* عندما يتمّ شرح كلّ نص من العنوان يُنتقل إلى عنوان آخر يليه وفقاً لرقم تسلسله في الفصل، فتُشرح نصوصه ويُنتقل إلى عنوان بعده، وهكذا تُشرح الفصول متتابعة.

* إنّ العبارات التي تقع بين خطّين، هي عبارات اعتراضيّة توضيحيّة.

* أُضيف في نهاية كلّ مجلّد فهرستٌ للخطب والكُتُب والحِكَم الواردة في ذلك المجلّد.

* وختاماً نرجو من القراء الأعزاء أرسال ما لديهم من ملاحظات أو اقتراحات بناءة حول الكتاب. كما نعتذر عن السهو والخطأ إن وجد.

نتمنى للجميع التسديد والصواب، ومن الله الأجر والثواب

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الناشر